

لِبَابِ التَّفَاسِيرِ

تَأَلَّفَ الْإِمَامُ الْمُفَسِّرُ

تَاجِ الْقُرَّاءِ الْكَرْمَانِيِّ

بُرْهَانَ الدِّينِ أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدِ بْنِ حَمْزَةَ بْنِ نَصْرِ الْكَرْمَانِيِّ

الْمُتَوَفَّى بَعْدَ سَنَةِ ٥٠٠ هـ

يُطْبَعُ أَوَّلَ مَرَّةٍ مُحَقَّقًا عَلَى نَسْخِ خَطِّهِ

تَحْقِيقٌ وَتَعْلِيقٌ

مُحَمَّدُ عَبْدِ الْكَلِيمِ بَعَّاجٌ

دَارُ الدُّبَابِ

لَبَّاءُ التَّفَاسِيرِ

(١)

حُقوقُ الطَّبَعِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

يُمنع طباعة هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويره ورقياً أو إلكترونياً
إلا بإذن خطي من الدار الناشرة
تحت المساءلة الدنيوية والأخروية



دار اللباب

للدراسات وتحقيق التراث

DAR-ALLOBAB

Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlimi Araştırma Yayınları

بيروت - لبنان

009615813966

0096170112990

دمشق - سوريا

00963993151546

info@allobab.com

www.allobab.com

اسطنبول - تركيا

00902125255551

00905454729850



İskenderpaşa mh. Kızıtaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

لِبَابِ التَّفَاسِيرِ

تَأَلِيفُ الْإِمَامِ الْمُفَسِّرِ
تَاجِ الْقُرَّاءِ الْكِرْمَانِيِّ
بُرْهَانَ الدِّينِ أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدِ بْنِ حَمْرَةَ بْنِ نَصْرِ الْكِرْمَانِيِّ
الْمُتَوَفَّى بَعْدَ سَنَةِ ٥٠٠ هـ

نُطْبِعُ أَوَّلَ مَرَّةٍ مُحَقَّقًا عَلَى نَسْخِ خَطِّبِيَّةِ

تَحْقِيقٌ وَتَعْلِيلٌ
مُحَمَّدُ عَبْدِ السَّلَامِ بَعَّاجٌ

الْجُلْدُ الْأَوَّلُ

تِلْكَ الْبَابِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ ﴿١﴾ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ١ - ٢].
والصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ مَبَشِّرًا وَنَذِيرًا، ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ
وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦].

ورضوانُ الله على أهلِ بيته الطَّيِّبِينَ، وأصحابِهِ العُرِّ الميامين، سَكَانُ القِمَمِ،
وهُدَاةُ الأُمَمِ، مَنْ أَجَابُوا دَاعِيَّ رَبِّهِمْ، وَاتَّبَعُوا هُدَى رَسُولِهِمْ، فَكَانُوا غُرَسَ مَوْلَاهُمْ،
وغيظُ مَنْ عَادَاهُ وَعَادَاهُمْ.

أما بعدُ:

فإنَّ كتابَ الله هو حبلُ الله المتين، وهو الذِّكْرُ الحكيم، وهو الصِّراطُ المستقيم.
وقد كان العربُ قبلَ إسلامِهِمْ أُمَّةً أُمِّيَّةً، لَيْسَ لَهَا كِتَابٌ تَدْرُسُهُ، أَوْ عِلْمٌ تَتَدَاوَلُهُ،
اللَّهُمَّ إِلَّا ثِقَافَةً شَفَهِيَّةً لَا تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ مَنَارَةً، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَقُومَ عَلَيْهَا حَضَارَةٌ،
فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - هَذَا الْكِتَابَ، وَآتَى نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
- الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخِطَابِ، وَاخْتَارَ هَذِهِ الْأُمَّةَ لِتَحْمَلَ رِسَالَةَ السَّمَاءِ، وَجَعَلَهَا أُمَّةً
وَسَطًا لِتَكُونَ شَاهِدَةً عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ؛ اتَّبَعَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ نُورَ رَبِّهَا، وَاسْتَنَارَتْ بِهِدْيِ
نَبِيِّهَا، وَمَعَ نَزُولِ الْكِتَابِ بِالْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ ﴿أَقْرَأْ﴾ ﴿تَعَلَّمَتِ الْأُمَّةُ الْقِرَاءَةَ، وَلَمَّا شَرَعَتْ

هذه الأمةُ الأُمِّيَّةُ بالكتابةِ بدأت رحلةَ الحضارةِ العربيَّةِ الإسلاميَّةِ، رحلةٌ رافقتَها حركةٌ تدوينٍ لم يعرف لها التاريخُ مثيلاً، وليسَ لأُمَّةٍ أخرى لمثلها سبيلاً؛ لأنَّ هذه الحركةُ كانت تنهلُ من نبعٍ واحدٍ، وتدورُ في فلكٍ واحدٍ؛ إنَّه كتابُ الله.

وهكذا كان القرآنُ زادَ العلماءِ، وإمامَ الأصوليينَ والفقهاءِ، ونبراسَ اللُّغويينَ والنُّحاةِ والبلغاءِ، وهذا ما جعلَ كثيراً من الباحثينَ يرونَ أنَّ عطاءَ الفكرِ العربيِّ الإسلاميِّ وإبداعه ما هو إلا انعكاسٌ لنورِ الكلامِ الرِّبانيِّ، وأنَّه إنَّما نشأ أساساً من خلالِ تعامله المباشرِ مع النَّصِّ القرآنيِّ، ذلك أنَّ فهمَ القرآنِ الكريمِ كان هو المقصودَ بذاته، وكانت سائرُ العلومِ أدواتٍ تُعينُ عليه، أو تتعلَّقُ به، أو تنفِرجُ عنه، وقد تنوعتِ التَّأليفُ حولَ القرآنِ الكريمِ وتحتِ رايته، فمنها ما هو مهتمٌّ بمعانيه وأحكامه، ومنسوخه وناسخه، ونقطةِ ورسمه، وقراءته وأحرفه، وغريبه ومُشكِّله، وإعرايه ولُغته، وإعجازهِ وبلاغته، حتَّى ازدهرت في الثَّقافةِ الإسلاميَّةِ ضروبٌ من العلومِ والفنونِ ما كانت لتُبصرَ النُّورَ لولا العنايةُ بكتابِ الله.

وقد بلغَ علمُ التَّفسيرِ في القرنِ الخامسِ حالةً من النُّضجِ والتَّطوُّرِ والزَّخَمِ ليست مسبوقةً، فظهرَ عددٌ من العلماءِ أفرغوا جهوداً عظيمةً في تفسيرِ القرآنِ وعلومه، فلم يعد البحثُ عن المشهورِ المعروفِ كافياً، ولكنَّ طلبةَ العلمِ راحوا يتطلَّعون لغيرِ ذلك؛ فصارت الغرائبُ والعجائبُ طلبةَ الطُّلبةِ، وهذا ما نجدُ الشَّيخَ الإمامَ تاجَ القُرَّاءِ محمودَ بنَ حمزةَ بنِ نصرٍ الكرمانِيَّ يصرِّحُ به، فقد وقفَ تاجُ القُرَّاءِ الكرمانِيُّ على هذا الكمِّ الهائلِ من التَّفاسيرِ، وحاولَ أن يجمعَ أقوالَ المفسِّرينَ ويهدِّبُها، ويلتقطَ من كتبِ التَّفاسيرِ كلَّ غريبٍ وعجيبٍ، وقد تركَ تفسيريْن:

التفسير الموسوم بـ «غرائب التفسير وعجائب التأويل»، وقد طبع في مجلدين. والأصل الذي أخذ منه الكرمانى ذلك الكتاب، وهو: «لباب التفاسير»، وهو هذا الكتاب الذي يطبع لأول مرة، وها نحن نضعه بين أيدي طلبة العلم راجين من الله أن يعمّ به النفع، ويكتب له القبول.

وتاج القراء الكرمانى إمامٌ كبيرٌ محققٌ، ذو شخصيّة متميّزة، ونظرة متفردة، ورؤية مستقلة، وكان عجباً في دقة الفهم، وحسن الاستنباط، وكان من أهل التدقيق والتحقيق، وكان رأساً في العلم يُسأل ويُقصد، ويُلتمس عنده حلّ المشكلات، وكشف المعضلات، وكان هذا الإمام داعية تفكير واجتهادٍ وتدبيرٍ، وليس داعية تعصبٍ، فهو متحرّرٌ في عقله وفكره، غير متقيّد في آرائه، وأظهر دليل على هذا حاجتنا للبحث في مذهبه.

وكان تاج القراء الكرمانى إماماً في استحضار الآيات، إماماً في القراءات، إماماً في النحو، إماماً في اللغة، بالإضافة إلى مشاركته في شتى علوم عصره، وقد ظهر هذا في كتابه «لباب التفاسير»، فهو تفسير لغوي اشتقاقي تأصيلي، وهو موسوعة لزخم من الروايات ومعاني القراءات، وقد جمع فيه تاج القراء بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، وضمّنه توجيهات تربوية إيمانية، ولطائف بيانية بلاغية، فجعله تاج القراء للتفاسير في عصره تاجاً.

وقد كان الكرمانى في «لباب التفاسير» صاحب نظرة شمولية للأسلوب القرآني؛ فهو يرى أن القرآن كله كأنه سورة واحدة، وهو يتعامل مع القرآن على هذا الأساس، فهو يقارن بين كثير من الآيات وما يشبهها في مواضع أخرى من القرآن الكريم مبيناً في ذلك خفايا من أسرار التكرار، ولمحات من لطائف الإعجاز،

ويمكنُ أن نعدَّ هذه النظرة من بواجرِ التفسير الموضوعيِّ الذي يثارُ في هذا العصر حوله الاهتمام.

وقد تميَّزَ تاجُ القراء في «لبابِ التَّفاسير» باهتمامه بصياغة تعاريفَ دقيقة، كما تميَّزَ باهتمامه بالفروق اللُّغويَّة، وذلك كثيرٌ جدًّا في «اللباب»، من مثلِ تفريقه بين المسِّ واللَّمسِ، والسرعةِ والعَجلةِ، والطاعةِ والإسعافِ، والمجادلةِ والمناظرةِ، والغمرةِ والغفلةِ والنسيانِ والسَّهْوِ، وهذا جانبٌ طريفٌ وممتعٌ مما تميَّزَ به «لبابُ التَّفاسير».

ولكنَّ «لبابَ التَّفاسير» اشتملَ على جانبٍ آخرَ، وهو الغرائبُ والعجائبُ، وهو من مُلحِ العلمِ، والغايةُ منه سبرُ أغوارِ العقولِ وإثارةُ التَّفكيرِ، وقرعُ طبولِ الخطرِ وجرسِ التحذيرِ.

وتكمنُ أهميَّةُ هذا النوعِ في رأينا من ناحيةٍ أخرى، وهي: أنَّه يعكسُ توسُّعاً في البحثِ، وسعةً في الاطلاعِ، فهذا النوعُ لا يمكنُ جمعه إلا لمن كثرت مطالعته، وتنوعت مشاربُه، وكان ممَّن لا يهابُ أن يُقحمَ يدهُ في خليةِ النحلِ؛ رغبةً في اجتناءِ العسلِ، وهذا ما يظهرُ جلياً عند تاجِ القراءِ الكرمانِيِّ.

وثمَّة جانبٌ في «لبابِ التَّفاسير» لا يجوزُ إغفاله، وهو الجانبُ الإبداعيُّ فيه؛ فكان تاجُ القراءِ يبذلُ جهدهُ في إضافةِ أقوالٍ جديدةٍ إلى الأقوالِ التي بذلَ جهداً في جمعها وترتيبها، وكان يوردُ مثلَ هذه الأقوالِ بصيغة الاحتمالِ، وكأنَّه يريدُ بذلك أن يميِّزَ لنا ثمارَ اجتهادِ المطالعةِ والتَّنقيرِ من ثمارِ اجتهادِ التأملِ والتَّفكيرِ.

وبين هذين النوعين يظهرُ الكرمانِيُّ في اجتهادٍ دائمٍ، وهو مع ذلك يخفي جهدهُ، ويستحي من المباهاةِ بكثيرٍ منه، ولكنَّ المطالعَ لـ«لبابِ التَّفاسير» لا يعدمُ

عباراتٍ صريحةً تشيرُ لهذا الجانب؛ فيجده يقول: هذا القولُ لم أُسبقُ إليه، وهو حسنٌ، ويجده يقول: كنتُ سئلتُ عن هذه الآيةِ فاستخرجتُ لها عشرةً أوجهٍ سوى ما حكيتُ عن الأئمّة. ويلفتُ الانتباهَ أنّ تاجِ القراءِ يبدأ مثل هذه الآراءِ التي ابتكرها بكلمةٍ (يَحتَمِلُ)، ويختُمُه بكلمةٍ (والله أعلمُ)، فلهذا درّه!

وقد عكست أقوالُ تاجِ القراءِ الكرمانيّ في التّرجيحِ أسساً وقواعدَ هامةً، منها مبدأ تفسيرِ القرآنِ بالقرآن، فقد تميّزَ بإيرادِهِ الآياتِ المشابهةً للآيةِ التي يفسرُها، واستحضارِهِ لها، وقد صرّحَ بهذا المبدأ، ووسّعَ تطبيقه، فكان ينقلُ اختلافَ المفسّرين ويقارنُ بينها معتمداً أنّ أحسنَ الأقاويلِ ما وافقَ القرآن، فإن لم يجد نصّاً قرآنيّاً يوافقُ القولَ بحثَ عمّا يوافقُ الأحاديثَ وكلامَ الصحابةِ والتّابعين، وكان مع ذكرِهِ الغرائبِ والعجائبِ يؤكّدُ دائماً أنّ قولَ الجمهورِ أولى بالاتباعِ.

وقد اتّبعَ تاجُ القراءِ الكرمانيّ أسلوباً يقومُ على الإيجازِ والاختصارِ، وكان ذا مكنةٍ في اللغةِ واطلاعٍ على غرائبها، ولكنّه لم يتركْ لمعرفةِ الغريبِ العنان، وهذا ما جعلَ أسلوبه وسطاً بين السّهولةِ والصّعوبةِ، فليست عباراته ساذجةً مباشرةً، ولا عسرةً مستغلقةً.

ويمكنُ أن يخلصَ الباحثُ في «لباب التّفاسير» إلى أنّ هذا الكتابَ خلاصةُ جهودٍ عظيمةٍ أفادها الكرمانيّ ممّن سبقه وتقدّمه، وزادها فوائدٌ تدلُّ على سبقه وتقدّمه، وهو دليلٌ مشاهدٌ على أنّ الجولاتِ بين السّطورِ والأسفارِ، قد تغني أولي الألبابِ والأفكارِ، عن رحلاتٍ كثيرةٍ وأسفارِ.

وقد نالَ هذا السّفَرُ ما يستحقّه من اهتمامِ العلماء؛ فأكثروا عنه النُّقولَ، واستودعوه القلوبَ والعقولَ، وكانَ أبو عليّ الحسنُ بنُ الخطيرِ الفارسيّ المعروفُ

بالظهير (ت: ٥٩٨هـ) يحفظُ في كلِّ فنِّ كتاباً، فاختارَ في هذا الفنِّ «لبابَ التَّفاسيرِ»، فاستودعَه قلبه وعقله، وكان يحفظُه عن ظهرِ قلب.

لكنَّ اهتمامَ العلماءِ بالكرمانيِّ وكتابه «لبابَ التَّفاسيرِ» تبدَّد وتلاشى مع تطوُّلِ الزَّمانِ، وأصبحَ مَنْ يعرفونَ الكرمانيَّ يعرفونَ أنَّه صاحبُ «الغرائبِ والعجائبِ» أو «البرهانِ في متشابهِ القرآن»، أمَّا الأصلُ العظيمُ لهذينِ الكتابينِ - وهو «لبابُ التَّفاسيرِ» - فقد طواه النِّسيانُ، ولم يعد صاحبه الكرمانيُّ يُذكرُ في كتبِ التَّفسيرِ إلَّا في القليلِ من الأحيانِ، وقد استمرَّ التَّجاهلُ لهذا السِّفرِ وما فيه من الفوائدِ، والإهمالُ لما أودعَ فيه مصنِّفه من الفرائدِ، فبقيَ حبيسَ رفوفِ المكتباتِ، مدفوناً بين رُكامِ المخطوطاتِ، حتَّى أذنَ اللهُ لشمسه أن تسطعَ بعد طولِ غيابِ، وأرادَ لجناهُ أن يدنوَ من أولي الألبابِ، فحرَّكَ سبحانه وتعالى لإخراجِ «اللُّبابِ» همَّةَ صاحبِ (دارِ اللُّبابِ)، فوجَّهَ أخونا الكريمُ الأستاذُ أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ خلوفِ العبدِ اللهُ لهذا السِّفرِ كلَّ اهتمامِه، وحرَّكَ لإحيائه جهودَ أعوانِه، وهممَ إخوانِه، فقدحَ بجهودهِ المباركةِ وهمَّتهِ العاليةِ همماً، وبعثتَ فينا عزيمةً عزمًا.

وقد أذكى هذه العزيمةَ أنَّ صلَّتنا بالكرمانيِّ كانت في بدايةِ الطَّلَبِ، فرأينا في «برهانه» ما أثارَ فينا العجبَ، فبقيتَ له في القلبِ ذكرى يفوحُ بين الحينِ والحينِ شذاها، ورغبةٌ في الاطِّلاعِ على مزيدٍ من لفتاته ولطائفِه يشعُّ بعدَ سناتِ السنينِ سناها، فكان لذاك ولهذا بعد عونِ اللهِ وتوفيقِه أثرٌ في انطلاقِ الرِّحلةِ، فابتدأَ مركبُ تحقيقِ هذا السِّفرِ الجليلِ المسيرِ، وكانت غايتهُ إحياءَ «لبابِ التَّفاسيرِ»، وقد علمنا أنَّ المرادَ غيرُ يسيرِ، فالطَّريقُ طويلٌ، والحِمْلُ ثقيلٌ، ولكنَّ لذةَ العبادةِ تهوُّنُ القيامَ على النَّاسِكِ، وغنائمُ الرِّحلةِ تدعو المغامرَ لاجتيازِ المهالكِ، فجددنا العزمَ وحرَّرنَا النيَّةَ، وطلبنا من الله عونَه وتوفيقَه؛ فعونُ اللهُ لِمَن ابتهى وجهه خيرٌ رفيق، وتوفيقُه

خير دليل في مجاهل الطريق؛ فقد آن لـ «لباب التّفاسير» أن يبصرَ بعد الظّلامِ نوراً، ويُشَرَّ بين النَّاسِ بعد أن كان في ضيقِ المكتباتِ محشوراً، وحقَّ له أن يخرجَ بعد أن يُنفِضَ عنه الغبار، وتُهتَكَ دونَ نفيسِ معدنه الحُجُبُ والأستار، علّه يكشفُ عن مكانةِ مصنّفه، ويرفعُ الظُّلمَ الَّذي ألحقه الجهلُ والوهمُ به وبمؤلّفه.

وقد بذلنا ما استطعنا من جهدٍ لإخراجِ هذا الكتابِ في صورةٍ تُرضي صاحبه، وتسرُّ طالبه، وتضعه في المكان الذي يليقُ به بين كتبِ التّفسيرِ والتّأويلِ، والموضع الذي يستحقّه بين أسفارِ تراثنا الجليل.

وأخيراً فلا يفوتنا أن نتوجّه بالشّكرِ الجزيل لكلِّ مَنْ ساهمَ في إخراجِ هذا الكتابِ، وهم الأخوةُ الكرامُ في (دار اللُّباب) الذين عملوا على نسخهِ ومقابَلته وإخراجه، ولم يدّخروا جهداً في مساعدتنا على تجاوزِ محنٍ وصعوباتٍ رافقت عملنا فيه، ما كانت مراتها تزيدُ على ما رافقها من حلاوةِ جميلِ لطفِ الله الكريمِ الوهابِ، وكريمِ وفاءِ الأهلِ والأحبابِ، وما كنّا لنجوزها وصولاً إلى هذه المرحلة في إخراجِ الكتابِ، لولا عونُ الله المنانِ، ثمّ مساعدةُ هؤلاءِ الإخوانِ، وما استخدمنا لضميرِ الجمعِ أحياناً إلا تعبيراً عن إقرارِهم بأنَّ جهدهم لا يقلُّ عن جهدي، فنحن جميعاً شركاءُ هنا في هذا الفضلِ، ونسألُ الله أن يجعلنا شركاءَ هناك في الأجرِ، وأخصُّ بالشّكرِ أيضاً الأستاذَ أبا مالك أنس عبود، والأستاذَ والأخَ أبا أسامة ماهر حبوش، والأخَ الأستاذَ أبا محمد جمال فارس، والأخَ الأستاذَ خالد ياسين علوان على حسنِ إخراجه للكتابِ، فقد كان كلُّ منهم لي يداً تنفعني وجناحاً يرفعني، ثمّ الشكرُ موصولٌ لدارِ اللُّبابِ، وصاحبها الذي كان لي أخاً لم تلده أمِّي؛ أبي عبد الله محمد خُلوف العبدالله.

والله نَسأَلُ أن يرزقنا في هذا العملِ الإخلاصَ لوجهِ الكريم، ويُعظِمَ لكلِّ مَنْ ساهمَ فيه الأجرَ والثوابَ، وينفعَ به مَنْ طالعه من أهلِ العلمِ والطلّابِ، ويكتبَ له عنده وعندهم القبولَ، إنّه أكرمُ مسؤُول.

وصلِّ اللهمَّ على نبيِّنا محمّد وآله الطيِّبين، وأصحابِهِ الغرِّ الميامين، وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

وكتبه

محمد عبد الحليم بَعَّاج

دمشق الشام

٤ / ذو الحجة / ١٤٤٢ هـ

٢٠٢١ / ٧ / ١٣ م

لمحة عن تطوّر علم التفسير قبل تاج القراء الكرمانيّ

أنزل الله تعالى كتابه على رسوله، وتكفل له بحفظه وبيانه، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقال: ﴿إِن عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (١٧) ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَعُ قُرْآنَهُ﴾ (١٨) ﴿ثُمَّ إِنَّا عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٧ - ١٩]، وكلّفه سبحانه وتعالى بتبيينه للناس فقال: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

فكان كتابُ الله سبحانه وتعالى بيناً عند نبيّه - صلوات الله عليه - بما عرف من لسان قومهِ، وبما أكرمه الله من بيان كتابهِ، وكان الصّحابةُ - رضوان الله عليهم - يفهمون القرآن؛ لأنّه نزل بلغتهم، ولأنّهم سمعوا بعض بيانه من نبيّهم، فقد كان القرآن الكريم ينزل في هذا الشّأن أو ذاك، فيتبعه رسولُ الله - صلوات الله وسلامه عليه - ببيان قوليّ أو فعليّ يوضّحه، فحين نزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] شقّ ذلك على أصحاب رسولِ الله رضوان الله عليهم، وقالوا: أيّنا لم يظلم نفسه؟ فقال رسولُ الله - صلّى الله عليه وسلّم - مبيناً مراد ربّه في كتابهِ: «ليس كما تظنون، إنّما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿إِنَّكَ الشِّرْكَ لَظَلَمَ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]؟»^(١).

وعن عقبه بن عامرٍ قال: سمعتُ رسولَ الله - صلّى الله عليه وسلّم - يقولُ

(١) رواه البخاري (٦٩٣٧)، ومسلم (١٢٤)، والإمام أحمد في المسند (٤٢٤٠).

وهو على المنبر: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ» [الأنفال: ٦٠]؛ أَلَا وَإِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ^(١).

وقد أفردت كثير من كتب السنّة باباً للتفسير المروي عن النبي صلوات الله عليه، وشاع في عصرنا مصطلح (التفسير النبوي)^(٢).

وقد كان رسول الله - صلوات الله عليه وسلامه - حريصاً على بيان كل ما يدخل في صميم الحياة العملية لأصحابه، ويتوقف عليه تسديد خطاهم في هذه الحياة؛ ليكونوا النموذج الأسمى للأجيال القادمة، لكن العقل البشري له استفساراته وتساؤلاته، فيما يراه ويغيب عنه، وفيما يدركه وما يعجز عنه، وفيما ينفعه ويضره، وكثيراً ما يدفعه الفضول أو الرغبة في الاطلاع على مجهول إلى أسئلة لا خير له في معرفة الإجابة عنها، ولقد نزل القرآن موجزاً مجملاً حمّالاً أوجه، ففتح لهذا العقل أبواب التساؤلات، وترك له أن يكتشف مع تطوره ومرور الزمن الإجابات، لكن الله

(١) رواه مسلم (١٩١٧)، والإمام أحمد في المسند (١٧٤٣٢).

(٢) قدّم الدكتور خالد بن عبد العزيز الباتلي رسالة دكتوراه في جامعة الإمام بالرياض بعنوان: «التفسير النبوي» مقدمة تأصيلية مع دراسة حديثة لأحاديث التفسير النبوي الصريح، وقد طبعت في دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع في الرياض عام ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م. وقد استخدم هذا المصطلح كثير من الباحثين المعاصرين مثل: د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار في كتاب: «مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر»، و د. عبير بنت عبد الله النعيم في دراسة بعنوان: «قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير - دراسة تأصيلية تطبيقية»، وأحمد عمر أبو شوفة في كتاب: «المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة»، د. عبد الرحمن بن معاضة الشهري في دراسة بعنوان: «الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم أهميته، وأثره، ومناهج المفسرين في الاستشهاد به».

- سبحانه وتعالى - نهاه أن يلتقي نفسه في غياهبِ المجاهلِ والظلمات، فقال:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن بُدِّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِن نَسَّأُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ
الْقُرْءَانُ بُدِّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة: ١٠١].

وقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «ذُرُونِي مَا تَرَكَتُكُمْ؛ فَإِنَّمَا أَهَلَكَ مَنْ كَانَ
قَبْلَكُمْ كَثْرَةً سُؤَالِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ»^(١).

ولقد تأدَّب الصحابةُ - رضوانُ الله عليهم - بما أدبهم به ربُّهم، وانتصَحُوا بما
أرشدهم إليه نبيُّهم، فتمسَّكُوا بكتابِ ربِّهم، وتركُوا أمرَ بيانه لنبِيِّهم، وأعرضُوا عن
المسألة التي يمكنُ أن تكونَ سبباً في عنتٍ وتشدُّيدٍ، فعن أنسٍ - رضيَ اللهُ عنه -
قال: كُنَّا نُهَيِّنَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - عن شيءٍ، وكان يُعَجِّبُنَا أَنْ
يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلُ، فَيَسْأَلُهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ^(٢).

فلَمَّا التحقَ رسولُ الله بالرَّفِيقِ الأعلى كانت مواقفُ علماءِ الصَّحابةِ من تفسيرِ
كتابِ الله مُتباينةً؛ فمنهم مَنْ كان يُعْظِمُهُ ويتوقَّفُ عنه تورُّعاً، ويدلُّ لذلك ما رُوِيَ عن
أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضيَ اللهُ عنه: أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ آيَةٍ فَقَالَ: أَيُّ أَرْضٍ تُقَلِّنِي، وَأَيُّ سَمَاءٍ
تُظَلِّنِي، إِذَا قَلْتُ فِي الْقُرْآنِ مَا لَا أَعْلَمُ^(٣)؟

وقال عبيدُ اللهِ بنُ عمرَ: لقد أدركتُ فقهاءَ المدينة، وإنَّهم ليعْظِمُونَ القولَ في
التفسيرِ^(٤).

(١) رواه مسلم (١٣٣٧).

(٢) رواه مسلم (١٢)، والإمام أحمد في المسند (١٢٤٥٦).

(٣) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢٠٧٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٧٩ / ١).

وكان سعيدُ بنُ المسيَّبِ إذا سُئِلَ عن الحلالِ والحرامِ تكَلَّمَ، وإذا سُئِلَ عن التَّفْسِيرِ سَكَتَ؛ كَأَنَّهُ لَا يَسْمَعُ^(١).

وكان مسروقٌ يقولُ: اتَّقُوا التَّفْسِيرَ؛ فَإِنَّمَا هُوَ الرَّوَايَةُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(٢).
وكان الشَّعْبِيُّ يقولُ: وَاللَّهِ مَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا قَدْ سَأَلْتُ عَنْهَا، وَلَكِنَّهَا الرَّوَايَةُ عَنِ اللَّهِ^(٣).
وكان من علماء الصَّحَابَةِ مَنْ يَتَكَلَّمُ فِي كِتَابِ اللَّهِ بِمَا تَسْتَدْعِيهِ الْحَاجَةُ، وَيَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ الْعَمَلُ، وَيُنْهَى عَمَّا سِوَى ذَلِكَ، وَكَانَ عَلَى رَأْسِ هَؤُلَاءِ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّهُ سَمِعَ عَمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ: ﴿وَعِنَابًا وَقَضْبًا^(٤٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا^(٤٩) وَحَدَائِقَ غُلَبًا^(٥٠) وَفَكِهَةً وَأَبًا^(٥١)﴾ [عبس: ٢٨ - ٣١]، كُلُّ هَذَا قَدْ عَلِمْنَاهُ، فَمَا الْأَبُ؟ ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: لِعَمْرِكَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ التَّكَلُّفُ، اتَّبِعُوا مَا يَتَبَيَّنُ لَكُمْ فِي هَذَا الْكِتَابِ... وَمَا لَا فَدَعُوهُ^(٤).

وكان في الصَّحَابَةِ فِي الْمَقَابِلِ مَنْ رَأَوْا أَنَّ مِنْ تَعْظِيمِ الْقُرْآنِ فَهَمَّ مَعَانِيهِ، وَبَيَانَ مَرَامِيهِ، وَكَشَفَ الْمَكْنُونِ مِنْ عِلْمِهِ، وَتَسْلِيطَ الضُّوءِ عَلَى الْمَحْزُونِ مِنْ فَنُونِهِ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ: مَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيُثَوِّرِ الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّ فِيهِ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ^(٥).

وقد استجاب كثيرٌ من العلماءِ في عصرِ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وَمَنْ بَعْدَهُمْ لِهَذِهِ الدَّعْوَةِ، فَكَانَ عِلْمُ التَّفْسِيرِ أَوَّلَ عِلْمِ الْقُرْآنِ مِيلَادًا، وَأَسْبَقَهَا عَهْدًا،

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٨٠).

(٢) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٧٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٨١).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٣٩٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٢٣).

(٥) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٦٦٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٢٣).

وكان لعليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - فيه قَصَبُ السَّبْق؛ فهو القائل: لو أردتُ أن أُملِي وِقْرَ بعيرٍ على الفاتحة لَفعلتُ^(١).

وكان عبدُ الله بنُ عباسٍ - رضي الله عنهما - حبرَ الأمة وبحرها، الذي اختصَّ بالتفسيرِ وعلمِ التَّأويلِ فيها^(٢)، وقد قال فيه عبدُ الله بنُ مسعود: نِعَمَ ترجمانُ القرآنِ عبدُ الله بنُ عباسٍ^(٣).

وقال الإمامُ المفسِّرُ ابنُ عطيةَ (ت: ٥٤٢هـ): فأما صدرُ المفسِّرينَ والمؤيِّدُ فيهم فعليُّ بنُ أبي طالب، ويتلوه ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما، وهو تجرَّدٌ للأمرِ وكَمَلَه وتَبَّعَه، وتَبَّعَه العلماءُ عليه؛ كمجاهِدٍ وسعيدِ بنِ جُبَيْرٍ وغيرهما^(٤).

وهكذا صارَ تفسيرُ كتابِ الله تعالى عِلْمًا له قواعدُه ومختصُّوه، وأصبحَ الغايةَ التي يطمحُ لها كثيرٌ من العلماء، وقد وقفَ كثيرٌ منهم دونَ هذه الغاية؛ لأنَّهم قيَّدوا أنفسهم بضوابطٍ متينة، جعلوها حصنًا يُبعدُ مَنْ لا يجدُ في نفسه الثِّقَةَ والعزيمةَ عن الخوضِ في كتابِ الله، فقد عدَّ الإمامُ أبو القاسمِ محمَّدُ بنُ أحمدَ؛ ابنُ جُزِّي الكلبِيُّ

(١) انظر: «البرهان في علوم القرآن» للزركشي (١/٨)، و«إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» للقسطلاني (٧/٤٥٩).

(٢) وقد جمع العلامة مجد الدين الفيروزآبادي ما رُوي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في كتاب سماه «تنوير المقباس من تفسير ابن عباس»، وهو مطبوع متداول، ولكن ينبغي التنبُّه إلى خطورة الاعتماد عليه؛ فالفيروزآبادي - رحمه الله وغفر له - اعتمد على رواية محمَّد بن مروان عن الكلبِيِّ عن أبي صالح عن ابن عباس، وقد قال السُّيوطيُّ في «الإتقان» (٤/٢٣٩): إنَّ أوهى الطُّرُق عن ابن عباس طريق الكلبِيِّ عن أبي صالح عنه، فإن انضمَّ إلى ذلك رواية محمَّد بن مروان السُّديِّ الصَّغيرِ فهي سلسلة الكذب.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/٨٤).

(٤) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١/٤١).

(ت: ١٧٤١هـ) اثني عشر فناً من العلوم يستدعيها الكلام على كتاب الله^(١).

أما تدوين التفسير فقد بدأ في أواخر عهد بني أمية وأوائل عهد بني العباس، إذ كان باباً من أبواب الحديث التي حظي تدوينها باهتمام العلماء، ولكن التفسير في هذا العصر لم يُفرد له تأليف خاص يُفسر فيه القرآن سورةً سورة، وآيةً آية، من مبدئه إلى مُنتهاه.

ثم جاء من أفرد التفسير بالتأليف، وجعله علماً قائماً بنفسه منفصلاً عن الحديث، ففسر القرآن حسب ترتيب المصحف، ويُعدُّ تفسير الإمام سُفيان بن سعيد الثوري^(ت: ١٦١هـ) من أقدم التفاسير التي وصلت إلينا، وتفسيره محاولة لجمع الروايات المتعلقة بتفسير بعض الآيات، وقد اشتمل على (٩١١) رواية، ويظهر منهجه في التفسير فيما روي عن عبد الرحمن بن مهدي أنه قال: كان سُفيان يأخذ المصحف، فلا يكاد يمرُّ بآية إلا فسرها، فربما مرَّ بالآية؛ فيقول: أي شيء عندك في هذه؟ فأقول: ما عندي فيها شيء، فيقول: تضيع مثل هذه، لا يكون عندك فيها شيء^(٢)!

وقد سار الإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني^(ت: ٢١١هـ) على هذا المنهج، وترك تفسيراً واسعاً^(٣).

وقد حاول العلماء في هذه الطريقة أن يفسروا القرآن اعتماداً على ما أثر عن السلف من روايات، وقد سُميت هذه الطريقة التفسير بالمأثور، وصارت منهجاً

(١) انظر: «التسهيل لعلوم التنزيل» لابن جزي (١٥/١).

(٢) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (١١٦/١).

(٣) وهو مطبوع بتحقيق أ. د. مصطفى مسلم، وصدر عن مكتبة الرشد بالرياض عام ١٤١٠هـ.

واضحاً سارَ عليه جملةٌ من العلماءِ فيما بعدُ، ولا يزالُ لهذه الطَّرِيقَةِ حضورُها في عصرنا هذا^(١).

وقد تميّزت هذه الطَّرِيقَةُ في بداية الأمرِ بالإسناد، ولكن جاء بعد ذلك جماعةٌ من المفسِّرينَ لم يتجاوزوا حدودَ التَّفْسيرِ بالمأثور، ولكنهم اختصَّروا الأسانيدَ، وجمعوا شتاتَ الأقوالِ دونَ أن ينسبُوها إلى قائلِها، وبهذا التَّبَسُّ الأمر، ولم يتميِّزِ الصَّحيحُ من السَّقِيمِ.

وفي مقابلِ هذه الطَّرِيقَةِ ظهرت طريقتُ أُخرى أرادَ فيها جملةٌ من العلماءِ أن يفسِّروا القرآنَ انطلاقاً من اللُّغةِ العربيَّةِ، وممَّا وصلَ إلينا من هذه التَّفاسيرِ «معاني القرآن» لأبي زكريَّا يحيى بنِ زيادِ الفراءِ (ت: ٢٠٧هـ)، و«مجازُ القرآن» لأبي عُبيدةَ معمرِ بنِ المثنى (ت: ٢٠٩هـ).

وقد اعتمدَ العلماءُ الذين سلكوا هذه الطَّرِيقَ في الأساسِ على اللُّغةِ العربيَّةِ، واللُّغةُ علمٌ روايَّةٌ، لكنَّها سوَّعتُ لما عُرِفَ فيما بعدُ بالتَّفْسيرِ بالرَّأيِ.

ثمَّ جاء شيخُ المفسِّرينَ الإمامُ أبو جعفرِ ابنُ جريرِ الطَّبْرِيُّ (ت: ٣١٠هـ)، فجمعَ كثيراً من الرواياتِ بالإسنادِ إلى رسولِ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وإلى الصَّحابةِ والتَّابعينَ وتابعيهم، مع النَّقدِ والتَّرجيحِ أحياناً، لكنَّه جمعَ إلى ذلك ما أفاده من كلامِ أئمةِ اللُّغةِ وأصحابِ المعاني، وأضافَ إليه استنباطَ بعضِ الأحكامِ، والإعرابِ عندَ الحاجةِ، فكان كتابُه موسوعةً لعلومِ شتَّى، وأصبحَ إماماً لمن بعده.

(١) وقد قام أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين بجمع الروايات ودراستها في «موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور»، وطبعت في دار المآثر في المدينة النبوية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م. وانظر: «بحوث في أصول التفسير ومناهجه» لفهد الرومي (ص: ٧١ و٨٦).

وقد قال الدكتور محمد الذهبي (ت: ١٣٩٨هـ): هذا الكتاب أعظم الكتب المؤلفة في التفسير بالمأثور، كما أن ما جاء في الكتاب من إعراب، وتوجيهات لغوية، واستنباطات في نواح متعددة، وترجيح لبعض الأقوال على بعض، كان نقطة التحول في التفسير، ونواة لما وجد بعد من التفسير بالرأي^(١).

ثم كثرت المصنفات في علم التفسير، فلا تكاد تدخل تحت حد وحصر، منها ما طبع في عصرنا، ومنها ما يزال مخطوطاً، ومنها المفقود، وقد بلغ بعضها من الاتساع حداً يصعب تصوُّره، فقد ذكر أن تفسير الحافظ أبي حفص بن شاهين (ت: ٣٨٥هـ) في ألف جزء، وأن تفسير «أنوار الفجر» لأبي بكر ابن العربي (ت: ٥٤٣هـ) كان في ثمانين ألف ورقة^(٢).

وكان العلماء يُدركون عظمة كلام الله، ومقدار عجزهم عن الإحاطة به، فكان سهل بن عبد الله (ت: ٢٨٣هـ) يقول: لو أُعطي العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم لم يبلغ نهاية ما أودعه الله في آية من كتابه؛ لأنه كلام الله وكلامه صفتُه، وكما أنه ليس لله نهاية، فكذلك لا نهاية لفهم كلامه، وإنما يفهم كل بمقدار ما يفتح الله عليه، وكلام الله غير مخلوق، ولا تبلغ إلى نهاية فهمه فهو محدثة مخلوقة^(٣).

وقد اتسعت في القرون الثالث والرابع والخامس العلوم، وتم تدوينها، وتشعبت فروعها، وكثر الاختلاف، وأثيرت مسائل الكلام، وظهر التعصب المذهبي، واختلطت علوم الفلسفة العقلية بالعلوم النقلية، وظهرت الفرق الإسلامية، وحرصت كل فرقة

(١) انظر: «التفسير والمفسرون» للدكتور محمد الذهبي (١/ ١٥٩)، ويُنظر مفهوم التفسير بالرأي

ومنهجه في: «بحوث في أصول التفسير ومناهجه» لفهد الرومي (ص: ٧٨).

(٢) انظر: «التفسير والمفسرون» للدكتور محمد الذهبي (٢/ ٣٣٠).

(٣) انظر: «البرهان في علوم القرآن» للزركشي (١/ ٩).

منها على دعمٍ مذهبيها، فأصابَ التفسيرَ من هذا الجوِّ غبارُه، وأصبحَ بعضُ المفسرينَ يعتمدونَ في تفسيرهم على فهمٍ شخصيَّة، ويتجهونَ اتِّجاهاتٍ متعدِّدة، وأثرت في بعضهم الاصطلاحاتُ العلميَّة، والعقائدُ المذهبيَّة، والثَّقافةُ الفلسفيَّة، واهتمَّ كثيرٌ منهم بحشوِّ تفسيره بما برزَ فيه من العلومِ الأخرى، وحملَ آخرونَ آياتِ القرآنِ ما لا تحمُّله انتصاراً لمذهبهم، وردّاً على خصومهم، وفقدَ التفسيرُ عند بعضهم وظيفته الأساسيّة؛ فلم يعد يقربُ قارئه من كتابِ ربِّه، وإنما أصبحَ علماً يعكسُ جانباً من الترفِ الفكريِّ الذي كانت تعيشه الأمة، وهكذا أصبحت كتبُ التفسيرِ تحملُ في طياتها الغثَ والسَّمينَ، والصَّالِحَ والفاسدَ، والنَّافعَ والضَّارَّ.

كما أن بعضَ التفسيرِ خرجت إلى أغراضٍ أخرى، وأصبحت أقربَ إلى فروعٍ أخرى من العلم؛ فمسائلُ النُّحوِ في «معاني القرآن» للزَّجاجِ (ت: ٣١١هـ) لا تقلُّ عن أيِّ كتابٍ في النُّحوِ، وهو رغمَ أنَّه كتابٌ في معاني القرآن، لكنَّه مصدرٌ من مصادرِ النُّحوِ أيضاً^(١).

والأخبارُ والقصصُ التي أوردَها مقاتلُ بنُ سليمانَ (ت: ١٥٠هـ) في «تفسيره» عن بني إسرائيلَ كثيرٌ منها تُثيرُ في النَّفسِ ما تُثيرُه القصصُ من الدَّهشةِ، لا ما يقوِّدُ إليه كلامُ الله من الإيمانِ والهُدى^(٢).

(١) وقد تفاقم هذا الاتجاه بعد القرن السادس، فيجد الباحث أن المسائلَ العقليَّة التي ناقشها الرازي (ت: ٦٠٦هـ) في «مفاتيح الغيب» لا تقلُّ عنها في كتب علم الكلام، ومسائلُ الفقه وأدلتها التي عرضها الإمام القرطبيُّ (ت: ٦٧١هـ) في «الجامع لأحكام القرآن» لا تقلُّ عن نظائرها في كتب الفقه الموسَّعة.

(٢) وقد نقل تاج القراء الكرمانى بعض هذه الأخبار مقدِّماً بعبارة: (ذُكِرَ في القصصِ) أو (جاء في القصصِ)، كما فعل في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

كما أن كثيراً من المعاني التي أوردتها أبو القاسم القشيري (ت: ٤٦٥هـ) في «لطائف الإشارات» إنما هي مواجيد وفهومات، وليست تفسيراً للقرآن.

وثمة أمر آخر، وهو أن بعض أصحاب المذاهب الباطلة والأقويل المنحرفة لجؤوا إلى التفسير؛ لنصرة مذاهبهم، ونشر مقالاتهم؛ فمن يطالع تفسير الشيعي يجد آيات العذاب تتجه لمن خالف آل البيت، وآيات الرحمة والبشارة تتجه للأئمة المعصومين في زعمه ومن سانداهم^(١)، ومن يطالع تفسير المعتزلي يجد أنه لا يفوت فرصة ليدس دسياسة اعتزال إلا استغلها، حتى قال أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) في الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ): ما ألع هذا الرجل بمذهب الاعتزال، يدسه متى أمكنه في كل ما يتكلم به^(٢).

وقد بلغ علم التفسير في القرن الخامس حالة من النضج والتطور والزخم ليست مسبوقة، فظهر عدد من العلماء أفرغوا جهوداً عظيمة في تفسير القرآن وعلومه، ومن هؤلاء:

- أبو بكر محمد بن الحسين بن فورك الأنصاري الأصبهاني (ت: ٤٠٦هـ)، وله تفسير عرف بـ: «تفسير ابن فورك»، وقد طبعت منه ثلاثة مجلدات.

- أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ)، وله كتاب كبير في التفسير

(١) انظر: «اختلاف المفسرين: أسبابه وآثاره» للدكتور سعود بن عبد الله الفيضان (ص: ٥٢). وقد نقل تاج القراء الكرمانى بعض أقوال هؤلاء، من مثل قول بعضهم في تفسير قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ﴾ (الشورى: ١ - ٢): [الحاء حربٌ عليّ ومعاقية، والميم ولايةٌ المروانية، والعين ولايةٌ العباسية، والسين ولايةٌ الشفانية، والقاف قدرةٌ مهديّ]. ثم قال: أردتُ بذكر ذلك أن يُعلم أن في من يدعي العلم أيضاً حمقى.

(٢) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١٠/٤٣٦).

سمّاه: «الكشف والبيان عن تفسير القرآن»، وقد طُبِعَ في ثلاثة وثلاثين مجلداً.

- أبو الحسن عليّ بن إبراهيم بن سعيد الحوفي (ت: ٤٣٠هـ)، وله كتاب في التفسير سمّاه: «البرهان في تفسير القرآن»، طُبِعَ منه مجلداً.

- أبو محمّد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت: ٤٣٧هـ)، وله كتاب في التفسير سمّاه: «الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه»، وقد طُبِعَ في ثلاثة عشر مجلداً.

- أبو الحسن عليّ بن محمّد البصري البغدادي الشافعي الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، وله كتاب في التفسير سمّاه: «النكت والعيون»، وقد طُبِعَ في ستة مجلدات.

- أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري الصوفي (ت: ٤٦٥هـ)، وله تفسير سمّاه: «لطائف الإشارات»، وقد طُبِعَ في ثلاثة مجلدات.

- أبو الحسن عليّ بن أحمد بن محمّد بن عليّ الواحدي النيسابوري الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، وله تفاسير، منها: «البيسط»، وهو تفسير كبير طُبِعَ في خمسة وعشرين مجلداً، و«الوسيط»، وقد طُبِعَ في أربعة مجلدات، و«الوجيز»، وقد طُبِعَ في مجلدين.

- أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمّد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١هـ)، وله تفسير سمّاه: «درج الدرر في تفسير الآي والسور»، وقد طُبِعَ في أربعة مجلدات.

- أبو المظفر منصور بن محمّد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ)، وله تفسير عُرفَ بـ: «تفسير السمعاني»، وقد طُبِعَ في ستة مجلدات.

- أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، وله تفسيرٌ عُرفَ بـ: «تفسير الراغب الأصفهاني»، وقد طُبِعَ منه خمسةُ مجلِّدات. فإذا ما نبهنا إلى أننا لم نذكر فيما مضى إلا ما وقفنا عليه من المطبوع من تفاسير علماء هذا القرن، تبين لنا أنَّ علمَ التفسيرِ بلغَ حالةً من الزخمِ نادرة، فلم يعد البحثُ عن المشهورِ المعروفِ كافياً.

وقد وقفَ تاجُ القراءِ الكرمانِيُّ على هذا الكمِّ الهائلِ من التفسيرِ، وحاولَ أن يجمعَ أقوالَ المفسِّرينَ ويهدِّبُها، ويلتقطَ من كتبِ التفسيرِ كلَّ غريبٍ وعجيبٍ، وقد تركَ تفسيرين؛ التفسيرَ الموسومَ بـ«غرائبِ التفسيرِ وعجائبِ التأويل»، وقد طُبِعَ في مجلِّدين، والأصلُ الذي أخذَ منه الكرمانِيُّ ذلكَ الكتاب، وهو: «لباب التفسير»، وهو هذا الكتاب.



عصرُ الكُرمانِيّ

لاشكَّ أنَّ الإنسانَ ابنَ الظُّروفِ التي يعيشُها، فهو يتأثَّرُ بالبيئةِ المحيطةِ به؛ أَرادَ ذلكَ أو لا؛ علمَ به أو لم يَعْلَمْ، ولذلكَ كانَ تسليطُ الضُّوءِ على البيئةِ التي عاشها أيُّ عَلمٍ من أعلامِ التاريخِ والتَّعَرُّفُ على الأوضاعِ التي كانتَ سائدةً في عصرِهِ مفتاحاً للكشفِ عن جوانبٍ كثيرةٍ من شخصيَّتهِ وإنتاجِهِ، وعقليَّتهِ ومنهجِهِ، ومن هنا جرت عادةُ الباحثينَ في حياةِ شخصيَّةٍ من شخصيَّاتِ التاريخِ أو تراثِها أن يُقدِّموا بين يدي دراستِهِم لمحةً تكشفُ عن العصرِ الذي عاشت فيه تلكَ الشَّخصيَّةُ من النَّواحي السِّياسِيَّةِ والاجتماعيَّةِ والعلميَّةِ والثَّقافيَّةِ.

أولاً- الحياةُ السِّياسِيَّةُ:

تؤثِّرُ الحياةُ السِّياسِيَّةُ في مكانٍ ما وزمانٍ ما في كثيرٍ من الأحيانِ على حياةِ النَّاسِ عامَّةً والعلماءِ خاصَّةً؛ لأنَّ الواقعَ السِّياسِيَّ غالباً ما يُفرِّزُ أنماطاً من التَّربيةِ، ويُسوِّقُ لجملةٍ من الأفكارِ والعقائدِ، فالواقعُ السِّياسِيَّ يحاولُ صبغَ المجتمعِ بصبغِهِ الخاصَّةِ، والمجتمعُ غالباً ما يُلقِي بشيءٍ من ذلكَ على أفرادِهِ، فيؤثِّرُ ذلكَ في حياتِهِم الاجتماعيَّةِ، ويؤثِّرُ في تحصيلِهِم العلميِّ وإنتاجِهِم الثَّقافيِّ.

وقد قضى تاجُ القراءِ الكُرمانِيّ معظَمَ حياتِهِ في القرنِ الخامسِ الهجريِّ، وقضى آخرَها في صدرِ القرنِ السِّداسِ، وهذه الفترةُ من تاريخنا ما هي إلا جزءٌ ممَّا اصطُلِحَ على تسميتهِ بالعصرِ العباسِيِّ الثَّاني.

وإن كان العصر العباسي قد جاء فتحوّلت معه الخلافة إلى خلافتٍ، والدولة إلى دولٍ ودويلاتٍ، فإنَّ العصر الأوَّل منه قد امتاز بالقوَّة والاستقرار والتقدُّم الحضاريِّ، أمَّا العصر الثاني منه فامتاز بالضعف والقلق في الجانب السياسيِّ، لكنَّ ركَب الحضارة خالف التوقُّعات، وواصل تقدُّمه فيه وإن لم يخلُ من العراقيل والعثرات.

وقد شهد هذا العصر خسارة الدولة العربيَّة الإسلاميَّة هيَّتها، فبدأت الحملات الصليبيَّة الأثمة سنة ٤٨٩ هـ، وتمكَّن الصليبيُّون من دخول بيت المقدس سنة ٤٩٢ هـ، فظلموا العباد والبلاد، وعاثوا في الأرض الفساد^(١).

وقد اضطرب شأن خلفاء بني العباس في هذا العصر، فأصبحوا بعد العزِّ والمنعة كالأسرى في قصورهم، لا يدرون متى يُمكَّر بهم؛ فيقتلون، أو يُخلعون، أو تُكحلَّ عيونهم بالنار، ويُرمون في الحبس.

ولم يكن ذلك نتيجة تسلُّط أعدائهم عليهم، لكنَّه نتيجة ما فعله خلفاؤهم أنفسهم، فقد بدأ ضعف هذه الدولة من دار الخلافة نفسها؛ فسنة اعتماد العباسيين على قادة أقوى من الخليفة نفسه انتهت بسيطرة بعض رجال الدولة على السُّلطة، فأنشؤوا دولاً إقليميّة محيطة بالدولة العباسيّة، ثم ما لبث مركز الخلافة أن خضع لسيطرة دولٍ حكمت البلاد والعباد باسم خليفةٍ تحكُّمه ولا يحكُّمها.

وسنة قتل الخلفاء التي سنّها طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون عندما قتل الأمين في دار السلام تفاقمت وتعاضمت مع الأيام حتى قال ابن حبان في ترجمة

(١) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (١٦ / ١٦٨)، و«تاريخ الإسلام السياسي» لحسن إبراهيم حسن

المطيع لله ابن المقتدر: «هو باقٍ! لا أدري ما الله صانعُ به، إلا أنه خليفةٌ يموتُ أو يُقتلُ لا محالة؛ لأنَّ له أسوةً بمنَّ فقدَهم»^(١).

وليسَت هذه النَّظَرَةُ الشَّائِئِيَّةُ من ابنِ جِبَّانٍ بغرِيبَةٍ؛ ففي هذا العَصْرِ انطَلَقَت الدَّوْلَةُ البُوَيْهِيَّةُ التي بدأتِ أَوَّلَ أمرِها بالسَّيْطَرَةِ على كرمانَ وسجستانَ والأهوازِ، ولم تنتهِ طموحاتُ قادِئِها إلا بالاستيلاءِ على بغدادَ، ووضعِ الخِلافةِ العَبَّاسِيَّةِ تحتِ جناحِها، حيث عادَ أحمدُ بنُ بويهِ الدَّيْلَمِيُّ^(٢) إلى بغدادَ، فاستقبله المستكفي، وجعله أميرَ الأمراءِ، لكنَّه انقلبَ عليه، وخلعه من الخِلافةِ، وأمرَ به، فسُيْلِمَتِ عيناه وحُبِسَ، ومالَ للفضلِ بنِ المقتدرِ، فبايعَه بالخِلافةِ سنةَ ٣٣٤هـ، فتسمَّى المطيعَ لله، ولكنَّ ابنُ بويه هو الذي سلَّمَه الخِلافةَ، وأجلَسَه على سريرِ الملكِ، فكان عاجزاً أمامَه، وكان السُّلْطَانُ لابنِ بويه^(٣)، وهكذا أصبحت الخِلافةُ العَبَّاسِيَّةُ رهينةً بيدِ البُوَيْهِيَّينَ، وسقطت في هَوَّةٍ سحيقةٍ تختلفُ عن الإخفاقاتِ السَّابِقَةِ كُلِّها، فقد كان بنو بويه ومن معهم من الدَّيْلَمِ قُساةً في طباعِهم، غُلاةً في تشيُّعِهم، وقد عاصرَ هذه المرحلةَ من تاريخِ الدَّوْلَةِ العَبَّاسِيَّةِ من المؤرِّخينَ المسعوديَّ (ت: ٣٤٦هـ)، فأهمَلَ ذَكَرَ جملةً من خلفاءِ بني العَبَّاسِ، وقالَ: «ولم نعرضَ لوصفِ أخلاقِ المتَّقيِّ والمستكفيِّ

(١) انظر: «الثقات» لابن حبان (٢/ ٣٣٦).

(٢) هو معزُّ الدولة أحمد بن بويه، أبو الحسن، من سلالة سابور الساساني، فارسي الأصل، أبوه صياد سمك، وكان هو حطاباً في صغره، ثم ملك هو وأخواه عماد الدولة وركن الدولة البلاد، تولى أول أمره كرمان وسجستان والأهواز، ثم امتلك بغداد سنة ٣٣٤هـ في خلافة المستكفي، ودام ملكه في العراق أزيد من ٢٠ سنة، وكان يتشيع، توفي ببغداد سنة ٣٥٦هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٦/ ١٨٩).

(٣) انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٥/ ١١٣)، و«الوفاي بالوفيات» للصفدي (٤/ ٢٤٥).

والمطيع ومذاهبهم؛ إذ كانوا كالموَلَّى عليهم، لا أمرَ ينفذُ لهم... تفرَّدَ بالأمر غيرهم، فصاروا مقهورين خائفين، قد قنعوا باسمِ الخلافة، ورضوا بالسَّلامة»^(١).
وقد بقيت دولة بني بُوَيه أزيدَ من قرنٍ من الزمنِ إلى أن سقطت على أيدي السَّلاجقة سنة (٤٤٧هـ).

وكان السَّلاجقة من أهل السُّنَّة، وكان أشهرُ قادتهم، ومؤسس دولتهم، طُغرُلبك^(٢)، فهو الذي هزم جيشَ الدولة الغزنوية سنة (٤٣١هـ)، واستولى على بلادِ خراسانَ، ثم واصل السَّلاجقة زحفهم حتَّى استولوا على أكثر بلادِ فارس، وطرَدوا عنها بني بُوَيه، وعندما أظهرَ أرسلانُ بنُ عبد الله البساسيري (ت: ٤٥١هـ) ما كان عند البويهيين من ميلٍ للباطنية، وحاولَ أن ينقلبَ على الخلافة العباسية، وخطبَ للمستنصرِ الفاطمي سنة ٤٥٠هـ، استنجدَ الخليفة العباسي القائمُ بأمرِ الله (ت: ٤٦٧هـ) بطُغرُلبك، فسارَ إليه ودخلَ بغدادَ سنة ٤٤٧هـ، وأزالَ دولة بني بويه، وقد ذكَّرَ ابنُ كثيرٍ (ت: ٧٧٤هـ): أن بني بُوَيه كانت تُقوي الروافضَ وتنصرهم، فزالوا

(١) انظر: «التنبيه والإشراف» للمسعودي (ص: ٣٤٦)، وانظر: «الإنباء في تاريخ الخلفاء» لابن العمراني (ص: ١٦٨ - ١٧٥)، و«تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس» لحسين بن محمد الديار بكرِّي (٢/ ٣٥٢).

(٢) هو ركن الدين، أبو طالب، محمد بن ميكائيل، أول ملوك السلاجقة، وُلدَ نحو ٣٨٥هـ، ابتداءً أمره بالاستيلاء على خراسان سنة (٤٣١هـ)، وكانت له يد عظيمة على الخليفة القائم بأمر الله في إعادة الخلافة إليه سنة (٤٤٧هـ)، وكان خيرًا محافظاً على الصلاة في أوقاتها، يديم صيام الإثنين والخميس، حليماً عن أساء إليه، ولما تمهدت له البلاد خطب بنت الخليفة، فتألم واستعفى فلم يعفه، فزوجه بها، ولم يرزق طغرلبك ولدًا، وعاش سبعين عاماً، وكان بيده خوارزم ونيسابور وبغداد والري وأصبهان، وامتدَّ ملكه نحو ٣٠ سنة، وتوفي بالري سنة ٤٥٥هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٨/ ١٠٧).

وبادؤوا، وأذهبَ اللهُ دولتهم، وجاءَ اللهُ بقومٍ آخرينَ من الأتراكِ السَّلجوقيةِ يُحبُّونَ السُّنةَ، ويؤالونَ أهلها، ويعترفونَ برفعةِ قدرها، ويرفعونَ محلَّها^(١).

وقد عَظُمَ نفوذُ السَّلَاجقةِ بعدَ إعادتهم أمرَ الخلافةِ العباسيةِ إلى نصابها، وامتدَّ إلى بغدادَ والعراق، ثم ازدادَ نفوذُهم في عهدِ ألب أرسلان خليفَةِ طغرلبيك، وخليفتهِ ملكِ شاه الذي اتَّسعَ ملكُه اتِّساعاً عظيماً، ودانتَ له معظمُ بلادِ الشَّرقيِّ الإسلاميِّ، فخطبَ له من حدودِ الصَّينِ شرقاً إلى الشَّامِ غرباً، ومن أقاصي بلادِ الإسلامِ في الشَّمالِ إلى اليمنِ في الجنوب، وقد تميَّزت أيامُ حكمه بالأمنِ والأمانِ، وكانت له هيبَةٌ في نفوسِ أعدائه، فحمَلتِ الرُّومُ إليه الجزيةَ.

وقد كانتَ كَرَمَانُ تتمتعُ بنوعٍ من الاستقرارِ السياسيِّ منذ قضاءِ القائدِ طغرلبيكِ مؤسسِ الدَّولةِ السَّلجوقيةِ على الدَّولةِ البويهيةِ فيها، فقد تمكَّنَ ابنُ أخيه قاروُدُ من فتحها سنةَ ٤٣٣هـ، وقد توالى على حكمها أبناؤه سلطان شاه، ثم توران شاه، ولَمَّا تُوفِّي سنةَ ٤٨٩هـ جلسَ على العرشِ ابنُه إيران شاه، وكان فاسقاً ظالماً يميلُ إلى اللُّهو، فخرجَ عليه أهلُ كَرَمَانَ وقتلوه سنةَ ٤٩٤هـ، ورغبوا بأن يليَ أمرَهم أرسلان شاه، فكان ما أرادوا، فأحبُّوه والتفُّوا حوله إلى أن مات سنةَ ٥٣٦هـ، وكان عالماً عادلاً محسناً^(٢).

وأغلبُ الظنُّ أنَّ تاجَ القُرَّاءِ قضى معظمَ حياته في ظلِّ هذا الاستقرارِ، والذي استمرَّ إلى ما بعدَ وفاةِ الإمامِ الكرمانِيِّ، إذ أعقبَ ذلكَ عودةُ النزاعاتِ التي أدَّت إلى تفكُّكِ الدَّولةِ السَّلجوقيةِ بعدَ وفاةِ المَلِكِ سنجرِ السَّلجوقيِّ (٥٥٢هـ)^(٣).

(١) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (١٥ / ٧٣٦).

(٢) انظر: «السَّلَاجقة في التاريخ والحضارة» للدكتور أحمد كمال الدين حلمي (ص: ٨٤).

(٣) انظر ترجمة سنجر بن ملك شاه بن ألب أرسلان في: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢٠ / ٣٦٢)،

وللتوسُّع في تفاصيل الحياة السياسية في هذا العصر يُنظر: «دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي =

ولا يظهر للكرماني أي اهتمام بسياسة البلاد التي نشأ فيها، فقد كان منشغلاً بالحصول العلمي، لكنه أفاد من ذلك الاستقرار؛ فمن المعلوم أن الاستقرار السياسي غالباً ما ترافقه نهضة حضارية وثقافية.

ثانياً - الحياة الاجتماعية:

قد لا تكون مقولة: (الناس على دين ملوكهم)^(١) مسلمة في عصرنا من كل ناحية، لكنها كانت شبه مسلمة في العصر العباسي، فقد جرت مجرى الأمثال، وشاعت على الألسنة، وهي تدل على حقيقة ثابتة، وهي أن الحياة الاجتماعية للناس تتأثر بالحياة السياسية للملوك والحكام، فالاستقرار السياسي والأمني يؤدي إلى استقرار اقتصادي واجتماعي.

وإن حياة الترف والبدخ التي عاشها الخلفاء العباسيون في عصر قوتهم لم يتخل عنها ورثتهم على الرغم من ضعف الدولة العباسية في العصور التي تسلط فيها غيرهم على الدولة، فقد كانت لهم مجالس طرب ولهو يحضرها الشعراء والأدباء والمغنون، وكذلك انتشرت حياة البدخ والترف بين بعض الأمراء، وغيرهم من القادة الذين يتبعون للخليفة العباسي^(٢).

وكان لحياة الترف التي رسمها هؤلاء ملامح متنوعة؛ فقد أسرف بعض الخلفاء

= مقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي» للدكتور علي الصلابي، و«السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري» للدكتور محمد يوسف أبو نصر.

(١) انظر: «التمثيل والمحاضرة» للثعالبي (ص: ١٣١).

(٢) انظر: «الإنباء في تاريخ الخلفاء» لابن العمراني (ص: ١٤٤)، و«شذرات الذهب في أخبار من ذهب» لابن العماد (٣/٣٢٦)، و«تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي» للدكتور حسن إبراهيم حسن (٣/٤٣٨ - ٤٤١).

والأمراء والأغنياء في الطعام والشراب، ويُذكر أنّ المعتضدَ (ت: ٢٨٩هـ) مرضَ وماتَ من كثرةِ أكلِ اللحومِ والسّمكِ وأطايبِ الطّعامِ^(١)، وأنّ المتّقّي (ت: ٣٣٥هـ) كانَ يحتاجُ في مؤنّةِ مطبخه كلَّ يومٍ إلى خمسةِ آلافِ درهمٍ^(٢)، كما اهتمّوا ببناءِ القصورِ وزخرفتها وبذخوا في عمارتها^(٣)، فقد أنشأ معزُّ الدّولةِ ابنُ بويه داراً غرمَ عليها أربعين ألفَ ألفِ درهمٍ، فبقيت إلى بعدِ الأربعِ مائةِ فتهدّمت، فاشتروا ما في سقفِها من الذهبِ بثمانيةِ آلافِ دينارٍ^(٤).

وقد عانى النّاسُ في سنةِ ٤٤٨هـ كثيراً، فغلّت الأسعارُ جدّاً، ومع ذلك عقدَ الخليفةُ القائمُ بأمرِ الله (ت: ٤٦٧هـ) على خديجةِ بنتِ أخي السُّلطانِ طغرلُوكِ على صدّاقٍ مبلغه مائةُ ألفِ دينارٍ^(٥).

ومع ذلك كان للخلفاءِ العبّاسيّين جوانبُ مُشرقةٌ كثيرةٌ لا تُنكر، فقد كان لبعضهم زهدٌ وإعراضٌ عن التّرفِ وحرصٌ على بيتِ المالِ^(٦)، وعُرفَ بعضهم بالجلوسِ للمظالمِ والإنفاقِ وتفقدِ أحوالِ الرّعيّةِ^(٧).

وقد كان المجتمعُ العبّاسيُّ مكوّناً من عناصرٍ متنوّعةٍ؛ فالعربُ هم السّوادُ

(١) انظر: «الإنباء في تاريخ الخلفاء» لابن العمrani (ص: ١٤٩).

(٢) المصدر السابق (ص: ١٧١).

(٣) انظر: «المنتظم في تاريخ الأمم والملوك» لابن الجوزي (١٣/٥٦)، و«مروج الذهب» للمسعودي (٤/١٩٧)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٣/٤٧٩).

(٤) انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٦/١٩٠).

(٥) انظر: «المنتظم في تاريخ الأمم والملوك» لابن الجوزي (١٦/٤).

(٦) انظر: «الإنباء في تاريخ الخلفاء» لابن العمrani (ص: ١٣٦).

(٧) انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٥/٢٩٨).

الأعظم، ثم الفرس، ثم التُّرك، بالإضافة إلى الأكرادِ والمغاربةِ وطوائفَ من أهلِ الدِّمةِ^(١).

وكان هذا المجتمعُ على طبقاتٍ؛ فطبقةُ القيادة، وفيها الخليفةُ والأمراءُ العباسيونَ والوزراءُ والحُجَّاب، وطبقةُ الأثرياءِ من التجارِ وبعضِ الشعراءِ، والطبقةُ الوسطى، وفيها عامَّةُ النَّاسِ والعلماءُ والكتَّابُ والشُّرطة، وطبقةُ الفقراءِ من سُكَّانِ الأريافِ، وطبقةُ الرِّقيقِ، وفيها كثيرٌ من الزُّنوجِ^(٢).

ولمَّا كانَ النَّاسُ على دينِ ملوكِهِم فقد تغيَّرت ملامحُ الواقعِ الاجتماعيِّ تبعاً لاختلافِ مذاهبِ مَنْ كانت بيده مقاليدُ الأمورِ، فانتشرت العقائدُ الباطنيَّةُ والتَّشيعُ في عهدِ دولةِ بني بويه؛ فقد كانوا غلاةً في التَّشيعِ باطنيَّةً حتَّى وصلَ الأمرُ بأخريهم أن يأخذَ البيعةَ للمستنصرِ الفاطميِّ، فتعالى أصحابُ هذه المذاهبِ وجاهروا بسبِّ الصَّحابةِ رضوان الله عليهم وانتقاصِ أهلِ السُّنة، لكنَّ هذا الأمرَ انحسرَ بوصولِ السَّلاجقةِ الذين كانوا أهلَ سُنَّةٍ، فحاربوا مظاهرَ حُبِّ الباطنيَّةِ، وغلَّوُ الشَّيعةَ، وأظهروا شعائرَ الإسلامِ، وحاربوا آيةَ شعيرةٍ مخالفةٍ لتعاليمه، وقد عملَ طغرل بك على رفعِ أهلِ الإسلامِ والسُّنةِ، فألزمَ أهلَ الدِّمةِ بلبسِ الغيارِ^(٣).

ولم يكن حالُ الدُّولِ التي قامت على أطرافِ الدَّولةِ العباسيَّةِ بمختلفِ كثيرٍ، فقد شاعَ في ملوكِهِم التَّرفُ والغنى، وشاعَ في الشعوبِ الفقرُ.

(١) انظر: «تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي» للدكتور حسن إبراهيم حسن

(٣/٤٣٠-٤٣٣).

(٢) المصدر السابق (٣/٢٥٢).

(٣) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (١٥/٧٣٦ و٧٣٨).

وقد تفشّت في سنواتٍ من العصرِ العبّاسيّ الأمراضُ، ووقف الطبُّ عاجزاً أمامَ بعضها، فطالت العامّة، ولم تسلّم منها الخاصّة، فأصاب النَّاسَ في بغدادَ وباءٌ وغلاءٌ سنةَ ٤٣٩ هـ. وفي سنة ٤٤٩ هـ وقع وباءٌ عظيمٌ في أذربيجانَ والأهوازِ وأعمالِها وواسطَ ومطيرِ آبادَ والكوفة، ولم يكن للنَّاسِ شغلٌ إلا دفنَ موتاهم، وكان أكثرَ سببِ ذلك الجوع^(١)، وماتَ الأميرُ السَّاسانيُّ السَّعيدُ بمرضِ السَّلِّ^(٢).

أمّا كرمانٌ فقد وصفها ياقوتُ الحمويُّ فقال: هي ولايةٌ مشهورة، وناحيةٌ كبيرةٌ معمورة، ذاتُ بلادٍ وقرى ومدنٍ واسعة، بينَ فارسَ ومكرانَ وسجستانَ وخراسان... وهي بلادٌ كثيرةُ النَّخلِ والزَّرعِ والمواشي والصَّرع، تُشَبَّهُ بالبصرةِ في كثرةِ الثُّمورِ وجودِتها وسعةِ الخيرات... وأهلُها أخیارٌ، أهلُ سنّةٍ وجماعةٍ وخيرٍ وصلاح، إلّا أنّها قد تشعّت بقاعها، واستوحشت معاملها، وخربت أكثرُ بلادِها؛ لاختلاف الأيدي عليها، وجورِ السُّلطانِ بها؛ لأنّها منذ زمنٍ طويلٍ خلّت من سلطانٍ يقيمُ بها، إنّما يتولّاها الولاة، فيجمعونَ أموالها ويحملونها إلى خراسان، وكلُّ ناحيةٍ أنفقت أموالها في غيرها خربت، إنّما تعمّرُ البلدانُ بسكنى السُّلطان، وقد كانت في أيامِ السَّلجوقيّةِ والملوكِ القارونيينَ من أعمرِ البلدانِ وأطيبها^(٣).

وهذا يثبتُ أنّ الحياةَ الاقتصاديّةَ والاجتماعيّةَ كانت في ظلِّ الدَّولةِ السَّلجوقيّةِ التي عاشَ في ظلِّها تاجُ القُرّاءِ الكرمانيّ تُتمتّعُ بالاستقرار، فقد انتشرَ الأمنُ بين النَّاسِ، وعمّت السَّكينةُ والطُّمأنينةُ، وآتى الاستقرارُ السِّياسيُّ والاقتصاديُّ فيها أكله، فظهرت ملامحُ التَّطوُّرِ الاجتماعيِّ والتَّقدُّمِ الحضاريِّ.

(١) انظر: «المنتظم في تاريخ الأمم والملوك» لابن الجوزي (٣٠٨ / ١٥) و(١٦ / ١٧).

(٢) انظر: «نهاية الأرب في فنون الأدب» للنويري (٣٥٠ / ٢٥).

(٣) انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٤٥٤ / ٤).

ثالثاً - الحياة العلمية والثقافية:

كثيراً ما يرتبط النهوض العلمي بقوة الدول ومنعتها، وكثيراً ما يؤدي الضعف السياسي إلى تراجع في العلوم والفنون، ولكن العصر العباسي يكسر هذه القاعدة؛ فالنهضة العلمية التي بدأت في عصر أبي جعفر المنصور (ت: ١٥٨هـ) وتنامت في عصر الرشيد والمأمون لم تنحسر بضعف الخلفاء العباسيين، بل تابعت تقدمها كنهر غزر ماؤه وكثرت روافده، فبعد المرحلة التي حرص العلماء فيها على الجمع والتدوين، جاء هذا العصر ليشهد حركة واسعة لإعادة الترتيب والتهديب لما جُمع من العلوم.

وقد كان لتشجيع الخلفاء في بغداد والملوك والأمراء في الدول الإقليمية للعلم والعلماء أثر كبير في هذه النهضة، فقد كان هؤلاء الملوك يتنافسون على العلماء كما يتنافسون على الممالك، وكان ملوك السامانيين وملوك البويهيين والخوارزميين يُعنون بحشد العلماء والأدباء في بلاطهم وحوّل قصورهم، أما السلاجقة فيكفي للحديث عنهم أن نذكر أن التعليم في عهدهم تحوّل إلى تعليم مدرسي لأول مرة في تاريخ الدولة الإسلامية، وذلك أن الوزير نظام الملك أبا علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي (ت: ٤٨٥هـ) اهتم بالعلم والعلماء، فبنى المدرسة النظامية الشهيرة ببغداد، وبنى بنيسابور مدرسة، ويطوس أخرى، وبنى بمر و مدرسة، وبهارة مدرسة، وبلخ مدرسة، وبالبحرة مدرسة، وبأصبهان مدرسة، وكان لكثير من هذه المدارس مكتبات ملحقة بها، وبذل الأموال للعلماء، وجعل لهم رواتب تكفيهم هم المعيشة، فوصفت أيامه بأنها دولة أهل العلم^(١)، وأكمل التعليم المدرسي مسيرة التقدم الحضاري التي بدأها التعليم المسجدي، وقد كانت المدارس النظامية

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٩ / ٩٤).

مخصّصةً للمذهب الشافعي؛ لأنّ نظام الملك كان شافعيّاً، ولكن كان كثيرٌ من ملوك السلاجقة ووزرائهم أحنافاً، فانتشرت لذلك مدارس المذهب الحنفي في البلاد، وبعدها يُعلم أنّ احترام العلم والعلماء هو السمة الواضحة والسّجّية اللازمة للدولة السلجوقية منذ ظهورها^(١).

وكان ذلك كلّهُ مبعث نهضة علمية وأدبية ولا سيّما في مجال الكتابة والصناعة الديوانية تعلق على كلّ نهضة سبقتها، وتتفوّق على كلّ حركة تقدّمتها، إذ أترف الذوق الكتابي لهذا العصر بسبب ترف الملوك والأمراء الذين كانوا يقومون عليه^(٢). وكان لتمازج الثقافات في هذا العصر أثر كبير في نهضته، فقد تُرجمت بعض الكتب في هذه الفترة من لغات متعدّدة إلى اللغة العربية^(٣).

وقد بقي الاعتزال الذي دعمه خلفاء العبّاسيين في عصرهم الأوّل منتشرًا، وكان هناك أعلامٌ تبوّأوا هذا المذهب، ودافعوا عنه، وجادلوا أهل السنة في عقائده، كما انتشرت العقائد الباطنية والتشيع في عهد دولة بني بويه، وقد وقفنا على كثير من المواضع التي ردّ فيها تاج القراء الكرمانني على هؤلاء أو هؤلاء^(٤).

(١) انظر: «السلاجقة في التاريخ والحضارة» للدكتور أحمد كمال الدين حلمي (ص: ٢٢٣ و ٣٧٤).

(٢) انظر: «الفن ومذاهبه في الشتر العربي» لشوقي ضيف (ص: ٢٠٤ - ٢٠٥).

(٣) انظر: «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» للذهبي (١١٠/٧)، و«الوافي بالوفيات» للصفدي (١١/٥).

(٤) فقد صرّح بدفع قول الشيعة وتقديم أبي بكر رضي الله عنه على من دونه من المسلمين، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّكَ أَكْثَرَ مِنْ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلِكَ﴾ [الحديد: ١٠]: وفي هذه الآية دليلٌ واضحٌ وبرهانٌ لا تُحصى على فضل أبي بكرٍ وتقديمه؛ لأنّه أوّل من أسلم. وصرّح بدفع قول المعتزلة في افتتاح كتابه بقوله: الحمد لله مُنزل القرآن غير مُحدّث ولا مخلوق.

يُضَافُ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْفِرْقِ وَالطَّوَائِفِ اتَّخَذَتِ الْعِلْمَ وَسِيلَةً لِتَسْوِيقِ مَزَاعِمِهَا، وَتَحْقِيقِ مَآرِبِهَا الدِّينِيَّةِ أَوْ السِّيَاسِيَّةِ، فَكَثُرَتِ النِّقَاشَاتُ بَيْنَ دُعَاةِ هَذِهِ الطَّوَائِفِ، وَانْتَشَرَ الْجَدَلُ بَيْنَهُمْ مِنْ جِهَةٍ وَبَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْ جِهَةٍ ثَانِيَةٍ، فَأَسْهَمَ ذَلِكَ بِطَرِيقَةٍ مَبَاشِرَةٍ أَوْ غَيْرِ مَبَاشِرَةٍ فِي النُّهْضَةِ الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي عَرَفَهَا ذَلِكَ الْعَصْرُ^(١).

وَقَدْ جَرَّتْ عَادَةُ الْعُلَمَاءِ بِأَنْ يُطَوَّفُوا فِي الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ لِأَخْذِهَا مِنْ فَنُونِ الْعِلْمِ مِمَّنْ اشْتَهَرَ بِهَا فِي الْبِلَادِ كُلِّهَا، وَقَدْ كَانَ لِلرَّحْلَةِ أَثْرٌ فِي تِمَازِجِ الثَّقَافَاتِ وَتَنَوُّعِ الْعُلُومِ وَتَقَدُّمِهَا^(٢)، وَهَذَا يَقِفُ الْبَاحِثُ أَمَامَ نَصِّ يَاقُوتِ الَّذِي ذَكَرَ فِيهِ أَنَّ تَاجَ الْقُرَّاءِ الْكِرْمَانِيَّ لَمْ يَرْتَحِلْ وَلَمْ يُفَارِقْ وَطَنَهُ^(٣) مُحْتَارًا، وَيَتَرَجَّحُ عِنْدِي أَنَّهُ ارْتَحِلَ، وَلَكِنْ لَمْ يَطَّلِعْ يَاقُوتٌ عَلَى رَحْلَتِهِ.

وَقَدْ اهْتَمَّ الْمُلُوكُ وَالْأُمَرَاءُ وَالْوُزَرَاءُ بِالْكَتَبِ وَالْمَكْتَبَاتِ وَالْمَدَارِسِ، وَعَدُّوا الْكَتَبَ مِنْ أَنْفُسِ الْهَدَايَا الَّتِي تُهْدَى إِلَيْهِمْ، فَارَاحَ الْعُلَمَاءُ وَالْأَدْبَاءُ يَتَفَرَّبُونَ إِلَيْهِمْ بِصِنَاعَةِ الْكَتَبِ وَوَضْعِهَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَمِنْ تِلْكَ الْكَتَبِ كِتَابُ «الْمَنْصُورِيِّ» الَّذِي أَلْفَهُ الطَّبِيبُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَّا الرَّازِيُّ (ت: ١٣١٣هـ)^(٤) وَأَهْدَاهُ لِلْأَمِيرِ مَنْصُورٍ

(١) انظر: «تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي» للدكتور حسن إبراهيم حسن (٣/ ٣٣٩).

(٢) وقد ألف الخطيب البغدادي كتاباً سماه: «الرحلة في طلب الحديث»، وقد طُبع ضمن مجموعة رسائل في علوم الحديث بعناية صبحي البدري السامرائي، ونشرته المكتبة السلفية في المدينة المنورة عام ١٩٦٩م، ثم أعاد الدكتور نور الدين عتر تحقيقه وطبعه، ونشرته دار الكتب العلمية عام ١٩٧٥م.

(٣) انظر: «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٦/ ٢٦٨٦).

(٤) انظر: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة (ص: ٤١٤).

السّامانيّ (ت: ٣٦٦هـ)^(١)، وألّف أحمدُ بنُ فارسٍ كتابَ «الصّاحبيّ في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها وسُنن العرب في كلامها» وأهداه للصّاحبِ بنِ عبّادٍ (ت: ٣٨٥هـ)^(٢)، كما ألّف الثّعاليّ كتابَ «لطائف المعارف» له أيضاً، وأهدى كتابَ «فقه اللّغة» للأمير أبي الفضل الميكاليّ (ت: ٤٣٦هـ)^(٣).

ويغلّبُ على ظنّي أنّ تاجَ القُرّاءِ قد صنعَ مثلَ ذلك في كتابه الموسومِ بـ«النّظاميّ» وهو اختصارٌ لكتابِ «اللّمع» لابنِ جنّي، فربّما يكونُ قد أهداه للوزيرِ نظامِ الملك، فقد كانَ الوزيرُ مشهوراً ببرّه لأهلِ العلم، فلا يُستغربُ أن يُتحفّه تاجُ القُرّاءِ بكتابٍ يُسمّيه باسمه، كما فعلَ ابنُ فارسٍ للصّاحبِ بنِ عبّادٍ، لكن يبقى هذا مجردَ ظنٍّ قد تُسَعَفُ الأيّامُ بتحقيقه.

هذا حالُ النّهضةِ الثّقافيّةِ في ظلِّ الدّولةِ العبّاسيّةِ في بلادِ المشرقِ العربيّ عامّةً، أمّا إقليمُ كرمانَ فقد عُرِفَ بالعلمِ والعلماءِ؛ إذ نُسِبَ إليه جَمٌّ غفيرٌ من أهلِ العلمِ والفضلِ، من أبرزهم: محمّدُ بنُ يوسفَ الكرمانيّ صاحبُ «الكواكبِ الدّراريّ» في شرحِ صحيحِ البخاريّ^(١)، وابنُ ملّكِ الكرمانيّ الحنفيّ صاحبُ «شرح الوفاية» و«شرح المصابيح»، وأبو محمّدِ حربُ بنِ إسماعيلَ الكرمانيّ الفقيهُ الحنبليّ

(١) ذكر هذا الإمام الذهبي في: «سير أعلام النبلاء» (١٤ / ٣٥٤)، وذكر ابن النديم في «الفهرست» (ص: ٣٦٠) أنّه كان ينتقل في البلدان وبينه وبين منصور بن إسماعيل صداقة، وله ألف كتاب المنصوري، ومنصور بن إسماعيل هذا فقيه شافعي مصري، توفي سنة ٣٠٦هـ.

(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٦ / ٥١١).

(٣) انظر: «يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر» للثعالي (٣ / ١٩٦ و ٤٧٦)، و«فوات الوفيات» لابن

شاکر (٢ / ٤٢٨)، و«الفن ومذاهبه في النثر العربي» لشوقي ضيف (ص: ٢٠٤ - ٢٠٥).

صاحبُ «المسائل» أو «مسائلِ الكرمانِيِّ»، وأبو العلاءِ الكرمانِيُّ الحنفيُّ صاحبُ «مفاتيحِ الأغاني في القراءاتِ والمعاني».

في هذا البلدِ الطَّيِّبِ، وفي ظلِّ هذه النَّهْضَةِ العِلْمِيَّةِ والفِكرِيَّةِ والأدبِيَّةِ الواسعةِ، سلكَ تاجُ القُرَّاءِ الكرمانِيُّ طريقَ العلمِ، فأسهمَ في هذه النَّهْضَةِ العِلْمِيَّةِ المباركةِ، وتركَ من كنوزِ العلمِ إرثاً نفيساً.

ترجمة العلامة تاج القراء الكرمانى^(١)

أولاً - اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:

هو الإمام العلامة، تاج القراء، وأحد العلماء الفقهاء النبلاء، المفسر، المقرئ، النحوي، صاحب التصانيف والفضل، أبو القاسم، برهان الدين، محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى^(٢)، المشهور ب: تاج القراء الكرمانى.

(١) انظر: «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٦ / ٢٦٨٦)، و«غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري (٢ / ٢٩١)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (١ / ٨١)، (١ / ٢٤١)، (١ / ٤٢٧)، (٢ / ١١٢٦)، (٢ / ١١٧٧)، (٢ / ١١٩٧)، (٢ / ١٥٤١)، و«بغية الوعاة» للسيوطي (٢ / ٢٧٧)، و«طبقات المفسرين» للذواودي (٢ / ٣١٢)، و«هدية العارفين» للبغدادي (٢ / ٤٠٢)، و«طبقات المفسرين» للذواودي (١ / ١٤٩)، و«الأعلام» للزركلي (٧ / ١٦٨).

(٢) والكرمانى: نسبة إلى كرمان بفتح الكاف - وهو الصحيح - غير أنه اشتهر بكسرهما كما قال السمعاني في «الأنساب» (٥ / ٥٦)، وقال ابن بري: بفتح الكاف، وقد أولعت العامة بكسرهما، كما نقله عنه ابن منظور في «اللسان» مادة: (ك ر م)، وكرمان: إقليم - يقع الآن في إيران - يشمل عدداً من المدن، خرج من بلادها جماعة من أهل العلم، ويقع بين إقليم فارس غرباً، وإقليم مكران والمفازة الكبرى شرقاً، والخليج العربي جنوباً، وفيه يمتد رأس هرمز، ومركزها مدينة كرمان. انظر: «البلدان» لابن الفقيه (ص: ٤١٤)، و«المسالك والممالك الكبرى» لأبي عبيد البكري (١ / ٤٤)، و«الأنساب المتففة» لابن القيسراني (ص: ١٢٩)، «تصحیح التصحيف وتحرير التحريف» للصّفدي (ص: ٤٣٩).

وذكر ابن القيسراني في «الأنساب المتففة» أن للكرمانى نسبةً أخرى، وهي قرية بالقرب من بخارى =

وقد يُنسبُ تاجُ القراءِ إلى نيسابورَ فيقالُ: محمودٌ بنُ حمزةَ النيسابوريِّ^(١).

ثانياً - ولادته ونشأته:

لم تذكُرِ المصادرُ التي بينَ أيدينا تاريخَ ولادةِ الإمامِ محمودِ الكرمانِيِّ، ولا حتَّى شيئاً من حياته، وهذه سمةٌ بارزةٌ في أهلِ تلكَ البلادِ؛ فلم يكونوا يعتنون بتسجيلِ سيرِ حياتهم كما هو الحالُ في غيرها من البلادِ.

= يقال لها: كرمينية، حدث منها جماعة، لكن النسبة المشهورة عند أهل بخارى لمن كان من أهل هذه القرية الكرميني، إلا أن أبا القاسم بن الثلاثج حدث عن حفص بن عمر بن هبيرة أبي عمرو البخاري، فقال: الكرمانني من أهل قرية يقال لها: كرمينية. انظر: «الأنساب المتفقه» لابن القيسراني (ص: ١٢٩).

وذكر ياقوت أيضاً: أن كرمان أيضاً مدينةٌ بين غزنة وبلاد الهند، وهي من أعمال غزنة، وكرمينية بالقرب من بخارى، وآل كرمان بحجر اليمامة من ديار العرب. انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٤/ ٤٥٥)، و«المشترك وضعاً والمفترق صقفاً» لياقوت للحموي (ص: ٣٧٦). قال ابن الكلبي: سميت كرمان بكرمان بن فلوج من بني ليطي بن يافث بن نوح عليه السلام. انظر: «البلدان» لابن الفقيه (ص: ٤١٣).

وأما فتح إقليم كرمان، فقد ذكر الطبري في «تاريخه» أن من فتحها هو الصحابي سهل بن عدي، وكان معه عبد الله بن عبد الله بن عتبان، وعلى مقدمة سهل بن عدي النسير بن عمرو العجلي رضي الله عنهم.

ونقل عن المدائني: أن من فتحها هو الصحابي عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي رضي الله عنه، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر: «تاريخ الطبري» (٤/ ١٨٠).

ولعل الجمع بين هذه الأقوال يكون بأن مدن الإقليم تعدد فاتحوها، فكل عدد من المدن اختص بفتحها عدد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) انظر: «غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري (٢/ ١١٤).

وذكرَ ياقوت الحمويُّ أنَّ الإمامَ الكرمانِيَّ عاشَ في حدودِ ٥٠٠هـ، وماتَ بعدها، وأنَّه لم يَرْتَجِلْ ولم يُفَارِقْ وطنه^(١).

ولكنَّ هذا فيه إشكالٌ؛ فمن ناحيةٍ هذا يخالفُ عادةَ العلماءِ في ذلك العصر، وقد سبقت الإشارةُ إلى هذا، ومن ناحيةٍ أخرى ذكرَ تاجُ القراءِ الكرمانِيُّ في كتابه «النهائية في شرح الغاية»: أنَّه رحَلَ إلى بغدادَ، والتقى بعلمائها، وأطلعَ على كتابِ «الهداية في شرح مشكلات الغاية» لأحمد بن أبي بكرِ البَغَوِيِّ.

فلعلَّ ياقوت الحمويَّ قد غفَلَ عن هذه الرحلة التي ذكرها الإمامُ، أو أنَّ المرادَ بعبارةِ أنَّ تاجَ القراءِ قضى جُلَّ حياةٍ في كرمانَ ولم يُفَارِقْها.

وهذا الاحتمالُ الأخيرُ هو الغالبُ، فقد نشأ تاجُ القراءِ الكرمانِيُّ في كرمانَ نشأةً لم تحدِّثنا كتبُ التاريخِ وتراجمِ الرجالِ عن تفاصيلها، لكننا نستطيعُ أن نجزمَ أنَّ الكرمانِيَّ قد نشأ في بيتِ علمٍ؛ فقد كانَ والدُه حمزةُ بنُ نصرٍ من علماءِ القراءاتِ، وعنه تلقى تاجُ القراءِ هذا العلمَ.

كما أنَّنا عرفنا أنَّ أهلَ كرمانَ أخصيَّاءُ، أهلُ سُنَّةٍ وجماعةٍ وخيرٍ وصلاح، وأنَّها كانتَ في أيامِ حكمِ السلاجقة التي عاشَ في كنفها الإمامُ تاجُ القراءِ الكرمانِيُّ من أعمرِ البلدانِ وأطيبها^(٢).

من خلالِ هذا كله يُمكنُ أن نتصوَّرَ الوَسَطَ الاجتماعيَّ الذي نشأ فيه تاجُ القراءِ الكرمانِيُّ، واستقى منه العلومَ والمعرفةَ.

(١) انظر: «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٦/ ٢٦٨٦).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٤٥٤).

وقد ذكر الدكتور شميران العجلي احتمال رحلته قبل بغداد إلى مرو وخراسان^(١)، لكنه لم يذكر على ذلك دليلاً، ولعل هذا الاحتمال ورد عليه لما سبق التنبؤ إليه من عادة العلماء.

ثالثاً - شيوخه:

لم تذكر أكثر المصادر شيئاً ذا بال عن شيوخ تاج القراء الكرمانى أو تلاميذه، ولا نشك أن مرد ذلك إلى أن الرجل قضى معظم حياته في بلده، ولم يتجه إلى مراكز الإشعاع الحضاري والتقدم الفكري في عصره، ولطالما كانت سكنى الكفور لأهل العلم وطلبته كسكنى القبور.

ولكن ما خلفه تاج القراء يثبت أنه تلقى العلوم عن أهلها، وأنه نهل المعرفة من تبعها، ومن الأعلام الذين رفعوا الكرمانى؛ ليغدو تاجاً للقراء، ونفعوه ليصطف في مصاف العلماء:

الشيخ حمزة بن نصر الكرمانى؛ والد التاج:

فقد ذكر تاج القراء أنه قرأ عليه كتاب «الغاية» لابن مهران فقال: قرأت القرآن بجميع روايات الكتاب وطرقه واحداً واحداً على والدي حمزة بن نصر، رحمه الله^(٢).

وقال عنه ابن الجزري: حمزة بن نصر أبو محمود الأصبهاني، مقرئ

(١) انظر مقدمة: «غرائب التفسير وعجائب التأويل» لتاج القراء الكرمانى (١/ ٣٠).

(٢) مخطوطة النهاية في شرح الغاية للكرمانى ورقة ٣، نقلاً عن مقدمة تحقيق «غرائب التفسير» للدكتور

شميران العجلي، (١/ ٢٩).

متصدّر، قرأ بالعشرِ وغيرِها على أبي نصرٍ بنِ محمّدٍ بنِ أحمدَ الكركانجي^(١)،
قرأ عليه ابنُه محمود^(٢).

ولم أقف في كتبِ الفهارسِ والتّراجمِ على مَنْ ذكّر له كتاباً، ولكنّي وجدتُ أنّ
إبراهيمَ بنَ عمرَ البقاعيّ نقلَ عن كتابِ سمّاه: جوامع التّفسير، ونسبه لحمزةَ بنِ نصرٍ
الكرمانيّ، ووصفَه بالأستاذ^(٣).

ومنهم الشّيخُ محمّدُ بنُ حامدِ بنِ الحسنِ الخيامي الطّوسيّ:

قالَ عنه ابنُ الجزريّ: مُقرئٌ متصدّر، روى القراءاتِ عن عبّيد الله بنِ محمّدٍ
الطّوسيّ وعبّيد الله بنِ الحسينِ النّيسابوريّ، روى القراءاتِ عنه محمودُ بنُ حمزةَ
النّيسابوريّ^(٤).

وقد ذكّر تاجُ القُرّاءِ في «لبابِ التّفاسيرِ» رجلين نقلَ عنهما التّفسير، ولم نهتدِ
إلى ترجمةٍ لهما، وهما:

الإمامُ أبو سهلٍ محمّدُ بنُ عبدِ الرّحمنِ بنِ أبي الفضلِ النّيسابوريّ:

ذكّر تاجُ القُرّاءِ أنّه حدّثه عن الواحديّ، وقد ذكره في تفسير (الفاحة)
و(آل عمران).

(١) إمام مقرئ أستاذ رّحال، ولد سنة ٣٩٠هـ، قرأ بمرور ونيسابور وبغداد ودمشق وحران ومصر، وله
مصنفات، توفي ٤٨١ أو ٤٨٤هـ. انظر: «غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري (٧٢ / ٢).

(٢) انظر: «غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري (١ / ٢٦٥).

(٣) انظر: «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» للبقاعي (٣٩٢ / ١٥) و(٥٧ / ١٩) و(١٦٢)
و(٣٨ / ٢٠).

(٤) انظر: «غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري (٢ / ١١٤).

شيخ الإسلام القاضي أبو المعالي:

ذَكَرَ تَاجَ الْقُرَّاءِ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ﴾: إِنَّ الْمُرَادَ بِهِ أَخُوهُ هَارُونَ. وَرَبِّمَا كَانَ الْمُرَادُ بِهِ هَبَةَ اللَّهِ الشُّيرَازِيِّ قَاضِي كَرْمَانَ (ت: ٥٥٢٠هـ)^(١).

وقد وقفتُ في «لِبابِ التَّفَاسِيرِ» على قولِ الكرمانِيِّ:

قُلْتُ: لَمْ أَرُ فِيمَا سَمِعْتُ وَطَالَعْتُ مِنَ التَّفَاسِيرِ مَعَ جُمُوعِهَا مَنْ تَكَلَّمَ عَلَى لَفْظِي: (يهلك) و(هلك)، وكذلك في مُغَايِرَةِ لَفْظِي (ويحيا) و(حي)...

فَالْكَرْمَانِيُّ يَذْكَرُ نَوْعَيْنِ مِنَ التَّلْقِي؛ مَا سَمِعَهُ، وَمَا طَالَعَهُ، وَبِالتَّالِي نَسْتِطِيعُ أَنْ نَفَسِّرَ غِزَاةَ عِلْمِهِ مَعَ اِحْتِمَالِ لَزُومِ بَلَدِهِ وَتَرْكِ الرِّحْلَةِ بِأَنَّهُ اسْتَعَاَصَ بِرِحْلَاتِهِ بَيْنَ الْكُتُبِ وَالْأَسْفَارِ، عَنِ الرِّحَلَاتِ بَيْنَ الْبُلْدَانِ وَكَثْرَةِ الْأَسْفَارِ.

رابعاً - تلامذته:

تَقَدَّمَ سَابِقاً أَنَّ الْمَصَادِرَ لَمْ تَذْكَرِ الْكَثِيرَ عَنِ حَيَاةِ الْإِمَامِ الْكَرْمَانِيِّ، وَلَمْ يَصِلْنَا مِنْهَا إِلَّا مَا قَدَّمَهُ لِلأُمَّةِ مِنْ كُتُبٍ فِيهَا النِّفْعُ وَالْخَيْرُ، وَلَكِنْ كَانَ لِتَاجِ الْقُرَّاءِ الْكَرْمَانِيِّ تَلَامِيذٌ وَلَا شَكَّ، وَكَانَ لَهُ شَهْرَةٌ فِي عَصْرِهِ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ أَنَّ لِقَبَّ تَاجِ الْقُرَّاءِ قَدْ لَازَمَ تَرْجُمَتَهُ، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا اللَّقْبُ يُطَلَّقُ عَلَيْهِ لَوْلَا اِشْتِهَارُهُ بِعِلْمِ الْقِرَاءَاتِ، وَتَسْتَوْفَقُ الْمَطَالَعُ فِي مَقْدَمَةِ كِتَابِهِ «النَّهَائِيَّةِ فِي شَرْحِ الْغَايَةِ» أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ أَصْحَابَهُ اقْتَرَحُوا عَلَيْهِ أَنْ يَشْرَحَ «الْغَايَةَ»^(٢)، وَكَلِمَةُ الْأَصْحَابِ كَثِيراً مَا يُعْبَرُ بِهَا الْعُلَمَاءُ عَنِ تَلَامِيذِهِمْ.

(١) انظر: «الوافي بالوفيات» للصفدي (٢/ ١١٤).

(٢) انظر: مقدمة تحقيق «غرائب التفسير» للدكتور شمران العجلي (١/ ٣١).

نجد في «باب التّفاسير» عباراتٍ مثل (قَالَ الشَّيْخُ الإِمَامُ) (قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ) (قال شيخنا أبو القاسم) ونحوها، وهذه العبارات يُقصدُ بها المصنّف نفسه على الغالب، وهي تدلُّ على أنّ الكتابَ صنّفه تاج القُرّاء إِملاءً، وذلك يستدعي أن يملِيَ كتابه على تلاميذه، وهذا يشيرُ إلى توفّرهم وكثرتهم.

كما أنّ في قوله: وكنتُ سُئِلْتُ عن هذه الآيَةِ، فاستخرجتُ لها عشرة أوجِهٍ سوى ما حكيْتُ عن الأئمّة... ما يدلُّ على أنّه كان رأساً في العلم يُسألُ ويقصدُ، وتلتمس عنده حلول المشكلات، وكشف المعضلات.

وبعد ذلك فتلاميذُ الإِمَامِ تاج القُرّاءِ والَّذِينَ نَشَرُوا عِلْمَهُ، قد عُرِفُوا واشتهروا بين أقرانهم:

فَمِنْهُمْ الإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللهِ نَصْرُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدَ المعروفُ بِابْنِ أَبِي مَرِيَمَ الشَّيرَازِيّ:

كانَ فريدَ الدَّهْرِ، وأوحدَ العَصْرِ، مُلقَّباً بينَ العُلَماءِ بِصَدْرِ الإِسْلامِ، وكانَ له العديِدُ من التّلاميذِ الَّذِينَ صاروا قُضاةً وَعُلَماءَ؛ كَمجدِ الدِّينِ إِسماعيلِ بنِ نَيْكَرُوزَ، والقاضي سراجِ الدِّينِ مُكرَّمِ بنِ العلاءِ.

وألَّفَ التّصانيفَ المُفيدَةَ كـ «الكشفِ والبيانِ في تفسيرِ القرآنِ»، و«المَوْضَحُ في عللِ القِراءاتِ» وغيرها، ومدَحَهُ العلامَةُ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدَ بنِ عَلِيِّ الغَزَوِيُّ لَمّا أتمَّ كتابَ «الإفصاحِ في شرحِ الإيضاحِ» فقالَ فيه:

أوضَحَ الإيضاحَ فَخْرُ الدِّينِ في شرحِهِ بلَ حَلَّهُ مِن مُشْكِلِ

عَلَّلَ النَّحْوَ وَذَا مِنْ سِحْرِهِ أَنْ أَرَانَا صِحَّةً فِي الْعِلَلِ
نَصَرَ الْعِلْمَ وَأَعْلَى قَدْرَهُ مَتَّعَ اللَّهُمَّ نَصْرَ بَنِ عَلِيٍّ
وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ (٥٦٥ هـ) (١).

وَمِنْهُمْ رَضِيُّ الدِّينِ شَمْسُ الْقُرَاءِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي نَصْرِ الْكِرْمَانِيِّ:
هُوَ مُصَنِّفُ «شَوَازِ الْقُرَاءَاتِ» وَ«قِرَاءَةِ الْكِسَائِيِّ»، وَقَدْ ذَكَرَ فِي «شَوَازِ الْقُرَاءَاتِ»
سَمَاعَهُ مِنْ تَاجِ الْقُرَاءِ الْكِرْمَانِيِّ فَقَالَ: سَمِعْتُ شَيْخَنَا الْخَطِيبَ الْإِمَامَ تَاجَ الْقُرَاءِ أَبَا
الْقَاسِمِ مُحَمَّدَ بْنَ حَمزَةَ بْنَ نَصْرِ - قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ الْعَزِيزِ - يَقُولُ: (الصَّبْرُ) قِرَاءَةُ أَبِي
عَمْرٍو؛ يَعْنِي: بِكَسْرِ الْبَاءِ (٢).

وَقَالَ فِي «قِرَاءَةِ الْكِسَائِيِّ»: قَرَأْتُ عَلَى الشَّيْخِ الْإِمَامِ تَاجِ الْقُرَاءِ بَرَهَانَ الدِّينِ
زَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ ضِيَاءِ الْأُمَّةِ سَعِيدِ الْإِسْلَامِ أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدِ بْنِ حَمزَةَ بْنَ نَصْرِ،
رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضَوَانَهُ عَلَيْهِ (٣).

وَهُوَ مِنْ عُلَمَاءِ الْقَرْنِ السَّادِسِ عَلَى مَا رَجَّحَهُ مُحَقِّقُ الْكِتَابِ الدُّكْتُورُ شَمْرَانُ
الْعَجَلِيُّ، وَقَدْ ذَكَرَهُ بَرُوكْلِمَانُ فِي الْفَصْلِ الْخَاصِّ بِمَجْهُولِي الْعَصْرِ وَالْمَكَانِ (٤).
وَمِنْهُمْ الْإِمَامُ السَّعِيدُ أَبُو عَلِيٍّ الْفَضْلُ بْنُ الْحَسَنِ الطُّبْرُسِيُّ:

(١) انظر: «شُدُّ الْإِزَارِ فِي حَطِّ الْأَوْزَارِ عَنْ زَوَارِ الْمَزَارِ» لِمَعِينِ الدِّينِ الْجَنِيدِ بْنِ مُحَمَّدِ الشَّيرَازِيِّ
(١ / ٤٠٦)، و«بَغِيَّةُ الْوَعَاةِ» لِلْسَّيُوطِيِّ (٢ / ٣١٤).

(٢) انظر: «شَوَازِ الْقُرَاءَاتِ» لِشَمْسِ الْقُرَاءِ الْكِرْمَانِيِّ (ص: ٨).

(٣) انظر: «قِرَاءَةُ الْكِسَائِيِّ» لِشَمْسِ الْقُرَاءِ الْكِرْمَانِيِّ (ص: ١٥).

(٤) انظر: «تَارِيخُ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ» لِبرُوكْلِمَانَ (٢ / ٩٨٢).

كَانَ فَرِيدَ عَصْرِهِ فِي النَّحْوِ، وَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى الْإِمَامِ الْكُرْمَانِيِّ، وَاسْتَفَادَ مِنْهُ الْكَثِيرَ، وَكَانَ بَرَسِمَهُ مَدْرَسَةً يَنْشُرُ فِيهَا عِلْمَهُ، وَهُوَ أَشْعَارٌ كَثِيرَةٌ.

وَلَهُ تَفْسِيرٌ ضَخْمٌ فِي عَشْرَةِ مَجَلِّدَاتٍ، وَكُتِبَ كَثِيرَةٌ، وَكَانَ يَخْتَارُ اخْتِيَارَاتٍ حَسَنَةً مِنَ الْكُتُبِ، كـ «تَفْسِيرِ الزَّمْخَشَرِيِّ»، وَ«الْمُقْتَصِدِ فِي النَّحْوِ»، وَ«شَرْحِ حَمَاسَةِ الْمَرْزُوقِيِّ».

تُوَفِّيَ رَحْمَةً اللَّهُ تَعَالَى سَنَةَ (٥٤٨هـ)^(١).

وَمِنْهُمْ جَارُ اللَّهِ أَبُو الْقَاسِمِ مَحْمُودُ بْنُ عَمْرِو الزَّمْخَشَرِيُّ الْخَوَارِزْمِيُّ:

كَبِيرُ الْمَعْتَزَلَةِ فِي عَصْرِهِ، صَاحِبُ «الْكَشَافِ» فِي التَّفْسِيرِ، وَ«الْمَفْصَلِ» فِي النَّحْوِ، وَ«الْأَنْمُودَجِ» فِيهِ، وَ«أَسَاسِ الْبَلَاغَةِ» فِي اللُّغَةِ، وَ«الْفَاتِحِ» فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ، وَ«رَبِيعِ الْأَبْرَارِ وَنُصُوصِ الْأَخْبَارِ» فِي الْحِكَايَاتِ، وَ«مُتَشَابِهِ أَسْمَاءِ الرِّوَاةِ»، وَ«الرِّئَاضِ» فِي الْفَرَائِضِ، وَ«الْمَنْهَاجِ» فِي الْأَصُولِ.

وُلِدَ سَنَةَ ٤٦٧هـ بِزَمْخَشَرَ، وَرَحَلَ إِلَى بَغْدَادَ، وَجَاوَرَ بِمَكَّةَ زَمَانًا.

وَكَانَ رَأْسًا فِي الْبَلَاغَةِ وَالْعَرَبِيَّةِ وَالْمَعَانِي وَالْبَيَانِ، وَكَانَ عَلَّامَةً الْأَدَبِ، وَنَسَابَةَ الْعَرَبِ، وَهُوَ نَظْمٌ جَيِّدٌ.

قَالَ السَّمْعَانِيُّ: بَرَعَ فِي الْأَدَابِ، وَصَنَّفَ التَّصَانِيفَ... مَا دَخَلَ بِلْدَادًا إِلَّا وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ، وَتَلَمَذُوا لَهُ.

تُوَفِّيَ رَحْمَةً اللَّهُ تَعَالَى سَنَةَ (٥٣٨هـ)^(٢).

(١) انظر: «تاريخ بيهق» لظهير الدين البيهقي (ص: ٤٣٧).

(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢٠/١٥١-١٥٦)، و«طبقات المفسرين» للسيوطي (ص: ١٢٠).

ولم أجد أحداً ممن ترجم لتاج القراء عدّ الزمخشري من تلاميذه، لكن صرح به الإمام الشيبوطي (ت: ٩١١هـ) فقال: إن من علوم القرآن العظيم مناسبة مطالع السور ومقاطعها، كما أوضحته في «الإتقان» وكتاب «أسرار التنزيل»، وقد صرح بذلك المحققون كصاحب «الكشاف» وشيخه محمود بن حمزة الكرماني صاحب «البرهان في متشابه القرآن» و«الغرائب والعجائب» في التفسير، والإمام فخر الدين، والأصبهاني، وغيرهم^(١).

وهذه القضية وإن لم نجد ما يدعمها في كتب التراجم، لكن لها ما يشهد لها في كتابي الرجلين، وليس المقصود بذلك أن الزمخشري نقل عن «لباب التفسير» أو ذكر الكرماني في «كشافه»، ولكن المراد أن بعض محاولات الكرماني في توضيح مفهوم الإعجاز من خلال تحليل النص القرآني وفق ما تقتضيه أساليب العربية، وأن نظرتَه إلى الأسلوب القرآني كمظهر من مظاهر الإعجاز، هو ما نجده عند الزمخشري.

ومنهم الفضل المزنّي، والدّ أبي الحسن عليّ بن الفضل المزنّي النحوي:

لم أقف له على ترجمة مستقلة، لكن قال ياقوت الحموي في ترجمة ابنه عليّ بن الفضل: نقلت من خطّ أبي سعيد عبد الرحمن بن عليّ اليزدادي في كتابه المُسمّى «جلاء المعرفة»: وكان قرأ كتاب الكرماني في النحو، وقرأ هو على أبيه، وأبوه على الكرماني^(٢).

وهذا يدلّ على أن الفضل المزنّي قرأ أحد كتب الكرماني النحويّة عليه، وأن بعض هذه الكتب على الأقلّ كان معروفاً لليزدادي.

(١) انظر: «مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع» للسيوطي (ص: ٤٥).

(٢) انظر: «معجم الأدياء» لياقوت الحموي (٤/ ١٨٣٨).

خامساً - مذهبه:

إنَّ السَّمةَ التي تظهرُ على تاجِ القُرّاءِ الكرّمانيّ أنّهُ رجلٌ متحرّزُ الفكرِ، يبحثُ بكثيرٍ من التَّجرّدِ والاتِّساعِ، ويعرضُ الآراءَ باعتدالٍ وإن كان لا يتبناها، ويبدلُ جهده في التّوفيقِ بينها، أو ترجيحِ بعضها على بعضٍ؛ ولو بإشارةٍ عابرةٍ أو طريقةٍ في التّرتيبِ، أو يكتفي بعرضها من غير تعليقٍ.

وقد ساهمَ هذا بالإضافةِ إلى ما تقدّمَ من شحٍّ في مصادرِ ترجمتهِ في لفِّ مذهبه بشيءٍ من الغموضِ، فلم يبقَ أمامَ الباحثِ إلا أن يغوصَ في أعماقِ مصنّفاته بحثاً عن ضوءٍ يذهبُ الظلمةَ، أو قبسٍ يزيلُ الحيرةَ.

١ - مذهبه العقديّ:

قبلَ أن أتحدّثَ عن مذهبِ الكرّمانيّ العقديّ أحبُّ أن أذكرَ حادثهً جرت لي في بدايةِ طلبِ العلمِ، فقد ذهبتُ يوماً إلى أحدِ معارضِ الكتبِ، فوقعتَ عيني على كتابِ البرهانِ في متشابهِ القرآنِ، فوقعَ حبُّه في قلبي، وفتحتُ صفحاتٍ منه فطالعتها واقفاً، فجدبني، واشتريته، فلما رجعتُ به إلى المنزلِ بدالي أن أسألَ أستاذاً لي عنه، فقال لي: لا بأسَ أن تقرأ فيه، ولكن احذر؛ فمؤلّفه من المعتزلة.

ورغم أنّي لم أكن أعرفُ المعتزلةَ، لكنني طالعتُ الكتابَ على حذرٍ، وسجّلتُ فوائده في دفترتي، ثمّ اعتزلتهُ خوفاً من المعتزلة.

لذلك أحبُّ أن أبدأ الكلامَ بالتأكيدِ على أنّ تاجِ القُرّاءِ الكرّمانيّ ليس من المعتزلة؛ فهو يصرّحُ أنّهُ من أهلِ السُّنّةِ والجماعةِ، والدليلُ على ذلك في مقدّمة «لبابِ التّفاسير» التي افتتحها الكرّمانيّ بما يشبهُ الحربَ على المعتزلةِ بقوله: الحمدُ لله مُنزلِ القرآنِ غيرِ مُحدّثٍ ولا مخلوقِ، الخالقِ الرّازقِ قبلَ كلّ مخلوقِ

ومرزوق، العالم القادر المرید بعلمٍ وقدرَةٍ وإرادة، مدبّر الخیرِ والشرِّ ومقدّر الشّقاوة والسّعادة، بعث الرّسلَ وأزاح العِللَ وأنار السُّبُلَ؛ لئلا يكونَ للنّاسِ على الله حجةٌ بعد الرّسلِ، أوضح الآياتِ بخلقِ الأرضِ والسّماواتِ بدعًا، فوجبَ عليهم النّظرُ فيها شرعًا لا عقلاً وطبعًا، دعاهم إلى طاعته، وأعانهم عليها برأفته، فالاستطاعةُ والفعلُ مقرونان، ووعدهم على الطّاعة نعيمًا، وأوعدهم على العصيان جحيمًا، فالجنةُ والنّارُ مخلوقتان، بشرّ المؤمنين في الحياة الدُّنيا بالرّؤية في الآخرة، فقال: ﴿وَجِئُوا يَوْمَئِذٍ بِآيَاتِنَا﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وحرّم الرّؤية والنّعيمَ الجاحدون، فقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

فلا تكادُ تجدُ أصلًا من أصولِ المعتزلةِ إلا وجدتَ في هذه المقدّمة ما ينقضُّه تصريحًا أو تلميحًا.

وربّما يكونُ في نقله عن أئمةِ المعتزلةِ الذين عُرفَ عنهم الاعتزال، وضاعت كثيرٌ من كتبهم بعد أفولِ نجمهم وانقراضِ زمانهم - ومن هؤلاء أبو مسلمٍ محمّد بنُ بحرٍ الأصبهانيّ (ت: ٣٢٢هـ)، وله تفسيرٌ كبيرٌ سمّاه «جامعُ التّأويلِ لمحکم التّنزيل»، ومنهم أبو الحسنِ عليّ بنُ عيسى الرّمانيّ (ت: ٣٨٤هـ) الذي كان من أئمةِ النّحو، وألّف تفسيراً كبيراً، وقد عدّ هذان التّفسيران من جملةِ المفقودِ من التّراثِ الحضاريّ الإسلاميّ، كما نقلَ عن أبي مسلمٍ محمّد بنِ عليّ ابنِ مهربزد الأصبهانيّ (ت: ٤٥٩هـ) - أثرٌ في إيهامِ ميله إلى المعتزلة.

لكنّ هذا الوهم يزولُ تماماً عند من يتتبعُ كلامَ الكرمانيّ، فقد قالَ في تفسيرِ قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾: والجنة: هي جنةُ الخلدِ التي وعدَ المتّقون دخولَها، وهي مخلوقةٌ، وهذا مذهب أهلِ السّنة والجماعة.

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾: والجنة مخلوقة، ومحلّها السماوات... وقيل: لم تُخلَق بعد، والأوّل مذهب أهل السنّة والجماعة. ومن المعروف أنّ طائفة من المعتزلة والخوارج قد ذهبت إلى أن الجنة والنار لم يُخلقا بعد^(١)، فأغلب الظنّ أنّ كلامه ردٌّ لمذهب المعتزلة، لكنّه عرض الخلاف بأسلوبٍ علميٍّ بعيدٍ عن الجدالِ والنقاش.

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾: وأولوا الإشهاد على وجهين: أحدهما: بما رُكّبَ فيهم من العقل.

والثاني: ببعث الرّسل.

والأوّل هو مذهب السنّة والجماعة؛ لأنّ جُلّ المُفسّرين على ذلك؛ لأنّ الأخبار في ذلك شاعت وذاعت.

وفي كلام تاج القراء هذا ردٌّ لمذهب المعتزلة بالتحسين والتّقيح العقليين. وكذلك نقل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا يَمُوتُونَ وَلَا يَحْيَوْنَ وَلَا يَمُوتُونَ وَلَا يَحْيَوْنَ﴾ قول السّديّ: قتل المؤمن للمؤمن يخرجُه عن كونه مؤمناً إلا أن يكون خطأ. ثمّ قال: فيكون الاستثناء صحيحاً، وليس هذا معتقداً أهل السنّة والجماعة.

وفي كلام الكرماني ردٌّ لمذهب المعتزلة الشّهير في مرتكب الكبيرة، وأنّه في منزلة بين المنزلتين^(٢).

(١) انظر: «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم (٤ / ٦٨)، و«تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤٢٥ / ١).

(٢) انظر: «مقالات الإسلاميين» للأشعري (ص: ٢١٣)، و«الكشاف» للزمخشري (١ / ٥٥١)، و«شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (٢ / ٥٢٤).

إذن يعلنُ الكرمانِيُّ انتسابه للسُّنَّةِ والجماعةِ، لكنَّ الذي يظهر لنا عند التَّوقُّفِ على مواضعٍ من كلامِ الكرمانِيِّ أنَّ دائرةَ السُّنَّةِ والجماعةِ تتسعُ عنده؛ لتضمَّ مذهبِ السُّلفِ والخلفِ؛ فنراه يقولُ في تفسيرِ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾: مذهبُ السُّنَّةِ والجماعةِ: أنَّ الاستواءَ هاهنا لا يُفسَّرُ بما لم يصفِ اللهُ ذاته به. ثمَّ ذكرَ تأويلاتٍ وردت عن بعضِ المفسِّرينَ مناقشاً بعضها ومعرضاً عن بعض.

وإنَّا لنشعرُ في هذا الموضعِ أنَّه أقربُ إلى مذهبِ أهلِ التَّفويضِ من السُّلفِ، لكننا نجزمُ في مواضعٍ أخرى أنَّ الرَّجُلَ على مذهبِ أهلِ التَّأويلِ من الخلفِ، فهو يذكِّرنا بطريقةِ المتأخِّرينَ من أمثالِ ابنِ الصَّلاحِ والقاضي عياضٍ والنَّوويِّ.

ورغم تشابهِ مذهبِ المتأخِّرينَ من المؤوِّلةِ من أشاعرةٍ وماتريديَّة، لكن يغلبُ على الظَّنِّ أنَّ الكرمانِيَّ له ميلٌ للأشعريةِ، وهو ما يظهرُ في قوله في تفسيرِ ﴿أَوْ قُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَهَلْ كُنَّا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطُلُونَ﴾: وهذا دليلٌ على أنَّ التَّقليدَ في التَّوحيدِ كفرٌ.

فمن المعروفِ أنَّ هذا قولُ الأشاعرةِ^(١)؛ ولا نستطيعُ أن نجزمَ إن كان تاجُ القراءِ قاله تقليداً لمذهبهم، أو دعوةً إلى الاجتهادِ ونبذاً للتَّقليدِ، لا سيَّما أنَّ هذه الدَّعوةَ قد تكرَّرت منه مرَّاتٍ، كما في قوله في تفسيرِ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾: دلَّت الآيةُ على وجوبِ النَّظرِ والتَّدبُّرِ وبطلانِ التَّقليدِ.

وتكرَّرَ مثله في تفسيرِ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ قال: أي: يتأمَّلون في معانيه

ومبانيه.

والتدبر: تصرّف القلب بالنظر في العواقب.

والتفكّر: تصرّف القلب بالنظر في الدلائل.

وهذا قاطع لقول من زعم من الرافضة أنّ القرآن لا يفهم معناه إلا بتفسير الرسول له.

فتاج القراء ولا شك داعية تفكير واجتهاد وتدبر، وليس داعية تعصب، وأظهر دليل على هذا حاجتنا للبحث في مذهبه.

ونقف على النقل الأخير الذي حمل ردّ تاج القراء على الرافضة في زعمهم عجز الناس عن فهم القرآن، وهذه الدعوى إنّما هي بطانة الباطنية، فعجز الناس عن فهم القرآن يلزم منه أن يكون ما يفهمه عامة الناس من ظاهر النصوص غير صحيح، وأنّ للنصوص باطنًا يخالف ظواهرها، ومثل هذا يمكن أن يسحب ليؤدّي إلى التفلّت من تعاليم الإسلام بالكلية.

ونجد مثل هذا الموقف الصلب لتاج القراء في تفسير ﴿ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ (٧) يَا لَيْتَنِي لَيْتَنِي لَوْ أَتَّخَذْتُ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿، فإنه قال: ذهب الرافضة إلى أنّ هذا تغيير من الكاتب، ولم يكن في القرآن الظالم وفلان بالكناية، بل كانا اسمين صريحين من الصحابة؛ يعنون: الصديق والفاروق، رضي الله عنهما، ولعن مبغضيهما، وخذلهم.

كما صرّح بتقديم أبي بكر رضي الله عنه على علي رضي الله عنه وغيره، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ أُوَلِيِّكَ أَكْبَرُ دَرَجَةً مَنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلِكَ ﴾ [الحديد: ١٠]: وفي هذه الآية دليل واضح وبرهان لائح على فضل أبي بكر وتقديمه؛ لأنّه أوّل من أسلم.

وقال في تفسير ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾: فَإِنْ طَلَّقَهَا فِي حَيْضٍ أَوْ طَهْرٍ جَامِعَهَا فِيهِ يَقَعُ الطَّلَاقُ لغيرِ السُّنَّةِ. وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهُ إِذَا طَلَّقَهَا ثَلَاثًا تَقَعُ وَاحِدَةً. وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهَا لَا تَقَعُ أَصْلًا؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ. وَهَذَا مِنَ الْقَوْلَانِ مَذْهَبُ الشَّيْخَةِ، وَهُوَ خِلَافٌ لِلْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّ النَّهْيَ لَا يُوجِبُ فَسَادَ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ، بَلْ يُوجِبُ الْعَصِيَانَ.

٢ - مذهبه الفقهي:

لَمْ يُصْرِحْ تاجُ القُرَّاءِ الكَرْمَانِيُّ بِمَذْهَبِهِ الفَقْهِيِّ فِي «لِبَابِ التَّفَاسِيرِ»، وَلَمْ نَقِفْ عَلَى تَصْرِيحِهِ بِذَلِكَ فِي كِتَابِ آخَرَ مِنْ كِتَابِهِ، وَرَبَّمَا كَانَ لَوْضِعِ الدَّوْلَةِ السَّلْجُوقِيَّةِ أَثَرٌ فِي ذَلِكَ؛ فَقَدْ تَنَاطَبَ مَلُوكُهَا وَوزَرَائِهِمْ عَلَى تَبْنِي مَذْهَبِ الحَنْفِيَّةِ أَوْ الشَّافِعِيَّةِ، وَدَعَمَ عِلْمَانُهُمَا.

وَقَدْ اِخْتَلَفَتْ مَصَادِرُ تَرْجُمَةِ الكَرْمَانِيِّ عَلَى قَلَّتْهَا فِي مَذْهَبِ الفَقْهِيِّ؛ فَقِيلَ: حَنْفِيٌّ^(١)، وَقِيلَ: شَافِعِيٌّ^(٢)، وَالَّذِي تَرَجَّحَ عِنْدَنَا أَنَّهُ حَنْفِيٌّ.

وَمِنْ طُرْفِ مَا وَقَعَ فِي الكِتَابِ أَنِّي وَجَدْتُ لِهَذَا الخِلَافِ جَذْرًا فِي النُّسخِ الخَطِيَّةِ؛ فَعِنْدَ تَفْسِيرِ ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ جَاءَ فِي نَسْخَةِ (نور بانو المرموز لها بـ: ن): قَوْلُهُ: ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾؛ أَي: فِي الدَّارِ الآخِرَةِ، وَقِيلَ: فِي حُكْمِ اللَّهِ، كَمَا تَقُولُ: هَذَا عِنْدَ الشَّافِعِيِّ جَائِزٌ؛ أَي: فِي حُكْمِهِ.

(١) انظر: «الحاوي» للسيوطي (٢٠٣/١٩) ضمن مجموع رسائل العلامة السيوطي - ط دار اللباب، وقد وصفه السيوطي في هذا الموضوع بأنه من أئمة الحنفية.

(٢) انظر: «كشف الظنون» لحاجي خليفة (١/ ٢٤١)، و«معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة (١٢/ ١٦١)، و«هدية العارفين» للبغدادي (٢/ ٤٠٢).

وهذه العبارة لو سلمت لكانت مؤشراً إلى انتمائه لمذهب الشافعية، ولكن جاء في (نسخة الفاتح المرموز لها ب: ف): كما تقول: هذا عند أبي حنيفة جائر؛ أي: في حكمه.

وقد وقفت على موضع آخر عند تفسير ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ قال: و(رأيت) هذا من الرأي، كما تقول: فلان يرى رأي أبي حنيفة.

وهذا موضع سلم من اختلاف النسخ، وفيه إشارة إلى انتمائه لمذهب أبي حنيفة، فمن عادة العلماء أن يمثلوا بأئمتهم.

وأصرح من هذا ما جاء في قوله: هذا مذهب الفقهاء، والمروى عن أبي حنيفة رضي الله عنه^(١)؛ فتخصيص أبي حنيفة رحمه الله بعد عموم الفقهاء فيها دلالة على خصوصية مذهبه عند الكرمانى.

وكذلك نجد في تفسير ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ يذكر قول أبي حنيفة أولاً، ويُعقبه بعبارة (رضي الله عنه)، ثم يذكر قول الشافعي ثانياً، ويُعقبه بعبارة (رحمه الله)، ثم يذكر قول مالك والأوزاعي، ويُعقبه بعبارة (رحمهما الله)، فالتخصيص لأبي حنيفة أيضاً.

وثمة مسلك آخر سلكناه لمعرفة مذهبه الفقهي، وهو العودة إلى المسائل الخلافية، ومقارنته رأيه فيها بالمشهور من مذاهب الأئمة، وقد حصل عندنا من خلال هذا المسلك ظن قاطع بما كنا توصلنا إليه بظنون وإشارات، ومن هذه المواضع:

(١) انظر: «المبسوط» للسرخسي (٣٠/ ٢٦٦)، و«المغني» لابن قدامة (٨/ ٢٥٩).

قوله: العمرة: زيارة البيت، وإتمامها بالإحرام والطواف والسعي وحلق الرأس، وهي سنة عندنا، وليس بفرض؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ [آل عمران: 97].

وكلمة (عندنا) التي استخدمها تاج القراء تشير إلى الانتماء المذهبي، ولم يستخدمها الكرمانى إلا نادراً، وقد ذهب إلى سنة العمرة أبو حنيفة ومالك، بينما ذهب إلى وجوبها الشافعي وأحمد^(١)، ولما كان التردد عندنا بين كونه حنفياً أو شافعيًا، فالعبارة تدل على أنه حنفي، والله أعلم.

ومنها قوله في تفسير ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ﴾ وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ فِي الْمَسْجِدِ: والاعتكاف: لزوم عبادة الله في مسجد تقام فيه الجماعة مع الصوم؛ والصوم شرط للاعتكاف عند أبي حنيفة ومالك، وليس بشرط عند الشافعي^(٢).

ومنها قوله في تفسير ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾: والمفروض قدر الربع، ولا يستوعب الرأس خلافاً لمالك، ولا يقتصر على ما دونه خلافاً للشافعي رحمه الله. وهذا أصرح مما قبله؛ فقد أقر مذهب أبي حنيفة ورد غيره^٣.

ومنها: اختياره أن القرء الحيض عند تفسير ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾، لكن هذا الاختيار ظهر من خلال ترتيبه للأقوال، ولم يصرح به.

وقد وقفت على مواضع فيها إشكال، منها: قوله: الدية: مئة إبل، أو ألف دينار، أو اثنا عشر ألف درهم، تُوزع على عاقلته، فتؤدى في ثلاث سنين. وتحديد الدية

(١) انظر: «الإشراف» لابن المنذر (٣/٣٧٦).

(٢) انظر: «الإشراف» لابن المنذر (٣/٣٧٦).

(٣) انظر: «الأم» (١/٤١)، و«تفسير الثعلبي» (١١/١٩١)، و«فتح القدير» لابن الهمام (١/١٣)، و«الجامع لمسائل المدونة» (١/١٩)، و«التمهيد» (٢٠/١٢٥).

بائني عشر ألف درهم قول مالك والشافعي في القديم، أما الحنفية فيرون أنه عشرة آلاف درهم، ولكن هذا الإشكال زال عندما وجدت أنه رواية عن أبي حنيفة^(١).

٣- مذهبه النحوي:

استخدم تاج القراء الكرماني مصطلحات البصريين تارة، ومصطلحات الكوفيين تارة أخرى؛ فكان يقول: خفض وجر^(٢)، ويقول: ضمير وكناية^(٣)، ويقول: ضمير عماد وفصل^(٤)، ويقول: صلة وزيادة^(٥)، ويقول: نعت وصفة^(٦)، وهو يعرض رأيي الفريقيين في كثير من الأحيان دون تشييع على أحدهما^(٧)، لكنه أميل إلى مذهب

(١) انظر: «الحجة على أهل المدينة» لمحمد بن الحسن (٤/٢٥٨)، و«مختصر المزني» (٧/٣٥١)، و«التجريد» للقدوري (١١/٥٧١١)، و«المبسوط» للسرخسي (٢٦/٧٧)، و«تبيين الحقائق» للزيلعي (٦/١٢٧).

(٢) استخدم الأول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧١]، واستخدم الثاني في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

(٣) استخدم الأول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧١]، واستخدم الثاني في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

(٤) استخدم الأول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَيُّهَا قَارِهُونَ﴾ [البقرة: ٤٠]، واستخدم الثاني في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ [البقرة: ٣١].

(٥) استخدم الأول في تفسير قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مِمَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨]، واستخدم الثاني في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ [البقرة: ١٠٢].

(٦) استخدم الأول في تفسير قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ [الزمر: ١٠]، واستخدم الثاني في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا﴾ [البقرة: ٢٦].

(٧) كما في كلامه على اشتقاق لفظ الجلالة، وفي مجيء (أو) بمعنى الواو، وبناء (يوم) على الفتح، وانظر في هذا: رسالة «المسائل النحوية في غرائب التفسير» للدكتور حسن قابور (ص: ٢٥٣)،

ورسالة «ردود الكرماني على النحاة في كتابه غرائب التفسير وعجائب التأويل» لعلي عبد الله =

البصريين، فقد أكثر من ذكر أئمة البصريين، ولا سيما سيبويه والخليل والمبرد، وقد ردَّ مذهب الكوفيَّين في مسائل ليست بالقليلة، كما في تفسير قوله: ﴿وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَسِقِينَ﴾، فقد ذكر مذهب البصريين بأنه أكَّدَ بـ(إِنَّ)، ثمَّ خُفِّفَتْ، ودخلت اللامُ بعده لزوماً، ثم قال: والكوفيون يجعلون (إِنْ) للنفى، واللامُ بمعنى: إلا، وهذا لا يُعرَف له أصلٌ.

وقال في تفسير قوله: ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾: وقال الكوفيون: مجرورٌ للجوار، وفيه ضعفٌ.

وقال في تفسير قوله: ﴿وَالْمُطَلَقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾: حذفُ تاءٍ (طالق) للنسب؛ كتامرٍ ولابنٍ، وقولٌ من قال: «لعدم المشاركة» باطلٌ، بـ(طلقتُ) و(حاصتُ). فمعنى (طالق) عند الكرمانِيِّ: ذاتُ طلاق، كما أن التامرَ صاحبُ التمر، واللابنُ صاحبُ اللبن، ولذا حُذِفَتِ التاء، وهو مذهبُ الخليلِ وسيبويه والبصريين، وهو يرى أن مَنْ زعمَ أن حذفَ التاءِ بسببِ كونِ كلمةٍ (طالق) مختصَّةً بالموثث، فقوله مردودٌ بدخولِ تاءِ التانيثِ على الفعل، وهذا القولُ الذي ردَّه تاجُ القراءِ للقراءِ والكوفيين^(١).

سادساً - مؤلفاته:

تنوعت كتبُ الشيخِ الكرمانِيِّ بشكلٍ واسعٍ وكبيرٍ، وتناولت مختلفَ العلومِ من التفسيرِ والقراءاتِ وعلومِ القرآنِ والنحو: منها كتابنا هذا الموسومُ بـ«لِبَابِ

= محيسن (ص: ١٢)، ومقدمة تحقيق «العنوان» للمصنّف (ص: ٢٧).

(١) انظر: «الكتاب» لسيبويه (٣/ ٣٨٣)، و«معاني القرآن» للقراء (٢/ ٢١٤)، و«المذكر والمؤنث»

للأنباري (١/ ١٤٨)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٨/ ٢٢٤).

التفسير»، وجاء في بعض المصادر «لُبَابُ التَّأْوِيلِ»، ولعلّه هو، وكتاب «غرائبِ التفسيرِ وعجائبِ التَّأْوِيلِ»^(١)، ربّما سُمّي في بعض المصادر «العجائب والغرائب»، و«النهاية في شرح الغاية»^(٢) في القراءات العشر، و«خَطُّ المصاحف»، و«البرهان في مُتَشَابِهِ القرآن»^(٣)، وهو في بيان أسرار التكرار في القرآن، وربّما سُمّي بذلك، و«العنوان» في النحو^(٤)، و«الإفادة» فيه أيضاً، و«شرح اللّمع لابن جنّي»، و«النظامي» وهو اختصار «اللّمع»، و«الإيجاز» مختصر «الإيضاح» للفارسيّ، وله أيضاً كتاب بعنوان «غنية الطالب في شرح رسالة الصديق لعلّي بن أبي طالب»^(٥).

سابعاً - نناء العلماء عليه:

على الرغم من عدم وجود سيرة حافلة بتاريخ الشيخ، إلا أنّه بالنظر إلى ما قدّمه في علوم الفقه، والقراءات، والنحو، والتفسير أيضاً، فقد حاز إعجاب العلماء

-
- (١) طُبِعَ في دار القبلة بجدة ومؤسسة علوم القرآن ببيروت بتحقيق الدكتور شمران العجلي.
- (٢) قام بتحقيقه مجموعة من الباحثين في رسائل جامعية في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، ولم أقف عليه مطبوعاً.
- (٣) قام الدكتور منصور محمد الحفناوي بتحقيقه، ونال فيه درجة الماجستير في جامعة القاهرة سنة ١٩٧٥م، وطُبِعَ في دار الاعتصام في القاهرة بتحقيق عبد القادر أحمد عطا بعنوان: أسرار التكرار في القرآن، وله طبعات وتحقيقات أخرى.
- (٤) قام الدكتور حازم سعيد البياتي والدكتورة منال صلاح الدين عزيز بتحقيقه، وطُبِعَ في دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ببديي.
- (٥) انظر: «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٦ / ٢٦٨٦)، و«غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري (٢ / ٢٩١)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (١ / ٨١)، (١ / ٢٤١)، (١ / ٤٢٧)، (٢ / ١١٢٦)، (٢ / ١١٧٧)، (٢ / ١١٩٧)، (٢ / ١٥٤١)، و«بغية الوعاة» للسيوطي (٢ / ٢٧٧)، و«طبقات المفسرين» للدّاودي (٢ / ٣١٢)، و«هدية العارفين» للبغداددي (٢ / ٤٠٢)، و«الأعلام» للزّركلي (٧ / ١٦٨).

وامتداحهم، وبذلوا في ذلك له الألقاب، حتى صارَ معروفاً بينهم بتاج القراء، وقد ترك العلماء فيه شهاداتٍ رفيعة، وعباراتٍ في الثناءٍ بديعة، ومن ذلك:

قولُ ياقوت الحموي: هو تاجُ القراء، وأحدُ العلماءِ الفقهاءِ النبلاءِ، صاحبُ التصانيفِ والفضلِ، كانَ عجباً في دقةِ الفهمِ، وحسنِ الاستنباطِ^(١).

وقال ابنُ الجزري: إمامٌ كبيرٌ محققٌ ثقةٌ كبيرُ المحلِّ^(٢).

وقال الأذنوي: العالمُ الفاضلُ المحققُ العلامةُ برهانُ الدينِ أبو القاسمِ^(٣).

وقد وصفه السيوطيُّ بأنه من أهلِ التدقيقِ، وأنه من المحققين، وأنه من أئمةِ الحنفيَّة، ولم تأتِ هذه الأوصافُ في سياقِ ترجمةِ الكرمانيّ، وإنما جاءت عند الحديثِ عن أنواعٍ من علمه^(٤).

ومن ذلك شهادةُ تلميذه شمسِ القراءِ الكرمانيّ، فقد وصفه بالشيخِ الإمامِ تاجِ القراءِ برهانِ الدينِ زينِ الفريقينِ ضياءِ الأمةِ سعدِ الإسلامِ أبي القاسمِ محمودِ بنِ حمزةَ بنِ نصرٍ، رحمةَ الله ورضوانه عليه^(٥).

ثامناً - وفاته:

ذكرَ ياقوت الحمويُّ وهو صاحبُ أقدمِ ترجمةٍ بين أيدينا لتاجِ القراءِ

(١) انظر: «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٦ / ٢٦٨٦).

(٢) انظر: «غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري (٢ / ٢٩١).

(٣) انظر: «طبقات المفسرين» للأذنوي (١ / ١٤٩).

(٤) انظر: «الحاوي» للسيوطي (١٧ / ٤٨٨) ضمن مجموع رسائل العلامة السيوطي، ط دار اللباب، و«مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع» للسيوطي (ص: ٤٥).

(٥) انظر: «قراءة الكسائي» لمحمد بن أبي نصر الكرمانيّ (ص: ١٥).

الكرماني: أنه كان في حدود المئة الخامسة وتوفي بعدها^(١).

وقال الإمام السيوطي في حدود الخمس مائة^(٢)، وقد تكرّر هذا عند معظم من ترجم لتاج القراء^(٣)، لكن حاجي خليفة الذي تكرّرت عبارته لتفيد هذا المعنى في مواضع ذكر عبارة أخرى في مواضع أخرى فقال: المتوفى في حدود (٥٠٠)^(٤)، أمّا الزركلي فذكر أنه توفي نحو (٥٥٠هـ)^(٥).

وبين هذه العبارات فرق كبير؛ فعبارة ياقوت لا تحدّد سنة وفاة تاج القراء، بل تُثبت أنه كان حيّاً في سنة ٥٠٠هـ، وتوفي بعدها؛ فقد يكون توفي بعدها بـ ٢٠ أو ٣١ أو ٣٥ سنة، أمّا العبارة الثانية ففيها تحديّد.

وقد ذهب محقق كتاب «غرائب التفسير وعجائب التأويل» الدكتور شمران العجلي إلى غير هذا، فاعتمد على عبارة في (نسخة بني جامع) في إسطنبول قال فيها الناسخ: (قال سيّدنا الشيخ الإمام... أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصر أدام الله أيامه وعصم ساحته عن المكاره والنواب بحق محمّد وآله)، ورأى أنّ هذه العبارة تفيد أنّ المصنّف كان حيّاً عند نسخ الكتاب، وقد فرغ من نسخه في المحرم سنة خمس وثلاثين وخمسائة، كما جاء في آخر الجزء الأول، فخلص إلى أنّه توفي سنة ٥٣٥هـ تقريباً^(٦).

(١) انظر: «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٦ / ٢٦٨٦).

(٢) انظر: «التحبير لعلم التفسير» للسيوطي.

(٣) انظر: «غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري (٢ / ٢٩١)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة

(٢ / ١١٢٦)، (٢ / ١١٧٧)، و«معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة (١٢ / ١٦١).

(٤) انظر: «كشف الظنون» لحاجي خليفة (١ / ٢١١).

(٥) انظر: «الأعلام» للزركلي (٧ / ١٦٨).

(٦) انظر: «غرائب التفسير وعجائب التأويل» لتاج القراء الكرماني (١ / ٢٩ و ٣٤)، و«شواذ القراءات» =

وهذه العبارة تدلُّ على ما ذهب إليه الدكتور شمran في الظاهر، لكنَّ دلالتها على ذلك ليست قاطعة؛ لاحتمال أن يكون النَّاسخُ قد نسخَ العبارة كما هي من أصلٍ سابقٍ اعتمدَ عليه، ولاحتمال أن تكون تلك العبارة قد جرت على لسانِ النَّاسخِ اتِّباعاً لعادةِ أَلْفَهَا؛ فأمثال تلك العبارات كانت مألوفةً مترددةً على ألسنةِ الكُتَّاب والنُّساخ، ومع ذلك يبقى ما ذهب إليه الدكتور شمran هو الظاهر.

وقد دعمَ الدكتور شمran ما ذهب إليه بما جاء في آخرِ نسخةِ مجلسِ الشورى بطهران حيثُ قال النَّاسخُ: قد انتسختُ هذه النُّسخةَ من التفسير الموسوم بـ«الغرائب والعجائب»... من نسخةٍ قديمة... مؤرَّخةٍ بتاريخ سنة ٦٧٥هـ، وقد كُتِبَ في تلك النُّسخة: (فرغ المصنَّف - وهو الشَّيخُ الإمامُ تاجُ القراءِ برهانُ الدِّينِ رحمه الله تعالى - من تحريره وتصنيفه في شهر ربيعِ الأوَّلِ سنةِ إحدى وثلاثين وخمسمائة) وهذه العبارة على صراحتها في الدِّلالةِ على ما ذهب إليه الدكتور شمran، لكنَّ فيها ما قاله العلماءُ في الوجادة^(١)، أو هي دونَ ذلك.

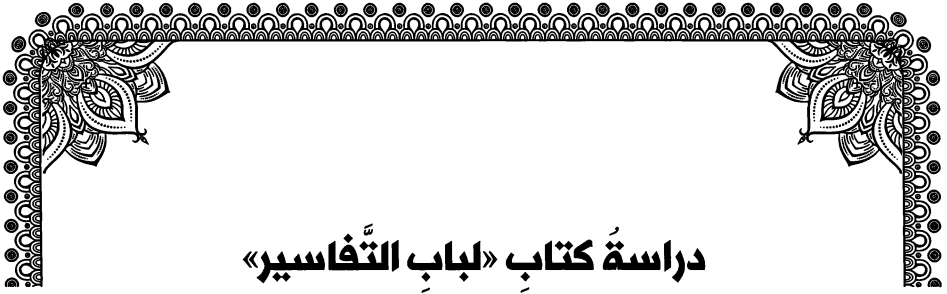
وقد ذكرَ تاجُ القراءِ الكرمانِيُّ في «لباب التفسير» أنَّه سمعَ شيخَ الإسلامِ القاضي أبا المعالي، فإن صحَّ ما يخلبُ على ظنِّي أنَّه هبةُ الله بنِ عليِّ بنِ إبراهيمِ الشَّيرازيِّ قاضي كرمان، فهو دليلٌ على تأخُّر وفاته إلى ما بعد سنة ٥٢٠هـ^(٢)، فقد تُوفِّيَ القاضي في تلك السنَّة، وترحمَ عليه تاجُ القراءِ الكرمانِيُّ، لكنَّ هذا أيضاً وإن كان دليلاً على تأخُّر وفاةِ الكرمانِيِّ، لكنَّه دليلٌ غيرُ قاطعٍ لما تبينَ، والله أعلمُ.

= لشمس القراء الكرمانِي (ص: ٨).

(١) هو من باب المنقطع، ولكن فيه شوب اتصال. انظر: «فتح المغيب» للسخاوي (٣/ ٢٣)، و«تدريب

الراوي» للسيوطي (١/ ٤٨٧).

(٢) انظر: «الوافي بالوفيات» للصفدي (٢/ ١١٤).



دراسة كتاب «لباب التفسير»

أولاً - عنوان الكتاب ونسبته إلى مؤلفه:

اختلفت المصادر التي ترجمت لتاج القراء والتي ذكر فيها هذا الكتاب في اسمه؛ فقد سماه المصنف في مقدمته: لباب التفسير، وكذلك سماه في مقدمة «غرائب التفسير وعجائب التأويل»، وفي مواضع منه^(١)، وهو كذلك في «هدية العارفين» للبغدادي، و«غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري^(٢).

وهذا الاسم هو المثبت على النسخ الخطية التي سيأتي الحديث عنها، إلا أنه جاء في (نسخة الفاتح): لباب تفسير القرآن.

وقد سماه ياقوت في «معجم الأدباء»: لباب التفسير^(٣)، وكذا فعل ابن الساعي في «الدر الثمين»^(٤)، وبهذا الاسم ذكره المصنف في «البرهان»^(٥).

(١) انظر: «غرائب التفسير وعجائب التأويل» للمصنف (١/ ٨٨ و ١٠٨ و ٢٤٢ و ٢٨٢ و ٣٠٠) و (٢/ ٧٥٤ و ٧٦٢).

(٢) انظر: «هدية العارفين» للبغدادي (٢/ ٤٠٢)، و«غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري (٢/ ٢٩١)، و«فهرس الخزانة التيمورية» (٣/ ١٦٠).

(٣) انظر: «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٦/ ٢٦٨٦).

(٤) انظر: «الدر الثمين في أسماء المصنفين» لابن الساعي (ص: ٣٥٧).

(٥) انظر: «البرهان» للمصنف (ص: ١١٧).

وقد تداول العلماء الاسمين، واختصروا أحياناً فقالوا: اللُّباب^(١).

وذكره المصنّف في «البرهان» أيضاً باسم: لباب التفسير وعجائب التأويل^(٢).

والذي يظهر لي أن المصنّف ألف «البرهان» و«غرائب التفسير» بعد «لباب التفسير»، وبدا له أن يعدّل اسم الكتاب؛ ليكون أكثر دلالة على ما يحتويه؛ لأن الكتاب الذي بين أيدينا يحتوي على أقوال منتقاة هي (لباب التفسير)، وعلى أقوال مرجوحة هي (عجائب التأويل)، والكرمانّي قصد الجمع بين الاثنين لغاية في نفسه قضاها، والله أعلم.

وقد وقع خلطٌ أحياناً بين كتابه «لباب التفسير» الذي جمع فيه أهم ما وقف عليه من آراء المفسرين في رحلاته بين كتبهم، وبين كتابه «غرائب التفسير وعجائب التأويل» الذي ألفه بعد ذلك، وخصّه بالغريب والعجيب من أقوال المفسرين، وقد وقع هذا الخلط في «كشف الظنون» حيث تحدّث حاجي خليفة عن كتاب «الغرائب والعجائب» ثم قال: سمّاه: «لباب التفسير»^(٣).

وظهر هذا الخلط في قول الزركلي مترجماً للكرمانّي: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم، برهان الدين الكرمانّي، ويُعرف بتاج القراء... نقل في التفسير آراءً مستنكرة في معرض التحذير منها، كان الأولى إهمالها، أثنى عليه الجزري وذكر بعض كتبه، ومنها: «لباب التفسير»... وهو المعروف بكتاب «العجائب والغرائب» في مجلدين، ضمّنه أقوالاً في معاني بعض الآيات، قال السيوطي

(١) انظر: «اللباب في علوم الكتاب» لابن عادل (٦/ ٧٠).

(٢) انظر: «البرهان» للمصنّف (ص: ٦٤)، وكذا في «طبقات المفسرين» للداودي (٢/ ٣١٢).

(٣) انظر: «كشف الظنون» لحاجي خليفة (٢/ ١١٢٦).

في «الإتقان»: لا يحلُّ الاعتمادُ عليها، ولا ذكرُها، إلاّ للتَّحذِيرِ منها^(١).

ومردُّ هذا الخلطِ في رأيي هو الكلامُ عن الكتّابينِ من غيرِ وقوفٍ عليهما، فالفرقُ بينهما ظاهرٌ لا يحتاجُ إلى إيضاح، ويكفي في الدّلالةِ عليه قولُ الكرمانيّ في مقدّمة «غرائبِ التّفسيرِ وعجائبِ التّأويلِ» بعدَ ذِكرِ غايتهِ في تأليفه ومنهجِه فيه: ولم أشتغلُ بذكرِ الآياتِ الظّاهرة، والوجوهِ المعروفةِ المتظاهرة، ولا بذكرِ الأسبابِ والنُّزول، والقصصِ والفصول؛ فإنّي قد أودعتُ جميعَ ذلك في كتابي الموسومِ بـ«لبابِ التّفاسيرِ»^(٢).

وعلى هذا فاسمُ كتابنا الذي ينبغي أن تُثبتَه له، ونعرّفَه به هو: «لبابُ التّفاسيرِ». وما سوى ذلك فقد أجمعتُ المصادرُ التي ذكّرتُ الكتابَ من مخطوطاتٍ وكتبٍ تراجمٍ وفهارسٍ على إثباتِ نسبةِ «لبابِ التّفاسيرِ» لمصنّفه تاجِ القُرّاءِ الكرمانيّ.

ثانياً - أهمّيّةُ «لبابِ التّفاسيرِ»:

تكمُنُ أهمّيّةُ هذا الكتابِ من نواحٍ عدّة:

أولّها: أن تاجَ القُرّاءِ الكرمانيّ جمعَ ما وردَ عمّن قبلَه من المفسّرينَ من نقلٍ واجتهاد، وجمعَ فيه أقاويلَ السّلفِ والخلف، ولم يُخلِ كتابَه من نقولٍ عن بعضِ أهلِ الاعتزالِ والتّشيعِ مع التّنبيهِ عليها، وقربَ كلّ ذلك من مُريده بعبارةٍ سهلةٍ غلبَ عليها الإيجاز، فكان كَمَن وضعَ قطافاً في طبقٍ وأدناه؛ ليتخيّرَ منه ما شاءَ من اشتهاه.

(١) انظر: «الأعلام» للزركلي (٦/ ١٦٨).

(٢) انظر: «غرائبِ التّفسيرِ وعجائبِ التّأويلِ» للمصنّف (١/ ٨٨).

وقد تجنَّبَ الكرمانِيُّ كثيراً ممَّا ظهرَ معناه اكتفاءً بفهمِ قارئه، وتصوُّرِ تاليه، ولعلَّه فعلَ ذلك ليكونَ أقربَ مأخذاً، وأسهلَ مطلباً.

وتذكَّرُ هذه الطَّريقةُ بأسلوبِ الماورديِّ في «النُّكتِ والعيونِ» وابنِ الجوزيِّ في «زاد المسير»، ولهذه الطَّريقةُ فائدةٌ كبيرةٌ في توفيرِ الجهدِ والوقتِ، ولكن يُؤخَذُ عليها أنَّ قصدَ الاختصارِ قد يؤدي إلى إخلالِ، وأنَّ كثرةَ النُّقولِ قد يرافقها سهوٌ أو دُحول.

ثانيها: أكثرَ الكرمانِيُّ النُّقلَ عن مصادرَ مفقودةٍ في عصرنا كتفسيرِ المفضَّلِ والرُّمانيِّ وابنِ بحرٍ وابنِ مهربد، ونقلَ عن المبرِّدِ وابنِ السَّراجِ والقفالِ وقطربِ وابنِ الأنباريِّ وابنِ كيسانِ وابنِ مهرانَ وغيرهم نقولاً كثيرةً لم نقف عليها في المعروفِ عند النَّاسِ اليومَ من كتبهم، ونقلَ عن ابنِ عباسٍ والحسنِ والضحاكِ أقوالاً لم نقف عليها في كتبِ التفسيرِ التي بين أيدينا ممَّن تقدَّمه، ويظهرُ هذا جلياً لمن يتتبعُ مثلَ هذه النُّقولِ في «لبابِ التَّفاسيرِ».

ففي قولِ الله تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ﴾ نقلَ عن الحسنِ قوله: الملائكةُ أيضاً منويُّون في الآية؛ لأنَّهم لا يقدرُون أيضاً على الإتيانِ بمثلِ القرآنِ.

وهذا القولُ ذكره تاجُ القراءِ في «غرائبِ التفسيرِ»^(١)، لكنِّي لم أجده عندَ غيره بعد طولِ بحثٍ.

ولا يقتصرُ هذا على أقوالِ المفسِّرين، بل نجد مثله في أسبابِ النُّزولِ، فقد ذكر: أن أحبارَ اليهودِ قالوا: إن كنتَ نبياً فائتنا بأيةٍ كآيةِ موسى، فإنَّ القرآنَ وإن عجزَ

(١) «انظر: «غرائبِ التفسيرِ» (١/ ٦٤١).

عن الإتيانِ بمثله حاضروك، فلعلَّ في الغائبين مَنْ لا يعجزُ عنه، فأنزل: ﴿ قُلْ لَّيْنِ
اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ﴾. وهذا ما لم أجده عند غيره.

والأمرُ ذاته نجدُه في أبياتِ الشعرِ، فقد ذكرَ قولَ الشاعرِ:

فما لله تابٌ أبو كبيرٍ ولكنْ تابٌ خوفٌ سعيدِ زيرِ

ولم أقف عليه.

وكذلك قالَ تاجُ القُرَّاءِ عن سورةِ (السَّجدة): ويُقالُ لها: سورةُ الجُرْزِ. ولم

أقف على تسميتها بسورةِ الجزز عند غيره.

وأمثلةُ ذلك أكثرُ من أن تُحصى في الكتابِ، فثمةُ أقوالٍ لم نجدُها إلا في «لبابِ
التَّفاسيرِ»، وثمةُ أقوالٍ وجدناها بلفظها ونسبتها في «غرائبِ التَّفاسيرِ» أيضاً، وأقوالٌ
لم نجدُها إلا عنده وعند مَنْ أخذَ عن «لبابِ التَّفاسيرِ» مثل أبي حيانَ في «البحرِ
المحيطِ»، ممَّا يؤكِّدُ أنَّ كتبَ تاجِ القُرَّاءِ هي مصدرُها الأساسي، وليس مرادُّ ذلك
في رأبي إلا اعتماداً الكرمانِيَّ على كتبٍ ومصادرٍ غيرِ موجودةٍ الآن، أو غيرِ معروفةٍ
ومتداولة.

وقد ذكرتُ سابقاً أنَّ الكرمانِيَّ ضمَّنَ كتابه أقوالاً وآراءً عن بعضِ العلماءِ الذين
عُرِفَ عنهم الاعتزالُ، وضاعت كثيرٌ من كتبهم بعد أفولِ نجمهم وانقراضِ زمانهم،
فكان لنقلِ الكرمانِيَّ عنهما فضلٌ في اطلاعنا على بُنيَّةِ من كتبهم، ومثلُ هذا يقالُ عن
الأقوالِ والآراءِ التي نقلها، ولم نجدُها عند غيره، أو وجدناها عند مَنْ نقلها عنه،
وأخذها منه.

ثالثها: أنَّ الكرمانِيَّ اهتمَّ بجانبِ أهمِّه أكثرُ المفسِّرينَ، وهو الغرائبُ والعجائبُ

التي نُقِلَتْ عن بعضِ المفسِّرين، وزخَرَتْ بها بعضُ كتبِ التَّفْسِيرِ، والظَّاهِرُ أَنَّ اهتمامَ الكرمانِيِّ بهذا الجانبِ كان استجابةً للذَّوقِ العامِّ في عصرِهِ وبلدِهِ؛ فَإِنَّهُ قال في مقدِّمةِ كتابِهِ «غرائبِ التَّفْسِيرِ وعجائبِ التَّأويلِ»: إِنَّ أَكْثَرَ العُلَماءِ والمتعلِّمينَ في زمانِنَا يرغبونَ في غرائبِ تفسِيرِ القرآنِ وعجائبِ تأويلِهِ، ويميلونَ إلى المشكلاتِ المعضلاتِ في أقاويلِهِ، فجمعتُ في كتابي هذا منها ما أقدَّرُ أَنَّ فيه مَقْنَعاً لرغبتِهِم ومُكْتَفَى لطلبتِهِم^(١).

وليس هذا الجانبُ من متينِ العلمِ، والكرمانِيُّ يعلمُ ذلك ويصرِّحُ به وينبئه عليه ويحذرُ منه، فقد نقلَ في تفسِيرِ ﴿حَمْرٌ ﴿١﴾ عَسَقٌ﴾ [الشورى: ١ - ٢] أَنَّها رموزٌ كان عليُّ بنُ أبي طالبٍ - رضيَ اللهُ عنه - يعرفُ بها الفتنَ، ثمَّ قال: الحاءُ حربٌ عليٌّ ومعاويةُ، والميمُ ولايَةُ المروانيَّةِ، والعينُ ولايَةُ العباسيَّةِ، والسَّينُ ولايَةُ السُّفْيانيَّةِ، والقافُ قدرةٌ مهديَّةٌ. ثمَّ قال: أردتُ بذكرِ ذلك أَن يُعلمَ أَنَّ في مَنْ يدَّعي العلمَ أيضاً حمقى، والسَّلام.

وقد صرَّحَ بذلك في «غرائبِ التَّفْسِيرِ وعجائبِ التَّأويلِ» فنقلَ أقوالاً في تفسِيرِ قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ عَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: ٣]، ثمَّ قال: وهذا تفسِيرٌ يَسْمُجُ ذكرُهُ، لكنِّي أوردتُهُ لكونِهِ في عدادِ العجيبِ من الأقوالِ، وكلُّ ما وصفتهُ بالعجيبِ ففيهِ أدنى خللٍ ونظرٍ^(٢).

ولكن مع أَنَّ الغرائبَ والعجائبَ ليست من متينِ العلمِ، لكنَّ الإمامَ السُّيوطيَّ (ت: ٩١١هـ) عدَّها نوعاً قائماً بذاته في «الإِتقانِ في علومِ القرآن»، ولم يجد كتاباً

(١) انظر: «غرائبِ التَّفْسِيرِ» للمصنَّف (١/٨٨).

(٢) المصدر السابق (٢/١٤١٣).

يمثّل به لهذا النوع إلا كتاب الكرمانيّ، وقد حاولتُ أن أبحثَ عمّن اشتغلَ بغرائبِ التّفسيرِ وعجائبِهِ، وعُني بجمعِها، فلم أجد إلا أبا المظفّرِ محمّدَ بنَ آدمَ بنِ كمالِ الهرويّ (ت: ١٤ هـ) ^(١)، ذُكرَ أنّ له اهتماماً بغرائبِ التّفسيرِ، وأنّه يُضربُ به المثلُ في ذلك، لكن لم يُذكرَ أنّه جمعَ ذلك وصنّفه.

وتكمنُ أهميّةُ هذا النوعِ في رأينا من ناحيةٍ أُخرى، وهي: أنّه يعكسُ توسّعاً في البحثِ، وسعةً في الاطّلاعِ، فهذا النوعُ لا يمكنُ جمعهُ إلا لمن كثرتِ مطالعتهُ، وتنوّعتِ مشاربُهُ، وكان ممّن لا يهابُ أن يُقحّمَ يدهُ في خليةِ النحلِ؛ رغبةً في اجتناءِ العسلِ، وهذا ما يظهرُ جلياً عند الكرمانيّ.

وقد تسبّبَ اهتمامُ الكرمانيّ بهذا النوعِ في وقوعِ ظلمٍ عليه وعلى كتابهِ «لبابِ التّفاسيرِ»؛ فقد ظنَّ الناسُ أنّ الكرمانيّ لا يعرفُ غيرَ هذه الغرائبِ والعجائبِ، وخلطوا بين كتابهِ «لبابِ التّفاسيرِ» الذي جمعَ فيه أهمّ ما وقفَ عليه من آراءِ المفسّرينِ في رحلاتِهِ بين كتبِهِم، وبين كتابهِ «غرائبِ التّفسيرِ وعجائبِ التّأويلِ» الذي ألّفه بعدَ ذلك، وخصّه بالغرِيبِ والعجِيبِ من أقوالِ المفسّرينِ، وقد تقدّمتِ الإشارةُ لهذا.

ونخلصُ بعدَ هذا كلّهُ إلى أنّ هذا الكتابَ كان خلاصةً جهودٍ عظيمةٍ أفادها الكرمانيّ ممّن سبقه وتقدّمه، وزادها فوائِدَ عظيمةً تدلُّ على سبّقه وتقدّمه، وهو دليلٌ مشاهدٌ على أنّ الرّحلاتِ بين السّطورِ والأسفارِ، قد تغني أُولي الألبابِ والأفكارِ، عن قطعِ المسافاتِ والتّقلُّلِ بين الأمصارِ.

(١) انظر: «إنباه الرواة على أنباه النحاة» للقفطي (٣/١٢٦).

رابعها: أظهر الإمام تاج القراء الكرماني اهتماماً بقضية الإعجاز القرآني، وحاوَل أن يتلمَّس شيئاً من مظاهرها.

ومن ذلك قوله في تفسير سورة (الكافرون): وقيل: في هذا التكرار اختصارٌ وإيجازٌ هو إعجازٌ؛ لأنه سبحانه نفى عن نبيه صلى الله عليه وسلم عبادة الأصنام في الحالِ والماضي والاستقبالِ، ونفى عن الكفار المذكورين عبادة الله في الأزمنة الثلاثة أيضاً، فكان القياس يقتضي تكرار هذه اللفظة ست مراتٍ، فذكر لفظي الحالِ، لأنَّ الحال هو الزمان الموجودُ، واقتصر من الماضي على المُسندِ إليهم فقال: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾: فكان اسمُ الفاعلِ بمعنى الماضي، واقتصر من المستقبلِ على المُسندِ إليه فقال: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ فكان اسمُ الفاعلِ بمعنى المستقبلِ، ولهذا نظائرٌ.

وقد يُظنُّ أن هذا من جملة الأقوال التي نقلها تاج القراء عن غيره، لا سيما أنه ذكر هذا القيل في «غرائب التفسير» واستغربه^(١)، لكن معرفتي بطريقة تاج القراء لا تترك لهذا الظن في نفسي مكاناً، وأظنُّ أن أيَّ قارئٍ سيكون في مكاني ويقف موقفي إذا وقف على كلام تاج القراء في «البرهان» فقد جاء فيه: قال الشيخ الإمام: وأقول: هذا التكرار اختصارٌ، وهو إعجازٌ، ثم ذكر نحو عبارته هنا.

والبلاغة عند الكرماني كما عند كثيرٍ غيره الإيجازُ، وهو يؤكِّد على قضية الإيجاز بقوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ جوابه مُضمَّرٌ؛ أي: لفصحكم، وقيل: لعاجلكم بالعقوبة، وهذا موضع أنطق ما يكون المتكلم إذا سكت.

(١) انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ١٤٠٠).

فعبارة (قَالَ الشَّيْخُ الإِمَامُ) ونحوها إِنَّمَا تُسْتَعْمَدُ عِنْدَ ذِكْرِ مَا يُضَيِّفُهُ تَأْجِ القَرَاءِ
أَوْ يُؤَكِّدُ عَلَيْهِ، والمقصودُ بها المصنّفُ نفسه على ما تَرَجَّحَ عِنْدِي، وسيأتي الكلامُ
على هذا في أسلوبه.

والإعجازُ القرآنيُّ عند الكرمانيِّ إعجازٌ نظمٌ وحسن بيان، وقد ظهرَ ذاك جليًّا
في مواضعٍ من كلامه، منها:

قوله في تفسير ﴿لَا رَبَّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: لا تهمةَ أَنَّهُ من عندِ الله؛ لأنَّه في
أعلى طبقاتِ البلاغةِ بحُسنِ النِّظامِ والجزالةِ.

ومن ذلك قوله في تفسير ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنْ لَكُمْ آيَاتٌ فَاعْلَمُوا﴾: (ما) صلةٌ مؤكِّدةٌ
للكلام، تحسُّنُ النِّظامِ. والمعنى: دمَّثتُ أخلاقَكَ ولأنتِ، وتلك مئةٌ من الله
عظيمةٌ، ونعمةٌ عليك جسيمةٌ، حتى استأنستَ بهم، ونعمةٌ عليهم حيث أهلتهم
بمجالستِكَ، وقربتَهُم من مجالسِكَ.

وهو يُطبِّقُ نظريَّةَ معنى المعنى بطريقتِهِ لم نقف على مَنْ سبقه فيها، فيقول في
تفسير ﴿خَلْدَيْتَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾: ويحتملُ أَنَّ المرادَ منه المعنى؛ لأنَّ
الكلامَ على ضربين؛ ضربٌ يصلُ إلى الغرضِ بدلالةِ اللَّفْظِ وحده، نحو: قامَ زيدٌ
وجلسَ عمرو، وضربٌ آخرٌ لا يصلُ إلى الغرضِ بدلالةِ اللَّفْظِ وحده، ولكن يدُلُّكَ
اللَّفْظُ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللُّغة، ثمَّ تجدُ لذلك المعنى معنًى
تصلُ به إلى الغرضِ؛ كقوله: ﴿سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ [الأعراف: ١٤٩]، و: ﴿ضربنا علىٰ
ءآذَانِهِمْ﴾ [الكهف: ١١]، و: فلانٌ طويلُ النَّجادِ كثيرُ الرَّمادِ، وكلُّ واحدٍ من هذه يدلُّ
لفظه على معنًى، والمعنى على معنًى آخرَ، وكذلك ﴿مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ دَلَّ
على الأبيدِ بواسطةِ ألفاظٍ هي غيرُ مُرادَةٍ لها، بل لمعنى المعنى.

فالكرمانيّ يعتمدُ ما يُعرف بنظريّة النّظم في إعجاز القرآن الكريم، وهذه النظريّة مرتبطة في ثقافتنا المعاصرة باسم الإمام عبد القاهر الجرجانيّ، وقد أُجريت مقارنة في مواضع متعدّدة بين «لباب التفاسير» و«درج الدرر» للجرجانيّ فوجدتُ تاج القراء أكثر اهتماماً بهذه النظريّة من الناحية التطبيقية، وقد أثبتتُ هذه المقارنة في حواشي متفرّقة في هذا الكتاب.

وقد أكثر الكرمانيّ من الكلام على تحقّق الأخبار كوجه من وجوه الإعجاز، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً﴾، فقد نقل قول الضّحّاك: هاتان الآيتان نزلتا في أبي جهل وخمسة من أهل بيته، ثم قال: أعلم الله أنّهم لا يؤمنون، وكان كما أعلم، فصار من أعظم المعجزات.

وقد سبق الكلام في أنّ الإمام السيوطيّ (ت: ٩١١ هـ) الذي تقدّم ذكر تحذيره من الاعتماد على ما في «العجائب والغرائب» وصف الكرمانيّ بأنّه من أهل التّدقيق في كتابه «الحاوي»، وأنّه ذكر في مقدّمة «مراصد المطالع» في تناسب المقاطع والمطالع: أنّ محمود بن حمزة الكرمانيّ شيخ الزّمخشريّ، ووصفهما بأنّهما من المحقّقين^(١).

وقد تميّز «الكشاف» باهتمامه ببلاغة القرآن وإعجازه، ووصف بأنّه صاحب السبق في هذا الميدان، وتوالى العلماء على وصفه بذلك على مرّ الأزمان، فقد قال العلامة ابن خلدون في معرض كلامه عن علم البيان: وأحوج ما يكون إلى هذا الفنّ المفسّرون، وأكثر تفاسير المتقدمين غُفل عنه، حتّى ظهر جاز الله الزّمخشريّ

(١) انظر: «مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع» للسيوطي (ص: ٤٥).

ووضع كتابه في التفسير، وتتبع آي القرآن بأحكام هذا الفن بما يُبدي البعض من إعجازه، فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير^(١).

وقال الدكتور محمّد الذهبي مبيّناً قيمة «الكشاف» العلميّة: وأمّا قيمة هذا التفسير فهو - بصرف النظر عمّا فيه من الاعتزال - تفسير لم يسبق مؤلّفه إليه؛ لما أبان فيه من وجوه الإعجاز في غير ما آية من القرآن، ولما ظهر فيه من جمال النظم القرآنيّ وبلاغته، وليس كالزّمخشريّ من يستطيع أن يكشف لنا عن جمال القرآن وسحر بلاغته؛ لما برع فيه من المعرفة بكثير من العلوم، لا سيّما ما برز فيه من الإلمام بلغة العرب، والمعرفة بأشعارهم، وما امتاز به من الإحاطة بعلوم البلاغة والبيان والإعراب والأدب، ولقد أضفى هذا النّبوغ العلميّ والأدبيّ على تفسير «الكشاف» ثوباً جميلاً، لفت إليه أنظار العلماء، وعلّق به قلوب المفسّرين^(٢).

ولست أقلل من قيمة «الكشاف» وما فعله الزّمخشريّ فيه، ولكنني أجد في كلام السيوطي إشارة إلى أن ما تميّز به الزّمخشريّ في «كشافه» من اهتمام بقضية الإعجاز، والذي وُصف بأنه كان فيه إماماً، كان فيه مؤتمماً بالكرمانيّ، فبعض محاولات الكرمانيّ في توضيح مفهوم الإعجاز من خلال تحليل النّص القرآنيّ وفّق ما تقتضيه أساليب العربيّة، ونظرته إلى الأسلوب القرآنيّ كمظهر من مظاهر الإعجاز، هو ما نجدّه عند الزّمخشريّ، لكن بعمق أكثر، وذوق أعلى، وعبارة أبلغ، ويبقى مع ذلك للكرمانيّ سبق التوجّه وفضل الرّيادة.

(١) انظر: «تاريخ ابن خلدون» (١ / ٧٦٢).

(٢) انظر: «التفسير والمفسرون» للدكتور محمّد الذهبي (١ / ٣٠٦). وانظر أيضاً: «البرهان في علوم

القرآن» للزرّكشي (١ / ٣١١)، و«نواهد الأبرار» للسيوطي (١ / ٣).

والذي أراه أن الزمخشريّ تتلمذ للكرمانيّ؛ إن لم يكن عليه، فعلى كتبه، فقد سارَ على خطاه، وتابع كلامه، فأخذ عنه كثيراً من الأقوال التي لم أقف عليها عند من تقدّمه، ويغلبُ على ظنيّ أنّها من بنات أفكاره، واعتمدها، وبنى عليها دون إشارة أو نسبة، كما أنّه خالفه في بعض أقواله، وناقضه من غير تصريح أو تجريح.

ومرّدُ هذا في نظري إلى الحالة الخاصّة التي بين الرجلين؛ فالزمخشريّ معجبٌ به إعجاب التلميذ بأستاذه، ناقدٌ نقمة من قتل أهله، وسلب كثره، وذلك أن الكرمانيّ عاد إلى كتب المعتزلة الآباء الرّوحانيين للزمخشريّ، فأخذ ما استحسّنه من أقوالهم، ولم يدخر جهداً في ردّ مذهبهم، ولكلّ منّا أن يتخيّل ما يشعر به الزمخشريّ بعد هذا تجاه الكرمانيّ.

ويمكنُ أن نقفَ على شيءٍ من هذا عند المقارنة بين مقدّمة «لباب التّفاسير» التي افتتحها الكرمانيّ بقوله: (الحمدُ لله مُنزل القرآن غيرَ مُحدّثٍ ولا مخلوق) وبين مقدّمة «الكشاف» التي افتتحها الزمخشريّ (الحمدُ لله الذي أنزل القرآن كلاماً مؤلفاً منظّماً، ونزله بحسب المصالح منجّماً، وجعله بالتحميد مُفتتحاً، وبالاستعاذة مختتماً)^(١)؛ فالزمخشريّ يريدُ من المقدّمة أن يؤكّد موقفه من قضية خلق القرآن، وهي القضية نفسها التي أكّد الكرمانيّ موقفه منها في مقدّمته، فقد قال الإمامُ الذهبيّ: كان - أي: الزمخشري - متظاهراً بالاعتزال، وقد استفتح «الكشاف» ب: الحمدُ لله الذي خلق القرآن، فقالوا له: متى تركته هكذا هجره الناس، فغيّرها ب: جعل القرآن، وهي عندهم - أي: المعتزلة - بمعنى: خلق^(٢).

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (المقدمة/ ١).

(٢) انظر: «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» للذهبي (١١/ ٦٩٧).

ومن المواضع التي تظهرُ فيها متابعةُ الزّمخشريِّ للكرمانيِّ:

في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ قال الكرمانيُّ: في الآية مضمّرٌ تقديره: أيتبعونهم... وهذا حثٌّ على النّظرِ ونهيٌّ عن التّقليد.

وهذا التّقديرُ نفسه الذي ذكره الزّمخشريُّ فقال: والهمزةُ بمعنى الرّدِّ والتّعجيب، معناه: أيتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً من الدّين ولا يهتدون للصّواب؟^(١).

فهذا التّقديرُ ممّا لم نجده عند أحدٍ قبل تاجِ القراء، فالزّمخشريُّ أخذَ كلامَ الكرمانيِّ وزادَه إيضاحاً، وجوّدَ عبارته.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا﴾ ذكرَ الكرمانيُّ الأقوالَ الواردةَ في تعلقِ ﴿أَنْ تَبَرُّوا﴾ وإعرابها، ثم قال: ويجوز أن يتعلّق بـ(عرضة)؛ أي: مانعاً من أن تبرُّوا، فلا يحتاجُ إلى إضمار (لا).

وهذه الصّيغةُ يستخدمها تاجُ القراء غالباً لذكرِ ما يخطرُ له ممّا لم يقف عليه، وهو وجهٌ لم نجده عند مَنْ تقدّمه، ولكننا وجدنا الزّمخشريِّ يجيزه، وأبو حيّان يرده^(٢)، وأبو حيّان يصرّحُ بأخذه عن الكرمانيِّ بخلافِ الزّمخشريِّ.

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ نقلَ الكرمانيُّ عن الزّجاجِ أنّه قال: ألم يتّبه علمك إليهم؟ قال: ولهذا عدّي بـ(إلى).

ولكنّ الكرمانيِّ تصرّفَ بالعبارَةِ، ونقلَ معنى عبارةِ الزّجاجِ، وصاغها بنفسه،

(١) انظر: «الكشاف» للزّمخشري (١/٢١٣).

(٢) انظر: «الكشاف» للزّمخشري (١/٢٦٧)، و«البحر المحيط» لأبي حيّان (٢/٤٤٢).

ولم نقف على التَّقدير الذي ذكره الكرمانِي عند غيره، ولكنَّ الزَّمخشريَّ أخذه، وهذَّب العبارة، وزادها بياناً، فقال: (أَلَمْ تَرَ) من رؤية القلب، وعُدِّي بـ(إلى)، على معنى: ألم ينته علمك إليهم؟ أو بمعنى: ألم تنظر إليهم؟^(١).

وقال تاج القراء الكرمانِي في سورة (المؤمنون): بدأ بالسُّورة بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وختم بقوله: ﴿لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.

وقد أفاد ذلك الزَّمخشريُّ، فنقله الشُّيوطيُّ عنه، وكأنَّه صاحب السبق فيه^(٢).

وأمثلة هذا أكثر من أن تُحصى، وقد أشرتُ في مواضع كثيرة من «لباب التَّفاسير» إلى متابعة الزَّمخشريِّ لتاج القراء.

خامسها: إن كان في المتقدمين من المفسِّرين مَنْ يعتمدُ في إيضاح المعنى على أقوال السلف كالإمام عبد الرزاق الصنعانيِّ، وإن كان فيمن جاء بعدهم من حاول أن يستخرج المعنى بالاعتماد على فهمه وتحليله اللغويِّ؛ كالقراء والزجاج وأبي عليِّ الفارسيِّ، وإن كان في العلماء من ذكر أقوال السلف ومعاني اللُّغة كالطبريِّ والثعلبيِّ والواحديِّ، فللكرمانِي أسلوبٌ خاصٌّ يؤصِّل فيه للأقوال معتمداً على الاشتقاق اللُّغويِّ، وهو لا يؤصِّل للفظ القرآنيِّ فقط، بل يؤصِّل للأقوال المأثورة في تفسير الآية، وقد ظهر ذلك جلياً في تعريفاته وتعليقاته وتعليقاته، ومن أمثلة ذلك:

١ - قال تاج القراء: الاعتمارُ: زيارة المكان العامر.

وقال كُرَاع النمل (ت: ٣٠٩ هـ) في «المنتخب»: الاعتمارُ: الزيارة ما كان^(٣)،

(١) انظر: «الكشاف» للزَّمخشري (١/٥١٥).

(٢) انظر: «مراصد الاطلاع» للشُّيوطي (ص: ٥٦).

(٣) انظر: «المنتخب» لكُرَاع النمل (ص: ٤٠٠).

وقال في «المنجد»: والاعتمادُ: مِنْ عُمْرَةِ الْحَجِّ. والاعتمادُ: الزَّيَارَةُ. والاعتمادُ: الاعتمادُ بالعمامة^(١).

وقال أبو بكر الأنباريُّ (ت ٣٢٨هـ) في «الزَّاهِرِ»: والاعتمادُ معناه في كلامهم: الزَّيَارَةُ. هذا قولُ جماعةٍ من أهل اللُّغَةِ... وقال آخرون: معنى الاعتمادِ والعمرة في كلامهم: القصدُ^(٢).

وقال الأزهرِيُّ (ت ٣٧٠هـ) في «تهذيب اللُّغَةِ»: الاعتمادُ وهو الزَّيَارَةُ... ويُقال: الاعتمادُ: القصدُ^(٣).

وقال ابنُ فارسٍ (ت ٣٩٥هـ) في «مجمل اللُّغَةِ»: والاعتمادُ في الحجِّ: أصله الزَّيَارَةُ^(٤).

فإذا قارنا قولَ الكرمانِيِّ بكلامِ أئمةِ اللُّغَةِ ومصنِّفي المعاجمِ انكشفَ لنا حرصُ الكرمانِيِّ على كشفِ الصُّلَةِ بينَ الأصلِ الاشتقائيِّ ومعاني المفرداتِ اللُّغويَّةِ، لا سيَّما أنَّه لم يجد من شرحِ الاعتمادِ بهذا اللَّفْظِ وبهذه الطَّرِيقَةِ قبله.

٢ - قال تاجُ القُرَّاءِ في معنى ﴿تَتَلَوْا﴾: قال ابنُ عَبَّاسٍ: تتبَّعُ، من (التَّلَوِّ).

قتادة: تقصُّ وتقرأ، من (التَّلَاوَةِ).

فقد نقلَ تاجُ القُرَّاءِ قولِي ابنِ عَبَّاسٍ وقاتادة، وبينَ وجهِ كلِّ قولٍ من ناحية

الاشتقاق.

(١) انظر: «المنجد» لكراع النمل (ص: ١٢٧).

(٢) انظر: «الزاهر» للأنباري (١/ ٩٩).

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٢/ ٢٣٣).

(٤) انظر: «مجمل اللغة» لابن فارس (ص: ٦٢٩).

٣- قال تاجُ القراء: والملة: الدين، مشتق من (أملت)؛ لأنها تُبتنى على مسموعٍ ومُنلو.

فقد ظهرَ في تعليقه مجيء (الملة) بمعنى الدين اهتمامه بالتأصيل الاشتقائي لمعاني المفردات.

وهذا الجانب الذي تجلّى لنا في طريقة الكرماني لا تفتقر إليه كثير من كتب التفسير فقط، بل تفتقر إليه كثير من كتب اللغة والمعجم العربية.

وقد تميّز تاجُ القراء في «لباب التفسير» باهتمامه بصياغة تعاريف دقيقة، كما في قوله: ﴿وَالْيَتَمَى﴾: جمع يتيم، وهو الذي فقد أباه قبل الحلم إلى الحلم.

وقوله: الاعتكاف: لزوم عبادة الله في مسجد تُقام فيه الجماعة مع الصوم.

وقوله: الغفلة: ذهابُ المعنى عن القلب بحضور ما يضاؤه.

كما تميّز باهتمامه بالفروق اللغوية، وذلك كثير جداً في «اللباب»، ومن ذلك:

تفريقه بين المسّ واللّمس بقوله: المسّ: الجمع بين الشّيين على نهاية القرب، واللّمس مثله، لكنّه مع الإحساس.

وتفريقه بين السرعة والعجلة بقوله: العجلة: طلبُ الشيء قبل وقته، والسرعة: عملُ الشيء في أول وقته.

وتفريقه بين الطاعة والإسعاف بقوله: إنّ الطاعة جوابُ الأمر، والإسعاف جوابُ المسألة.

وتفريقه بين المجادلة والمناظرة بقوله: المُجادلة تُستعمل بين مُبطلين، أو مُبطلٍ ومُحقٍّ، والمُنَاظرة تُستعمل بين مُحقّقين، أو مُحقٍّ ومُبطلٍ.

وتفريقه بين الغفلة والنسيان بقوله: الغفلةُ: ذهابُ المعنى عن النفسِ، والنسيانُ: ذهابُ المعنى عن النفسِ بعد حضوره.

وبين الغمرة والغفلة والسّهو بقوله: ﴿فِي غَمْرَةٍ﴾: غفلةٌ مُتناهيةٌ، والغمرةُ فوق الغفلة، والسّهوُ دون الغفلة.

وغير ذلك كثيرٌ، وهذا جانبٌ طريفٌ وممتعٌ مما تميّز به «لباب التّفاسير»، وقد حاولنا أن نقارن بين ما جاء به تاج القراء الكرمانى، وما ذكره أئمة هذا الشأن، ولا سيّما العسكري في «الفروق اللّغويّة»، فوجدنا الكرمانى ينفردُ بأشياء كثيرة لم ننف علىها عند غيره.

ثالثاً - اهتمام العلماء بـ «لباب التّفاسير»:

هذا الكتابُ سفرٌ جليلٌ، خيرُه كثيرٌ، يعكسُ ثقافة رجلٍ واسعِ الاطلاع، وعالمٍ طويلِ الباع، خبيرٍ باللّغة والنحو وفنون العربية، متحرّرٍ من قيود التّقليد ونير العصبية^(١)، وقد نال هذا السّفْرُ ما يستحقّه من اهتمام العلماء؛ فأكثرُوا عنه النُقول، واستودعوه القلوب والعقول، فقد ذكّر في ترجمة الحسن بن الخطير؛ أبي عليّ الفارسيّ، المعروف بالظهير (ت: ٥٩٨هـ): أنّه كان يحفظُ في كلّ فنّ كتاباً، وأنّه اختارَ من التّفاسير «لباب التّفسير» لتاج القراء الكرمانى، فكان يحفظه عن ظهر قلب^(٢).

وقد نقل أبو حيّان الأندلسيّ (ت: ٧٤٥هـ) في «البحر المحيط» عن الكرمانى

(١) وهو داعية إلى نبذ التقليد، فقد علّق على الآية الكريمة ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ فقال: وهذا حثٌّ على النّظر ونهيٌّ عن التّقليد.

(٢) انظر: «الدر الثمين في أسماء المصنفين» لابن الساعي (ص: ٣٥٧).

في قرابة مائة موضع، وقد ظهر بتتبع كثير من هذه المواضع أنّها من «لباب التّفاسير»، وقد لاحظتُ أنّ أبا حيّان الأندلسيّ (ت: ٧٤٥هـ) ينقلُ كلامَ الكرمانيّ في «اللّباب» في مواضع، وينسبُه إلى العلماءِ أو المحقّقين، وفي هذا إعلاءٌ لشأنِ كلامِ الكرمانيّ، وإن كان في تركِ نسبته هضمٌ لحقه.

وأكثرُ المواضع التي نقلها أبو حيّان من المسائل اللغويّة التي تميّز بها الكرمانيّ، ومنها:

١- قال تاجُ القُرّاءِ الكرمانيّ: إن كان المرادُ أعمالَ الحجِّ وما يُفعلُ في المواقف؛ كالطّوافِ والسّعيِّ والوقوفِ والصّلاة، فتكونُ المناسكُ جمعَ مَنْسِكٍ المصدرِ، جُمعَ لاختلافها. وإن كان أرادَ المواقفَ التي يُقامُ فيها شرائعُ الحجِّ؛ كمنى وعرفة والمزدلفة، فيكونُ جمعَ مَنْسِكٍ، وهو موضعُ العبادة^(١).

٢- قال الكرمانيّ: (أرأيتكم) كلمةٌ استفهامٌ وتعجّبٌ، وليس لها نظيرٌ^(٢).

٣- الحَكَمُ أبلغُ من الحاكم؛ لأنّه من عُرِفَ منه الحُكْمُ مرّةً بعدَ أخرى، والحاكِمُ اسمُ فاعلٍ يصدُقُ على المرّةِ الواحدة^(٣).

وقد نقلَ عنه بعضُ اللّطائفِ غيرِ اللغويّةِ التي ضمّنها تاجُ القُرّاءِ كتابه، ومنها قوله: خصّ الأنبياءَ بذكرِ الصّلاحِ لأنّه لا يتخلّلُ صلاحهم خلافٌ ذلك^(٤).

وقد نقلَ أبو حيّان عن تاجِ القُرّاءِ الكرمانيّ أقوالاً نقلها الكرمانيّ بدوره عن مفسّرين قبله، فقد جاء في «البحرِ المحييط»:

(١) انظر: «البحر المحييط» لأبي حيّان (١/٦٢٢).

(٢) المصدر السابق (٤/٥٠٧).

(٣) المصدر السابق (٤/٦٢٧).

(٤) المصدر السابق (٣/١٣٤).

وقال الكرماني: هذا شرطٌ في الظاهرِ وليس بشرطٍ كقوله: ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾، ومع أنه وإن كان لم يعلم خيراً صحّت الكتابة.

وقال ابن عيسى: جاء بصيغة الشرط لتفحيش الإكراه على ذلك، وقال: لأنها نزلت على سببٍ فوق النهي على تلك الصفة. انتهى^(١).

وهذا يدلُّ في الظاهرِ على أن أبا حيان نقل عن الكرماني، ثم نقل عن ابن عيسى، ولكن الحقيقة أن النقل كله عن الكرماني، فالعبارة في «لباب التفسير»: هذا شرطٌ في الظاهرِ وليس بمشترطٍ، وكذلك ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾؛ لأنه إن لم يعلم خيراً صحّت الكتابة.

وقال ابن عيسى: جاءت بصيغة الشرط لتفحيش الإكراه على ذلك.

وقيل: لأنها نزلت على سببٍ، فوق النهي على تلك الصفة.

وعندما نقارن ما نقله أبو حيان مع عبارة الكرماني نجد أنه تصرف في اللفظ قليلاً، لكنّه أخذ عن الكرماني كلامه وكلام غيره، وقد وجدت في مواضع كثيرة في «لباب التفسير» أقوالاً لم أجدّها عند أحدٍ إلا الكرماني وأبا حيان، والذي يغلب على ظني أن أبا حيان أخذها عن الكرماني؛ لأنها جاءت بلفظه، ومن عادته أن يتصرف بالألفاظ، كما سيأتي الكلام عليه في منهجه.

وقد نقل أبو حيان عن الكرماني في مواضع، وردّ عليه، ومن ذلك:

١- ذكر في قوله تعالى: ﴿إِنْ رَحِمْتَ اللَّهُ قَرِيبٌ﴾ أقوالاً ثم قال:

وقيل: (فعل) هنا بمعنى: المفعول؛ أي: مقربة، فيصير من باب كف

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٨ / ٤١).

خضيبٍ وعينٍ كحيلٍ. قاله الكرمانيّ، وليس بجيدٍ؛ لأنَّ ما وردَ من ذلك إنّما هو من الثلاثيّ غيرِ المزيد، وهذا بمعنى: مقربّة، فهو من الثلاثيّ المزيد، ومع ذلك فهو لا ينقاسُ^(١)...

وعندما نعودُ نجدُ أنّ عبارةَ الكرمانيّ لم تكن جازمةً، فقد قال: ويحتملُ أنّ المرادَ به المفعولُ؛ أي: مُقربّةٌ...

لكننا نجدُ أنّ أبا حيّانَ كانَ دقيقاً في نسبةِ هذا القولِ للكرمانيّ؛ فأغلبُ ما يذكره الكرمانيّ بهذه الصّيغةِ أقوالَ يراها هو، ولا ينقلها عن غيره.

٢ - وقد نقلَ أبو حيّانَ عن أبي البقاءِ العكبريّ وابن عطيةَ وجهين في إعرابِ كلمةٍ (مجرميها) في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْثَرَ مُجْرِمِيهَا﴾ ثم قال: وما أجازاه خطأً وذهوئاً عن قاعدةٍ نحويةٍ... وقد تنبّه الكرمانيّ لهذه القاعدةِ فقال: أضافَ الأكابرَ إلى مجرميها؛ لأنَّ أفعالَ لا يُجمعُ إلا مع الألفِ واللامِ أو مع الإضافةِ. انتهى. لكنَّ أبا حيّانَ استدركَ على تاجِ القراءِ بعد ثنائِهِ عليه، فقال: وكان ينبغي أن يُقيدَ فيقولَ: أو مع الإضافةِ إلى معرفةٍ^(٢)...

ولم يكن أبو حيّانَ هو الوحيدَ الذي أفادَ من «لبَابِ التَّفَاسِيرِ»، فقد نقلَ السَّمِينُ الحلبيّ (ت: ٧٥٦هـ) عن تاجِ القراءِ الكرمانيّ في «الدَّرِّ المصون»^(٣)، وابنُ عادلٍ الحنبليّ (ت: ٧٧٥هـ) في تفسيره المسمّى بـ«اللُّبَابِ في علومِ الكتاب»^(٤)،

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيّان (٥ / ٧١).

(٢) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيّان (٤ / ٦٣٦).

(٣) انظر: «الدَّرِّ المصون» للسَّمِينِ الحلبيّ (٣ / ٤٩٨).

(٤) انظر: «اللُّبَابِ في علومِ الكتاب» لابن عادل (٦ / ٧٠).

ولاحظتُ أيضاً أنّ مجدّ الدّين الفيروزآباديَّ (ت: ٨١٧) ينقلُ عن الكرمانيّ في كتابه الجليل «بصائرِ ذوي التّمييزِ في لطائفِ الكتابِ العزيزِ»^(١)، ويسمّيه مرّةً بتاجِ القراء ومرّةً بأبي القاسمِ الكرمانيّ.

وقد وقفتُ على نقلٍ للعلامةِ ابنِ مالكٍ (ت: ٦٧٢) عن «غرائبِ التّفسيرِ» لتاجِ القراء^(٢)، وكذلك أكثرَ الإمامِ الشّيوطيَّ (ت: ٩١١) من النّقلِ عن تاجِ القراء في كتبه؛ فنقلَ عنه في «الحاوي للفتاوي» في خمسةِ مواضعٍ، ونقلَ عنه في «الإتقان» في مواضعٍ كثيرةٍ، ونقلَ عنه في كثيرٍ من رسائله، لكن يغلبُ على ظنّي أنّه كان إنّما كان ينقلُ عن «غرائبِ التّفسيرِ» و«البرهان».

كما نقلَ إبراهيمُ بنُ عمرَ البقاعيَّ (ت: ٨٨٥هـ) عن الكرمانيّ في «نظم الدررِ في تناسُبِ الآياتِ والسُّور»، لكنّه صرّحَ في مواضعٍ أنّه من «جوامعِ التّفسيرِ» لحمزةَ بنِ نصرٍ والدِ تاجِ القراء، فلعلَّ بقيّةَ المواضعِ منه أيضاً^(٣). ومع ذلك فقد وقفتُ في الكتبِ التي ذكرتها على عشراتِ النُّقولِ عن «اللُّباب»، وما كثرةُ النُّقلِ عن هذا الكتابِ إلا دليلٌ على أهمّيّته.

لكنّ الاهتمامَ بالكرمانيّ وكتابه «اللُّباب» تبدّد وتلاشى، وأصبح الذين يعرفون الكرمانيّ يعرفون أنّه صاحبُ «الغرائبِ والعجائب»، أمّا «لُّبابُ التّفاسيرِ» فقد طواه النّسيان، ولم يعد صاحبه الكرمانيّ يُذكرُ إلّا في القليلِ من الأحيان.

(١) انظر: «بصائرِ ذوي التّمييزِ في لطائفِ الكتابِ العزيزِ» للفيروزآبادي (١/ ١٦٣ و ٢٠٦ و ٢٢٥ و ٥٤٨).

(٢) انظر: «شرح التسهيل» لابن مالك (٢/ ٣٨٧).

(٣) انظر: «نظم الدرر في تناسُبِ الآياتِ والسُّور» للبقاعي (١٥/ ٣٩٢) و (١٩/ ٥٧ و ١٦٢) و (٢٠/ ٣٨).

ولكنَّ الحالَ تغيَّرتَ عندما طُبِعَ «البرهانُ في متشابهِ القرآن»، فراحَ طلبَةُ العلمِ يبحثونَ عن صاحبِ «البرهان»، فلمَّا طُبِعَ «غرائبُ التَّفْسِيرِ وعجائبُ التَّأويلِ» توجَّهتْ له الأنظارُ من جديد، وأجريتْ دراساتٌ حولَه منها:

- «الآراءُ الغريبةُ في تخريجِ بعضِ الألفاظِ والتراكيبِ في القرآنِ الكريمِ في كتابِ غرائبِ التَّفْسِيرِ وعجائبِ التَّأويلِ للشيخِ تاجِ القراءِ الكرمانِي» لعبدِ الرشيدِ هأمَني، ماجستير، كليةُ اللغةِ العربيَّة، القاهرة، ١٩٩٨م.

- «المسائلُ النَّحويَّةُ والصرفيَّةُ في غرائبِ التَّفْسِيرِ وعجائبِ التَّأويلِ لمحمودِ بنِ حمزةِ بنِ نصرِ الكرمانِي» للدكتورِ عبدِ الحميدِ السيدِ خضرِ دومة، دكتوراه، جامعةِ الأزهر، كليةُ اللغةِ العربيَّة، ٢٠٠٠م.

- «الظواهرُ اللغويَّةُ في كتابِ غرائبِ التَّفْسِيرِ وعجائبِ التَّأويلِ» لأحمدِ عبدِ الرحيمِ عبدِ العالِ حميدة، ماجستير، جامعةِ الأزهر، كليةُ اللغةِ العربيَّة، ٢٠٠٤م.

- «موافقاتُ الكرمانِي للبصريينِ في كتابه غرائبِ التَّفْسِيرِ وعجائبِ التَّأويلِ» للدكتورِ عاطفِ محمدِ عبدِ الحميد، جامعةُ المجمعَّة.

- «المسائلُ النَّحويَّةُ في كتابِ غرائبِ التَّفْسِيرِ وعجائبِ التَّأويلِ» للدكتورِ حسنِ إبراهيمِ قابور، جامعةُ أمِ القرى، كليةُ اللغةِ العربيَّة.

- ورسالةُ «ردودِ الكرمانِي على النُّحاةِ في كتابه غرائبِ التَّفْسِيرِ وعجائبِ التَّأويلِ» لعليِ عبدِ اللهِ محيسن، جامعةِ ديالى، كليةُ التربيَّة، قسمُ اللغةِ العربيَّة، ماجستير، ٢٠١٢م.

ولعلَّ طُبِعَ «لبابُ التَّفاسيرِ» سيزيدُ جدوةَ الاهتمامِ بتاجِ القراءِ الكرمانِي اتِّقاداً، وسيزيدُ همَّةَ طلبَةِ العلمِ لاكتشافِ كنوزهِ ازدياداً.

رابعاً - منهجُ الكرمانيّ في «لبابِ التّفسير»:

أرادَ الكرمانيّ أن يكونَ «لبابُ التّفسير» مرجعاً قريباً يُغني طلابَ العلمِ عن حملِ الكُتبِ والأسفارِ، ويطوفُ بهم في جولةٍ تغنيهم عن مشقّاتِ الرّحلِ والأسفارِ، فجمعَ بين مُعتمِدِ الأقوالِ وغريبها، ومُحتملِها وعجيبها؛ لينتفعَ قارئه بما طاب وراق، وتتوسّعُ أمامَ ناظريه الآفاق.

وقد بيّنَ الكرمانيّ جانباً هامّاً من منهجِه في مقدّمة «لبابِ التّفسير» فقال: جمعتُ في هذا الكتابِ من أقاويلِ الأئمةِ، ونحاريرِ الأئمةِ، الذينَ عُنُوا بعلمِ القرآنِ ومعانيه، وتفسيره وتأويله ومبانيه؛ ما يجري مجرى فُصوصِ النُّصوصِ، بعدَ الخِلاصِ والخُلوصِ، وسمّيتُ الكتابَ: «لبابِ التّفسير».

والملاحظُ من هذا الكلامِ أنّ الكرمانيّ لا يدّعي فضلاً أكثرَ من الجمعِ والاختيارِ، كما أنّه بيّنَ أنّ غايته جمعُ أكبرِ قدرٍ من الأقوالِ بغضِّ النّظرِ عن قيمتها في رأيِ المصنّفِ نفسه، فقد ذكرَ في سورة (الكهف) أقوالاً كثيرةً في اسمِ كلبِ أصحابِ الكهفِ ولونه ثم قال: ولولا أنّ المفسّرينَ ذكروا ذلك لكانَ الإضرابُ عنه أولى.

كما أنّه نقلَ قولاً عن قتادةٍ ثم قال: هذا تفسيرٌ لا يخفى على أحد.

فهو يلزم نفسه بتعدادِ أقوالِ المفسّرينَ وجمعها، لكنّ المطالعَ للكتابِ يجدُ أنّ له جهداً أكبرَ من ذلك بكثيرٍ؛ فأوّلُ ما يلاحظُ أنّ الكرمانيّ الذي كان مُشتهراً بالقراءةِ معروفاً بتاجِ القُرّاءِ يحرّصُ على ذكرِ القراءاتِ وتوجيهها، وربّما ذكرَ شيئاً من الشّواذِّ.

وهو يذكرُ عندما يفسّرُ الآيةَ اللَّفظَ القرآنيَّ، ويبينُ اشتقاقه اللّغويَّ، وقد تميّزَ

باهتمامِ هذا الجانبِ كما سبقت الإشارة.

ثم يذكر بعد ذلك أقوال المفسرين، وينسب كثيراً منها إلى أصحابها، وهو يقدم على الغالب من الأقوال ما يراه أولى بالتقديم، وأبعد عن النقد.

ثم يذكر الأقوال التي يراها دون ذلك مقدماً لها بكلمة (قيل)، وهو يشعرنا بهذه اللفظة أنه لا يعتمد هذا القول، أو هو غير مسلم به.

وقد يذكر مستند القول الذي يحكيه من آية أو حديث.

وقد يذكر عبارة يوضح بها المعنى، ويُقرِّبه من قارئه، إن شعر أن كثرة الأقوال قد تشتتته وتبعده عن المراد.

وإن كانت في التركيب القرآني ناحية إعجازية أو لفظة بلاغية أو فائدة إعرابية أشار إليها، ووقف عليها.

كما أنه حين ينقل من أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين ما فيه تخصيص لعموم اللفظ القرآني يحدد عن هذه الأقوال، ويعود بالنص إلى عمومها، كما في قوله:

قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ الضحاك: المؤمنون، الكلبي: اليهود، مجاهد والحسن: الصحابة، والأحسن أن يجعل عاماً.

ويغلب على الظن أن للكرماني جهداً غير قليل في إعادة ترتيب النقول والأقوال، وصياغة بعض التعاريف، وتحرير بعض الجوانب اللغوية والنحوية.

وكل هذا يمكن أن يندرج تحت مسمى (لباب التفسير)، ولكن الكرماني لم يقف عند ذلك، بل ذكر أقوالاً يرى فسادها، وانتقدتها وبين بطلانها، وذكر أقوالاً يعدها ضعيفة مقدماً لها بكلمة (قيل)، كما تقدم، وهذا يصعب أن يندرج

تحت مُسمّى (لبابِ التّفاسير)، إلا أن يريد أنّه ضمّن كتابه زُبدَةً وُخلاصةً ما جاء في التّفاسيرِ قبله.

وقد تميّز الكرمانيّ بنظرةٍ شموليّةٍ للأسلوبِ القرآنيّ؛ فهو عندما يتكلّم عن التّفوّى في قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلَّذِينَ﴾ يعقّبُ بالقول: وجاء ذلك في القرآنِ في مئتين وستّةٍ وثلاثينَ موضعاً.

والكرمانيّ يصرّحُ في أكثرِ من موضعٍ أنّ القرآنَ كلّهُ كأنه سورةٌ واحدة، وهو يتعاملُ مع القرآنِ على هذا الأساسِ، فهو يقارنُ بين كثيرٍ من الآياتِ وما يُشبهُها في مواضعٍ أخرى من القرآنِ الكريمِ مبيّناً في ذلك خفايا من أسرارِ التّكرارِ، ولمحاتٍ من لطائفِ الإعجازِ.

وهو يقولُ في سورة (المؤمنون): بدأ بالسّورة بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وختمَ بقوله: ﴿لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.

وقد لاحظنا أنّه يستحضرُ الآياتِ المتشابهةً بطريقةً تلفتُ الانتباه، وليس هذا بغريبٍ فهو مؤلّف «البرهان في توجيه متشابه القرآن»، وهو العليم بأسرار التّكرار في القرآن الكريم.

ولمّا كان غرضُ الكرمانيّ في «لبابِ التّفاسير» جمعَ أقاويلِ الأئمّة، ونحاريرِ الأئمّة، الذين عُنوا بعلمِ القرآنِ ومعانيه، وتفسيره وتأويله ومبانيه؛ كان لا بدّ من التّنبية على طريقتِهِ في جمعِ الأقوالِ ونقلِها:

١ - نقلٌ من بعضِ المصادرِ مصرّحاً بالنّقل، ذاكرةً اسمَ الكتاب، كما في قوله: واعتمدتُ في إعرابِ الآيةِ على ما ذكره أبو عليّ في «الحجّة» والزّجاجُ في «المعاني». وهذا قليلٌ.

وربما يفعل ذلك أحياناً تبرؤاً من عهدة النّقل، كما في قوله: ورؤي عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم: أن موسى وهارون صعدا الجبل فمات هارون، فقال بنو إسرائيل لموسى: أنت قتلتها، فأمر الله الملائكة فحملته حتى مروا به على بني إسرائيل، وتكلمت الملائكة بموته حتى عرفت بنو إسرائيل أنه مات، فبرأه الله من ذلك، فانطلقوا به فدفنوه فلم يُطلع على قبره أحد من خلق الله إلا الرّحّم، فجعله الله أصمّ أبكم، ذكره الثعلبي والنقاش، وعليهما العهدة.

٢- نقل من بعض المصادر مصرحاً بالنقل من غير ذكر اسم الكتاب، وأكثر ما فعل ذلك عن علي بن عيسى الرّماني وابن بحر والنقاش، فهو يذكرهم مصرحاً بالنقل عنهم.

٣- نقل كثيراً عن الماوردي والثعلبي، وصرح بذلك أحياناً، لكنه ترك التصريح غالباً، فمن المواضع التي صرح فيها:

قوله: لهذه السورة - فيما حدثنا به الإمام أبو سهل محمد بن عبد الرحمن بن أبي الفضل النيسابوري عن الواحدي عن الثعلبي - عشرة أسماء...

وقوله: ﴿الرّحمن﴾ اسم عبراني عرّب، ولهذا أنكره العرب، وقالوا: ﴿وما الرّحمن﴾، حكاه أفضى القضاة لثعلب.

فالكرماني هنا يصرح بالنقل عن الثعلبي والماوردي، ولكنه ينقل عن الماوردي من غير تصريح، كما في قوله:

العالم عند الزجاج: اسم لما خلقه الله في الدنيا والآخرة.

فهذا القول عن الزجاج نقله الكرماني عن الماوردي من غير الرجوع إلى

«معاني القرآن» للزجاج، والدليل على ذلك أن هذا اللفظ هو ما حكاه الماوردي عن الزجاج، ولكنه معنى ما قاله الزجاج في «المعاني»^(١).

٤- إذا أراد أن ينتقد قولاً فإنه لا يصرح غالباً باسم من ينتقده، فينقل القول غفلاً من غير نسبة، أو ينسبه بما لا يفيده التعيين، كما فعل عندما نقل كلام الثعلبي منتقداً:

وما ذهب إليه بعض المفسرين من أنه مشتق من: ولهت.... فغير مرضي عند ذوي التحقيق...

فتاج القراء لم يصرح باسم الثعلبي في هذا الموضع رغم تصريحه به في مواضع كثيرة؛ لأنه يريد أن يُنبه على الخطأ لتلافيه، ولا يريد أن يُشنع على من وقع فيه.

وهذه قضية يحسن التنبية عليها، فكثيراً ما يجد الباحث في الكتب التراثية أنها تناقش الأقوال من غير أن تعزوها إلى أصحابها، لا سيما في مواضع المخالفة، وهذه ظاهرة نجدها عند أئمة أجلاء يقتدى بهم كالإمام الشافعي؛ فقد استخدم عبارات مثل: قال لي قائل، أو: بعض المشرقيين، أو نحو ذلك^(٢).

ولو حصل مثل هذا في زماننا لظن بصاحبه التدليس أو قلة الضبط، لكنه تكرر عند أئمة كبار، حتى يكاد يكون سمة عند بعضهم، والذي أراه أن المتقدمين من المصنّفين إنما فعلوا ذلك ليكون نقاشهم للفكرة لا لصاحبها، ولكن هذه الظاهرة

(١) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (١/ ٤٦)، و«تفسير الماوردي» (١/ ٥٥).

(٢) انظر: «الأم» للشافعي (٢/ ١٢١) و(٧/ ٢٧٦).

توسّعت بعد ذلك، وأخذتُ بعداً سلبياً، فراح بعضُ المصنّفين ينسخُ ممّن قبله من غيرِ عزوٍ أو تنبيهٍ^(١).

٥ - نقلَ الكرمانيّ كثيراً من أقوالِ السلفِ وذكرها وكأنّه أخذها من مصادرِ روايتها، لكنّ مراجعةً كثيرٍ من هذه الرواياتِ أظهرت تبايناً بين ألفاظِ هذه الرواياتِ في مصادرِها الأصليّة وبين ما ذكره الكرمانيّ؛ فالكرمانيّ يذكرُ معنى الروايةِ بإيجازٍ غالباً، وهذا يدلُّ على أنّه ربّما كان يأخذُ هذه الرواياتِ من مصادرٍ وسيطةٍ، ونظنُّ أنّه أكثرُ ما كان يعتمدُ على تفسيرِ الرّمانيّ والثعلبيّ والواحديّ، وممّا يدلُّ على هذا تصريحُه بالنقلِ عن الرّمانيّ في سورة (النساء) فقال:

ابنُ عيسى: فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

الحسنُ في جماعةٍ: هو إمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسانٍ.

الثاني: مجاهدٌ وابنُ زيدٍ: هو كلمةُ النّكاحِ التي يُستحلُّ بها الفرج.

الثالثُ: من قوله عليه السّلام: «أخذتموهنَّ بأمانةِ الله واستحلّتم فروجهنَّ

بكلمةِ الله».

وهذه الطّريقةُ التي نقلها عن الرّمانيّ تشبه كثيراً طريقيته التي انتهجها في

أكثرِ تفسيره...

٦ - ظاهرُ الأمرِ أنّه يلتزمُ أحياناً بنقلِ الكلامِ بحروفه؛ فعبارةُ: (الرّحمةُ: الإنعامُ

على المحتاجِ) - التي نقلها عن ابنِ عيسى - كرّرها بحروفها في «البرهان»، ولكنه

كان كثيراً ما يتصرّفُ بالكلامِ، فيعيدُ صياغته، وربّما توسّع فعمدَ إلى تحليلِ القولِ

أو ذكرِ مستندهِ القرآنيّ أو الحديثيّ أو اللّغويّ.

(١) انظر مثلاً: «التقرير والتحرير» لابن الموقت (١/٢٧٩)، و«تيسير التحرير» لأمير بادشاه (١/٣١٤).

ومن أمثلة ذلك أنه ذكر عن الحسن تفسير الرجس بأنه: رجاسة الكفر وقذارته. ولم أجد هذا اللفظ، وإنما ذكر ابن الجوزي عن الحسن في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ قال: الشرك^(١).

ومن الأمثلة الظاهرة على ذلك ما جاء من قوله:

قتادة: الضمير يعود إلى القتلة، أي: يُسأل القتلة لم قتلوها.

ومثل هذا لا يقوله قتادة، فلا يُعرف في عصره مصطلح الضمير والعائد، وقد رواه الطبري بلفظ: هي في بعض القراءات: (سألت بأيّ ذنب قتلت)؛ لا بذنب^(٢). فالكرمانى عبّر عن معنى كلام قتادة بلغته واصطلاحه.

ولم يفعل الكرمانى هذا في موضع أو اثنين، وإنما كان هذا منهجاً انتهجه، وسبباً سلكه، فهو يروي عمّن تقدّم من المفسّرين، لكنّه يعقّب على كثير من الروايات بما يزيدّها وضوحاً، أو يزيد المطالع لها فائدة، فمن ذلك:

ذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَسْئَعِيْبُ أَصْلُوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِيْ ءَمْرَانَا مَا نَشْتَوُا﴾ قول سفيان الثوري: كان يأمرهم بالزكاة، ثم قال: حكاها الماوردي، وإنما يصحّ هذا على القراءة الشاذة.

فقد ذكر كلام سفيان الثوري، وبين وجهه، وهو يريد بالقراءة الشاذة قراءة السلمي والضحاك بن قيس: (أو أن تفعل في أموالنا ما تشاء)^(٣).

(١) انظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (٣/ ٤٦٢).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٤٧).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٥).

ومن ذلك أيضاً ما قاله تاجُ القُرَّاءِ في معنى ﴿تَتْلُوا﴾: قال ابنُ عبَّاسٍ: تتبَّعُ، من (التَّلْوِ).

قتادةٌ: تقصُّ وتقرأ، من (التَّلَاوة).

فقد نقلَ تاجُ القُرَّاءِ قولِي ابنِ عبَّاسٍ وقاتدة، وبينَ وجهِ كلِّ قولٍ من ناحية الاشتقاق، وهذه قضيتان هامَّتان، وقد سبقَ الحديثُ عنها.

والخلاصةُ أنَّ الأكثرَ عندَ تاجِ القُرَّاءِ هو التصرُّفُ في عبارةٍ مَنْ ينقلُ عنهم على وجه الاختصار، ولكنَّه قد ينقل باللفظ، وقد ينقل باللفظ ويُنَبِّه على ذلك، كما نقل عن الزَّجَّاجِ قوله: ﴿مَلْعُونِينَ﴾: منصوبٌ على الحال، والمعنى: لا يُجاورنك إلا وهم ملعونون. ثم قال: هذا لفظه.

٧- لتاجِ القُرَّاءِ الكرمانِيُّ طريقةٌ في ترتيبِ الأقوالِ وتنظيمها يمكنُ أن تلاحظَ عند التأملِ، ويمكنُ أن تُلخَّصَ بتقديمِ الأصحِّ، والاعتمادِ على المأثور، وتجميعِ الأقوالِ المتشابهة، وإضافةِ أقوالٍ بصيغةِ الاحتمال، لكنَّه لم يتعهد بالتزامها، ولا صرَّحَ بها، لكنَّ استشفافها ساعدنا في فهمِ مراده في كثيرٍ من الأحيان، فتأمَّل ما يأتي:

﴿قَوِيلٌ﴾ روى أبو سعيدٍ الخدريُّ عن النَّبِيِّ ﷺ: «وَيْلٌ وَاِدٍ فِي جَهَنَّمَ يَهْوِي فِيهِ الْكَافِرُ أَرْبَعِينَ خَرِيْفًا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ قَعْرَهُ».

عثمانُ بنُ عفَّانَ: هو جبلٌ في النَّارِ.

وقيل: وادٍ من صديدٍ في جهنم.

الكلبيُّ: الشَّدِيدُ مِنَ الْعَذَابِ.

الأصمعيُّ: الوَيْلُ: تَقْيِيحٌ.

وقيل: الويل: الهلاك، يُستعمل لمن لا يُرجى خلاصه.

٨ - يحاولُ تاجُ القراءِ الكرمانِيُّ غالباً أن يتجنّبَ الدخولَ في خلافاتِ عقديّةٍ أو مذهبيّةٍ، لذلك نجدُه عندما يُناقشُ قضيّةً من قضايا الخلافِ العقديّ أو المذهبيّ يرجعُ بالمسألةِ إلى جذورها، وينسبُ الأقوالَ إلى مَنْ قالَ بها من المتقدّمين من علماء التفسير، ويناقشُ هذه الأقوالَ إن بدا له ذلك بعيداً عن التيارات المذهبيّة والطائفيّة، ممّا جعله أطفً تعبيراً وأكثر إنصافاً وأبعد عن التّعصّب.

هذه بعضُ السّماتِ الدالّةِ على طريقةِ تاجِ القراءِ في جمعِ الأقوالِ ونقلِها، والتي أحببتُ التّنبيةَ عليها انطلاقاً من حقيقة أنّ تاجَ القراءِ صنّفَ «لبابَ التّفاسير»، وكانَ غرضُه جمعَ أقوالٍ من قبله وتقرّيها.

لكن ثمّة جانبٌ في «لبابِ التّفاسير» لا يجوزُ إغفاله، وهو الجانبُ الإبداعيُّ فيه؛ فقد كانَ تاجُ القراءِ الكرمانِيُّ داعيةً اجتهاداً، نابذاً للتقليد، وقد ظهرَ ذلك في مواضع كثيرةٍ في «لبابِ التّفاسير» منها:

* قوله في تفسيرٍ ﴿أُولُو كَأَن أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤]؛ أي: في النَّاسِ علماء وسفهاء، فما يؤمنكم أن يكونَ آباؤكم الذين غيروا دينَ الله سفهاءً، فتتبعونهم على جهالةٍ؟! فدلت الآيةُ على وجوبِ النَّظرِ والتدبُّرِ وبطلانِ التقليدِ.

* وقوله في تفسيرٍ ﴿أُولُو كَأَن أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾: وهذا حتُّ على النَّظرِ ونهيٌّ عن التقليدِ.

فتاجُ القراءِ ولا شكَّ داعيةٌ تفكيرٍ واجتهادٍ وتدبُّرٍ مستمرٍّ، ولم تكن هذه الدّعوةُ منه دعوى بلا دليل، أو تصوّراتٍ بلا تمثيل، فقد طبّقَ عملياً ما دعا إليه نظرياً، وكان

يبدل جهده في إضافة أقوالٍ جديدةٍ إلى الأقوالِ التي بذل جهداً في جمعها وترتيبها، ولكنه يوردُ مثل هذه الأقوالِ بصيغة الاحتمال، وكأنه يريدُ بذلك أن يميزَ لنا ثمارَ اجتهادِ المطالعةِ والتَّنْقيرِ من ثمارِ اجتهادِ التأملِ والتَّفكيرِ، ومن أمثلة ذلك: قوله في تفسير ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة: ٩٣]: **يَحْتَمَلُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْهُمْ قَوْلًا، وَيَحْتَمَلُ أَنَّ حَالَهُمْ دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ.**

- وربما اقتصرَ أحياناً في اجتهاده على التَّرجيحِ بين الأقوالِ، كما في قوله:

الزَّجَّاجُ: ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الجملة، وردَّ عليه أبو عليٍّ في «إصلاح الإغفال»، والحقُّ مع أبي عليٍّ.

- وقد عكست أقواله في التَّرجيحِ أسساً وقواعدَ هامةً:

منها: مبدأ تفسير القرآن بالقرآن، فقد تميَّزَ بإيراده الآياتِ المشابهةِ للآيةِ التي يفسرها، واستحضاره لها، وقد صرَّح بهذا المبدأ، ووسَّعَ تطبيقه، فنقلَ اختلافَ المفسِّرين في تفسير ﴿سَجِّيلٍ﴾، ثم قال: أحسنُ الأقاويلِ ما وافقَ القرآنَ، وهو قولُ ابن عباس.

ويقول أيضاً: أحسنُ الأقوالِ ما وافقَ القرآنَ والخبرَ وكلامَ الصحابةِ والتَّابعين.

ومنها: رفضُ الاعتمادِ على الآراءِ الشاذَّةِ، فقد نقلَ أقوالَ المفسِّرين في تفسير ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ [ص: ٤٣]، ثم ذكر قولين لابن بحرٍ، ثم قال: وقولُ الجمهورِ أولى بالاتباع.

والكرمانيُّ يظهرُ في اجتهادِ دائمٍ؛ فهو ينوِّعُ بين ترجيحاته، ويغيِّرُ في تفسيراته، ومن يتبَّعُ طريقته في تفسيرِ التَّقوى يرى عجباً؛ فالتقوى عنده أحياناً تركُ لعبادةِ الأصنامِ، وأحياناً ليست أكثرُ من تركِ الأكلِ والشُّربِ، وهي عنده

أحياناً طاعةً لله، وأحياناً خوفٌ من عذاب الله، وهي أحياناً متصلةٌ بالدُّنيا، وأحياناً أخرى ممتدةٌ إلى الآخرة.

- وهو مع ذلك يخفي جهده، ويستحي من المباهاة بكثيرٍ منه، ولكننا لا نعدم عباراتٍ كانت صريحةً في إثبات ما ذهبنا إليه، ومنها:

قوله في تفسير ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠]: ويحتملُ أن الهاءَ يعودُ إلى الولدِ على تقدير: جعلاً للولدِ الصَّالحِ الذي آتاهُ اللهُ... نصيباً فيما آتاهُما من الرِّزقِ في الدُّنيا، وكانا قبله يأكلانِ ويشربانِ وحدهما، ثمَّ استأنفَ فقال: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾؛ يعني: الكفار...

وهذا القولُ لمُ سبقِ إليه، وهو حَسَنٌ؛ لأنَّه تنزيهٌ لآدمَ وحواءَ عن الشُّركِ، وثناءٌ عليهما، والله أعلمُ.

- ويلفت الانتباهُ أنَّ تاجَ القراءِ لم يطر فرحاً بما سبقَ إليه، ولم يجعله الوجهَ الصَّحيحَ الذي اكتشفه وقد غفلت عنه الأمة من قبل، ولكنه بدأ قوله بكلمةٍ (ويحتملُ)، وختمه بكلمةٍ (والله أعلمُ)، فله ذرُّه ما أرفقَ كلامه وأحسنَ تواضعه!

ومن المواضع التي تدلُّ على ذلك قوله في ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾ [الروم: ٤٩]: وكنْتُ سئِلْتُ عن هذه الآيةِ فاستخرجتُ لها عشرةً أو جِهٍ سوى ما حكيتُ عن الأئمَّةِ...

وهذا يدلُّ على ما تميَّز به تاجُ القراءِ من دقَّةِ الفهمِ وحسنِ الاستنباطِ، كما وصفه العلماءُ.

ونخلصُ بعد هذا كلِّه إلى أنَّ هذا الكتابَ كان خلاصةً جهودٍ عظيمةٍ أفادها الكرمانِيُّ ممَّن سبقه وتقدَّمه، وزادها فوائداً عظيمةً تدلُّ على سبِّقه وتقدُّمه.

خامساً - أسلوبه:

- اتَّبَعَ تاجُ القُرَاءِ الكَرَمَانِيُّ أسلوباً يقومُ على الإيجازِ والاختصارِ، وقد كان ذا مُكنةٍ في اللغة، واطلاعٍ واسعٍ عليها، ولكن كانت غايته تقريبَ هذا العلم إلى طلبته، وهذا ما جعلَ أسلوبه وسطاً بين السُّهولةِ والصُّعوبةِ، فلا يمكنُ أن نعدّه من الكتبِ المعقَّدة ذات العباراتِ المستغلقة، كما لا يمكنُ أن ندرجه ضمن الكتبِ السَّهلة ذات العبارةِ المباشرة.

- وهو مع ذلك كان يقفُ عندَ بعضِ الجوانبِ اللغويَّةِ فيحلُّها، ويحاولُ أن يُؤدِّي ما يريدُ من المعنى فيها بأقلِّ عبارةٍ ممكنة، وقد بالغَ في إيجازه أحياناً، فأضربَ ذلك بجماليَّةِ تعبيره، ونضارةِ عبارته، وقد استغلقت بعضُ معانيه، واحتاجت إلى شرحٍ وبيان.

- وقد تميَّزَ بدقَّةِ الفهمِ وحسنِ الاستنباطِ، كما وصفه العلماء، ومن المواضيع التي تدلُّ على ذلك قوله في ﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ ﴾ [الروم: ٤٩]:
وكنْتُ سُئِلْتُ عن هذه الآيةِ فاستخرجتُ لها عشرةَ أوجهٍ سوى ما حكيتُ عن الأئمَّةِ، منها: أنَّ الهاءَ يعودُ إلى الاستبشارِ، وتقديره: من قبلِ الإنزالِ من قبلِ الاستبشارِ؛ لأنَّه قرئَ بالإبلاسِ، ولأنَّه منَّ عليهم بالمطرِ وبالاستبشارِ، والله أعلمُ. وأضربتُ عن إيرادِ التَّسعةِ الباقيةِ لأنَّ في الاستبشارِ مَقْنَعاً وَمَغْنَى.

- وربَّما استخدمَ أحياناً عباراتٍ بليغة، تعكسُ ذوقاً عالياً، ومعرفةً باللُّغةِ سامعةً، من مثلِ قوله: المؤمنُ يُجزى والكافرُ يُجازى؛ لأنَّ لفظَ المُفاعلةِ يقتضي المكافأةَ، والمُماثلةُ تكونُ في السَّيِّئةِ، وأمَّا الحسناتُ فإنَّها مُضاعفةٌ أضعافاً.

- ومع ذلك فلربَّما وقعَ في كلامه شبهٌ خللٍ نتيجةَ الخلطِ في بعضِ العباراتِ

بين ما حقه التذكير وما حقه التأنيث، ورغم أن كثيراً من أمثلة هذه القضية يمكن أن تُحمل على النَّاسِخ، لكنني وقفت على مواضع يظهر لي أن الخلل فيها في أصل التَّركيب، ومن ذلك قوله: وتأتي مُفتقرةً إلى اسمٍ وخبرٍ كـ(كان)، ويلزمه حرفُ النَّفْيِ، ومعناه: لا يزالُ.

فكان ينبغي أن يقول: ويلزمها حرفُ النَّفْيِ، ومعناها: لا يزالُ.

لكننا وجدنا الكرمانِيُّ يصرِّحُ بجوازِ الحملِ على المعنى، فقد يكون هذا منه؛ فـ(انفكَّ) كلمة، ولكنها لفظاً أيضاً، وهذا وجه جوازِ عبارة المصنِّفِ.

- وقد استخدم أسلوبَ الفنقلة الذي أكثرَ منه الزَّمخشرِيُّ فيما بعد، وهو أسلوبٌ مناسبٌ عند طرحِ قضيةٍ للنقاش، وقد سبق إلى هذا الأسلوب الإمام الطَّبْرِيُّ والماتريديُّ.

- وهو لِيْنٌ في طريقةِ كلامه، يحاول أن يقول ما عنده من غير أن يسببَ الأذى لأحد، فيقول في انتقادِ قولِ خالفه: وما ذهبَ إليه بعضُ المفسِّرين من أنه مشتقٌّ من: ولهُتٌ.... فغير مرضيٌّ عند ذوي التَّحقيقِ...

وربَّما وجَّهَ النقدَ أحياناً، لكنه يحاول أن يجدَ للكلامِ وجهاً؛ ليرفعَ عن قائله الحرجَ، ويلتمسَ له العذرَ، ومن ذلك:

في تفسير ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَرُونَ﴾ [الشعراء: ١٣] النقَّاش: أرسلُ معي هارونَ، قال: ومثله: ﴿أَمْوَالِكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: ٢]؛ أي: مع، وهذا من النقَّاشِ سهوٌ؛ لأنَّه يقتضي (إليَّ) بتشديد الياء؛ فإن لم يكنْ بدُّ: فأرسلني مع هارونَ، فيكونُ المفعولُ محذوفاً، لكنَّ النقَّاشَ نظرَ إلى الآيةِ الأخرى وهي: ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾ [القصص: ٣٤]، فجعلَ ﴿هَرُونَ﴾ في الآيةِ مفعولاً، والآيةُ لا تحتمله إلا على الوجهِ الذي ذكرتُ.

ومن ذلك قوله في ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [لقمان: ٢٧]...

قال أبو عبيدة: البحر هاهنا: الماء العذب؛ لأن المِلْحَ لا يُنْبِتُ الأَقْلَامَ.

قال الفصّال: قول أبي عبيدة: البحر المِلْحُ لا يُنْبِتُ الأَقْلَامَ، يُوجِبُ أَنَّهُ جعلَ المعنى: البحرُ يمدُّه من بعده سبعة أبحرٍ فأنبَتَ أقلامًا، وقول أبي عبيدة ضعيف؛ لأنَّ الله سبحانه أراد التَّكْثِيرَ والمُبَالَغَةَ، وليس فيما ذكر أبو عبيدة كثيرُ مُبَالَغَةٍ.

وعُدُّ القفالِ عنه حسنٌ، كأنه جعلَ هذه الآيةَ مُشْتَمِلَةً على ذكرِ الأَقْلَامِ فحسبُ، كما أنَّ ما في الكهفِ للمِدادِ فحسبُ؛ اكتفاءً بذكرِ أحدهما عن الآخرِ، كما اكتفى بذكرِ الأَقْلَامِ والمِدادِ عن القِرْطاسِ أو ما يُكْتَبُ عليه، أو عن الكِتَابَةِ؛ لأنَّ تقديرَ الآيةِ: لو جُعِلتِ الأشجارُ أقلامًا، والبحرُ بعدَ المددِ مداذاً، والسَّمَاوَاتُ والأَرْضُ قِرْطاسًا، والملائكةُ والجنُّ والإنسُ كُتَّابًا، ثمَّ كُتِّبوا به منه عليه، لِنِفَادَتِ هذه الأشياءِ وأعيَتِ الكِتَابَةُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي، والله أعلمُ.

فالكرمانِيُّ يريدُ أن يلتَمَسَ لكلِّ من أبي عبيدة والقفالِ عُذْرَهُ، ويحملَ كلامَهُما على أحسنِ محمِلٍ.

وقد ينقلُ قولاً وينتقده، لكنَّه لا يشنُّ على صاحبه؛ فقد نقلَ قولاً عن قتادة ثم قال: هذا تفسيرٌ لا يخفى على أحد.

وقد يعرضُ تاجُ القراءِ للخلافِ، لكنَّه يعرضُه بأسلوبٍ علميٍّ بعيدٍ عن الجدْلِ والنَّقاشِ، فقد قال في تفسيرِ قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾

[آل عمران: ١٣٣]: والجنَّة مخلوقةٌ، ومحلُّها السَّمَاوَات... وقيل: لم تُخلَقْ بعدُ، والأوَّلُ مذهبُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعة.

فأغلِبُ الظَّنَّ أَنَّ كلامه ردٌّ لمذهبِ المعتزلةِ، لكنَّه عرضَه بأسلوبٍ لِيِّنٍ تجنَّبَ فيه الإساءةَ إلى المخالفين.

سادساً - مصادِرُ «لبابِ التَّفاسيرِ»:

اعتمدَ تاجُ القراءِ الكرمانِيُّ في «لبابِ التَّفاسيرِ» على مصادِرَ كثيرةَ جدًّا؛ من علماء أخذ عنهم، وكتبَ أفادَ منها، وقد صرَّح بذلك في قوله: لم أرَ فيما سمعتُ وطالعتُ من التَّفاسيرِ مع جموعِها.

وقد بيَّنَّا أنَّ كثيراً من المصادِر التي ينقلُ عنها صراحةً، ويذكرها باسمها غير متوفِّرةَ بين أيدينا، ومن ذلك:

- تفسير الرمانِيِّ، وتفسير ابن بحر، وابن الهيثم، وتفسير «نظم القرآن» للجرجاني، والذي يشير إليه بصاحب «النظم»، وليس هو الإمام عبد القاهر، وتفسير القاضي عبد الجبار، والذي يشير إليه أحياناً بأبي عليٍّ، وابن كيسان، وتفسير القفال، وتفسير النقاش، ومعاني القرآن للمبرد، وقطرب، وغيرها الكثير.

ومع ذلك نلاحظ أنَّ أهمَّ المفسِّرين الذين اعتمد عليهم هم: ابن عباس، وسعيد بن جبیر، ومجاهد، وقتادة، ونلاحظ أنه نقلَ كثيراً عن الحسن، وكثيراً من الأقوال التي نقلها عنه غير موجودة فيما بين أيدينا من مصادِر ومراجع.

- أما علماء القراءات فقد كان للسبعة منهم حضورٌ كثيف، وأقلُّ منهم حضورٌ بقيَّة العشرة، كما كان للقراءات الشاذَّة حضورٌ لا يُستهان به في «لبابِ التَّفاسيرِ».

ومن كتب القراءات التي اعتمد عليها: «الغاية» و«الشّواذ» لابن مهران، كما أحال على كتابه فقال: وقد ذكرنا هذا مشروحاً في كتاب «النّهاية في شرح الغاية».

- وأهمُّ التّفاسير التي يظهر أنّها كانت حاضرةً عنده: تفسير مقاتل بن سليمان، وتفسير الطّبريّ، وتفسير أبي اللّيث السّمّرقنديّ، وتفسير الثعلبيّ، و«النكت والعيون» للماورديّ، و«البسيط» للواحديّ.

- ومن كتب «معاني القرآن» وجدناه يرجع إلى الفراء والمبرد والأخفش والزجاج وقطرب والنحاس، كما رجع مرات إلى كتاب «الإغفال» لأبي عليّ الفارسي، وهو تعليقاتٌ على «معاني القرآن» للزجاج.

ومن الكتب التي رجع إليها «مجاز القرآن» لأبي عبيدة، و«مشكل القرآن» لابن قتيبة، و«إعراب القرآن» للنحاس، و«النسخ والمنسوخ» له أيضاً، و«درة التّنزيل» للخطيب الإسكافيّ.

- أما في اللغة فقد أكثر عن «العين»، وكان ينسبُه للخليل غير شكّ في ذلك، و«تهذيب اللغة» للأزهريّ، وقد نقل عن الأزهري في غير «التهذيب»، ونقل عن شيء من كتبه لم نهتد إليه، ولم نقف عليه.

وأما في النحو فأكثر النقل عن سيبويه، وذكر «الكتاب» مرّات، ومن الواضح أنّه كان على صلة وثيقة به، وإطلاع جيّد عليه.

ونقل عن الخليل ويونس معتمداً على «الكتاب»، وذكر الكسائي، والفراء، وذكر من كتبه: «معاني القرآن» و«اللغات»؛ أي: لغات القرآن.

واعتمد أيضاً أقوال الزجاج وابن السراج والنحاس وأبي عليّ الفارسيّ وابن عيسى الرمانيّ وابن جني.

سابعاً - وصفُ النُّسخِ الخطّيّة:

وقفنا بفضلِ الله تعالى على عدّة نسخٍ خطيّةٍ من المكتباتِ التركيّة، وقمنا بفحصها والنظرِ فيها من حيث جودتها، وضبطها، ومعرفة ناسخها، وغير ذلك، وهذا وصفٌ كلّ واحدةٍ منها مرتبةً على حسبِ تواريخِ نسخها:

١ - النُّسخةُ الأولى (ف):

وهي من محفوظاتِ مكتبة (الفتاح) الموجودة في المكتبة السليمانية في إسطنبول، وهي عبارة عن جزأين، أرقامهما على التوالي: (٤١٧)، و(٤١٨)، وهي نسخة غير تامّة، ملوّنة، كتبت بخط واضح، بضبط قليل في الجزء الأوّل، وأكثر من المتوسّط في الجزء الثاني، وتمّ تمييز الآيات القرآنية بخط كبير، وكتبت هذه النسخة بمدادٍ أسود، وكتبت أسماء السور فيها وبعض الكلمات بمدادٍ أحمر، وناسخها عليّ بن عبد الله بن محمود المؤدّن بجامع غربي عسكر مكرم، وقد أتمّ نسخها سنة (٦٥٤هـ) كما جاء عند انتهاء جزأها الأوّل والثاني، والهوامش في كلا الجزأين ليست بالكثيرة.

وجاء على غلاف هذه النسخة في كلا الجزأين عدّة تملّكاتٍ وتصحيحاتٍ، من ذلك تصحيحُ مصطفى بن لطف الله، ولعله هو قاضي أدرنه في زمن الدولة العثمانية، عاش في القرن الحادي عشر الهجري^(١)، والله أعلم.

وجاء على غلاف الجزء الأوّل: الرُّبعُ الثالثُ من كتاب لباب تفسير القرآن، تصنيفُ الشّيخ الإمام تاج القراء أبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرمانيّ قدّس الله روحه العزيز.

(١) انظر: «معجم تاريخ التراث الإسلام» لعلي رضا بلوط، (٥ / ٣٧١٧).

وجاء في خاتمة الجزء الأول: تمَّ الرُّبْعُ الثالثُ من كتابِ لبابِ تفسيرِ القرآن، ويتلوه في الربعِ الرَّابِعِ أوَّلُ سورةِ ص، والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصَلَّى اللهُ على سيِّدنا مُحَمَّدٍ المصطفى وآله الطَّاهرين.

ويقعُ هذا الجزءُ في (٣١٠) لوحة، كلُّ لوحةٍ من صفحتين، وكلُّ صفحةٍ تتكوَّن من (٢١) سطرًا، وكلُّ سطرٍ من (١٠) كلمات.

وجاء على غلافِ الجزءِ الثاني: الرُّبْعُ الرَّابِعُ من كتابِ لبابِ تفسيرِ القرآن، تصنيفُ الشَّيخِ الإمامِ تاجِ القراءِ أبي القاسمِ محمودِ بنِ حمزةَ بنِ نصرِ الكرمانِيِّ قدَّسَ سرُّه.

وجاء في خاتمةِ الجزءِ الثاني:

تمَّ الكتابُ، وربُّنا محمودُ وله الفضائلُ والعُلا والجُودُ

اتفقَ الفراغُ من كُتُبِهِ يومَ السَّبْتِ منتصفَ شهرِ جمادى الأوَّلِ من سنةِ أربعٍ وخمسينٍ وستِّمائةٍ هجريةٍ.

كاتبُه العبدُ الضَّعيفُ المحتاجُ إلى رحمةِ اللهِ تعالى عليُّ بنُ عبدِ اللهِ بنِ محمودِ المؤدَّنُ بجامعِ غربيِ عسكرِ مكرم، غفرَ اللهُ له ولوالديه ولجميعِ المؤمنين، آمين ربِّ العالمين.

ثمَّ جاءَ في هامشِ هذهِ الخاتمةِ بخطِّ آخر: استنسخَ الكتابَ كلُّه إبراهيمُ بنُ مُحَمَّدِ الحمويِّ، جعله اللهُ منَ الفائزينَ برحمته، وذلكَ منَ شهرِ سنةِ ٦٧٣ هجرية.

ويقعُ هذا الجزءُ في (٣٨٤) لوحة، كلُّ لوحةٍ صحتان، وكلُّ صفحةٍ تتكوَّن من (٢١) سطرًا، وكلُّ سطرٍ من (١٠) كلمات.

٢ - النسخة الثانية (و):

وهي من محفوظات مكتبة (ولي الدين أفندي) الموجودة في المكتبة السليمانية بإسطنبول، وهي عبارة عن مجلد واحد رقمها (٢٤٩)، تبدأ من أول الكتاب إلى نهاية سورة الكهف، وهذه النسخة كتبت بمداد أسود بخط واضح وجميل، وهناك بعض الإشارات باللون الأحمر، وكتبت الآيات بخط كبير، وهي مضبوطة ضبطاً فوق المتوسط، وتقع في (٢٩٥) لوحة، وكل لوحة صفحتان، وفي كل صفحة (٢٧) سطراً تقريباً، وفي كل سطر (١٥) كلمة تقريباً، والهوامش أكثر من القليل ودون المتوسط، وناسخها حسين بن أبان النحوي، وقد أتم نسخها سنة (٦٧٣هـ).

وهذه النسخة من النفاضة بمكان، إذ أن ناسخها من أئمة العلم، كما ذكر ذلك الفيروزآبادي في «البلغة» حيث قال: الحسين بن أبان النحوي البغدادي المنعوت بالجمال، إمام متأخر أخذ عن الأستاذ أبي عثمان سعد بن أبي أحمد بن أحمد الجذامي البياني البغدادي، وله مصنفات منها: «شرح الفصول»، و«قواعد المطارحة»، و«شرح ضروري التصريف» لابن مالك، و«كتاب المسائل الخلفية»، وكان ذا حفظ حسن، ثقة فيما يكتب ويقول، مدرّس النحو بالمستنصرية، مات سنة (٦٧٤هـ)^(١)؛ أي: بعد إنهائه لهذه النسخة بسنة.

وفي بداية هذه النسخة فهرس لأسماء السور، وجاء في العنوان: النصف الأول من كتاب لباب التفاسير، تصنيف الشيخ الإمام تاج القراء أبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، شكر الله سعيه وقدّس روحه.

(١) انظر: «البلغة» للفيروزآبادي (ص: ١٢٢).

وتحت العنوانِ نقلٌ عن عبد العزيز بن أحمد في مختصره «شفاء الظَّمان في فضائل القرآن».

وجاء في خاتمة النُّسخة: تمَّ الجزءُ الأوَّلُ من كتابِ لبابِ التفسيرِ، على يد العبدِ الفقيرِ اللاجئِ إلى عفوَ اللهِ ورحمتهِ حسينِ بنِ أبانِ النَّحويِّ، في العَشرِ الأوسطِ من شهرِ اللهِ الأصمِّ رجب، من شهورِ سنةِ ثلاثٍ وسبعينَ وستِّ مئة، والحمدُ لله كما هو أهلهُ، والصَّلَاةُ التَّامَّةُ الزَّاكِيَةُ على سيِّدنا نبيِّ الرَّحمةِ محمَّد، وعلى آله الطَّاهرينَ وصحبه الأكرمينَ، وحسبنا اللهُ ونعمَ الوكيل.

٣- النُّسخةُ الثالثةُ (ن):

وهي من محفوظاتِ مكتبة (نوربانو سلطان) الموجودةِ في المكتبةِ السُّليمانيةِ بإسطنبول، وهي عبارةٌ عن جزأين، أرقامُهُما على التَّوالي (٢٨) و(٢٩)، ينتهي الجزءُ الأوَّلُ في نهايةِ سورةِ طه، والجزءُ الثاني من بدايةِ سورةِ ص إلى نهايةِ القرآن، فهي نسخةٌ تامَّةٌ، ملوَّنةٌ، كُتبتْ بمدادِ أسود، وكُتبتْ أسماءُ الآياتِ بمدادِ أحمر، وميَّزت الآياتُ فيها بخطِّ أحمرٍ من فوقها، وضبطها قليلٌ جدًّا، ناسخها أشرفُ الحسينيِّ الحنفيِّ الغزنويِّ، فرغَ من نسخِ الجزءِ الأوَّلِ سنةَ (٧٩٣هـ)، ومن نسخِ الجزءِ الثاني سنةَ (٧٩٤هـ).

وهذه النُّسخةُ منقولةٌ من نسخةٍ بخطِّ الشَّيخِ أبي طاهرٍ محمَّد بنِ روذبهان بنِ الشَّيخِ أحمد بنِ عليٍّ، وتمَّت المقابلةُ عليها كما ذكر في آخرِ الجزأين سنةَ (٧٩٥هـ). ولم أستطع الوقوفَ على ترجمةٍ للشَّيخِ المذكورِ، ولا على النَّاسخِ.

وعلى هامشِ النُّسخةِ حواشٍ قليلةٌ، وعدةٌ بلاغات، وإثباتٌ لبعضِ فروقِ النُّسخِ.

ويقع الجزء الأوّل في (٣٢٤) لوحه، كلّ لوحه صفحتان، والصّفحة الواحدة فيها (٣١) سطرًا تقريباً، وكلّ سطر فيه (١٥) كلمة تقريباً.

وجاء في غلافه: الجزء الأوّل من كتاب لباب التّفاسير، من مصنّفات الإمام العلامة برهان الدّين تاج القراء أبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرمانيّ، تغمده الله بغفرانه وأسكنه أعلى غرف جنانه بمنّه ولطفه، والحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه أجمعين.

وجاء في خاتمة الجزء الأوّل: تمّ الجزء الأوّل من كتاب اللّباب، بعون الملك الوهاب، على يد العبد الضّعيف النّحيف الرّاجي رحمة ربّه اللّطيف، خويدم العلماء والفقراء النّظيف، المرتجي غفران الله الكريم، الملتجى إلى جوار هذا النّبى الرّحيم، الفقير إلى الله الغنيّ الوفيّ، أشرف الحسينيّ الحنفيّ الغزنويّ، غفر الله له ولوالديه، وأحسن إليهما وإليه، ولكافة المسلمين أجمعين، بالمدينة المشرفّة على مشرفها من الصّلوات أفضلها، ومن التّحيّات أكملها، برباط الأصفهانيّ في قبة بانيتها رحمه الله، المحاذية شبّاكها بشباك مسجد النّبى عند قدمه الشّريفة صلى الله عليه وسلّم، في سادس شهر الله الحرام شوال سنة ٧٩٣.

تمّت المقابلة بالنّسخة المذكورة في أوّل الكتاب بالمدينة المشرفّة، على مشرفها من الصّلوات أفضلها، ومن التّحيّات أكملها، ١٦ من شهر الله الأصمّ رجب سنة ٧٩٤.

وفي الصّفحة الأخيرة يوجد وقف لهذه النّسخة، وهو وقف من السّلطنة نوروبانو والدة السّلطان مراد خان (ت: ١٠٠٣هـ)، منشئة مدرسة ومكتبة التي تحمل اسمها، ووافقتها، وهذا نصّه: الحمد لله الواقف بالأعمال الصّالحة والأوقاف، والصّلاة على من نطق بالقرآن سيّدنا محمّد أشرف آل عبد مناف، وعلى آله

وأصحابه وتابعيهم المختصين بأحسن النعوت والأوصاف، صلاة دائمة منشرة في الأطراف والأكناف، وبعد:

فقد وقفت لوجه الله الكريم سبحانه، هذا التفسير الجميل الجليل الشأن، حضرة من خصها الله بأنواع الخيرات والحسنات، واختارها لتمهيد أصناف المبرات والصدقات، جنابها سماء العصمة والجلال، وبأبها فلك العفة والإقبال، مظهر نور الخلافة، مطلع شمس السلطنة؛ أعني: والدة سلطان بن السلطان السلطان؛ مراد خان ابن السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان خان، اللهم خلد أيام خلافته وزد أعوام عمره إلى انقراض الدهور والأزمان، وأدم سعادتها وعمرها في ظل ظلك يا ذا المجد والإحسان.

وشرطت أن يوضع في المدرسة الشريفة والمحفل المنيف الذي بنت حضرته المعظمة في قصبة أسكودار، للقارئ المسلمين المسافرين والقانطين التالين كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار، تقبل الله عنها الملك الغفار، وفقاً صحيحاً شرعياً مؤبداً مخلداً مرعياً على قول من جوز وقف المنقولات من المجتهدين، ولا يوهب ولا يورث ولا يرهن ولا ينقل عن محله المذكور إلى القرى والمدائن، ولا يحل لأحد أن يبدله، ﴿فَمَنْ بَدَلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وأجرها عليه إنه هو البر الرحيم، حُرر ذلك في الصفر المظفر في سنة ٩٨٨ هـ.

ويقع الجزء الثاني في (٣٢٧) ورقة، كل ورقة صفحتان، في الصفحة الواحدة (٣١) سطراً تقريباً، وفي كل سطر (١٥) كلمة تقريباً.

وجاء في غلافه: الجزء الثاني من كتاب لباب التفسير، من مصنفات الإمام العلامة برهان الدين تاج القراء أبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني،

تغمده الله بغفرانه وأسكنه بحبوحه جنانه بمنه وفضله، والحمد لله رب العالمين،
وصلّى الله على سيدنا محمّد وآله وصحبه أجمعين.

وقد جاء عليه تملّكاتٌ لناسخه: من كتب الفقير إلى الله الغنيّ الوفيّ أشرف
الحسينيّ الحنفيّ عفا الله عنه ولطف به.

ثم إلياس الملبطي: نُقِلَ إلى مُلكِ الفقيرِ إلى الله العليّ إلياس الملبطيّ عفا الله
عنه ذنوبه الخفيّ والجليّ، الحمد لله وحده وصلّى الله على سيدنا محمّد.

وعليه إشعارٌ بأنّه من وقف السلطنة نوروبانو والدة السلطان مراد، وأشير إليه
بعبارة: وقف والدة سلطان.

وجاء في خاتمته:

تمّ الجزء الثاني من كتاب لباب التّفاسير، بتوفيق الملك الخالق البصير، على
يد العبد الضّعيف النّحيف، الرّاجي رحمة ربّه اللّطيف، خُويدم العلماء والفُقراءِ
النّظيف، المُرتجى عفو الله الكريم، المُلتجئ إلى جوارِ هذا النّبِيّ الرّحيم، الفقير
إلى الله الغنيّ الوفيّ، أشرف الحسينيّ الحنفيّ الغزنويّ، عفا الله عنه وعن والديه،
وأحسن إليهما وإليه، وعن كافّة المسلمين؛ بالمدينة المُشرّفة على مشرفها من
الصّلواتِ أفضلها، ومن التّحياتِ أكملها، برباطِ الأصفهانيّ في قبة مُنشئها
رحمه الله المحاذية شُباكها بشباكِ مسجدِ النّبِيّ، عند قدمه الشّريفة صلى الله عليه،
في اليوم العيّد الأضحى سنة أربع وتسعين وسبع مئة؛ حامداً ومصلياً ومسلماً.

تمّت المُقابله مع النّسخة المَنقولِ عنها، وهي التي كانت بخطّ الشّيخ
العالمِ العاملِ الفاضلِ الكاملِ المحقّقِ المدقّقِ السّالكِ في الطّريقينِ المَحظوظِ

عن الفريقيين أبي طاهرٍ محمَّد بنِ الشَّيخِ السَّالِكِ رُوذْبَهَانَ بنِ أَحْمَدَ بنِ عَلِيٍّ، رَحِمَهُمُ اللهُ، وَكَانَ اخْتِتَامُ الْمَقَابِلَةِ بِالْمَدِينَةِ الْمَشْرِفَةِ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَى مَشْرِفِهَا بِالرُّبَاطِ الْمَذْكُورِ تَحْتَ هَذِهِ الْأَسْطُرِ فِي ٢١ مِنْ شَهْرِ اللهِ الْحَرَامِ الْأَصَمِّ رَجَبٍ عَمَّتْ مِيَامُنُهُ مِنْ سَنَةِ ٧٩٥.

ثُمَّ وَقِفْتُ بِأَخْرَةِ عَلَى نَسْخَةٍ خَطِيئَةٍ مِنْ مَحْفُوظَاتِ مَكْتَبَةِ جَامِعَةِ الْمَلِكِ سَعُودٍ بِرَقْمِ (٦٨١٦) وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ جِزْءٍ وَاحِدٍ، وَوَقَعَ فِي أَوَّلِهَا خَرْمٌ فَاتَ بِسَبِيهِ مَقْدَمَةٌ الْكِتَابِ وَبَعْضُ الْبِسْمَلَةِ، وَيُنْتَهِي هَذَا الْجِزْءُ بِخِتَامِ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْكَهْفِ، وَنَاسَخُهَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ، أْتَمَّ نَسْخَهَا فِي شَوَّالِ سَنَةِ (٦٠٩ هـ)، وَيَقَعُ هَذَا الْجِزْءُ فِي (١٧١) لَوْحَةً، وَقَدْ أَفَدْتُ مِنْ هَذِهِ النُّسْخَةِ فِي مَوَاضِعٍ كَثِيرَةٍ بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَى، وَرَمَزْتُ لِهَذِهِ النُّسْخَةَ بِالرَّمْزِ (ط).



عملنا في الكتاب

ذكرنا أن «لباب التّفسير» لحقه الظلم بسبب الخلط الذي وقع بينه وبين أخيه الأصغر؛ «غرائب التّفسير وعجائب التّأويل»، والجهل بغاية تاج القراء الكرمانيّ من ذكر الغرائب والعجائب، وقد انطلقنا في عملنا على هذا الكتاب، وقد جعلنا نصب أعيننا أن نقرب الغاية التي أرادها المصنّف، ونبدّد الغياية التي أحاطت بمنهج المؤلّف، وأردنا أن نقدّمه بصورة تُدني من طالبه جناه، وتُتيح لأهل العلم أن يضعوه في المكانة التي يستحقّها، وينزلوه المنزلة التي تليق به، وقد حاولنا بلوغ ذلك من خلال الآتي:

١ - نسخ الكتاب من النسخة الخطيّة لمكتبة (نور بانو) المرموز لها بـ (ن) وذلك لتماّمها، ثم مقابلتها على بقية النسخ الخطية الأخرى، وقد بذلنا جهدنا لاعتماد الأصوب واختيار الأنسب، وإثباته في المتن، وأثبتنا في الحواشي من فوارق النسخ ما في إثباته فائدة أو له وجه، ولم نثقلها بما لا طائل فيه.

٢ - تصحيح النّص، وإعادة ما وقع فيه من تصحيف أو تحريف إلى جادة الصّواب؛ ليظهر بالصورة التي أرادها مؤلّفه.

٣ - تقسيم النّص وترقيمه بما يناسب الطريقة التي نهجها مؤلّفه، ويعين على الغاية التي يريدّها قارئه.

٤ - ضبط ما أشكل من ألفاظ النّص، وما يكشف المعنى من تراكيبه، والعناية بضبط القراءات والنصوص الحديثيّة، وما أورده المصنّف من اللغات وما استشهد

به من الأساليبِ العربيّة، وذلك بالاستفادة من ضَبْطِ النُّسخِ الخطيّة التي وافق ضبَطُها وجه الصَّوابِ في الغالبِ، مع الاستعانة بالتَّفاسيرِ وكتبِ المعاني والقراءاتِ والأحاديثِ النّبويّة، وأمّهاتِ كتبِ اللُّغةِ ومعاجمِ العربيّة.

٥ - تخريجُ الآياتِ القرآنيّة التي يستشهدُ بها المصنّفُ في تفسيره، وذكرُ سورِها وأرقامِها بين معكوفتين.

٦ - تخريجُ القراءاتِ القرآنيّة، ونسبُ كلِّ قراءةٍ إلى قارئها، وتبيينُ المتواترِ من الشّاذِّ منها، وذلك بالاعتمادِ على الكتبِ المختصّة في هذا الشّأنِ.

وقد التزمنا منهجاً لتمييزِ متواترِ القراءاتِ من شاذّها، وذلك بوضعِ القراءاتِ المتواترة بين قوسينِ مُزهرين، والشّاذّة بين قوسينِ عاديين.

ولمّا كان الكرمانيُّ معروفاً بتاجِ القُراء، ولمّا كانت معرفته بالقراءاتِ القرآنيّة وعنايته بها بارزةً في كلامه، فقد أولينا عنايةً خاصّةً لضبَطِ القراءاتِ ضبَطاً سليماً، لا سيّما أنّ النُّسخَ أثبتوا في كثيرٍ من الأحيانِ القراءةَ المشهورةَ عندهم غافلين عمّا أرادَه المصنّفُ، وقد حاولنا أن نعيدَ ذلك إلى جادّة الصَّوابِ، وقد حاولنا ما استطعنا ألا نُغفلَ نسبةَ قراءةٍ مهما طالت رحلتنا في البحثِ عن مصدرِ لها، ولكنّا لم نستطع في مواضعٍ قليلةٍ إلا أن نعلنَ عجزنا عن مجاراةِ هذا الفارسِ في ميدانه.

وقد التزمنا عندَ عزوِ القراءاتِ منهجاً لم نخالفه إلا لسببٍ بينٍ عندنا؛ فإن كانت القراءةُ من السّبعةِ المتواترة كانَ العزوُّ إلى كتابِ «السّبعة» لابنِ مجاهدٍ، وكتابِ «التيسير»، لأبي عمرو الدّاني.

أمّا تمامُ العشرةِ المتواترة فالعزوُّ لكتابِ «النشر» لابنِ الجزريِّ.

أمّا القراءاتُ الشّاذّةُ فالعزوُّ لكتابِ «المختصر في القراءات الشّاذّة» لابنِ خالويه و«المحتسب» لابنِ جنيٍّ و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرمانيِّ بدايةً؛ فإن لم

نهتد لمرادنا انتقلنا إلى «معاني القرآن» للفرّاء، وللزجاج، وللنحاس، و«إعراب القرآن» له أيضاً، و«المصاحف» لابن أبي داود، فإن لم نجد بغيتنا وسعنا البحث في عموم التفاسير ومشاهير كتب اللّغة التي تقدّمت على المصنّف، فإن عجزنا كان آخرُ طبنا الكي، والكي في نظرنا العودة للتخريج ما يذكر المصنّف ممّن تأخروا عنه، كالزّمخشري في «الكشاف» وأبي حيّان في «البحر المحيط»، وغيرهما.

وقد كان الكرمانّي يتوقّف لنقاش بعض القراءات وإعرابها، وقد كانت عمدته في هذا كتاب «الحجّة» لأبي علي الفارسي، فلذلك كان هذا الكتاب حاضراً في تخريجاتنا.

٧ - تخريج الأحاديث النبويّة الشريفة من دواوين السنّة المعتمدة، وبيان درجتها، وذلك بالرجوع إلى كلام أئمة علم الحديث ونقده الآثار.

٨ - تخريج الآثار التي ذكرها المصنّف عن السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم ما وجدنا إلى ذلك سبيلاً.

٩ - نسبة الشواهد الشعريّة والأرجاز إلى قائلها ما لم يكونوا مجهولين، وتخيُّبها من دواوينهم، وأمّهات كتب اللّغة والآداب، والتفاسير وكتب المعاني والإعراب، هذا مع إتمام الشاهد إن لم يُذكر بتمامه، وتفسير مُشكله، وبيان وجه الاستشهاد به عند الحاجة.

١٠ - تخريج الأقوال التي ذكرها المصنّف عن المصنّفين والمفسّرين والعلماء قبله، وعزوها إلى كتبهم إن وُجدت فيها، وإلى أهم المصادر التي نقلتها، مع الانتباه إلى ما ينقله المصنّف من مصادره مباشرة أو بواسطة، وما يتصرّف فيه، والتنبه على ذلك عند الحاجة.

١١ - ترجمة غير المشهورين من الأعلام ترجمة مختصرة، وذكر أهم مصادر الترجمة.

وقد عمدنا إلى الاقتصار في التّراجم - والتّخرجاتِ عموماً - على ما فيه فائدةٌ للقارئ، وأعرضنا عن التّوسّع فيه خشيةً الخروجِ بالكتابِ عن الغاية التي أريد له تحقيقُها.

١٢ - مقارنةً ما ذكره المصنّف في «بابِ التّفاسير» بما ذكره في «غرائبِ التّفسيرِ وعجائبِ التّأويل»، و«البرهانِ في متشابهِ القرآن»؛ لبيان ما كان يعتمدُه من الأقوال، وما كان يستغربه وينكره.

١٣ - شرحٌ ما غمّض من كلامِ المصنّف، وبيانٌ ما أشكل من تعابيره، وما أبهمه الإيجازُ من نقوله وتقريره، وتعقُّبه في بعضِ الآراءِ والمسائلِ التي أوردها إن كان لذلك ضرورة.

١٤ - تسليطُ شيءٍ من الضوءِ على الملكةِ اللّغويّةِ الرائعةِ والقدرةِ الاشتقائيّةِ الواسعةِ التي امتازَ بها المؤلّف، وإيضاحُ بعضِ المعاني الغامضةِ التي أشار إليها في هذا المجال، وذلك بالرّجوعِ لكتبِ اللّغةِ والغريبِ كـ«المنتخب» و«المنجد» لكُراع النّمل و«الزاهر» للأنباريّ و«تهذيب اللّغة» للأزهريّ و«مجمّل اللّغة» لابنِ فارسٍ و«الصّحاح» و«أساس البلاغة» و«النهاية في غريبِ الحديث» و«القاموس» و«تاج العروس» وغيرها.

وقد أشرنا في أهميّةِ «بابِ التّفاسير» إلى قضيّةِ الاشتقاقِ التي حازَ فيها المصنّف قصبَ السّبِق، وقد جعَلنا اهتمامه بها ملزّمين بمتابعته، ولو بعدت علينا الشّقة، وقد وجدنا المصنّفَ ينقلُ كثيراً عن «العين»، فقرّبناه وكنّا قبلُ نبعده، وقدّمناه وكنّا قبلُ نوخّره.

كما أنّا رجعنا عندَ البحثِ في هذا الجانبِ لكثيرٍ من كتبِ الأدبِ والأمثالِ كشُروحِ «الحماسة»، و«الأمثال» لأبي عبيدٍ، و«جمهرة الأمثال» للعسكريّ، و«مجمّع الأمثال» للميدانيّ، وغيرها.

١٥ - ولما كان تاجُ القراء مهتماً ببيان المتشابه من ألفاظ القرآن، وكان يولي عنايته لأسرار التكرار في كتاب الله عز وجل، وهو ينظر إلى القرآن الكريم نظرةً كليّةً شموليّةً، فقد وجدنا أن من واجبنا أن نسلط الضوء على هذا الجانب في «لباب التفسير»، ونربطه بأخيه «البرهان»، كما وجدنا أن للقارئ فائدةً في البحث عن جذور أعمق لكلام الكرمانيّ في كتب من تقدّم من المفسرين واللغويين، ومن اعتنى بهذا الشأن من المتقدمين كالباقلائيّ في «الانتصار للقرآن» والخطيب الإسكافي في «درّة التنزيل وعرّة التأويل».

١٦ - كتابة دراسة تفصيليّة لتاج القراء الكرمانيّ، وكتابه «لباب التفسير»، وقد جعلتها في تمهيد، وثلاثة مباحث.

أمّا التمهيد فكان بعنوان: لمحة عن تطور علم التفسير قبل تاج القراء الكرمانيّ.
وأمّا المبحث الأول فكان بعنوان: عصر الكرمانيّ.

وقد تمّ البحث فيه من ثلاثة جوانب:

أولاً - الحياة السياسيّة.

ثانياً - الحياة الاجتماعيّة.

ثالثاً - الحياة العلميّة والثقافيّة.

وأمّا المبحث الثاني فكان بعنوان: ترجمة العلامة تاج القراء الكرمانيّ.

وقد تمّ البحث فيه من جوانب متعدّدة، وهي:

أولاً - اسمه ونسبه وكنيته ولقبه.

ثانياً - ولادته ونشأته.

ثالثاً - شيوخه.

رابعاً - تلاميذه.

خامساً - مذهبه (العقديّ - الفقهيّ - النّحويّ).

سادساً - مؤلّفاته.

سابعاً - ثناء العلماء عليه.

ثامناً - وفاته.

وأما المبحثُ الثالثُ فكانَ بعنوان: دراسةُ كتابِ «لبابِ التّفاسير».

وقد تمّ البحثُ فيه من ستّة جوانب، وهي:

أولاً - عنوانُ الكتابِ ونسبته إلى مؤلّفه.

ثانياً - أهمّيّة «لبابِ التّفاسير».

ثالثاً - اهتمامُ العلماء به.

رابعاً - منهجُ الكرمانيّ فيه.

خامساً - أسلوبُ الكرمانيّ فيه.

سادساً - مصادرُ «لبابِ التّفاسير».

سابعاً - وصفُ النّسخِ الخطّيّة.

وقد ختمنا هذه الدّراسةَ ببيانِ عملنا في الكتاب.

١٧ - وضعُ فهرسٍ علميّةٍ للكتاب، تسهّلُ للباحثِ الاطّلاعَ عليه، وللقارئِ

الرّجوعَ إليه، وقد اشتملتْ هذه الفهارسُ على: فهرسِ الآياتِ القرآنيّةِ الكريمة،

وفهرسِ الآياتِ التي ذُكر فيها وجوهُ القراءاتِ المتواترة، وفهرسِ القراءاتِ

الشّواذ، وفهرسِ الأحاديثِ النبويّةِ الشّريفة، والآثارِ، والأشعارِ والأرجازِ

والأعلامِ والمصادرِ والمراجع.

وفي الختام نسألُ اللهَ أن يرزقنا الإخلاصَ، ولا يحرمنّا الأجرَ والثوابَ،

وينفعَ به العلماءَ والطلّابَ، وصلى اللهُ على نبيّنا محمّد وآله وصحبه، والحمدُ لله

ربِّ العالمين.

صور المخطوطات

الجزء الأول من كتاب التفتيش

بمضونات الامام العلامة بهاء الدين
 تاج القزاقيل لمحمود بن حمزة بن
 نصير بن محمد بن الله بفقواة واكمه
 اعلى من جنانة منه ولطفه
 وللهدى دبت العالمين
 وهى الله على يدنا
 محمد والمؤمنين
 اجتمع
 سنة ١٢٨٠

٤٨

مكتبة نور بانو والمرموز لها بـ (ن)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل القرآن خيرا من غيره... انما انزلناه بالقرآن لعلهم يتقون... انما انزلناه بالقرآن لعلهم يتقون... انما انزلناه بالقرآن لعلهم يتقون...

مطابق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل القرآن خيرا من غيره... انما انزلناه بالقرآن لعلهم يتقون... انما انزلناه بالقرآن لعلهم يتقون... انما انزلناه بالقرآن لعلهم يتقون...

الجزء الثاني من كتاب التفسير

من مصنفات الامام العاصم بدهان اللين
 تاج القراء الى الششم محمود بن حنبل بن
 نصر بن عدي بن اسكنه
 بحوكة جانه بنته وفضل
 وللمدة رب العالمين
 وحلي شعلي بن
 محمد والرحمة
 اجود
 سنة ١٩٤٤

١٩

قالوا لولا ان الله اعلم
 بالباطن الماطع عفا الله عن
 ذنوبه الجزئية على الامم لله
 وجهه ورحمة الله على سيدنا محمد

مكتبة نور بانو والمرموز لها ب- ن
 سنة ١٩٩٤
 رقم المكتبة ٣٧٤١

سنة ١٩٩٤
 رقم المكتبة ٣٧٤١

3741

صورة غلاف الجزء الثاني من النسخة الخطية من مكتبة نور بانو والمرموز لها ب- (ن)



صورة اللوحة الأخيرة من الجزء الثاني من النسخة الخطية من مكتبة نور بانو والمرموز لها بـ (ن)

استل هذا المصنف معني من سنة ١٣٠٠ هـ
 عن والده على ما هو الحال وكنت احب
 صورة عظام ملك الجوهري عفا الله عنه
 سنة ١٣٠٠ هـ

سنة ١٣٠٠ هـ ملكه رجع له ان
 بالعلم والعمل
 محمد علي الكفاح

عظم ملك

الزيج الثالث
 من كتاب تفسیر القرآن
 تصنيف الشيخ الامام تاج القرائين تقي الدين
 محمود بن محمد بن نصر الكراخي فارس الله
 في روجه العزیز الكراخي

اسم هذا المصنف المسمى باسمه
 الذي عن ابن عمر الله ولوالديه وولده
 في تاريخ حرم حرم حرم سماه
 بلغه الله الملك وحسن ما يحكي
 خلفه

صاحبها جليل الفقه الى الله
 محمد احمد مؤيد عماد الدين
 عصره في اوله الله
 تاريخه الاول سنة ما
 في

٥٥

صورة غلاف الجزء الثالث من النسخة الخطية من مكتبة الفاتح والمرموز لها ب (ف)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ زبانه اللذين
قال الشيخ الامام برهان الدين سعد الاعلام الفراء ان التسميم هو
بجهد فليس الله سبحانه وسبحانه من طهره وقيل كية الآرية
التي تده كهي بعض ذكرت فياسن اناله الفتور وفيه
التي ان اللفظة التي ان التور وقرا في بعض التفسيرات هذا الموضع
من جناسا الجمل مني تدا على ذمة بقا الايام والمدة سخاله سنة وثلاثة
وتسعون سنة ثم تقوم القيامة وهذا عطف على اطل من الله اوجه
اجدها ان هذا جوع علم يوم القيامة واوقته يقول انما علمها عند الله و
التأثيرات حساب الجمل لا تقدر في الحرة والله يقول انما حطائة
قرا ناعرا ولسان عربي والثلاث انما اخذها جناس الجوز وغيره كونه
ولوا خفي سياتها مكرمة لو جاز ما اشعنا ما ذوب بعض المتعديين
ان الله اسم من اسم الله عز وجل وقيل انه الاسم الاحتمل وروي
عن علي بن ابي طالب انه كان يهاب بله بعض كان يدعو ان يقول في
دعائه يا عيسى وهذا عطف وجهين اجدها ما ذكر انه اسم من حاله
والثاني انه صفة الله كان في عن بن عباس رضي الله عنه انه قال
الكاف من كانه وقيل من كرم وقيل من كبر والها من هاد
وايزون ابن جابر قالنا نجي لانه لم ياتي في انما الله ما ازلها وعن
غوية الهان بن ميم وقيل من علم وقيل من كرم وقيل من قولهم
بسم تبيد ولا يهاز عليه قاله الشيخ بن ابي من والحين من علم وقيل
من عز وجل وقيل من علم والقادرين ما قيل هو اسم الهان
وقيل اسم الله وقيل لا كره حقه وركب كبره وقيل

Digitized by U. Nigam
Al-Farabi
Mashhad
1342

اي ما ذكره رتبة عباد والذمة فيحون اللذين زبانه اللذين وقيل رتبة
ركب عده فيكون الزبانه فاعلم الرحمة وعباده منعولها والوجه منعولها
الذبح من يوزان يكون الذكر خانا في الرحمة وهي فاعلة وعباده منعولها
كما تقول ذكر يجر ذرية وقيل الرحمة صالة ورخصتا بدل عن العباد
قوي في الغريب عده بالرفع يكون ناعرا الذكر **اَكْرَامًا كَرِيمًا**
تضربا وخيمه وقيل زعيمونه فاجدها عن القوم هم اربعين القرا
التي عطف لمرقة بالان وقيل تالعتها لا يدخله ربا وقيل التماسحي
قرا القوم ان يسأل الله العادلين كبر اللذين من سلة عاقره وقيل كراهة
في وسط الليل وقيل علم ان ربح القوم ويخصه بذلك انه تكلم
في الغرض خصم فاختاره ان يادي ظر للذكر وقيل الخطة وقيل
ظرف للبال بعدد ويختلفا تميم السبأ القرا: **وَعَصَى رَبُّهُ أَنْ يُنَزِّلَ**
قَالَ رَبِّي لِي وَهَلْ كُفِّرُ بِهِ وهذا تميمي هذا تميمي
وعناه صفتي كذا في ليعبر حتى والارامة الوحيه وكان له سبعون
سنة وقيل **وَهَلْ يَحْتَسِبُ** وهي تقول **وَهَلْ يَحْتَسِبُ** وروى يرون
قروى يرون وحصل العلم بالذکر لان ياتي في مائة الانبياء وسخطا ان المولد
بالفعل الاستان **وَأَشْرَسُوا لَأَسْرِ** تسمى شفا في ربي
المسيب اشعنا انما اذا انقربت في الفاعلها وبنار شت خلا وقيل
الاشتعال اشتار لفتح النار اي اشتعال الشيبه فيه اشتعال الشيبه
وقيل علاج الشيبه فيه وفي ضبه قولان اجدها القوم لان اشتعال
الاسم لهم لا يدريهم اشتعل وقيل اشتعل به كذا المعنى لان اشتعل

هذا هو النص
في نسخة
من نسخة
من نسخة
من نسخة

أَنعَمَ مَا يَسْتَعَاوُونَ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ بِأَرْبَعِ أَيَّامٍ
 الْعَذَابِ وَقِيلَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ صَبَّحَ
 الْمَلَائِكَةَ بِرَبِّهِمْ يَبْسُجُ صَبَّاحَ الْكَافِرِينَ يَوْمَ تَرَوُنَّ الْعِزَّةَ
 وَذِكْرَ الصَّبَّاحِ وَالْمَزَادَ بِهِ الْيَوْمَ وَقِيلَ نَزَلَ وَتَبَّ الصَّبَّاحُ
 نَزَلَ يَوْمَ لُوطٍ مِنْ قَوْمِهِ السَّبَّاحُ بِرَبِّهِمْ وَقِيلَ لَمَّا
 حَتَّى جَبِينٍ وَأَبْصُرُوا نَبِيَّكُمْ بِبَصَرٍ
 قِيلَ مَا تَعْبُرُونَ لِمَا تَجْعَلُونَ قِيلَ الْأَوَّلُ فِي الدِّيَارِ ثَابِتٍ
 فِي الْأَخْرَةِ وَقِيلَ تَرَى الْيَوْمَ عِزَّتِهِمْ إِلَى ذَلِكَ وَتَرَى بَعْدَ الْيَوْمِ
 مَا تَعْبُرُونَ بِهِ مَا تَأْمُرُونَ فِيهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ يَا وَجْهَ اللَّهِ
 اجْتَنِبُوا الْأَوَّلَ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَرْشِ
 عَاطِبُونَ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْكَتَابِ وَالْجَنَّةِ
 رَبِّ الْعَرْشِ ذُو الْعَرْشِ لَنْ الْعَرْشِ صَفْتَهُ لَا مَكْرُوبٌ لَهُ وَالْجَنَّةِ
 إِنَّ ابْنَ عَاسٍ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ اللَّهُمَّ رَبِّ السَّمَوَاتِ فَأَنْجِرْ
 عَلَيْهِ وَتَأْكُلِ السَّمَوَاتِ لَيْسَ بِمَرْبُوبٍ وَلَكِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ وَسَلَامٌ
 عَلَى الْمُرْسَلِينَ عَمَّ الرَّسُولُ السَّلَامُ بَعْدَ مَا خُصِّلَ الْبَعْضُ
 فِي الشُّورَةِ لَنْ يَخْبِرُ كُلَّ وَاحِدٍ بِالذِّكْرِ طَوْلٌ وَعَنْهُنَّ
 مَا لَكَ مَا كُنْتَ تَأْكُلُ لَوْلَا اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِذَا سَلِمْتَ عَلَيَّ
 فَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ كَأَنَّكَ أَمْرٌ مِنَ الْمُرْسَلِينَ وَقِيلَ إِذَا
 رَعِمَ مِنْ تَسْلِيمٍ وَكُفِّرَهُمْ كَذَلِكَ الشُّورَةِ وَالْقَوْلُ هُوَ الْأَوَّلُ وَ
 الْمَعْنَى تَسْلِيمُهُمْ وَبِهِمْ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ وَتَعَابُ صَفْوَةٌ سُبْحَانَ الْعَرْشِ
 أَيَّامٍ عَاطِبُونَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

على ما كان الكافرون وتسلل علم عبادة كبريت سجود في القواقع
 والحوائط وعن علي بن أبي طالب عليه السلام من أحب من كمال
 المكال الذي في من لا حرج يوم القيامة فليكن أو ذكرا لا يدور عليه
 من كمال ربيك ربت العزة إلى آخره
 ثم الريح الثالث من كتاب المفسر القلان
 وتناوه في الريح الرابع أقل من غيره
 كما جليله رب العالمين وصلى الله على
 سيدنا محمد المصطفى وآله الطاهرين
 أجمعين الفراع من كعبته يوم الحجاب
 الكاشرون شهر صفر سنة أربع وخمسين
 في سنة ثمان مائة في
 كاتبها السيد الضيف الجناح الذي سماه الله
 علي بن عبد الله من صمود المؤمن جامع عربي
 عسكرهم عفر الله له ولوالديه ويحج المؤمن
 في أمين رب العالمين

Digitized by	Phanous
Library	Fatih
Volume	
Page	417

٤٧٣

٤٧٣

صورة

٤٧٣

الزنج الرابع

من كتاب تفسیر القرآن
تصنيف الشيخ الامام تاج الفهر او القاسم
محمد بن حمزة بن نصر الکرمانی قدس الله
في درجة العزیز

عدد اوراقه ١٠١

صاحبها

صاحبها

صاحبها

صاحبها

صاحبها

صاحبها

صاحبها

صاحبها

اقتل حکم الشیخ

الامام محمد بن

الامام محمد بن

الامام محمد بن

Soleiman - D. M. Johanes
٧٠
٧٠
٧٠

صورة غلاف الجزء الرابع من النسخة الخطية من مكتبة الفاتح والمرموز لها ب (ف)

بأشبه
قال الشيخ الإمام برهان الدين سعد الألام الأمام السلام تاج الفوائد والقبول
بمشهور من حديث قدس سره رحمه الله وسورة شوق حرمه سبحانه
ص في القرآن يحق القول في المأثور ويخص ما قاله
ابن عباس أنه عز عليه عرش الرحمن سبعين مجبرين
يعني به الله المتعظيم والنفوس والقبول من جمال الله
الضمان وقيل إن سورة الفصح هو كقولك وأنت
والله وقيل إن سورة الفصح هي في قوله
بالنعم لا يثاب الشاكين وقيل إن اسم السورة لا يتصرف
شأنه في ما ذكره من أن السورة في قوله تعالى
بأنهم لا يؤمنون إلا بما جاء به من لدن ربهم
بأنهم لا يؤمنون إلا بما جاء به من لدن ربهم
وقيل إن قوله تعالى وقيل إن قوله تعالى
وقيل إن قوله تعالى وقيل إن قوله تعالى
وقيل إن قوله تعالى وقيل إن قوله تعالى
وقيل إن قوله تعالى وقيل إن قوله تعالى
وقيل إن قوله تعالى وقيل إن قوله تعالى
وقيل إن قوله تعالى وقيل إن قوله تعالى
وقيل إن قوله تعالى وقيل إن قوله تعالى
وقيل إن قوله تعالى وقيل إن قوله تعالى
وقيل إن قوله تعالى وقيل إن قوله تعالى

والفصح عليه حد في الأمام فصار كأننا نعلم كأننا نعلم كأننا نعلم كأننا نعلم كأننا نعلم
العتدأ وهو غير متعين عند البعض من لأن حكمه لغيره متعين لا يتغير
لأنه لا يملك إلا ما اقتضاه قلبه صدر الكلام لا حاجة به إلى التمسك وقيل
جوابه فصح من قوله بل الله عز وجل ما قاله في قوله تعالى
تؤمنون بكتبكم بل منهم قوم يضرونكم وما آلوا بالقرآن معونه
في عزه من أن الله عز وجل ما قاله في قوله تعالى
بأنهم لا يؤمنون إلا بما جاء به من لدن ربهم
وقيل إن قوله تعالى وقيل إن قوله تعالى
وقيل إن قوله تعالى وقيل إن قوله تعالى
وقيل إن قوله تعالى وقيل إن قوله تعالى
وقيل إن قوله تعالى وقيل إن قوله تعالى
وقيل إن قوله تعالى وقيل إن قوله تعالى
وقيل إن قوله تعالى وقيل إن قوله تعالى
وقيل إن قوله تعالى وقيل إن قوله تعالى
وقيل إن قوله تعالى وقيل إن قوله تعالى
وقيل إن قوله تعالى وقيل إن قوله تعالى
وقيل إن قوله تعالى وقيل إن قوله تعالى

صورة اللوحة الأولى من الجزء الرابع من النسخة الخطية من مكتبة الفاتح والمرموز لها ب (ف)

ووقفت دخل الوقت فأوقفه أحدهم ومن شر
 القضاة من جعل الحقل الفسح يفر من ظهر ربه
 بخلاف الفحل والمراد بهن نبات لبدا السواجر وغيره من
 الغنم تجمع عنفة وسيد كيفة ذلك أنوالها كرها
 إلهام الأذن وخيل المرض ولا تأيسره والثابت
 أنه يوشركنا بغير العن سيد المظنون والثابت
 يحضونه الجرس ويذبحر النبي صلى الله عليه وآله فويل
 قال بعضهم حجره لسيدنا سحر وكاد سحره وعلية
 الجهور فاشكره بعضهم وقالوا إن الله أنكر على من تكلم
 فترأى صفة النبي صلى الله عليه وآله حيث يقول وقال
 الظالمون إن يتحضر الرجل أسجودا الذيات وتبذل
 إذا بالثا وثالث في العتد الثا العواقب يسأل ثاوب
 الرجال فحيث قال أبو تمام
 يا التاليات التي عزعتك البحر والثا وثالث في عتقك
 وتبذل من السواجر التي تنفث في العتد كأنها تنفث
 بهما يشي نكراه ومن شر كاسا الأخصار
 يعني لبدا وتبذل اليهود كلهم وتبذل جاسد
 الأكلد المؤمن والبرمقن ووال العمة من صاحبها
 وشتر الجاسد عينة وتبذل شتره إيقاع التمر الخجود
 ينشع عتراه واثنا مساوي
 سن في الثا ثا و قيل صا ريب

تم الكاوت بنا محمود وله الفضائل والعلي لا يجر
 القول السراخ من كبته يوم السبت نصف
 شهر جمادى الأولى من سنة أربع وخمسين
 وسنة ثمانية
 كان في العبد الضعيف المحتاج الي رحمة الله تعالى
 علي بن عبد الله بن محمود المؤمن نجام غربي
 عسكره سلم غفر الله له ولوالديه ولجميع المؤمنين
 آمين ربنا العالمين

السراخ الكاوت
 العبد الضعيف
 المحتاج الي رحمة
 الله تعالى
 علي بن عبد الله
 بن محمود المؤمن
 نجام غربي
 عسكره سلم
 غفر الله له
 ولوالديه
 ولجميع المؤمنين
 آمين ربنا العالمين

U. 1161	U. 1161
7	7
7	7
7	7



اصححه المصاحف
ولي الدين ولي
عسكر محمد علي
عمر



جلد اول زينبا
التقاسم

الشيخ صالح عبدالعزیز بن احمد بن محمد بن شفاء الطائفة في فسانا القرآن
اعلم ان الله تعالى كتب القرآن بقدرته في اللوح المحفوظ ثم كتبه في صحف وارسل الى رسوله
الذي جعله في بيت الحجر وذلك في الاربعة والعشرين من شهر رمضان وكان ليلة القدر في
ذلك العام فهو قوله تعالى انزلناه في ليلة القدر وقوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه
القرآن بعضه من اللوح المحفوظ انزلت الغزوة وقوله تعالى في صحف كريمة من فوق مطوية يابري سفر كرامه مرة وهم من ذلك
موتلون به في بيت العزة وقوله تعالى انزلناك كرم اي ربيع القدر في كرامه يكون اي مضمون في السماء لا يشهد الا للعلم والهدى
عنى الامانة التي تكون به ويصعد كرامة به من عليه السلام مفرقا في ثلاث وعشرين سنة واولها من رجب
العلق وكان جبريل انزلها في ليلة القدر في يوم الاثنين في ربيع الاول سنة ثمان وعشرين من الهجرة النبوية
وفي رواية اخرى ان الله تعالى انزلها في يوم الاثنين في ربيع الاول سنة ثمان وعشرين من الهجرة النبوية
سليحنا ونعمنا الى المتبادر وقد كتب في تاريخ ابن بكر الصدوق كما ذكره البخاري وغيره

صورة غلاف النصف الأول من النسخة الخطية من مكتبة ولي الدين أفندي والمرموز لها بـ (و)

لِبَايَةِ التَّفَاسِيْرِ

تَأَلِيفُ الْإِمَامِ الْمُقَسِّدِ

تَاجِ الْقُرَّاءِ الْكِرْمَانِيِّ

بُرْهَانَ الدِّينِ أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدِ بْنِ حَمْرَةَ بْنِ نَصْرِ الْكِرْمَانِيِّ الْحَنْفِيِّ

الْمُتَوَفَّى بَعْدَ سَنَةِ ٥٠٠ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِاللَّهِ الْعِصْمَةِ وَالتَّوْفِيقِ

الحمد لله مُنْزِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ مُحَدَّثٍ وَلَا مَخْلُوقٍ، الْخَالِقِ الرَّازِقِ قَبْلَ كُلِّ مَخْلُوقٍ ومرزوق، الْعَالِمِ الْقَادِرِ الْمُرِيدِ بِعِلْمٍ وَقُدْرَةٍ وَإِرَادَةٍ، مَدْبِرِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَمَقَدِّرِ الشَّقَاوَةِ وَالسَّعَادَةِ، بَعَثِ الرُّسُلَ وَأَزَاغِ الْعِلَلِ وَأَنَارِ السُّبُلِ؛ لِثَلَا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حِجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ، أَوْضَحِ الْآيَاتِ بِخَلْقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ بَدْعًا، فَوَجِبَ عَلَيْهِمُ النَّظَرُ فِيهَا شَرْعًا لَا عَقْلًا وَطَبْعًا، دَعَاهُمْ إِلَى طَاعَتِهِ، وَأَعَانَهُمْ عَلَيْهَا بِرَأْفَتِهِ، فَالِاسْتِطَاعَةُ وَالْفِعْلُ مَقْرُونَانِ، وَوَعَدَهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ نَعِيمًا، وَأَوْعَدَهُمْ عَلَى الْعِصْيَانِ جَحِيمًا، فَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ، بَشَّرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِالرُّؤْيَةِ فِي الْآخِرَةِ، فَقَالَ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، وَحُرِّمَ الرُّؤْيَةَ وَالنَّعِيمَ الْجَا حِدُونَ، فَقَالَ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجْرُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

وَالصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ حَيًّا وَمَيِّتًا، انْتَجَبَهُ^(١) وَاصْطَفَاهُ مِنْ أَكْرَمِ خَلْقِهِ جُرْثُومَةَ^(٢) وَبَيْتًا، فَندَبَهُ لِلخَلْقِ بِشِيرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسَرَا جًا مِنْيرًا؛ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ هُمْ أَعْلَامُ الدِّينِ، وَمَنَارُ الْإِسْلَامِ وَقُدُوةُ الْمُسْلِمِينَ؛ صَلَاةٌ تُرْبِي عَلَى عَدَدِ الرَّمْلِ وَالْحَصَى، وَمَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ شَمْسُ الضُّحَى.

(١) أُشِيرَ فِي (ن) إِلَى جَوَازِ قِرَاءَةِ الْكَلِمَةِ بِالْجِيمِ وَالْخَاءِ، وَمَعْنَى (انْتَجَبَهُ): اسْتَخْلَصَهُ وَاصْطَفَاهُ. انظُرْ:

«تاج العروس» لِلزَّيْدِيِّ (٢٣٨/٤) مَادَّةُ (ن ج ب).

(٢) الْجُرْثُومَةُ: أَصْلُ كُلِّ شَيْءٍ وَمَجْتَمَعُهُ. انظُرْ: «الْفَائِقُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ» لِلزَّمْخَشَرِيِّ (٣/١٦٣).

وبعدُ:

فإنَّ أشرفَ العلوم منزلةً وشأنًا كلامٌ^(١) الله الذي أنزله على نبيه محمدٍ موعظةً وبيانا، وأحقَّ ما تُصَرَّفُ إليه الهممُ من بين العلوم والحكم تدبُّره؛ لقوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا﴾ [ص: ٢٩] الآية، ولقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

فجمعتُ في هذا الكتاب من أقاويل الأئمة، ونحارير الأمة، الذين عنوا بعلم القرآن ومعانيه، وتفسيره وتأويله ومبانيه؛ ما يجري مجرى فُصوص النُصوص، بعدَ الخلاص والخُصوص، وسمَّيت الكتاب:

لِبَيَانِ التَّفَاهِيهِ

مستعينًا بالله، ومعتمدًا عليه، إنَّه وليُّ الإعانة والتَّوفيق.

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

سورة الحمد

وآياتها سبع، وهي مكيّة ومدنيّة^(١)

قال الشيخ الإمام تاج القراء أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصر رحمة الله عليه: لهذه السورة - فيما حدّثنا به الإمام أبو سهل محمد بن عبد الرحمن بن أبي الفضل النيسابوري عن الواحدي عن الثعلبي - عشرة أسماء: سورة الحمد، و فاتحة الكتاب، وأمّ القرآن، والسبع المثاني، والوافية، والكافية، والشفاء، والأساس^(٢)، والصلاة، وسورة تعليم المسألة^(٣).

وهي مكيّة في قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(٤)، مدنيّة في قول مجاهد^(٥)، وقيل: هي مكيّة مدنيّة^(٦)؛ نزلت أولاً بمكة حين فرضت الصلاة، ثم نزلت ثانيًا بالمدينة حين حوّلت القبلة من الصخرة إلى الكعبة.

(١) «سورة الحمد، وآياتها سبع، وهي مكيّة أو مدنيّة» من (ن).

(٢) في (و): «والشافية»، والمثبت موافق لمصدر التخريج.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢ / ٤٨٨ - ٥٠٨). وقد ذُكرت فيه الأسماء العشرة مرتبة كما يأتي: فاتحة

الكتاب، سورة الحمد، أمّ الكتاب والقرآن، السبع المثاني، الوافية، الكافية، الأساس، الشفاء، الصلاة، سورة تعلم المسألة.

(٤) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١ / ١٧)، وهذا القول هو الذي عليه الأكثر.

(٥) رواه مقاتل في «تفسيره» (١ / ٣٥)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (١ / ١٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (١ / ٢٠).

(٦) حكى الثعلبي هذا القول، وذكر أنه لبعض العلماء لفق به بين القولين السابقين. انظر: «تفسير الثعلبي» (٢ / ٢٦٣).

وأيها سبع.

واختلف أئمة القراء في كون التسمية آيةً من فاتحة الكتاب بعد إجماعهم على أنها ليست بآية من أوائل سائر السور^(١)؛ فذهب ابن كثير وعاصم وحزمة والكسائي^(٢) إلى أنها آية من الفاتحة، واحتجوا بما روي عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال: أول ما نزل به جبريل عليه السلام على النبي ﷺ قال: «يا محمد، استغفر^(٣) ثم قل: بسم الله الرحمن الرحيم»^(٤)، وبما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: كان رسول الله ﷺ لا يعرف ختم السورة حتى يُنزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم^(٥).

(١) الإجماع الذي ذكره المصنّف هنا إجماع خاصّ، وهو إجماع أئمة القراء، وهم: ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ونافع وابن عامر وعاصم وحزمة، وإجماع هؤلاء الأئمة إنما انعقد بعد اختلاف بين أئمة الاجتهاد في عصر الصحابة ومن بعدهم، ففي «البيان» للداني (ص: ٥٠): (باب ذكر من رأى التسمية في أوائل السور آية)، ثم رواه عن ابن عباس وعلي وابن عمر وجمع من التابعين. وفي «الكشاف» للزمخشري (١ / ٢): (وقراء مكة والكوفة وفقهاؤهما على أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة، وعليه الشافعي رحمه الله وأصحابه رحمهم الله، ولذلك يجهرون بها، وقالوا: قد أثبتها السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد القرآن، ولذلك لم يثبتوا آمين، فلولا أنها من القرآن لما أثبتوها).

وفي «التيسير في التفسير» للنسفي: (ثم التسمية عند مالك آية من رأس كل سورة، وعند الشافعي آية من رأس الفاتحة، وعن محمد بن الحسن: أنها آية أنزلت للفصل بين السور).

(٢) انظر: «جامع البيان في القراءات السبع» للداني (١ / ٣٩٧) وما بعدها، و«التيسير» للداني أيضاً (ص: ١٧)، و«النشر» لابن الجزري (١ / ٢٥٩).

(٣) كذا في النسخ الخطية، وفي مصادر التخريج: (قل: أستعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١ / ١١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ٢٦)، وقال ابن كثير في «تفسيره» (١ / ١١٣): (وهذا الأثر غريب، وإنما ذكرناه ليُعرف؛ فإن في إسناده ضعفاً وانقطاعاً).

(٥) رواه الواحدي في «الوسيط» (١ / ٦٢).

وذهب نافعُ وابنُ عامرٍ وأبو عمرو إلى أنها ليست من الفاتحة^(١)، واحتجوا بأننا لما أجمعنا على أنها ليست من أوائل سائر السور^(٢) كذلك حكمه من الفاتحة، ولما روي عن عاصم عن عامر^(٣)، قال: كان رسول الله ﷺ يكتب في أوّل الأمر: «باسمك اللهم»، حتى نزلت سورة هود: ﴿بِسْمِ اللَّهِ بَجَرْتَهَا﴾ [هود: ٤١]، فكتب: «بسم الله»، حتى نزلت سورة سبحان: ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [الإسراء: ١١٠]، فكتب: «بسم الله الرحمن»، حتى نزلت سورة النمل، فكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم»^(٤).

(١) - ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

﴿بِسْمِ﴾: أجمع المفسرون وأهل التحقيق على أن هاهنا إضماراً يتصل به الباء؛ فذهب بعضهم إلى أنه خبرٌ، وتقديره: أبدأُ بسم الله وأفتتحُ به، وذهب بعضهم إلى أنه أمرٌ، وتقديره: ابدؤوا بسم الله وافتتحوا به، فيكون الجارُّ والمجرور في محلِّ نصبٍ، وقيل: تقديره: بسم الله ابتدائي وافتتاحي، فيكون الجارُّ والمجرور في محلِّ رفعٍ على الخبر^(٥).

(١) انظر: «جامع البيان في القراءات السبع» للداني (١/ ٣٩٧) وما بعدها، و«التيسير» للداني أيضاً (ص: ١٧)، و«النشر» لابن الجزري (١/ ٢٥٩).

(٢) تقدم توضيح المراد بهذا الإجماع.

(٣) في (و): «ابن عامر»، والمثبت من (ن)، وعامر هذا هو الشعبي.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٤٧٦)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٢١٦)، وابن أبي شيبه في «مصنفه» (٣٥٨٩٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٣٣).

(٥) هذا تقدير أبي عبيدة وأكثر البصريين، والذي سبقه للفراء، والأول للزجاج. انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٢)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (١/ ٣٩)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٤)، و«معاني القرآن» له (١/ ٥٠ - ٥١)، و«النكت والعيون» للماوردي (١/ ٤٨).

والمعنى في الوجهين: ابتداءً كلامي أو عملي بسم الله تبرُّكاً أو تعبُّداً.
والاسم: كلمة دالة على عينٍ أو معنى غير مقترنٍ بزمانٍ دلالةً إشاريةً، والصفة
تدلُّ دلالةً إفاديةً، مشتقٌّ من (السُّمُو) بدليل التَّصْغِيرِ والجمع^(١).
والاسم هو المسمَّى عند أكثرهم، وقيل: لا هو ولا غيره كالوصف، وقيل:
الاسم غيرٌ، والمسمَّى غيرٌ، والتَّسمية غيرُهُما^(٢).
وقيل: الاسم هاهنا زيادة كقول الشاعر:

إلى الحولِ ثمَّ اسمُ السَّلامِ عليكما ومَنْ بيكِ حولاً كاملاً فقدِ اعتذر^(٣)

= زِيدَ للفرقِ بين ذكرِ الله وذكرِ غيره، وقيل: زيد للفرقِ بين اليمينِ والتَّيْمَنِ^(٤).

﴿الله﴾: اختلف العلماء في لفظ (الله)؛ فمنهم مَنْ تورَّع عن طلب مأخذه وذكر
معناه، ومنهم من قال: هو اسمٌ لا اشتقاق له، ومنهم من قال: لعله مشتقٌّ لكنَّا لا
نعرف المشتقَّ عنه، ولم نُكَلِّف معرفته، ومنهم من قال: أصله (لاها) بالسُّريانية،
فحُذِف الألف من آخره وزِيد اللَّام في أوَّلِه، والأكثر على أَنَّهُ مشتقٌّ^(٥)؛ لأنَّ

(١) هذا مذهب البصريين، أما الكوفيون فيرون أنه من (الوسم). انظر: «الإنصاف في مسائل الخلاف»
لأبي البركات الأنباري (٨/١).

(٢) هذا القول الأخير منسوب لسيبويه، ويروى عن الفراء أَنَّهُ توقَّف في المسألة، واختاره الطبري،
وذهب إليه أبو عبيدة وأبو عُبيد إلى أن الاسم هو المسمى، أما الراغب فاختر أن الاسم هو المسمى
باعتبار، وهو غيره باعتبار آخر. انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١٦/١)، و«تفسير الطبري»
(١١٥ / ١)، و«تفسير الراغب الأصفهاني» (٤٧/١)، و«البيسط» للواحدي (٤٤٢/١).

(٣) البيت للبيد بن ربيعة، كما في «ديوانه» (ص: ٢١٤)، و«تفسير الطبري» (١١٥ / ١).

(٤) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١٦/١)، و«البيسط» للواحدي (٤٤٣/١).

(٥) ذهب أبو حيَّان إلى عكس هذا، وذكر أن الأكثرين على أَنَّهُ مرتجل غير مشتق. انظر: «البحر المحيط» =

أسماء الله كلها صفاتٌ ومشتقَّةٌ؛ ليعرفَ المكلَّفَ معناه، فيتوسَّلَ به إليه.

ثم اختلفوا في المشتقِّ عنه، ومرجعُ جميعهم إلى قولِي سيويهِ^(١)؛ أحد قوليه مذكورٌ في حدِّ النِّداء، والثاني في حدِّ القسم.

الأول: مشتقٌّ من (أ ل هـ)، وفي معناه خمسة أقوالٍ:

أحدها: أنه من معنى العبادة تقول: ألهُ إلهةٌ وألوهةٌ وألوهيةٌ وألهانيةٌ، كقوله: عبدَ عبادةً وعبودةً وعبوديةً، وقرئ: (ويدركَ وإلاهتك)^(٢)؛ أي: عبادتك، وتألَّه - بمعنى: تعبَّد - منه، فيكون (إله) بمعنى: مألوه، ككتابٍ بمعنى: مكتوبٍ.

وقيل: معنى (إله): المستحقُّ للعبادة.

= لأبي حيان (٢٧/١).

(١) بل مرجع أكثر الأقوال إلى قولِي سيويهِ، إذا سلَّمنا أن له قولين، وخلاصة الكلام أن القائلين بالاشتقاق اختلفوا على أربعة أقوال؛

ف قيل: هو مشتق من (أ ل هـ)، وهو قول سيويهِ الأول، وهو صريح كلامه، وإليه مرجع أكثر الأقوال. وقيل: من (ل ي هـ)، وهو قول سيويهِ الثاني على ما فهمه الأكثرون من كلامه في القسم، وأنكره ابن ولاد.

وقيل: من (ل و هـ)، وهو قول من قال بأنه مشتق من (لاه) بمعنى احتجب، وقد ذكره الراغب الأصفهاني.

وقيل: من (ول هـ)، والهمزة فيه منقلبة عن واو، وهو قول الخليل، ولم يرضه المصنِّف.

انظر: «العين» المنسوب للخليل (٤/٩١)، و«الكتاب» (٢/١٩٥) و(٣/٤٩٩)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزَّجاج (١/٤٣)، و«اشتقاق أسماء الله للزَّجاجي» (ص: ٢٩)، و«تفسير الثعلبي» (٢/٢٩٢)، و«المخصص» لابن سيده (٥/٢١٦).

(٢) نسبت هذه قراءة إلى ابن عباس رضي الله عنهما، كما في «فضائل القرآن» لأبي عبيد (ص: ٣٠٠)، و«غريب الحديث» لابن قتيبة (٣/٧٢٨)، و«المحتسب» لابن جني (١/٢٥٦).

وقيل: معناه: ذو العبادة، فيكون مصدرًا واقعًا موقع الاسم كعدلٍ ورضى^(١).
وُسُمِّيتِ الشَّمْسُ إلهةً وألهةً - بالكسر والفتح - لأنَّ من العرب مَنْ كان
يعبدها، قال:

تروّحنا من اللَّعباءِ عَصْرًا وأعجلنا الإلهةَ أنْ تُؤوبا^(٢)
ويُروى: ألهةً؛ بالضمِّ غير منصرفٍ^(٣).

والثاني: من معنى الفزع^(٤) تقول: أله زيدٌ إلى عمرو يآله ألهًا؛ إذا فرغَ إليه
واعتمد عليه، وألهةُ أجاره وآمنه، وأنشد لتأبط شراً:

إلهتُ إليها والركائبُ وقَّفتُ بكلِّ ربيطِ الجأشِ عاري الأشاجع^(٥)
والمعنى: أنَّ العبادَ يفزعون إليه ويتضرَّعون نحوه عند الشدائد.
والثالث: من معنى التحيرُ تقول: أله زيدٌ يآله؛ إذا تحير^(٦)، قال الأخطل:

(١) انظر: «الحجة للقراء السبعة» لأبي علي الفارسي (٥/ ٢٥)، و«الصحاح» للجوهري (٦/ ٢٢٢٣)،
و«المخصص» لابن سيده (٥/ ٢١٦)، و«البيسط» للواحيدي (١/ ٥٠).
(٢) البيت لبنت عتبية بن الحارث اليربوعي، كما في «تفسير الطبري» (١٠/ ٣٦٩).
(٣) أي: بضمِّ الهمزة، كما في «المحتسب» لابن جني (٢/ ١٢٣)، فلألهة (من المثلث، كما في
«القاموس المحيط» (ص: ١٢٤٢) مادة (أل ه)، وهو غير منصرف للعلمية والتأنيث.
(٤) وهو قول ابن إسحاق. انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١٠/ ٦٤٥)، و«البحر المحيط»
لأبي حيان (١/ ٢٨).

(٥) شطر البيت الأول بلا نسبة في «تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٩٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٠)، ولم أقف
عليه في المطبوع من «ديوان تأبط شراً» تحقيق: علي شاکر، دار الغرب الإسلامي، ط ١٩٩٩ م.
(٦) ذكر هذا ابن قتيبة، ونُسب لأبي عمرو بن العلاء، ونَبَّه ابن فارس أن أصله على هذا المعنى (ول ه).
انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (٣/ ٧٢٨)، و«مقاييس اللغة» لابن فارس (١/ ١٢٧) مادة =

بِتَسْعِينَ أَلْفًا تَأَلَّهُ الْعَيْنُ وَسَطَهَا متى تَرَهَا عَيْنُ الطَّرَامَةِ تَدْمَعَا^(١)

والمعنى: أن العقول متحيرة في الإحاطة بكيفيته سبحانه.

والرابع: من معنى السكون، قال المبرد: أَلْهَتْ إِلَيْهِ؛ أي: سكنت^(٢).

والخامس: من معنى الثبات، تقول: أَلْهَنَّا بِمَكَانٍ كَذَا؛ أي: أقمنا، قال:

أَلْهَنَّا بِدَارٍ مَا تَبِيدُ رُسُومُهَا كَأَنَّ بَقَايَاهَا وَشَامٌ عَلَى الْيَدِ^(٣)

وكان الأصل (إلاه)، فحذفت الهمزة من غير قياس على مذهب سيبويه، كما

حذف من أناسٍ فقيل: ناسٌ، وعوض عنها الألف واللام عوضاً لازماً، ولهذا نُودِي بـ(يا)، والاسم إذا كان فيه الألف واللام ينادى بـ(يا أيها)، ولهذا أيضاً قُطِع أَلْفُهُ فِي النَّدَاءِ^(٤).

وعند غير سيبويه حذفت الهمزة حذفاً قياسياً^(٥) بعد إدخال الألف واللام فيه للتعظيم أو لتعريف اللفظ، فكان (الإله)، وروى المازني: (لا والإله) فعُلْتُ كَذَا، فنقلت حركة الهمزة إلى اللام فسقطت الهمزة فصار: (أإلاه)، ثم

= (أ ل ه)، و«تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٩٢).

(١) انظر: «ديوان الأخطل» (ص: ١٩٨)، و«غريب الحديث» لابن قتيبة (٣/ ٧٢٨).

(٢) لم أقف على كلامه هذا فيما بين يدي من كتبه، وهو منقول عنه. انظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٩٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٠)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ٢٨).

(٣) ذكره بلا نسبة الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ٢٩٧)، والزبيدي في «تاج العروس» (٣٦/ ٣٢٥) مادة (أ ل ه).

(٤) انظر: «الكتاب» (٢/ ١٩٥-١٩٦)، وقد أطال ابن سيده النفس في الدفاع عن مذهب سيبويه في هذه المسألة. انظر: «المخصص» (٥/ ٢١٦-٢٢٥).

(٥) مراده بالحذف القياسي هنا ما كان لكثرة الاستعمال أو للتخفيف.

سُكِّنَ اللَّامُ الْأُولَى وَأُدْغِمَ فِي الثَّانِيَةِ فَصَارَ: (الله)، فَأَلْزِمَ الْحَذْفَ وَأُلْزِمَ اللَّامُ^(١).
والقول الثاني لسيبويه: أَنَّ اشْتِقَاقَهُ مِنْ: (ل ي ه)، تَقُولُ: لَاهُ يَلِيهِ لَيْهًا وَلاَهَا،
قَالَ: وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْعَيْنَ يَاءٌ قَوْلُ بَعْضِ الْعَرَبِ: لَهْيَ أَبِيكَ، فَقُدِّمَ الْهَاءُ عَلَى الْيَاءِ،
وَبُنِيَ الْيَاءُ عَلَى الْفَتْحِ، وَأَصْلُهُ: لَاهُ^(٢)، وَأَنْشُدُ:

كَحَلْفَةٍ مِنْ أَبِي رِيَّاحٍ يَسْمَعُهَا لَاهُهُ الْكُبَارُ^(٣)
وَقَرَأَ فِي الْغَرِيبِ مِنَ الشَّوَادِ: (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ لَاهٌ وَفِي الْأَرْضِ لَاهٌ)^(٤)،
ثُمَّ أُدْخِلَ عَلَيْهِ الْأَلْفَ وَاللَّامَ كَمَا أُدْخِلَ عَلَى (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ).
وَفِي مَعْنَاهُ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: مِنْ مَعْنَى الْاِحْتِجَابِ، تَقُولُ: لَاهُ؛ إِذَا احْتَجَبَ، قَالَ الشَّاعِرُ:
لَاهَتْ فَمَا عُرِفَتْ يَوْمًا بِخَارِجَةٍ يَا لَيْتَهَا خَرَجَتْ حَتَّى عَرَفْنَاهَا^(٥)
وَيُرَوَى: حَتَّى رَأَيْنَاهَا.

(١) المشهور عن المازني أنه كان يذهب إلى عدم اشتقاق لفظ الجلالة، وإليه مال ابن مالك. انظر:
«اشتقاق أسماء الله» للزجاجي (ص: ٢٩)، و«شرح التسهيل» لابن مالك (١/ ١٧٧).
(٢) هذا مفهوم من كلام سيبويه، ولذلك اتهمه المبرد بالتناقض، لكن كلامه يحتمل وجهًا آخر، وهو أن
الألف زائدة لكنّها عُوِّمِلتْ معاملة عين الفعل، فعدها عينًا، وبهذا دفع ابن ولاد التناقض عن سيبويه.
انظر: «الكتاب» (٣/ ٤٩٨ - ٤٩٩)، و«الانتصار» لابن ولاد (ص: ٢٣٣)، و«التعليقة» لأبي علي
الفراسي (١/ ٢٧٨).

(٣) البيت للأعشى. انظر: «ديوانه» (ص: ٧٢).

(٤) ذكر هذه القراءة المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٩٤)، ونقله عنه السيوطي في «حاشيته على
تفسير البيضاوي» (١/ ١٤١)، وكذا الخفاجي في «حاشية الشهاب على البيضاوي» (١/ ٥٦).

(٥) ذكره بلا نسبة الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ٢٩٦)، والقرطبي في «تفسيره» (١٧/ ١٠١).

أي: المحتجب عن العيون والإدراك.

والثاني: من معنى الارتفاع، تقول: لاه؛ إذا ارتفع، والمعنى: المرتفع عن الأوصاف التي لا تليق به.

وقيل: بمعنى الرفع.

وروي عن أبي الهيثم أنه قال: سمعت الثوري يقول: سمعت أبا زيد يقول: قال لي الكسائي: ألفت كتاباً في معاني القرآن، فقلت له: أسمعته: (الحمد لله رب العالمين)؟ فقال: لا، فقلت له: فاسمعها^(١).

قال الشيخ رحمه الله: هذا إن صحَّ فأصله: لله، فحذف الجار؛ لأنَّ حركة الهاء تدلُّ عليه، وحذف اللام الثاني؛ لأنَّ حذف التَّوِين يدلُّ عليه حيث بينهما معاقبة، وبقي لامٌ؛ فجاز أن يكون العين على القول الأوَّل، وجاز أن يكون الفاء على هذا القول.

ومنه قول ذي الإصبع العدواني:

لاه ابنُ عمِّك لا أفصَلتَ في حَسبٍ عني ولا أنتَ دِيَّاني فتخزوني^(٢)

فحذف اللام بعد اللام كما ذكرنا^(٣).

(١) رواه الأزهري في «تهذيب اللغة» (٦/ ٢٢٣)، (باب الهاء واللام)، وقال: (لا يجوز في القراءة إلَّا

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ بمدة اللام، وإمَّا يقرأ ما حكاه أبو زيد الأعرابي ومن لا يعرف سنة القراءة).

(٢) انظر: «المفضليات» (ص: ١٦٠)، و«الألفاظ» لابن السكيت (ص: ٤٢٨)، و«أدب الكاتب» لابن

قتيبة (ص: ٥١٣).

(٣) انظر: «الإصناف» للأبنازي (١/ ٣٢٥).

وقول الله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ ﴾ [آل عمران: ٢٦]: الميمان عند البصريين^(١) عوض من ياء النداء، ولهذا لا يجوز الجمع بينهما.

وأصله عند الكوفيين^(٢): الله أم، من قوله: أمه يؤمّه؛ إذا قصدته، حذف همزه لكثرة الاستعمال، وأنشدوا:

وما عليك أن تقولي كلما
صليت أو سبحت يا اللهم
اردد علينا شيخنا مسلماً^(٣)

وقال الآخر:

إنني إذا ما حدثت ألاماً
أقول يا اللهم يا اللهم^(٤)

والبيتان عند البصريين من الشواذ التي لا يُعرج عليها، ولذلك وُصل الألف مع (يا)^(٥).

(١) كالخليل وسيبويه. انظر: «الزاهر في معاني كلام الناس» لأبي بكر الأنباري (١/ ٥١ - ٥٢).

(٢) كالفراء، ووافقه المبرد وثعلب. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٠٣)، و«المقتضب» للمبرد (٤/ ٢٣٩)، و«الإنصاف» للأنباري (١/ ٢٧٩).

(٣) الرجز بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٠٣)، و«تفسير الطبري» (٥/ ٣٠٠)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (١/ ٣٩٤).

(٤) نُسب الرجز لأبي خراش الهذلي، كما في «شرح أشعار الهذليين» (١٣٤٦)، و«مختصر الشواهد» للعيني (٣١٢). وقال البغدادي في «خزانة الأدب» (٢/ ٢٩٥): (وهذا البيت أيضاً من الأبيات

المتداولة في كتب العربية ولا يعرف قائله ولا بقيته، وزعم العيني أنه لأبي خراش الهذلي).

(٥) أي: سقطت الهمزة وصلّاً في هذه الأبيات التي دخلت فيها (يا) على لفظ (اللهم). وانظر =

وأما ألفه فزيادةٌ بإزاء ألف (فِعَالٍ) على القولِ الأوَّل، وعلى القولِ الثاني أصلٌ، وهو عين الفعل.

وما جاء في الشُّعر من قوله:

ألا لا بَارِكَ اللهُ في سُهَيْلٍ إذا ما اللهُ بَارِكٌ في الرِّجَالِ^(١)

وقول الآخر:

أقبلَ سَيْلٌ جاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ^(٢) يَحْرُدُ حَرْدَ الْجَنَّةِ الْمُغَلَّةِ^(٣)

ويُروى: من أمرِ الله.

= فمن باب قصر الممدود، وذلك جائزٌ في الشُّعر، غيرُ جائزٍ في القرآن، بل تفسد الصَّلَاةُ، ولا تنعقدُ اليمينُ به^(٤)، وهذا على القولِ الأوَّل، وأما على القولِ الثاني فلا يجوز في الشُّعر أيضًا البتَّة.

وتختصُّ أيضًا لفظة (الله) تعالى بخمسة أشياء لا يشاركه فيها غيره من أسماء الله تعالى ولا اسمٌ غيره سبحانه:

= المسألة في: «اشتقاق أسماء الله» للزَّجَاجِيّ (ص: ٣٢)، و«شرح الكتاب» للسِّيرافي (١ / ١٨٥)، و«الإنصاف» للأَنْبَارِي (١ / ٢٧٩ - ٢٨٢).

(١) هذا البيت بلا نسبة في «الحجة» لأبي علي الفارسي (٤ / ٣٨٢)، و«المحتسب» لابن جني (١ / ١٨١). والبيت شاهد لحذف الألف بعد اللام من (الله)، كما يُنطق في بعض اللهجات والشعر النبطي، فتُلَفِّظ: لا بَارِكُ اللهُ؛ بتفخيم اللامين، وحذف الألف، وتسكين الهاء.

(٢) تُلَفِّظ: من عِنْدِ اللهِ؛ بتريق اللامين، وحذف الألف، وتسكين الهاء.

(٣) هذا البيت بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء (٣ / ١٧٦)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢ / ٢٦٦)، و«إصلاح المنطق» لابن السكيت (١ / ٤٢).

(٤) قول المصنف هذا ذكره البيضاوي في «تفسيره» (١ / ٢٧)، ونقله بعضهم عن البيضاوي، ونسبه إليه.

أحدها: أن ينادى بـ(يا)، والاسم إذا كان فيه الألف واللام يُنادى بـ: يا أيها^(١).
والثاني: قطعُ أَلْفِه في باب النداء أيضًا والقسم^(٢) نحو: يا الله، و: ها الله ما فعلت^(٣).

والثالث: زيادة الميمين عوضًا من حرف النداء^(٤).

والرابع: دخول التاء فيه نحو: (تالله) في القسم^(٥).

والخامس: أن يبقى مجرورًا بعد حذف الجارِّ في القسم^(٦).

-
- (١) انظر: «الكتاب» (٢/ ١٩٥ و ١٩٧)، و«أسرار العربية» للأنباري (ص: ١٧٥).
- (٢) يجوز قطع همزة اسم الجلالة في النداء والقسم، ولا يجب، أما قطع الهمزة في غيره فلا يجوز أصلاً. انظر: «الكتاب» (٣/ ٤٩٩)، و«الأصول» لابن السَّراج (٢/ ١١٤).
- (٣) لم أقف على العبارة التي ذكرها المصنف بحروفها، ووقفت على ما يشهد لها ممَّا مثل به سيبويه، أما الذي ذكره سيبويه وغيره عن العرب فقولهم: (إي، ها الله ذا) و(لا، ها الله ذا) فـ(ها) عوض عن واو القسم، والمعنى: والله للأمرِ هذا، فحذف (الأمر) لكثرة استعمالهم، وقُدِّم (ها) كما في: (ها هو ذا). انظر: «الكتاب» (٢/ ١٦٠) و(٣/ ٤٩٩ و ٥٠٣)، وقد وقع خلل في طريقة ضبط العبارة في «العين» (٨/ ٢٠٨)، وفي هذه العبارة أمر آخر يختصُّ به اسم (الله) تعالى، وهو وقوع (ها) التنبيه عليه في القسم، ذكر ذلك أبو حيان في «ارتشاف الضرب» (٤/ ١٧٦٨).
- (٤) هذا على مذهب الخليل وسيبويه، ويخالفهما في هذا الفراء والمبرد وتعلب. انظر: «المقتضب» للمبرد (٤/ ٢٣٩)، و«الزاهر» للأنباري (١/ ٥١ - ٥٢).
- (٥) صرح سيبويه والمبرد والفراء باختصاص اسم (الله) بهذا، وخالف فيه الأخفش. انظر: «الكتاب» (١/ ٥٩)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٥١)، و«المقتضب» للمبرد (٢/ ٣٢٠)، و«شرح الكافية الشافية» لابن مالك (٢/ ٧٩٢)، و«شرح الرضي على الكافية» (٤/ ٣٠٠).
- (٦) أما غير اسم (الله) فينتصب عند حذف الجار؛ هذا على مذهب البصريين عدا الجرمي والأخفش، أما الكوفيون فيجيزون الجر والرفع في اسم (الله) وغيره، ويمنعون النصب إلا في (كعبة الله) وقضاء الله. انظر: «الكتاب» (٣/ ٤٩٨)، و«الارتشاف» لأبي حيان (٤/ ١٧٦٨).

وها هنا سادسٌ حُصَّ اسمُ (الله) به، وهو تفخيم اللّام إذا انفتح ما قبله أو انضمَّ نحو: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾، و﴿يَصْرِبُ اللَّهُ﴾^(١)، ومن القراء من يفخمه مع الكسر أيضاً نحو: ﴿لِلَّهِ﴾^(٢)، وقد ذكرنا هذا مشروحاً في كتاب «النهاية في شرح الغاية».

وما ذكره بعض المفسرين بأنه مخصوصٌ بما إذا حُذِفَ أَلْفُه بقي (الله)، وإذا حُذِفَ لَامُه بقي (له)، وإذا حُذِفَ اللّام الثاني بقي (هو)^(٣) = فكلامٌ مدخولٌ مزيفٌ، ثم لا يختصُّ به اسم (الله) دون غيره من زيدٍ وعمروٍ وبكرٍ وخالدٍ.

وما ذهب إليه بعض المفسرين من أنه مشتقٌّ من: ولهتُ؛ أي: تحيرت، وأصله: وِلاه، قُلِبَتْ واوه همزةً كإعاء وإشاح، فصار إليها^(٤)، ومعناه: القلوب تَوَلَّهَتْ بمحبته وتشتاقُ عند ذكره، من قول الشاعر:

وَلَهَتْ نَفْسِي الطَّرُوبُ إِلَيْكُمْ وَلَهَا حَالٌ دُونَ طَعْمِ الطَّعَامِ^(٥)

(١) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٩)، و«أمالي ابن الشجري» (١٩٦/٢)، و«المرتجل» لابن الخشاب (ص: ١٩٥)، و«اللباب» للعكبري (١/ ٣٣٦).

(٢) ذكر المصنّف هذا في «غرائب التفسير» (١/ ٩٥) أيضاً، ولم أقف على من فحّم لام اسم الجلالة (الله) إذا جاء بعد كسر، والقراء العشرة مجمعون على تريقها في هذه الحالة. انظر: «التيسير» للداني (ص: ٥٨)، و«شرح طيبة النشر» لابن الجزري (ص: ١٤١).

وجاء في «الكامل في القراءات» ليشكري (ص: ٩٤): «ولينظر إلى ما قبل اسم (الله)، فإن كان كسرة نحو (بِسْمِ اللَّهِ)، (بِاللَّهِ)، و(فِي اللَّهِ)، و(عَنْ اللَّهِ) رُقُقٌ، وتفخيمه لحن، وإن انفتح ما قبله أو انضم فحّم؛ كي لا يشبه اللات، إلا ما حكى ابن مقسّم عن أهل البصرة في تريقه».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ٢٩٠)، وابن العربي في «الفتوحات المكية» (٤/ ٤٩١).

(٤) يُنسب هذا القول للخليل كما في «اشتقاق أسماء الله» للزجاجي (ص: ٢٦)، و«أمالي ابن الشجري» (٢/ ١٩٧).

(٥) البيت للكميت. انظر: «ديوانه» (ص: ٥٠٨)، وفيه: (إليهم) بدل (إليكم).

= فغير مرضيٌّ عند ذوي التَّحْقِيقِ؛ لأنَّه ليس لقائله عليه دليلٌ، فإنَّه لم يُسْمَع فيه: وِلاهُ، كما سُمِع: وِشَاحٌ وِوِعاءٌ، ولا تقول في جمعه: أوْلَهة، كما تقول: أوِعية، بل تقول: آلَهة، وتقول في الفعل: تأَلَّه، ولا تقول: تولَّه.

والمرضيُّ عند أهل اللُّغة وأصحاب النُّظر من الأقاويل قولاً سيبويه، ومن المعاني التي تقدَّمت معنى التَّعَبُّد من (أله) ومعنى احتجَبَ من (لاهُ)، فحسب.

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾: الرَّحْمَةُ من الله: إرادةُ الخير بالعباد، والرَّحْمَةُ من الخلق: رِقَّةٌ تظهر في القلب^(١).

ابن عيسى^(٢): الرَّحْمَةُ: الإِنْعَامُ على المحتاج^(٣).

و(الرَّحْمَن) و(الرَّحِيم) بناءان للمبالغة، والرَّحْمَنُ أكثرُ مبالغةً من الرَّحِيمِ؛ لأنَّ الرَّحِيمَ أقربُ إلى لفظ الفاعل من الرَّحْمَنِ، وكلَّما كان العُدُولُ عن لفظ الفاعل أكثرَ كانت المبالغةُ فيه أبيضَ^(٤)، ولهذا جاء في الدعاء: «يا رحمن

(١) انظر: «تفسير الماتريدي» (٩ / ٥٩١)، و«تفسير الراغب الأصفهاني» (١ / ٥٠).

(٢) هو علي بن عيسى: أبو الحسن الرَّمَّانِي النُّحَوِي المفسِّر المتكلِّم المعتزلي، من أوِعية العلم، أصله من سَرٍّ من رأى، أدرك الزَّجاج وابن السَّرَّاج وقرأ عليهما «كتاب سيبويه»، له نحو مئة مصنف، ومن تصانيفه كتابه الكبير: «معاني القرآن وشرح إعرابه»، وهو كتاب مفقود اليوم، وينقل عنه المصنف كثيراً، توفي سنة ٣٨٤هـ. انظر: «تاريخ العلماء النحويين» للتتوخي (ص: ٣٠ - ٣١)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٦ / ٥٣٣)، و«طبقات المفسرين» للسيوطي (ص: ٨١).

(٣) انظر: «معجم الفروق اللغوية» لأبي هلال العسكري (ص: ٢٥٣)، و«تفسير الماوردي» (١ / ٥٢)، و«البرهان» للمصنِّف (ص: ٦٥).

(٤) ذكر هذا ابن فارس والعسكري. انظر: «الصاحبي» (ص: ٥١)، و«معجم الفروق اللغوية» للعسكري (ص: ٢٥١).

الدُّنْيَا؛ لَأَنَّهُ يَعْمُ الْكَافِرَ وَالْمُؤْمِنَ، و«رَحِيمَ الْآخِرَةِ»^(١)؛ لَأَنَّهُ يَخْصُصُ الْمُؤْمِنَ. وَقُدِّمَ (الرَّحْمَنُ) لِتَقْدُّمِ الدُّنْيَا، وَقِيلَ: قُدِّمَ لَأَنَّهُ يَشْبَهُ الْإِسْمَ حَيْثُ لَا يُوصَفُ بِهِ غَيْرُهُ^(٢).

وقيل: (الرَّحْمَنُ) اسْمٌ عِبْرَانِيٌّ عُرِّبَ، وَلِهَذَا أَنْكَرَهُ الْعَرَبُ، وَقَالُوا: ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان: ٦٠] حَكَاهُ أَقْضَى الْقَضَاةِ^(٣) لِثَعْلَبٍ^(٤).

أَبُو عُبَيْدَةَ^(٥): الرَّحْمَنُ: ذُو الرَّحْمَةِ، وَالرَّحِيمُ: الرَّاحِمُ^(٦).

(١) رواه الطبري في «التفسير» (١/١٢٦): عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ولفظه: قال رسول الله ﷺ: «إن عيسى ابن مريم قال: الرَّحْمَنُ: رَحْمَنُ الْآخِرَةِ وَالِدُنْيَا، وَالرَّحِيمُ: رَحِيمُ الْآخِرَةِ...» الحديث. لكن قال ابن عدي في «الكامل»: هذا حديث باطل. ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٢/٣٠٢) عن مجاهد بلفظ: «الرَّحْمَنُ بِأَهْلِ الدُّنْيَا، وَالرَّحِيمُ بِأَهْلِ الْآخِرَةِ».

(٢) انظر: «الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي» للأزهري (ص: ٦٦)، و«الحجة» لأبي علي (١/١٩)، وقد ذكر أبو علي أنه من تقديم العام على الخاص.

(٣) يقصد بأقضى القضاة: الماوردي، وهو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي الشافعي، ولي القضاء ببلدان شتى، ثم سكن بغداد، له التصانيف الكثيرة النافعة، منها: «النكت والعيون» في التفسير، و«الحاوي» في الفقه، و«الأحكام السلطانية»، و«أدب الدنيا والدين»، توفي سنة ٤٥٠هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٨/٦٤ - ٦٨)، و«طبقات المفسرين» للسيوطي (ص: ٨٣).

(٤) ثعلب هو: أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني البغدادي، إمام الكوفيين في النحو واللغة، توفي سنة ٢٩١هـ. انظر: «إنباه الرواة على أنباه النحاة» للقفطي (١/١٧٣)، وانظر قوله في: «الزاهر» للأنباري (١/٥٩)، و«النكت والعيون» للماوردي (١/٥٢)، و«البيسط» للواحدي (١/٢٥٧).

(٥) هو معمر بن المثنى التيمي، وكان من أجمع الناس للعلم، وأعلمهم بأيام العرب وأخبارها، وأكثر الناس رواية، توفي سنة ٢٠٩هـ. انظر: «طبقات النحويين واللغويين» للإشبيلي (ص: ١٧٥).

(٦) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/٢١). وهو يريد أن الرحمن صفة مشبهة من الفعل اللازم =

وقيل: (الرَّحْمَن) خاصٌّ في التَّسْمِيَةِ عَامٌّ في المَعْنَى، و(الرَّحِيم) عَامٌّ في التَّسْمِيَةِ خاصٌّ في المَعْنَى؛ لأنَّ (الرَّحْمَن) خاصٌّ لا يُوصَفُ به غيرُ الله، عَامٌّ في المَعْنَى لأنَّه يَعْمُ الكَافِرِينَ والمُؤْمِنِينَ^(١)، و(الرَّحِيم) عَامٌّ يُوصَفُ به هو وغيره، خاصٌّ للمُؤْمِنِينَ^(٢).

(٢) - ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ليس في اللُّغَةِ من هذا التَّرْكِيبِ على هذا التَّرْتِيبِ غيرُ هذه اللَّفْظَةِ، وقولهم: (حُمَادَاكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا)^(٣)؛ أَي: مَا يُحْمَدُ مِنْكَ.

واختلف في معناها؛ فقال اللَّيْثُ^(٤): الحمد: نَقِيضُ الذَّمِّ، والحمد: المَحْمُودُ^(٥).

وقيل: الحمد والشُّكْرُ بِمَعْنَى واحِدٍ، لكنَّ الحمدَ على جميلِ صفاتِ الموصوفِ، والشُّكْرَ على إِنْعامِهِ، واللهُ يُحْمَدُ نَفْسَهُ ولا يشكره^(٦).

= رَحْمٌ، والرَّحِيمُ مبالغةٌ من الفعلِ المتعدي رَجِمَ.

(١) في (ن): «الكافر والمؤمن».

(٢) وهذا ما ذهب إليه المصنَّفُ في «البرهان» (ص: ٦٥).

(٣) معناه: غاية أمرك الذي تُحمد عليه. انظر: «العين» (٣/ ١٨٨) مادة (ح م د).

(٤) هو الليث بن المظفر - أو ابن نصر - الخراساني، تلميذ الخليل وراوي «العين»، فالخليل - كما قال

ثعلب - رسم معجم «العين» ولم يحشه، فحشاه الليث، وقد شكَّك الأزهري والقالبي في نسبة «العين»

إلى الخليل، ونسب الأزهري ما فيه إلى الليث، ومن هنا جاءت عبارة (قال الليث) في المعاجم، وقد

رد محقِّق «العين» هذه الدعوى وفنَّدها. انظر: «العين» (١/ ٢٠ - ٢٧)، و«تهذيب اللغة» للأزهري

(١/ ٢٥)، و«إنباه الرواة» للقفطي (٣/ ٤٢)، و«البلغة» للفيروزابادي (ص: ٢٤٢).

(٥) انظر: «العين» (٣/ ١٨٨)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (٤/ ٢٥١) مادة (ح م د).

(٦) القول بأنهما معنى واحد مفهوم من كلام أبي جعفر الطبري والزمخشري، وهو منسوب للمبرد =

وقيل: الشُّكْرُ أَنْ يَشْكُرَهُ لِسَابِقَةِ إِحْسَانٍ، وَالثَّنَاءُ أَنْ يَذْكُرَ فَضَائِلَهُ، وَالْحَمْدُ أَعْمُ الثَّلَاثَةِ حَيْثُ يُسْتَعْمَلُ لِهَمَا^(١).

وقال ابن الأنباري: الحمدُ مقلوب المدح وبمعناه^(٢).

وقيل: بل المدح أعمُّ؛ لوقوعه على الفعل وغير الفعل، والحمد يختصُّ بالفعل^(٣)؛ لأنَّه يجوز المدح على صفات ذات الله كالعلم والقدرة، وعلى صفات فعله كالخلق والرِّزْق، ولا يجوز الحمد إلا على^(٤) صفات الفعل.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الرَّبُّ مِنَ التَّرْبِيَةِ، وَالتَّرْبِيَةُ: تَبْلِيغُ الشَّيْءِ إِلَى كِمَالِهِ عَلَى التَّدْرِيجِ.

ابن عيسى: الرَّبُّ: الْمَالِكُ لِلشَّيْءِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ يَصِحُّ مَلِكُهُ مِنْهُ، وَيُسْتَعْمَلُ لِغَيْرِ اللَّهِ مِضَافًا، وَلَا يَجُوزُ اسْتِعْمَالُهُ مُطْلَقًا إِلَّا لِلَّهِ^(٥).

= والأخفش، وقد أنكر أبو بكر الأنباري أن يكون الحمد والشكر بمعنى، وعده من خطأ العامة، واستدلَّ على الفرق بعموم الحمد وخصوص الشُّكْرِ. انظر: «تفسير الطبري» (١/١٣٧)، و«الزاهر» للأنباري (٢/٧٨)، و«تهذيب اللغة» (٤/٢٥١)، و«الفاوق» للزمخشري (١/٣١٤)، و«تفسير القرطبي» (١/١٣٣).

(١) انظر: «معجم الفروق اللغوية» للعسكري (١/٢٠٢).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢/٣٧٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/٩٦) دون نسبة وعده من الغرائب، وهو مفهوم كلام الأنباري، لكنني لم أقف على هذا اللفظ عنده. انظر: «الزاهر» للأنباري (٢/٧٨).

(٣) هذا ما مال إليه الراغب الأصفهاني في «تفسيره» (١/٥٢)، و«المفردات» (ص: ٢٥٦).

(٤) في (ن): «في».

(٥) انظر: «تفسير الماتريدي» (٢/٣٤٥)، و«تفسير الراغب» (١/٥٤).

وَالرَّبُّ: السَّيِّدُ، وَالرَّبُّ: الْمَلِكُ أَيْضًا^(١).

العَالَمُ عِنْدَ الرَّجَّاجِ^(٢): اسْمٌ لِمَا خَلَقَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ^(٣).

وَقِيلَ: الْعَالَمُ: الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا.

ابن عَبَّاسٍ: الْعَالَمُونَ: الْمَلَائِكَةُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ^(٤).

وَقِيلَ: الْعَالَمُونَ: اسْمٌ لِلْعُقَلَاءِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا،

جُمِعَ جَمَعَ السَّلَامَةِ لِلْمَشَارِكَةِ.

وَقِيلَ: الْعَالَمُ: اسْمٌ لِأَشْيَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ، لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ.

وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الْعِلْمِ، وَقِيلَ: مِنَ الْعَلَامَةِ^(٥).

وَقِيلَ: أَهْلُ كُلِّ زَمَانٍ عَالَمٌ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾

[الجاثية: ١٦]؛ أَي: عَلَى عَالَمِي زَمَانِهِمْ^(٦).

(١) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٩)، و«الزاهر» للأبوابي (١/٤٦٧)، و«تفسير الطبري» (١٣/١٦٩ - ١٧٠).

(٢) هو إبراهيم بن السري، أبو إسحاق الزجاج، توفي ببغداد سنة ٣١١هـ، كتابه «معاني القرآن وإعرابه» مشهور، وينقل عنه المصنف كثيرا. انظر: «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» لابن خلكان (١/٤٩).

(٣) هذا معنى قوله، وقد نقله الماوردي بهذا اللفظ. انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (١/٤٦)، و«تفسير الماوردي» (١/٥٥).

(٤) روى الطبري نحوه في «تفسيره» (١/١٤٥)، وما ذكره المصنف منقول عن الماوردي في «تفسيره» (١/٥٤).

(٥) انظر: «تفسير الماوردي» (١/٥٥).

(٦) ذكر هذا الطبري في «تفسيره» (١/١٥٠) و(٢١/٨٤)، ورؤي عن ابن عباس ما يدل عليه. انظر: «البيسط» للواحدي (٢٠/١٤١).

(٣) - ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾: تَكَرَّرَ فِيمَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ التَّسْمِيَةَ مِنَ الْفَاتِحَةِ، كُرِّرَ
لِلتَّأْكِيدِ^(١)، كَمَا قَالَ:

هَلَّا سَأَلْتَ جُمُوعَ كِنْدٍ سَدَةَ يَوْمٍ وَلَّوْا: أَيْنَ أَيْنَا^(٢)

(٤) - ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾: ابْنُ عَيْسَى: الْمَلِكُ: الْقَادِرُ الْوَاسِعُ الْمَقْدُورِ الَّذِي لَهُ
السِّيَاسَةُ وَالتَّدْبِيرُ، وَالْمَالِكُ: هُوَ الْقَادِرُ عَلَى مَا لَهُ أَنْ يَصْرِفَهُ^(٣).

وَاشْتِقَاقُ (مَلِكِ) مِنَ الْمَلِكِ وَالْمَمْلُوكَةِ؛ بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ وَالْكَسْرِ^(٤)، وَاشْتِقَاقُ
(مَالِكِ) مِنَ الْمَلِكِ؛ بِالْكَسْرِ، وَرُوي فِيهِ الْفَتْحُ وَالضَّمُّ^(٥).

وَالْمَعْنَى الَّذِي يَجْمَعُ هَذَا التَّرْكِيبُ: الشَّدُّ وَالرَّبْطُ عِنْدَ ابْنِ السَّرَّاجِ^(٦).

(١) نَسَبَ الْمُصَنِّفُ هَذَا الرَّأْيَ لِلرَّمَانِيِّ فِي «الْبَرْهَانِ» (ص: ٦٥)، وَذَكَرَ فِيهِ قَوْلَ قَاسِمِ بْنِ حَبِيبٍ: (أَي: وَجِبَ الْحَمْدُ لِلَّهِ؛ لِأَنَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)، وَرَأَى أَنَّ التَّكَرُّرَ هُنَا لِأَنَّهُ ذَكَرَ الْمَنْعَمَ أَوَّلًا وَحَدَهُ، ثُمَّ ذَكَرَهُ مَعَ الْمَنْعَمِ عَلَيْهِمْ.

(٢) الْبَيْتُ لِعَبِيدِ بْنِ الْأَبْرَصِ الْأَسَدِيِّ. انظُرْ: «دِيْوَانُهُ» (ص: ١٤٢).

(٣) انظُرْ: «مَعْجَمُ الْفُرُوقِ لِلْغُويَّةِ» لِلْعَسْكَرِيِّ (ص: ٤٧٣)، وَ«الْمَخْصَصُ» لِابْنِ سَيْدِهِ (٥ / ٢٣٠).

(٤) يَرَى الْأَخْفَشُ أَنَّهُ اسْمٌ غَيْرٌ مُشْتَقٌّ عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ. انظُرْ: «مَعَانِي الْقُرْآنِ» لَهُ (١ / ١٥).

(٥) أَي: الْمَلِكُ، وَالْمَلُوكُ، وَالْمَلُوكُ، وَقَدْ قَرَأَ عَاصِمٌ وَالْكَسَائِيُّ وَيَعْقُوبُ وَخَلْفُ: ﴿مَلِكِ﴾ بِالْأَلْفِ،

وَبَاقِي الْعَشْرَةِ بِغَيْرِ أَلْفٍ. انظُرْ: «التَّيْسِيرُ» لِلدَّانِي (١ / ١٨)، وَ«النَّشْرُ» لِابْنِ الْجَزْرِيِّ (١ / ٢٧١).

(٦) انظُرْ: «الْحِجَّةُ» لِأَبِي عَلِيٍّ (١ / ١٣)، وَ«الْمَخْصَصُ» لِابْنِ سَيْدِهِ (٥ / ٢٢٩).

تقول: مَلَكْتُ العَجِينَ، و:

مَلَكْتُ بِهَا^(١) كَفِّي^(٢)

.....

وقال:

وَمَلَّكَ بِاللَّيْطِ الَّذِي تَحْتَ قِشْرِهَا كَخِرْقِي بِيْنُضٍ كَنَّهُ الْقَيْضُ مِنْ عُلِّ^(٣)

وقال:

أَصْبَحْتُ لَا أَمْلِكُ السَّلَاحَ وَلَا أَمْلِكُ رَأْسَ البَعِيرِ إِنْ نَفَرَا^(٤)

وقال تعالى: ﴿فَهُمْ لَهُمَا لِكُونَ﴾ [يس: ٧١].

وقيل: معنى التَّرْكِيبِ القُدْرَةُ.

واليوم: اسمٌ لامْتِدَادِ الضِّيَاءِ العام، ويوم الدُّنْيَا: عبارةٌ عن وقت طلوع الفجر

إلى غروب الشَّمْسِ.

وإضافة الاسم إليه على السَّعَةِ، وتنزيله منزلة المفعول به، كقوله:

يَا سَارِقَ اللَّيْلَةِ أَهْلَ الدَّارِ^(٥)

(١) في (و): «وملكت ما في».

(٢) قطعة من بيت لقيس بن الخطيم يصف طعنة، كما في «ديوانه» (ص: ٨)، وتمام البيت:

ملكت بها كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتَقَهَا يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وِرَاءَهَا

(٣) البيت لأوس بن حجر، كما في «ديوانه» (ص: ٩٧). وملك: شدد؛ أي: ترك شيئاً من القشر على

قلب القوس لئتمالك به. انظر: «لسان العرب» لابن منظور (٧/ ٣٩٦) مادة (ل ي ط).

(٤) البيت للربيع بن ضبع الفزاري، كما في «الكتاب» (١/ ٨٩)، و«النوادر» لأبي زيد الأنصاري

(ص: ٤٤٦)، و«المحكم» لابن سيده (٨/ ٢١٥). وفيها: (لا أحمل) بدل (لا أملك).

(٥) رجز لا يعرف قائله. انظر: «الكتاب» (١/ ١٧٦)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٨٠)، و«كتاب

الشعر» لأبي علي الفارسي (ص: ١٧٩).

= والمفعول محذوفٌ، وهو الأحكام والجزاء^(١).

وقيل: اليوم مفعولٌ به على الحقيقة^(٢)، ومعناه: منشئُه ومثبته والقادرُ على إيجاده.

والظاهر في ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ النكرة^(٣)؛ لأنه بمعنى الاستقبال، و(يوم الدين) ممّا لم يأتِ بعد، وإضافة اسم الفاعل إلى المعرفة إذا كان بمعنى الاستقبال لا يفيد تعريفاً، كقوله تعالى: ﴿عَارِضٌ مُّطْرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤]، و﴿هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥]، و﴿بَلِغْ أَمْرِهِ﴾ [الطلاق: ٣]، و﴿مُوَهِّنٌ كِيدَ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٨]؛ لأنَّ التَّنوين مقدَّرٌ معه، ولهذا جاز تنوينه فيمن قرأ: ﴿بَالِغٌ أَمْرِهِ﴾^(٤)، و﴿مُوَهِّنٌ كِيدَ الْكَافِرِينَ﴾^(٥)، و﴿وَاللَّهُ يُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ﴾ [البقرة: ٧٢]^(٦).

(١) هذا ما ذهب إليه أبو علي الفارسي، والتقدير على هذا: مالك يوم الدين الأحكام والجزاء. انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (١٩/١ - ٢٠)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٧٠/١).

(٢) هذا مذهب ابن السَّرَّاج في المسألة. انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (١٥/١)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٧٠/١).

(٣) أعاد المصنّف عبارته هنا في «غرائب التفسير» (١/١٠١)، وقد جاء فيها: (فلا يجري وصفاً على ما قبله)، وهذه العبارة تبيّن المراد بمناقشة تعريف لفظ (مالك) أو تنكيهه، وهو تجويز إعرابه صفة لما قبله.

(٤) قرأ حفص (بالغ) بغير تنوين و(أمره) بالخفض، والباقون بالتنوين ونصب (أمره). انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١١).

(٥) للقراء السبعة فيها ثلاث قراءات؛ الحرمان وأبو عمرو (موهّنٌ كيد) بفتح الواو وتشديد الهاء، والباقون بإسكان الواو وبخفض الهاء، وحفص يترك التنوين، ويخفف الدال من (كيد) على الإضافة، والباقون ينونون وينصبون الدال. انظر: «التيسير» للداني (ص: ١١٦).

(٦) هي قراءة القراء العشر، ولم أقف على من قرأها على الإضافة، وقد ذكر ابن خالويه أنها قراءة بعضهم، وقد ذكر الزّجاج وجه الإضافة، وجوّزه لغةً، ولم ينقل عن أحد أنه قرأ به. انظر: «معاني» =

وَيُرَوَى عَنْ خَلْفٍ وَأَبِي عُبَيْدٍ وَسَهْلٍ وَالْيَمَانِيِّ: (مَالِكٌ) بِالتَّنْوِينِ (يَوْمٌ) بِالنَّصْبِ^(١).

= غَيْرَ أَنَّ ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾ حُمِلَ عَلَى الْمَاضِي لِتَحَقُّقِ لَفْظِهِ^(٢)، كَمَا حُمِلَ عَلَيْهِ ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾ [النحل: ١]، و﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١١٠]، فَأَفَادَ التَّعْرِيفَ^(٣).

وقيل: هو بدل من (الله)^(٤).

واختلفوا؛ فقال بعضهم: ﴿ملك﴾ أمدح، وقال بعضهم: ﴿مَلِكٌ﴾ أمدح، ولكلُّ احتجاج.

و﴿ملك﴾ أمدح لاستغنائه عن الإضافة، واحتياج ﴿مَلِكٌ﴾ إليها^(٥).

وُحِصَّ بِالْإِضَافَةِ إِلَى ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ تَعْظِيمًا لِذَلِكَ الْيَوْمِ، وَلِتَفَرُّدِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِنَفْوِذِ الْأَمْرِ وَالسُّلْطَانِ.

= القرآن وإعرابه» للزجاج (١/ ١٥٤)، و«مختصر في شواذ القرآن» لابن خالويه (ص: ١٥).

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ٣٦)، وعزاه هذه القراءة إلى عون العقيلي وخلف بن هشام وأبي عبيد وأبي حاتم. وذكرها ابن الجزري في أول كتابه «النشر» (١/ ٤٨) عن عاصم الجحدري.

(٢) أراد: لتحقيق وقوعه.

(٣) أي: فجاز أن يكون ﴿مَلِكٌ﴾ صفة لاسم الجلالة، وهذا أوجه وجوه إعرابه، قال النحاس: (وفيه من العربية خمسة وعشرون وجهاً). انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٩)، و«إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم» لابن خالويه (ص: ٢٢).

(٤) انظر: «التبيان» للعكبري (١/ ٦).

(٥) هذا رأي المصنف، وقد مال الأزهري إلى عكسه فقال: (القراءتان كلتاها ثابت بالسنه، غير أن ﴿مَلِكٌ﴾ أَحَبُّ إِلَيَّ؛ لِأَنَّهُ أَمُّ). انظر: «معاني القراءات» للأزهري (١/ ١١٠).

والدِّين: الجزاء، وهو الحقيقة فيه عند أكثرهم^(١).

والدِّين: الحساب والقضاء أيضًا، ويُستعمل للطاعة والعبادة والمملكة.

والدِّين: الملة^(٢) اسمٌ شرعيٌّ.

ومعنى هذه الآيات: نحمدُ الله على تربيته إيانا وإنعامه علينا عاجلاً وآجلاً، وتفردِهِ بالقضاءِ يومَ الجزاءِ لِيُوفِّرَ على المحسنِ ما استحَقَّه فضلاً، وعلى المسيءِ عدلاً.

(٥) - ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: رجع من الغيبة إلى الخطاب على إضمار:

قولوا: الحمد لله، وقولوا: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ^(٣).

وقيل: هذا من تلوين الخطاب.

إيًّا: ضميرُ المنصوب المنفصل، والكاف: للخطاب لا محلَّ له من الإعراب،

وهي مسألة خلاف^(٤).

(١) انظر: «العين» (٧٣/٨) مادة (دي ن)، و«مجاز القرآن» لابن قتيبة (١/٢٣)، و«معاني القرآن»

وإعرابه» للزجاج (١/٤٧).

(٢) انظر: «إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم» لابن خالويه (ص: ٢٥).

(٣) ذكر كثيرٌ أنَّ هذا من الانتقال من الغيبة إلى الخطاب، ولكن زاد ابن جني فأجاد، فذكر أنَّ الحمد

معنى دون العبادة، فاستعمل لفظ (الحمد) مع الغيبة، ولم يقل: لك، ولما صار إلى العبادة التي هي

أقصى أمد الطاعة قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾. انظر: «تفسير الطبري» (١/١٣٧ و ١٥٠)، و«معاني القرآن»

للنحاس (١/٦٥)، و«الحجة» لأبي علي (٢/٣٣١)، و«المحتسب» لابن جني (١/١٤٦).

(٤) ما ذكره المصنف هو مذهب سيبويه والفارسي، وذهب الخليل إلى أن الياء والكاف والهاء =

والعبادة: الطاعةُ مع الخضوع.

ابن عيسى: هي خضوعٌ ليس فوقه خضوعٌ.

وهي في اللغة: التذلل، من قولهم: طريقٌ معبّدٌ؛ أي: مذلّل بكثرة الوطاء عليه^(١).

والاستعانة: طلب المعونة، والمعونة: الزيادة على القوة بما يسهّل الوصول إلى البغية.

وأخر الاستعانة - والتقديم بها أولى - لأنّ المعنى: إياك نعبد وإياك نستعين على عبادةٍ نستأنفها، ولأنّ الواو لا توجبُ ترتيباً.

ومعنى الآية: نخضّك بالعبادة فتقبّلها، ونسألُك المعونةَ عليها فتمّمها.

(٦) - ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: الهداية: الدلالة، تقول: هديته الطريقَ وللطريقِ وإلى الطريق^(٢).

ابن عيسى: حقيقة الهداية الدلالة على طريق الحقّ.

= المتصلات بـ(إيا) ضمائر، وثمة مذاهب أخرى للفراء والمبرد والزجاج وابن كيسان والكوفيين. انظر: «الكتاب» (١/ ٢٧٩)، و(٢/ ٣٥٥)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (١/ ٤٨ - ٤٩)، و«الإغفال» لأبي علي الفارسي (٥٤ و ٥٥)، و«الإنصاف» للأنباري (٢/ ٥٧٠)، و«شرح التسهيل» لابن مالك (٢/ ١٤٥ - ١٤٦).

(١) انظر: «معاني القرآن» للنحاس (١/ ٦٤)، و«الغريبين» للهرابي (٤/ ١٢١٧).

(٢) فالفعل متعدّد بنفسه وباللام وبـإلى. انظر: «تفسير الراغب الأصفهاني» (١/ ٥٨).

ومعنى ﴿أَهْدِنَا﴾: ابن عباس: أرشدنا^(١).

الزَّجَّاجُ فِي جَمَاعَةٍ: ثَبَّتْنَا عَلَى الطَّرِيقِ^(٢) الواضح^(٣).

ابن جرير: هو مسألة التَّوْفِيقِ لِلثَّبَاتِ عَلَى الْهَدْيِ^(٤).

وقيل: هو سؤال الألفاظ التي بها يكمل الاهداء^(٥).

وَالصَّرَاطُ: الطَّرِيقُ، وَهُوَ الْمَكَانُ الْمَهِيئُ لِلسُّلُوكِ، وَالْمَرَادُ بِهِ هَاهُنَا عِنْدَ عَلِيٍّ

وَإِبْنِ عَبَّاسٍ: كِتَابُ اللَّهِ^(٦).

ابن مسعود: الدِّينَ وَالْإِسْلَامَ^(٧).

الْحَسَنُ وَأَبُو الْعَالِيَةِ: مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٨).

(١) نقل المصنف هذا عن «تفسير الماتريدي» (١ / ٣٦٦). وقد روى الطبري في «تفسيره» (١ / ١٧٣)

عن ابن عباس: (أَلْهَمْنَا الطَّرِيقَ الْهَادِي، وَهُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي لَا عِوَجَ لَهُ).

(٢) فِي (ن): «الْمَنْهَاجُ».

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزَّجَّاجِ (١ / ٤٩)، و«معاني القرآن» للنحاس (١ / ٦٦)، و«الزاهر»

للأزهري (ص: ٦٧).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١ / ١٦٦).

(٥) ذكر أبو علي الفارسي قريباً من هذا المعنى. انظر: «الحجة» لأبي علي (١ / ١٨٥)، و«البيسط»

للواحدي (٦ / ٥٧٣).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١ / ١٧٣) عن علي وعبد الله رضي الله عنهما.

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (١ / ١٧٣) عن ابن مسعود وجابر بن عبد الله وابن عباس رضي الله

عنهم.

(٨) رواه الطبري في «تفسيره» (١ / ١٧٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ٣٠).

وقيل: طريق الجنة^(١)، وقيل: هو عام^(٢).

وأصله السَّيْنُ؛ لأنَّ اشتقاقه من (سرطت الطَّعام)، قَلْبٌ صَادًا لِيُؤَافِقَ الطَّاءَ فِي الإِطْبَاقِ، وَيَجُوزُ بِإِشْمَامِ الزَّايِ لِيُؤَافِقَ الطَّاءَ فِي الْجَهْرِ^(٣).
والاستقامة: الاستواء.

ابن عيسى: المرورُ فِي جِهَةٍ وَاحِدَةٍ^(٤).

(٧) - ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.
﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾: (صراط) بدلٌ من الأوَّل^(٥)، وَالَّذِينَ: اسمٌ موصولٌ
وُضِعَ لوصف المعارف بالجمَل^(٦).
والإنعام: حقيقته النَّفْعُ الَّذِي يُسْتَحَقُّ بِهِ الشُّكْرُ، وَأصله من النِّعْمَةِ، وَهي اللَّيْنُ
وَالنِّعِيمُ وَالخَفْضُ وَالذَّعَّةُ، وَهو لِينُ العِيشِ وَرفاهيته.

(١) أي: أَرشدنا إلى طريق الجنة في المعاد، وقد أنكر الطبري هذا المعنى. انظر: «تفسير الطبري» (١٦٦/١).

(٢) هذا هو اختيار الإمام الطبري. انظر: «تفسير الطبري» (١٧١/١).

(٣) قرأ خلف: «الصِّرَاطُ» و«صِرَاطٌ» حيث وقعا بإشمام الصاد الزاي، وخلافاً بإشمامها الزاي في قوله عز وجل: «الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» هنا خاصة، وقيل ويعقوب الحضرمي بالسين، والباقون بالصاد، وقد رُوِيَ عن أبي عمرو وحمة وعاصم بالزاي. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٣/١٢٤) مادة (زرط)، و«معاني القراءات» للأزهري أيضاً (١/١١١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨ - ١٩).

(٤) ذكر الواحدي نحوه فقال: (الاستقامة استمرار الشيء في جهة واحدة). انظر: «البيسط» للواحدي (٥٢٨/١).

(٥) انظر: «المقتضب» (٤/٢٩٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٠).

(٦) انظر: «التعليقة» لأبي علي الفارسي (١/٢٦٨)، و«اللباب» للعكبري (٢/١١٣).

والمُنْعَمُ عليهم؛ قيل: الأنبياء، وقيل: الملائكة، وقيل: المؤمنون، وقيل: هو النبي ﷺ وأصحابه^(١)، وقيل: هم قوم موسى وعيسى عليهما السلام قبل أن غيروا نِعَمَ الله عليهم^(٢).

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: حقيقة (غير) ما صحَّ أن يُثَنَّى مع المضاف إليه، ويدلُّ على مغايرة الوصف، أو الذات، أو الذات والوصف جميعاً. والغضب: إرادة الانتقام.

وقيل: الغضب من الله: الذمُّ للعصاة على قبيح أفعالهم^(٣).

والمغضوب عليهم: اليهود^(٤)، وقيل: اليهود والنصارى^(٥).

ولم يقل: المغضوبين؛ لأنَّ حرفَ الجرِّ مع المفعولِ كالجِزءِ منه، فلا يُثَنَّى ولا يُجمَعُ دونَه^(٦).

(١) في (ن): «وقيل: وأصحابه».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ١٧٨)، و«معاني القرآن» للنحاس (١/ ٦٨)، و«تفسير الماوردي» (١/ ٥٩)، و«تفسير الثعلبي» (٢/ ٤٥٦).

(٣) في هامش (و): «فائدة: معنى الغضب من الله تعالى: تغير النعمة وإرادة العقوبة، ومن الخلق: تغير الطبع».

(٤) قال الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٦١): (وهو قول جميع المفسرين)، وقد ذهب الرازي إلى أنهم الفساق أو الكفار. انظر: «تفسير الرازي» (١/ ١٦٦ و ٢٢٣).

(٥) ذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (١/ ١٠٥)، ولم أقف على مَنْ قاله.

(٦) ذكره نحوه الواحدي، أما العكبري فذكر أنَّ اسم الفاعل والمفعول إذا عمل فيما بعده لم يُجمع جمع السلامة. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢١)، و«البيضا» للواحدي (١٠/ ٣٤٠)،

و«التبيان» للعكبري (١/ ١٠).

﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾: (لا): زيادةٌ دلَّتْ على تَضَمُّنٍ (غير) معنى النَّفْيِ، قال:

ما كان يَرْضَى رسولَ اللهِ دِينَهُمُ والطَّيِّبَانِ أبو بكرٍ ولا عُمَرُ^(١)

زيدَ (لا) لَمَّا تَضَمَّنَ أوَّلَ الكلامِ معنى النَّفْيِ^(٢).

والضَّالُّ: نقيض الهدى، وأصله من الضَّياع، والضَّالَّة التي تبقى بمضيعةٍ لا يعرفُ صاحبُها بها، وفيه لغتان: ضَلَّ يَضِلُّ، وضَلَّ يَضِلُّ^(٣).

وأضَلَّ اللهُ، وضلَّه، ويقال: أضلَّه: عاقبه بضلاله^(٤)، وقيل: حكم بضلاله^(٥).

والضَّالُّون: النَّصارى^(٦).

وقيل: المغضوب عليهم: اليهود والنَّصارى، والضَّالُّون: الكفَّار^(٧).

ومعنى الآيات: ثَبَّتْنَا على منهاجِ أنبيائِكَ وأوليائِكَ غيرَ مغضوبٍ علينا ولا ضالِّينَ.

(١) البيت لجريير. انظر: «ديوانه» (ص: ٢٠١).

(٢) انظر: «العين» (٣٤٩/٨)، و«معاني القرآن» للفراء (٨/١).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص: ١٠٢٤) مادة (ض ل ل).

(٤) انظر: «الغريبين» للهرودي (٤/١٣٠٤).

(٥) ذكر هذا أبو علي الفارسي في «الحجة» (٥/٦٥)، وقيل: أضلَّه اللهُ: وجده ضالًّا، وقيل: معناه

ضلَّ عن اللهُ. انظر: «تفسير الماتريدي» (٩/١٣٧)، و«المحتسب» لابن جني (١/٢٢٨)، «النكت

والعيون» للماوردي (٥/٢٦٥).

(٦) ذكر هذا في أحاديث مرفوعة صحيحة. انظر: «مسند الإمام أحمد» (٢٠٣٥١)، و«تفسير الطبري»

(١/١٩٤). وقال الماوردي في «النكت والعيون» (١/٦١): (وهو قول جميع المفسرين).

(٧) لم أفق على مَنْ قال هذا، ولكن ذهب الرازي إلى أن الضالين الكفار وكل مَنْ أخطؤوا في الاعتقاد،

وذكر أنه يُحتمل أن يُراد بهم المنافقون. انظر: «تفسير الرازي» (١/١٦٦ و٢٢٣).

(أمين) وفيه لغتان: القصر والمد^(١).

وفي معناه قولان:

أحدهما: أنه اسمٌ من أسماء الله تعالى^(٢).

والثاني: أنها من الأسماء التي سُمِّيت بها الأفعال، ومعناه: اللهم استجب^(٣)،

عن ابن عباس رضي الله عنهما^(٤)، وقيل: كذلك يكون^(٥).

(١) ذكرهما ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ١٢ - ١٣)، واختار المدَّ، وذكرهما ثعلب في «الفصيح» (ص: ٣١٥)، وذكر ابن درستويه في «تصحيح الفصيح» (ص: ٤٦٧) أن القصر ضرورة، وأن الرواة رووه عن النبي ﷺ بالمد.

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٦٥١) عن أبي هريرة، وذكره ابن قتيبة من قوله في «غريب القرآن» (ص: ١٢)، ورأى أبو علي الفارسي في «الحليات» (ص: ١٠١): أن قائل هذا ذهب إلى أن الضمير المستتر في اسم الفعل يعود على الله تعالى، لا أن هذا اللفظ من أسماء الله سبحانه وتعالى.

(٣) هذا قول الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» (١ / ٥٤)، وذكره أبو علي الفارسي في «الحليات» (ص: ٩٨)، والهروي في «الغريين» (١ / ١١٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (٢ / ٤٤٨) عن الحسن.

(٤) لم أقف على من ذكر هذا اللفظ عن ابن عباس، وقد روى الثعلبي في «تفسيره» (٢ / ٤٧٧) بإسناد واهٍ عن ابن عباس مرفوعاً أن معناه: افعل.

(٥) ذكره الأنباري في «الزاهر» (١ / ٦٦)، والسمرقندي في «تفسيره» (١ / ١٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٢ / ٤٧٧)، وقال الماوردي في «النكت والعيون» (٢ / ٤٤٨): (فرق ابن عباس في معنى أمين بين وروده بعد الدعاء وبين وروده بعد فاتحة الكتاب فقال: معناه بعد الدعاء: اللهم استجب، ومعناه بعد الفاتحة: كذلك فليكن).



سُورَةُ الْبَقَرَةِ

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

مئتان وثمانون وستُ آياتٍ^(١)، مدنيّة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - ﴿الْم﴾.

﴿الْم﴾: اختلف المفسّرون في تأويل الحروف التي تقع أوائل السُّور، فذهب ابن عبّاسٍ في ﴿الْم﴾ إلى: أنّه قسمٌ أقسم الله تعالى به^(٢).

السُّديّ: هو اسم الله الأعظم^(٣).

قتادة: اسمٌ من أسماء القرآن^(٤).

وقيل: اسم السُّورة^(٥)، وكذلك سائرُها أسماءٌ للسُّور، تُعرَف كلُّ سورةٍ بما بُدئَتْ به.

أبو عبيدة - رحمة الله عليه - قال في كتاب «المجاز»: إنّها لافتتاح الكلام،

(١) «مئتان وثمانون وست آيات» من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١ / ٢٠٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١ / ٢٠٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ٣٢) عن السدي عن ابن عباس.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ٣٣) عن مجاهد، وذكره عن قتادة وزيد بن أسلم.

(٥) في (ن): «اسم للسورة».

كقوله: ألا^(١). وإليه ذهب الأخفش، وقال: هو لافتتاح كلامٍ وانتهاء كلامٍ^(٢).

الزَّجَّاج: كلُّ واحدٍ من هذه الحروف مأخوذٌ من كلامٍ يعرفه المخاطب^(٣).

قال: ونظيره من كلامهم قول الشاعر:

قلْتُ لها قفي فقالت^(٤) قاف لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف^(٥)

تريد: وقفتُ، فاستغنيَ عنها بحرفٍ منها.

ومثل هذا أو قريبٌ منه ما روي عن ابن عباسٍ أيضًا أنه قال: ﴿الر﴾ و﴿حم﴾

و﴿ت﴾ مجموع الرَّحْمَن^(٦).

وعنه: الألف: آلاء الله، واللام: لطفه، والميم: ملكه^(٧).

ومثله: الألف: الله سبحانه، واللام: جبريل، والميم: محمد عليه السلام، فكأنه

قال: من الله إلى جبريل إلى محمد ﷺ^(٨).

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١ / ٢٨).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١ / ٢١).

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (١ / ٦٢).

(٤) في النسخ الخطية: «فقلت لي»، وكذا وردت في بعض المصادر، وجاء في بعضها: (فقلت) فقط،

وفي أخرى (قلت) فقط، وجاء أيضاً: (قلنا لها قفي لنا قالت)، وجاء غير ذلك.

(٥) نُسب البيت للوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْطٍ في «الأغاني» للأصفهاني (٤ / ١٨١)، وهو بلا نسبة

في «معاني القرآن» للفراء (٣ / ٧٥)، و«تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٨٩)، و«تفسير

الطبري» (١ / ٢١٦)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (١ / ٦٢).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢ / ١٠٣).

(٧) انظر: «تنوير المقباس من تفسير ابن عباس» للفيروزآبادي (ص: ٣)، وذكره الثعلبي في «تفسيره»

(١ / ١٣٩)، والبغوي في «تفسيره» (١ / ٥٩) عن محمد بن كعب.

(٨) ذكره الواحدي في «البيسط» (٥ / ١٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما من رواية عطاء، وإسناده ساقط.

الفراء وُقُطِرْبُ: المراد بها جميع حروف المعجم، فاقصر على بعضه^(١)، كما يقول القائل: (فَلانٌ يتعلَّم اب ت ث) والمراد جميعه، وكذلك: (يتعلَّم أبجد) والمراد تمامه، و(الحمد) والمراد به السُّورة، ويكون المعنى: هذه السُّورة وسائرُها من هذه الحروف التي تعرفونها، فأثوا بسورةٍ من مثله.

ويُروى عن أبي بكرٍ أَنَّهُ قال: اللهُ عزَّ وجلَّ في كلِّ كتابٍ سرٌّ، وسرُّه في القرآن هذا^(٢).

ورُوي عن عليِّ بن أبي طالبٍ رضي اللهُ عنه أَنَّهُ قال: لكلِّ كتابٍ صفوةٌ، وصفوةٌ هذا الكتابُ التَّهْجِيُّ به^(٣).

الصَّحَّاكُ: هي^(٤) الصَّوافي الخواص التي لا يعلمها إلا اللهُ تعالى.

وقيل: لَمَّا قال المشركون: ﴿لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْافِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦] افتتح اللهُ السُّورة بما لا يعرفونه؛ لتتطَّلَعَ نفوسُهم إلى سماع ما بعدها؛ ليعرفوا منه ما قبله، فيصير ذلك داعياً إلى سماعه وتفهم معانيه^(٥).

وقيل: هي من المتشابهات التي تُعبِّدنا بالإيمان بها دون الوقوف عليها.

ورُوي عن أبي العالية أَنَّهُ قال: ما منها^(٦) حرفٌ إلا وهو في مدَّة قومٍ وأجال آخرين^(٧).

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١ / ٣٦٨)، وذكره الزَّجاج في «معاني القرآن وإعرابه» (١ / ٥٥) عن قطرب.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣ / ١٩)، والرازي في «تفسيره» (٢ / ٢٥٠).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣ / ١٩)، والبغوي في «تفسيره» (١ / ٥٩).

(٤) في (ن): «هي من».

(٥) ذكر الزَّجاج نحوه عن قطرب في «معاني القرآن وإعرابه» (١ / ٦٢).

(٦) في (و): «من».

(٧) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ٣٣)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣ / ٢١).

(٢) - ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾: (ذا): إشارة إلى الحاضر المذكور، واللام يُنبئ عن الغيبة

وقطع الإضافة.

واختلفوا في المشار إليه؛ فقال أبو عبيدة: هو القرآن، وقام (ذلك) مقام (هذا)^(١)،

كقوله:

أَقُولُ لَهُ وَالرُّمْحُ يَأْطِرُ مَتْنَهُ تَأَمَّلْ خُفَاً إِنَّنِي أَنَا ذَلِكَا^(٢)

أي: أنا هذا.

وقيل: إذا لم يكن المشار إليه جثةً جاز العبارة عنه بـ: (ذلك) و(هذا).

قال الأصمُّ: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ إشارة إلى ما تقدّم من القرآن^(٣).

وقيل: إشارة إلى ذكر القرآن في التّوراة والإنجيل.

وقيل: إشارة إلى ما وعد الله به نبيّه في قوله: ﴿إِنَّا سُلِّقْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا نَّفِيلاً﴾

[المزمل: ٥].

وقال سعيد بن جبير: ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى اللّوح المحفوظ^(٤).

وقيل: إشارة إلى التّوراة والإنجيل.

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١ / ٢٨ - ٢٩).

(٢) البيت لخفاف بن ندبة كما في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١ / ٢٨ - ٢٩)، و«تفسير الطبري»

(١ / ٢٣١)، و«النكت والعيون» للماوردي (١ / ٦٧).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١ / ٦٧)، وذكره الطبري في «تفسيره» (١ / ٢٣٠) دون

نسبة.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣ / ٤٢).

والكاف في ﴿ذَلِكَ﴾ خطابٌ للنَّبِيِّ ﷺ، وقيل: لليهود فيمن قال: ﴿الْكِتَابُ﴾: التَّوراة والإنجيل.

و(الكتاب): المكتوب؛ فجاز أن يكون مكتوبًا في اللُّوح المحفوظ، وجاز أن يكون المعنى: من شأنه أن يُكْتَبَ.

وقيل: هو من (الكتَّب)؛ الذي هو الجمع، لا من (الكتابة).

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ابن عيسى: الرَّيبُ: الشُّكُّ مع تهمة المشكوك فيه، تقول: أرابني الرَّجُلُ؛ إذا اتَّهَمْتَهُ بشيءٍ غير متحقِّقٍ، ورابني: تيقَّنته^(١).
وكلُّ ريبٍ في القرآن غير ريب المنون شكٌّ^(٢).

والمعنى: لا سببَ ريبٍ فيه.

ابن عيسى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أَنَّهُ هَدَىٰ وَبَيَّنَّ.

وقيل: ﴿لَا رَيْبَ﴾ أَنَّهُ من عند الله؛ أي: حقٌّ أَنَّهُ من عنده.

ابن بحر^(٣): الرَّيبُ: الظَّنُّ السَّيِّئُ، وقوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ إزالةٌ ما ادَّعاه الكفرةُ في القرآن من الكهانة والكذب والسُّحر وأَنَّهُ يعلمه بشرٌ^(٤).

(١) أي: هناك فرق بين (أرابني) و(رابني) بغير ألف، فأرابني: شككني وأوهمني الريبة، فإذا استيقنته،

قلت: رابني؛ بغير ألف. انظر: «الغريبين» للهروي (٣/ ٨٠٣).

(٢) ذكر ذلك أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٤٢٨).

(٣) نقل عنه المصنف هنا وفي «غرائب التفسير»، وهو: أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهاني الكاتب، كان

نحوياً كاتباً بليغاً، مترسلاً جدلاً، متكلماً معتزلياً، عالماً بالتفسير وغيره من صنوف العلم، وصار عالم

أصبهان وفارس، مولده سنة ٢٥٤هـ، وتوفي سنة ٣٢٢هـ، له «جامع التأويل لمحكم التنزيل» أربعة عشر

مجلداً. انظر: «بغية الوعاة» للسيوطي (١/ ٥٩)، و«طبقات المفسرين» للداودي (٢/ ١٠٩ - ١١٠).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١١٤).

وقيل: ظاهره نفْيٌ والمعنى نهْيٌ؛ أي: لا تترتابوا فيه.

﴿هُدًى﴾: مصدر هَدَيْتَ، ومثله السُّرى والتُّقى؛ أي: دالٌّ ومرشدٌ.

﴿الْمُتَّقِينَ﴾ ابن عَبَّاسٍ: الذين يحذرون عقوبته^(١).

الحسن: اتَّقُوا ما حُرِّمَ عليهم^(٢).

وقيل: يَتَّقُونَ الشُّرْكَ.

وخصَّهم بالذكر لظهور تأثيره فيهم وتفردهم بقوله، ولأنَّ تخصيصَ الشَّيءِ بالذكر لا يدلُّ على نفْيِ ما عداه، وجاء ذلك في القرآن في مئتين وستة وثلاثين موضعًا. وأصل الاتِّقاء: الحجز بين الشَّيئين، يُقال: اتَّقاه بتُّرسٍ، ومنه: الوقاية، ووقاهُ اللهُ، والتَّقِيَّةُ، والتَّقوى^(٣).

(٣) - ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾: أصل الإيمان التَّصديق، من قوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ

لَنَا﴾ [يوسف: ١٧]، وقيل: أصله الأَمْن؛ أي: يُؤْمِنُونَ أَنفُسَهُمْ مِنَ النَّارِ^(٤)، وقيل: أصله الطَّمَأْنِينَةُ.

والغيب: ابن عَبَّاسٍ: ما جاء من عند الله^(٥).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٣٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٣٧).

(٣) انظر: «المخصص» لابن سيده (٤/ ٦١).

(٤) «وقيل أصله الأَمْن أي يؤمنون أنفسهم من النار» من (ن).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٤٢)،

عطاء: الغيب هو الله سبحانه^(١).

الحسن وغيره: بالدار الآخرة، والثواب والعقاب، والبعث والحساب^(٢).

وقيل: يؤمنون بظهر الغيب، كقوله: ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ [الأنبياء: ٤٩]، فيكون حالاً، والمفعول به محذوف^(٣).

وعلى القول الأول: مفعول به^(٤).

ابن عيسى: الغيب: ما غاب عن الحاسة مما يُعلم بالأدلة.

الأخفش: يؤمنون بما غاب عن أفهامهم من متشابهات القرآن^(٥).

﴿يُؤْمِنُونَ الصَّلَاةَ﴾: يؤدونها، وسمى أداء الصلاة إقامة؛ لما فيها من القيام حقيقة^(٦).

وقيل: هو من تقويم الشيء.

الزجاج: يأتون بها تامةً بجميع حقوقها^(٧).

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٦ / ١).

(٢) ذكر الثعلبي في «تفسيره» (٢٠ / ١٣) خبراً عن الحسن يفيد ما ذكر المصنف، وقد رواه الطبري في

«تفسيره» (٢٤٢ / ١) عن قتادة وعن الربيع بن أنس، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٦ / ١) عن أبي

العالية والسدي.

(٣) والمعنى: يؤمنون إذا غابوا عنكم، ولم يكونوا كالمنافقين الذين يُظهرون الإيمان إذا كانوا معكم

فقط.

(٤) المراد: أن الغيب على الوجه الأول - وهو كل ما سبق الوجه الأخير - في موضع المفعول، فهو

مؤمن به.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١١٥ / ١).

(٦) في (ن): «على الحقيقة».

(٧) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٧٢ / ١).

والقيام: الانتصاب في جهة العلوّ على الاستواء، والإقامة: جعل الغير قائماً، والمقاومة^(١): المساواة.

والصلاة: عبادةٌ تحريمها التكبير وتحليلها التسليم.

ابن عيسى: أصلها الدعاء.

وقيل: هو من رفع (الصَّلا) في الرُّكُوع والسُّجُود، وهو عَظْمٌ فِي الْعَجَب^(٢).

وقيل: أصلها اللُّزوم، ومنه: صَلَّى النَّارِ^(٣).

﴿وَمَارَزَقْنَهُمْ﴾: أعطيناهم.

الزَّجَّاج: ملَّكناهم^(٤).

والرِّزْق: العطاء، وقيل: الملك، وقيل: الحِظُّ، وضدُّه الحرمان، وكلُّ ما يصل

إلى العبد من عطيةٍ فهو رزق الله؛ حلالاً كان أو حراماً.

﴿يُفِقُونَ﴾: يخرجونه من ملكهم بالترجِّي إلى الثَّواب^(٥) كالزَّكَاة والصَّدَقَة

والجهاد، وأصل الكلمة من الخروج والإخراج.

(٤) - ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَيَأْتِخِرُونَ هُمُ الْيَقِينُونَ﴾.

(١) كذا في النسخ الخطية، ولعل المراد: الاستقامة.

(٢) أي: عجب الذَّنْب. انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (٢/٨٩٧) مادة (ص ل و).

(٣) أي: دفؤها، وهو قول الزَّجَّاج. انظر: «معاني القرآن وإعرابه» له (١/٢٣٢).

(٤) ذهب الزَّجَّاج إلى أن الرزق هو الملك في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾

[النحل: ٧١]. انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزَّجَّاج (٣/٢١٢).

(٥) «إلى الثواب» من (ن).

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني: القرآن.

﴿وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾: سائر كتب الله المنزلة على النبيين.

﴿وَبِالْآخِرَةِ﴾؛ أي: بالدار الآخرة، وقيل: بالنشأة الآخرة.

﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾: يعلمون بالدلائل.

وأصل الإنزال: التصيير إلى جهة السفلى، وكذلك التنزيل، والنزول: الانتقال إلى جهة السفلى.

و(قَبْلَ): لِمَا مَضَى مِنَ الزَّمَانِ، و(بَعْدَ): لِمَا يَأْتِي.

وَالْآخِرُ: الْمَوْجُودُ بَعْدَ الشَّيْءِ.

﴿هُمْ﴾: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فَصْلًا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُبْتَدَأً.

وَالْإِيْقَانُ: عِلْمُ الشَّيْءِ بِالِاسْتِدْلَالِ.

(٥) - ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ﴾؛ أي: الموصوفون بما تقدّم من الوصف ﴿عَلَى هُدًى﴾: بيان ورشد

﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾: من عند الله.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الظّافرون بالبُغية، وأصل الفلاح: الظفر بالبُغية.

وقيل: هم الباقون في النعيم، والفلاح: البقاء.

وقيل: أصله النَّجَاح، وقيل: أصله القَطْع.

(٦) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: ستروا ووجدوا نعم الله ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾: متساوٍ عندهم
﴿أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾: أحذرتهم أم تركت التحذير - واللفظ للاستفهام،
والمعنى التسوية - ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

الكفر في الشرع: اسمٌ وُضِعَ على المعاصي التي يُسْتَحَقُّ بها العذابُ الأشدُّ،
وهو في اللُّغة: السُّتر، والكافر: الزَّارع، والكافر: الليل، ومنه: كُفِّرَ الطَّلَعُ^(١).
والسَّوَاءُ: الاعتدال.

والإنذار: الإعلام بالمخافة لتتقى، وقيل: التحذير.

ويظهر معنى الآية بالإعراب:

﴿الَّذِينَ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾، و﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾: خبره، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: خبرٌ بعد خبرٍ.

ويحتمل أن يكون ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الخبر، و﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾
اعتراضٌ لا محلَّ له من الإعراب.

وقيل: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ استئنافٌ؛ أي: هم لا يؤمنون، وقيل: دعاءٌ؛ أي: لا آمنوا.

(٧) - ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً﴾ .

الختم: الطَّبَعُ بالخاتم.

(١) أي: وعاء طلع النخل، وهو الكافور أيضاً. انظر: «المحكم» لابن سيده (٧/٥) مادة (ك ف ر).

والقلب: الفؤاد، سُمِّي قلباً لتقلبه بالخواطر والعزوم، وهو محلُّ العزم والفكر، وكذلك العلم والقصد.

أي: طَبَعَ عليها.

وقيل: جعل عليها نكتة سوداء.

وقيل: إِنَّمَا هو ذمٌّ؛ أي: كأنَّها مختومة، مثل قوله: ﴿صُمُّ بِكُمْ عَمِّي﴾ [البقرة: ١٨].

والسَّمْعُ والسَّمَاعُ: مصدران لـ(سَمِعَ)، والسَّمْعُ: الأذن أيضاً.

وللتَّوْحِيدِ^(١) وجهان:

أحدهما: أنَّ المراد به المصدر، فلا يُثَنَّى ولا يُجْمَعُ، والتَّقْدِيرُ: على مواضع

سمعهم.

والثاني: المراد به الجارحة، ولَمَّا كان المضافُ إليه جمعاً اكْتَفِيَ به، كقوله:

..... فِي حَلْقِكُمْ عَظْمٌ وَقَدْ شُجِّينَا^(٢)

و﴿أَبْصَرِهِمْ﴾: جمع بصيرٍ، وهي حاسَّةٌ يُدْرِكُ بها المُبْصِرُ، ويُستعمل للمصدر

أيضاً.

والغشاوة: الغطاء الشَّامِلُ.

والمعنى: جعل قلوبهم بحيثُ لا تفهم، وأذَانَهُمْ بحيثُ لا تتنفع بالمسموع،

وأبصارهم بحيثُ لا تتنفع بالمرئيِّ.

(١) أي: إفراد السمع مع أنه لجماعة.

(٢) هو عجز بيت للمسيب بن زيد مناة الغنوي، والشاهد فيه: قوله: حلقكم، والمراد: حلو قوكم. انظر:

«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ١٩٥)، و«لسان العرب» (١٤/ ٤٢٣) مادة (ش ج ي)، وصدرة:

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: العذاب: إيصالُ الألمِ حالاً بعد حالٍ.

ابن عيسى: أصل العذاب: استمرارُ الشيء.

والعظيم: الدائم الذي لا ينقطع، والعظم في الأصل: الزيادة على المقدار، ثم ينقسم إلى: عظم الشآن، وعظم الأجسام، والله عظيمٌ من عِظَمِ الشَّانِ.

وقال الضَّحَّاك: هاتان الآيتان نَزَلتا في أبي جهلٍ وخمسةٍ من أهل بيته^(١)؛

أعلمَ اللهُ أنَّهم لا يؤمنون، وكان كما أعلم، فصار من أعظم المعجزات.

الكلبيُّ: نزلت في اليهود^(٢).

(٨) - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾: نزلت في المنافقين.

والنَّاسُ والإنس: البشر، واشتقاقه عند بعضهم من (النَّوْس) وهو الحركة، و(نُؤِيسٌ)^(٣) يشهد له، وعند بعضهم من (الأُنْس)، وأصله: أناسٌ؛ فحُدِّثَ الهمزة، وقيل: من (النُّسِيان) بدليل (الأُنُّسِيان)^(٤)، وفيه بعدٌ.

والقول: كلامٌ يقتضي الحكاية، يقع على المفيد وغير المفيد.

واليوم الآخر: لأنَّه بعد أيام الدنيا، وقيل: لأنَّه آخرُ يومٍ ليس بعده ليلةٌ.

(١) ذكره الواحدي في «البيسط» (١/ ٢٩٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٩).

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٢٤)، والواحدي في «الوسيط» (١/ ٨٣)، والبغوي في

«تفسيره» (١/ ٦٤)، وذكره الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٥٩) دون نسبة.

(٣) وهو تصغير ناس. انظر: «الكتاب» (٣/ ٤٨٦)، و«الحليات» لأبي علي الفارسي (ص: ١٧٢).

(٤) وهو تصغير إنسان. انظر: «العين» (٧/ ٣٠٤)، و«الكتاب» (٣/ ٤٨٦).

والمعنى: من النَّاسِ منافقون يُظهرون خلافَ ما يُبطنون وليسوا هم بمؤمنين، فدلَّ أنَّ الإيمانَ إقرارٌ واعتقادٌ، خلافًا للكراميةِ لأنَّهم يقولون: إقرار باللسان^(١).

(٩) - ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالدِّينَ ءَامَتُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالدِّينَ ءَامَتُوا﴾ الرَّجَّاجُ: يُبطنون خلاف ما يُظهرون^(٢).

وأصل الخَدَعُ: الإخفاء، ومنه: (المِخْدَعُ) للخزانة، و(الأخدعان) في اللَّبَّتَيْنِ؛ لخفائهما^(٣).

وقيل: أصله الفساد، قال الشاعر:

أَبْيَضُ اللَّوْنِ لَدِيدٌ طَعْمُهُ طَيِّبُ الرَّيْقِ إِذَا الرَّيْقُ خَدَعٌ^(٤)

أي: يفسدون ما يُظهرون بما يُضمرون.

وقال أبو عليٍّ: يخادعون رسولَ الله، فحذف المضاف^(٥).

(١) «خلافًا للكرامية لأنهم يقولون إقرار باللسان» من (ن). والكرامية فرقة منسوبة إلى محمد بن كرام (ت: ٢٥٥هـ)، وهم يثبتون الصفات، ويميلون إلى التجسيم، ويزعمون أن الإيمان هو الإقرار بشهادة الإسلام لفظاً، وأن المنافقين والزنادقة مؤمنون حقاً إن أقرؤا بالشهادة. انظر: «الفرق بين الفرق» للإسفراييني (ص: ٩)، و«الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٠٨)، و«شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (٢/ ٤٦٠).

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (١/ ٨٥).

(٣) واللبتان: في صفحة العنق. انظر: «العين» (١/ ١١٥)، و«تهذيب اللغة» للأزهري مادة (خ دع).

(٤) البيت لسويد بن أبي كاهل. انظر: «أمالى القالي» (٢/ ٣١٧)، و«الصحاح» (٣/ ١٢٠٢) مادة (خ دع)، و«المخصص» لابن سيده (١/ ٢٨٩).

(٥) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (١/ ٣٢٤).

وقيل: يعملون عملَ المخادع.

ابن عيسى: الخِدَاعُ: الإيهامُ بخلاف الحقِّ بالتَّمويه والتَّغْيِيرِ.

و(فاعِلٌ) هاهنا بمعنى: فَعَلَ، كقولهم: عافاهُ اللهُ، وطارقتُ النَّعْلَ، وغيره^(١).

وقيل: نَزَلَ ما يخطرُ بباله ويهجسُ في ضميره من الخدع منزلةً آخر يجاريه

ذلك ويعارضه إيّاه، ومثل هذا: ﴿قَالَ اعْلَمُ﴾ [البقرة: ٢٥٩] بالوصل^(٢).

﴿وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ لأنهم علموا أن الله لا يُخدَع ولا يخفى عليه

شيءٌ، وقيل: لأنَّ وبأل خداعهم عادَ عليهم.

ومن قرأ: ﴿يُخَادِعُونَ﴾^(٣)، فمعناه: لا يغلبون في الخداع إلا أنفسهم، كما

تقول: قامرته فقمَرته.

ونفسُ الشَّيءِ: ذاته، وأصلها من النَّفَاسَةِ، يقال: نَفَسَ بالشَّيءِ؛ إذا ضنَّ به

لجلالته، ويُذكَرُ للرُّوحِ، ويُذكَرُ للتَّكْيِيدِ أيضًا.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾؛ أي: وما يعلمون ذلك، وقيل: هذا متَّصل بقوله: ﴿يُخَادِعُونَ

اللهُ﴾، وما يشعرون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون.

(١) أي: لا يدلُّ على المشاركة. انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٢/ ٣٣٨).

(٢) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر: ﴿قَالَ اعْلَمُ﴾، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿قَالَ

اعْلَمُ﴾، والمعنى لَمَّا تَبَيَّنَ لصاحب هذه المعجزة ما تبيَّن من قدرة الله أنزل نفسه منزلة غير المُتَيَقِّنِ

وخاطبها لتزداد يقيناً. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٨٩)، و«الحجة» لأبي علي

الفارسي (٢/ ٣٨٣).

(٣) قرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿يُخَادِعُونَ﴾ بفتح الياء بغير ألف، وقرأ نافع وابن كثير وأبو

عمرو بالألف والياء المضمومة. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٤١)، و«الليسير»

للداني (ص: ٧٢).

الرَّجَّاج: أراد بقوله: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أنهم يخدعونها^(١).
والشُّعْرُ: العلمُ بالشَّيء من وجهِ يَدِّقٍ ويلطُّف، ومنه: الشُّعر والشَّعيرة، وقيل:
هو العلمُ يحصل بالحسِّ^(٢)؛ من (الشُّعار)، وهو الثَّوب الذي يلي^(٣) الجسد
ويُحَسُّ به.

(١٠) - ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾.

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: شكٌّ.

مقاتلٌ: نفاقٌ^(٤).

وقيل: فسادٌ.

وقال ثعلبٌ: ﴿مَرَضٌ﴾: اللَّيل، والمرض: الظلمة^(٥)، وأنشد:

في ليلةٍ مَرَضَتْ في كلِّ ناحيةٍ
فما يضيءُ لها شمسٌ ولا قمرٌ^(٦)

وأصل المرض: خروج المزاج من الاعتدال.

(١) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (١ / ٨٥)، وفيه: (تأويله أن الخداع يرجع عليهم بالعذاب والعقاب).

(٢) ذكر هذا عن الطبرسي. انظر: «معجم الفروق اللغوية» (ص: ٣٧٣).

(٣) في (و): «على».

(٤) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١ / ٩٠).

(٥) انظر كلام ثعلب في: «الزاهر» للأبباري (١ / ٤٧٥)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (١٢ / ٢٦) مادة (م رض).

(٦) البيت لأبي حية النميري. انظر: «العشرات في غريب اللغة» لغلام ثعلب (ص: ٦٨)، و«التكملة والذيل» للصغاني (٤ / ٩٣).

والمعنى: شكوا فيما أنزل الله من الكتب، ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ بما أنزل من القرآن، فشكوا فيه كما شكوا في الذي قبله.

وقيل: في معتقدهم خلل يمنع من الصّحة، كما يمنع المرض الصّحة من العليل.

وقيل: في قلوبهم غمٌّ بظهور النّبِيِّ عليه السّلام، فزادهم الله مرضًا بنصره.

وقيل: هذا دعاء عليهم؛ أي: ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾: شكًا ونفاقًا وغمًّا وظلمةً.

والزّيادة: الإلحاق^(١) بالمقدار ما ليس منه، والنقصان: الإخراج عن المقدار ما هو منه، والتّمأم: البلوغ حدّ المقدار من غير زيادة ولا نقصان.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: مؤلم، وفَعِيل يأتي على وجوه^(٢).

ابن عيسى: الألم يعمُّ كلَّ أذى صَغُرَ أو كَبُرَ.

﴿وَمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (ما) هاهنا في تأويل المصدر، وهو حرفٌ عند سيبويه، ولا

عائدٌ بعده^(٣).

والكذبُ: ضدُّ^(٤) الصّدق، وهو الإخبار بالشّيء على خلاف ما هو.

وقال أبو عليّ: حقيقة الكذب انتفاء الشّيء^(٥)، ومنه:

(١) في (و): «والإلحاق: الزّيادة».

(٢) منها أنه يأتي بمعنى الفاعل كـ (أليم)، ويأتي بمعنى المفعول كـ (قتيل).

(٣) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» للعكبري (١/٢٧).

(٤) في (ن): «نقيض».

(٥) انظر: «الحجة» لأبي عليّ الفارسي (١/٣٣٥).

... كَذَبَ الْقَرَّاطِفُ وَالْقُرُوفُ^(١)

والكذب: انتفاء الصدق.

وقرئ بالتشديد^(٢)؛ أي: بتكذيبهم آيات الله ورسوله، والتكذيب: نسبة المخبر إلى الكذب.

(١١ - ١٢) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ﴾: (إذا): ظرف للمستقبل، وفيه معنى الشرط.

﴿لَهُمْ﴾: لمن تقدم ذكرهم من المنافقين.

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه أن أهل هذه الصفة لم يأتوا بعد^(٣).

﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ ابن عباس: بالكفر والمعصية^(٤)، وقيل: بتعويق الناس

عن الإيمان.

(١) البيت لمعقربن حمار البارقى، كما في «الجيم» لأبي عمرو الشيباني (٣/ ٧٩)، و«غريب الحديث»

لأبي عبيد (٤/ ١٤٩)، و«إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ١٩)، وتامه:

وذيانية أوصت بنها بأن كذب القراطيف والقروف

أي: عليكم بالقراطيف والقروف فاغتموها، فجاء الكذب هنا بمعنى الإغراء، والقراطيف: الأكسية، والقروف: الأوعية.

(٢) قرأ الكوفيون - عاصم وحزمة والكسائي - بفتح الياء وتخفيف الذال، وقرأ الباقون بالضم والتشديد.

انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٢)، و«النشر» لابن الجوزي (٢/ ٢٠٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٩٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٤٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٩٧).

الحسن: بإبطان الكفر وإظهار الإيمان^(١).

وقيل: بممايلة^(٢) الكفار.

والإفساد: التَّغْيِيرُ عن استقامة الحال، والفساد: التَّغْيِيرُ عنها، تقول: فسدت التَّفَاحَةَ؛ إِذَا تَغَيَّرَتْ^(٣).

والأرض: هي الغبراء التي عليها مستقرُّ الخلق.

﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ ابن عيسى: على جهة الإظهارِ لذلك والانتواء^(٤) على خلافه.

الجمهور: أي: الذي نحن عليه صلاحٌ عند أنفسنا^(٥).

وقيل: لأنَّ الغلبةَ أخيراً لهم، فيُبْقون^(٦) علينا، فيمن جعل الفساد الممايلة^(٧).

والإصلاح: التَّغْيِيرُ^(٨) إلى استقامة الحال.

(١) ذكره الماتريدي دون نسبة في «تأويلات أهل السنة» (١ / ٣٨٤).

(٢) الممايلة: المصالحة والمهاودة. انظر: «القاموس المحيط» للفيروزابادي مادة (ه و د).

(٣) في (ن): «عفت».

(٤) في (و): «والانتلاء».

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١ / ٢٠٠)، وقد ذكر أن في تفسير ﴿مُصْلِحُونَ﴾ قولين؛ الأول: الإصلاح بين المؤمنين وأهل الكتاب، والثاني ما ذكره المصنف هنا، وهو: ادعائهم أنَّهم على هدى وخير في دينهم.

(٦) في (و): «فَيَتَّقُونَ».

(٧) أي: أن هؤلاء يدعون أن محاولتهم التودد لغير المسلمين أحسن لحالهم في دنياهم، ولا سيما أنهم يتوهمون أن الغلبة ستكون لغير المسلمين.

(٨) في (و): «التغير».

فردَّ الله عليهم قولهم بقوله:

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾؛ أي: لا يشعرون أنَّهم مفسدون.

وقيل: ولكن لا يشعرون أنَّ الممايلة لا تُجدي.

وقيل: ولكن^(١) لا يشعرون أنَّ الذي يظنونه بخلاف ما يتوهمونه.

(١٣ - ١٤) - ﴿وَإِذْ أَقِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذْ لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَيْنَا شِيطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّمَا كُنَّمُكُمُ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾.

﴿وَإِذْ أَقِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾: محمَّدٌ ﷺ، وقيل: عبد الله بن سلام.

﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾؛ أي: لا نفعل كما فعلوا.

والسُّفَهَاءُ: جمع سفیه، والسَّفَهُ في اللُّغَةِ: الخَفَّة، وثوبٌ سفیهٌ؛ أي: خفيفٌ بالٍ، والسَّفَهُ: القبح الذي يدلُّ على خَفَّةِ الحلم^(٢).

فردَّ الله عليهم فقال: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَإِذْ لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾؛ أي: إذا اجتمعوا مع المؤمنين قالوا: آمنا؛

استدفاعاً عن دمائهم.

واللِّقَاءُ: الاجتماع مع الشيء على طريق المقاربة.

(١) «ولكن» من (ن).

(٢) في كلام الماتريدي ما يدلُّ على أنه يرى السَّفَهَ قبحاً في العقل، وذكر النَّحَّاسُ أن السَّفَهَ كُلُّ ما يقبح

فعله. انظر: «تأويلات أهل السنة» (٧ / ٣٩)، و«معاني القرآن» للنحاس (١ / ٣١٦).

﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾: انصرفوا إلى إخوانهم.

ابن عباس: رؤساؤهم من الكفار^(١).

الكلبي: هم شياطين الجن^(٢).

أبو عبيدة: كل عاتٍ متمرّدٍ من الجنّ والإنس والدّوابّ شيطان^(٣).

واشتقاقه من (شَطَنَ)؛ إذا بَعُدَ، وقيل: من (شاطَ)؛ إذا بطل، وقيل: من (تَشَيَّبَ)^(٤)،

والأوّل أظهر.

والخلاء من الشّيء: الفراغ منه، وضده الملاء^(٥)، يقال: خلوتُ به، وخلوتُ

إليه، وخلوتُ معه.

﴿قَالُوا إِنَّمَا كُنَّمُ بِالنَّصْرِ وَالْإِعَانَةِ﴾

﴿إِنَّمَا كُنُّنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾: مظهرون غير ما نُضمِر، وذلك حين لا موهم على إظهار

كلمة الإيمان.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١ / ٣٠٧).

(٢) ذكر نحوه السمرقندي في «تفسيره» (١ / ٢٩)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (١ / ٩٦).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١ / ٣٢).

(٤) أي: غضب وغلا الدم فيه، أو لفحته النار. انظر: «العين» (٦ / ٢٧٥)، و«جمهرة اللغة» (٢ / ٨٦٧)

مادة (ش ط ن)، و«المنصف» لابن جني (ص: ١٠٩).

(٥) لم تُبَيِّنِ الهمزة في النسخ الخطية على العادة في ذلك، وقد جاء في هامش (ن): «الخلا والملا

مقصوران»، وليس هذا بصواب، فقد ذكر الباحثون في المقصور والممدود أنّ (الخلا) ممدود إن

كان من (الخلوة)، وأن (الخلا) المقصور على غير هذا المعنى، وكذا ذكروا في (الملاء) أنّه ممدود

إن كان من (الملء)، وأن المقصور على غير هذا المعنى. انظر: «المقصور والممدود» لابن ولاد

(ص: ٤٠ و ١١٥)، ولأبي عمر الزاهد (ص: ٢٦)، ولأبي علي القالي (ص: ٣٢٩ و ٣٦١).

والاستهزاء: الإيهام لِمَا^(١) يُحِبُّ فِي الظَّاهِرِ، وَالْأَمْرُ عَلَى خِلافِهِ فِي الْبَاطِنِ؛
عَلَى جِهَةِ الْاِغْتِرَارِ.

وَالهُزْءُ: نَقِيضُ الْجَدِّ.

ابن عيسى: الهُزْءُ: الْإِظْهَارُ خِلافَ الْإِطْطَانِ؛ عَلَى جِهَةِ الْعَبْثِ بَمَنْ يُظْهَرُ لَهُ ذَلِكَ.

(١٥) - ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِرَبِّهِمْ وَيَسْتَكْبِرُ فِي طُعَيْنِهِمْ بَعْمَهُونَ﴾.

﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِرَبِّهِمْ﴾ هَذَا عَلَى مِزَاجَةِ الْكَلَامِ^(٢)، كَقَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ أَعَدَّيْ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا
عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٩٤]، و﴿وَحَزْرًا وَسَيِّئَةً سَأَيْتُ مِثْلَهَا﴾ وَكَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجْهَلٌ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا^(٣)

وَالثَّانِي لَيْسَ بِاعْتِدَاءٍ، وَلَا سَيِّئَةٍ، وَلَا مِفاخِرَةٍ فِي الْجَهْلِ، بَلْ كُلُّ هَذَا عَلَى وَجْهِ

الْمِزَاجَةِ.

وَقِيلَ: هَذَا عَلَى أَصْلِ الْاِسْتِهْزَاءِ فِي اللَّغَةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَ لِلْمُنَافِقِينَ فِي الدُّنْيَا

مَا يَحْبُونُ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مَا يَكْرَهُونَ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ

الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]، وَكَذَلِكَ حِينَ يَقُولُونَ: ﴿انظُرُوا نَفَقَاتِيسَ مِنْ نُورِكُمْ﴾ فَيُقَالُ لَهُمْ:

﴿ارْجِعُوا وِرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ [الحديد: ١٣]، فَخَابُوا^(٤) مَا أَمَلُوا، وَمُنِعُوا مَا حَاوَلُوا.

(١) فِي (و): «وَلَمَّا».

(٢) انظر موضوع مزاجية الكلام وتشابه الألفاظ مع اختلاف المعنى في: «تأويل مشكل القرآن» لابن

قتيبة (ص: ١٧١)، و«الحجة» لأبي علي الفارسي (١/ ٣١٥-٣١٦).

(٣) البيت لعمر بن كلثوم من معلقته. انظر: «ديوانه» (ص: ٧٨)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ٣٠٠).

(٤) أي: خسروا. انظر: «تاج العروس» للزبيدي (٢/ ٣٨٨) مادة (خ ي ب).

وقيل: لَمَّا عَابَهُمْ عَلَى فَعْلِهِمْ كَانَ ذَلِكَ كَالِاسْتِهْزَاءِ بِهِمْ.

﴿وَيُؤْتُهُمْ﴾ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ مَسْعُودٍ: يَمْلِي لَهُمْ وَيَطْوِلُ أَعْمَارَهُمْ^(١).

وَالْمَدُّ: الْجَذْبُ.

ابْنُ عَيْسَى: الْمَدُّ: الزِّيَادَةُ عَلَى الشَّيْءِ فِي جِهَةِ الْقَدَامِ دُونَ جِهَةِ الْيَمِينِ وَالشَّمَالِ.

﴿فِي طُعَيْنِهِمْ﴾ ابْنُ عَبَّاسٍ: فِي كَفْرِهِمْ وَضَلَالَتِهِمْ^(٢).

وَأَصْلُ الطُّغْيَانِ: مَجَاوِزَةُ الْحَدِّ.

﴿يَعْمَهُونَ﴾: يَتَرَدَّدُونَ وَيَتَحَيَّرُونَ، وَأَصْلُ الْعَمَةِ فِي الْعَيْنِ، وَهُوَ أَنْ يَحَارَ بِصَرِّهِ

فَلَا يَرَى فِي تِلْكَ الْحَالَةِ وَإِنْ كَانَ يَرَى فِي غَيْرِهَا^(٣).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَأَصْحَابِهِ،

وَذَلِكَ أَنَّهُمْ خَرَجُوا ذَاتَ يَوْمٍ فَاسْتَقْبَلَهُمْ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي: انظروا كيف أُرِدُّ هؤُلاءِ السُّفَهَاءِ عَنْكُمْ، فَذَهَبَ وَأَخَذَ بِيَدِ أَبِي بَكْرٍ،

فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالصُّدِّيقِ؛ سَيِّدِ بَنِي تَيْمٍ، وَشَيْخِ الْإِسْلَامِ، وَثَانِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْغَارِ،

الْبَاذِلِ نَفْسَهُ وَمَالَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَمْرِو بْنِ عَدِيِّ بْنِ

كَعْبٍ؛ الْفَارُوقِ الْقَوِيِّ فِي دِينِ اللَّهِ، الْبَاذِلِ نَفْسَهُ وَمَالَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ

عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخَتَنِهِ، وَسَيِّدِ بَنِي هَاشِمٍ مَا

خَلَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ افْتَرَقُوا فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: كَيْفَ رَأَيْتُمُونِي فَعَلْتُ؟! فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/٣١٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/٣٢١).

(٣) في قوله هذا رُدُّ على مَنْ خَصَّ الْعَمَةَ بِالْبَصِيرَةِ وَالْعَمَى بِالْبَصْرِ. انظر: «فقه اللغة» للشعالبي

(ص: ٣٣)، و«المفردات» للراغب الأصفهاني (ص: ٥٨٨)، و«تاج العروس» للزبيدي (٣٦/٤٤٨)

فافعلوا كما فعلتُ، فأتنوا عليه خيراً، فرجع المسلمون إلى رسول الله ﷺ فأخبروه بذلك، فأنزل الله هذه الآية^(١).

(١٦) - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتِ بِحَدْرَتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾؛ أي: الذين تقدم ذكرهم هم الذين بدلوا الإيمان بالكفر.

وأصل الاشتراء: الاستبدال، مشتق من الشروى، وهو المثل؛ لأن المشتري يعطي شيئاً ويأخذ شيئاً، والاشتراء: الاستبدال بالعوض من الثمن، وهو الابتاع.

والشري: البيع، يمد ويقصر، ومنه: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [يوسف: ٢٠]، ويُستعمل للابتاع أيضاً، كما يُستعمل الاشتراء للبيع أيضاً.

وقيل: ﴿اشْتَرُوا﴾: اختاروا، وهو مزيف؛ لقوله: ﴿فَمَا رَبِحَتِ بِحَدْرَتِهِمْ﴾^(٢).

مجاهد: كانوا قد آمنوا ثم كفروا^(٣).

محمد بن كعب: المراد به اليهود؛ كانوا مؤمنين بمحمد ﷺ، فلما جاءهم كفروا به^(٤).

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١١٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٢) من طريق محمد بن مروان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ٥): (محمد بن مروان متروك متهم بالوضع، وسياقه في غاية النكارة).

(٢) توسع الطبري في بيان هذا القول وردّه. انظر: «تفسيره» (١/ ٣٢٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٥٠).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٩١)، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣٥) عن قتادة والسدي

وقيل: الضلالة هاهنا: النار، والهدى: الجنة.

﴿فَمَارِحَتْ بِمَحَرَّتِهِمْ﴾: الرِّيحُ: الزِّيَادَةُ عَلَى رَأْسِ الْمَالِ، وَالتَّجَارَةُ: طَلَبُ الرِّيحِ بِالسَّلْعَةِ، وَأَضَافَ الرِّيحَ إِلَى التَّجَارَةِ تَوْسَعًا، كَمَا يُقَالُ: لَيْلُهُ قَائِمٌ وَنَهَارُهُ صَائِمٌ، وَالتَّقْدِيرُ: فَمَا رِبِحُوا فِي تِجَارَتِهِمْ^(١).

﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾: قِيلَ: تَأْكِيدٌ لِلأَوَّلِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ إِلَى التَّجَارَةِ؛ لِأَنَّ التَّاجَرَ رَبَّمَا لَا يَرِيحُ وَهُوَ عَلَى هَدًى فِي تِجَارَتِهِ، وَهُوَ لَمْ يَرِبِحُوا وَخَسِرُوا رُؤُوسَ أَمْوَالِهِمْ.

(١٧) - ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ المَثَلُ والمِثْلُ لغتان، كَالشَّبهِ والشَّيْبِ.

ابن عيسى: المثل: العَلَمُ عَلَى مَعْنَى سَائِرٍ، يُشَبَّهُ فِيهِ الثَّانِي بِالأَوَّلِ^(٢).

والاستيقاد والإيقاد لغتان، كالإجابة والاستجابة.

وقيل: السَّيْنُ لِلطَّلَبِ؛ أَي: طَلَبُ الإيقادِ.

وَالوُقُودُ: ظُهُورُ النَّارِ فِيمَا يَقْبَلُ الاحتراق^(٣).

وَالوُقُودُ بِالْفَتْحِ: مَا تُوقَدُ بِهِ النَّارُ.

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٥٢)، وللزجاج (١/ ٩٢).

(٢) انظر: «الوسيط» للواحدي (١/ ٩٣).

(٣) فهو المصدر بمعنى التلهب. انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٣٤).

وَالنَّارُ: الجوهْرُ المضيءُ^(١) الحارُّ المحرِّقُ، مشتقٌّ من النُّورِ.

﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾؛ أي: أضاءت النَّارُ ما حوله.

و(أضاء) و(ضاء) بمعنى إذا كثَرَ نورُه وتبيَّنَ، و(أضاء) لازمٌ ومتعدٌّ^(٢).

وحوْلُ الشَّيْءِ وحواليه: جوانبُه.

﴿ذَهَبَ اللَّهُ يَنْوِرُهُمْ﴾: يجوز أن يكون جوابَ (فلَمَّا)، ويجوز أن يكون الجوابُ

مضمراً، تقديره: طُفِّئَتْ.

والذَّهَابُ: الانطلاقُ، والإذْهَابُ: الحملُ عليه، وكذلك الذَّهَابُ به، ويُستعمل

الذَّهَابُ به للإهلاك^(٣).

وَالنُّورُ: جوهرٌ فيه عَرَضٌ ينافي الظُّلْمَةَ، وقيل: هو ما يَرَى وَيُرَى به.

﴿وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾: التَّرْكَ: نقيضُ الأخذ.

وَالظُّلْمَاتُ: جمع ظُلْمَةٍ، والظُّلْمَةُ وَالظَّلَامُ: عَرَضٌ يُنَافِي الضِّيَاءَ.

وَالإِبْصَارُ: الإدراكُ بحاسَّةِ العينِ، ويقال: أَبْصَرَ إِبْصَارًا، وَبَصَرَ بَصْرًا أَيضًا.

أي: مَثَلُ المنافقين في إظهارهم كلمةَ الإيمانِ واعتزازهم بها كحالِ هذا

المستوقدِ في أمنِهِ ممَّا يخاف ويحذر، فلَمَّا طُفِّئَتْ عادَ إلى ما كان عليه من الخوفِ،

كذلك المنافقون يؤول أمرهم في الدُّنيا والآخرة إلى المكروه.

(١) «المضيء» من (ن).

(٢) والذي في الآية متعدُّ، و(أضاء) لغة أعلى من (ضاء). انظر: «معاني القرآن» للزَّجَّاج (١/٩٦)،

و«البيسط» للواحد (٢/١٨٨).

(٣) في (و): «للهلاك». وانظر: «الصحاح» (٤/١٤٠٤) مادة (ع ص ف)، و«القاموس المحيط» مادة

(ذ ه ب).

وَوَحَّدَ (الذي) وجمع ما بعده؛ لأنه اسمٌ مبنيٌ يجري مجرى (مَنْ) في وقوعه على الواحدِ والجمعِ، وهذا كلامُ الشَّيخِ أبي عليٍّ^(١).

وقيل: أراد (الذين)، فحذف النون^(٢).

وقيل: أراد: كمثل أصحاب الذي استوقد.

وقيل: شبه الاستِضاءَ بالاستِضاءِ، لا الأشخاصَ بالأشخاصِ، فكان التَّوْحِيدُ والجمعُ سواءً.

(١٨) - ﴿صُمُّ بَيْكُمُ عُمَىٰ فَهَمْ لَا يَرَجِعُونَ﴾.

﴿صُمُّ بَيْكُمُ عُمَىٰ﴾؛ أي: هم^(٣).

والصَّمَم: داءٌ في الأذن يمنع من السَّمْعِ، وأصله الصَّلابة، يُقال: قنأة صمّاء، وقيل: أصله السَّدُّ.

والبُّكْمُ: جمع أبكم، والبكْمُ: الآفة في اللسانِ المانعة عن الكلام.

والأبْكُمُ: الذي يُولدُ أخرس، وقيل: الأبْكُمُ: المسلوبُ الفؤادِ الذي لا يعي شيئاً ولا يفهمه^(٤).

والعُمَى: جمع الأعمى، والعَمَى: الآفة^(٥) في العينين المانعة عن إدراكِ المبصر^(٦).

(١) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (١/ ١٥٠).

(٢) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢١٣)، و«تفسير الثعلبي» (٣/ ١٣٢).

(٣) في (ن): «هم صم».

(٤) في (ن): «يفهم». والقول للأنباري في «الزاهر» (١/ ٢٧٧).

(٥) في (و): «آفة».

(٦) في (و): «عن البصر».

والمعنى: صَمٌّ عن استماع الحقِّ، بُكْمٌ عن التَّكَلُّمِ به، عَمِيٌّ عن الإبصار له.

﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾؛ أي: عن الجهل والعمى إلى الحقِّ والهدى.

ابن عباسٍ: هذا ذمٌّ واستبطاءٌ^(١).

ابن مسعود: إلى الإسلام^(٢).

ابن عيسى: الرجوعُ على وجهين:

رجوعٌ إلى الشَّيءِ، وهو الذَّهابُ إليه بعد الانصرافِ.

ورجوعٌ^(٣) عنه، وهو الذَّهابُ عنه بعد المصيرِ إليه.

(١٩) - ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِيءِ آذَانِهِمْ مِّنَ

الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾.

﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ الرَّجَّاجُ: (أو) هاهنا للإباحة

والتَّخْيِيرُ^(٤).

والإباحة في (أو) إنّما تكون في الأمرِ دون الخبرِ، وهذا خبرٌ^(٥).

(١) روى معناه الطبري في «تفسيره» (١ / ٣٤٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١ / ٣٤٩).

(٣) في (و): «والرجوع».

(٤) ما نقله المصنف فيه نظر؛ فهناك فرق بين الإباحة والتخيير، وهو أن التخيير يمنع الجمع أما الإباحة فلا

تمنعه، والرَّجَّاجُ يرى أن هذا من أمثلة الإباحة لا التخيير. انظر: «معاني القرآن» للرَّجَّاجِ (١ / ٩٦).

(٥) نصَّ الجوهري على ما قاله المصنّف، أما متقدمو النحويين فذكروا معنى الإباحة في (أو) في سياق

الأمر، وفي كلام النَّحَّاسِ ما يُشير إلى الفرق، فقد قال: (ومعنى (أو) هاهنا التصرف مرة كذا ومرة =

وقال الكوفيون: (أو) هاهنا بمعنى الواو، والبصريون ينكرون هذا^(١).
والوجهُ هو الأوَّلُ على تقدير: مثَّلمهم إن شئت بالأوَّلِ، وإن شئت بالثاني.
والصَّيْبُ: المطر، وهو الجاري من عَلٍ^(٢)، من (صَابَ يَصُوبُ)، والصَّيْبُ:
السَّحَابُ أَيضًا.

الزَّجَّاجُ^(٣): أو كأصحابِ صَيْبٍ^(٤).
والسَّمَاءُ: سَقْفُ الأَرْضِ.
والرَّعْدُ - عن ابنِ عَبَّاسٍ ومجاهِدٍ -: مَلَكٌ^(٥)، والمسموعُ من السَّحَابِ صَوْتُهُ،
والبرقُ ضربه السَّحَابِ.

ويقال: الرَّعْدُ: هو الصَّوْتُ المسموعُ.
ابن عيسى: الرَّعْدُ: الصَّوْتُ الشَّدِيدُ لاصطكاكِ أَجْرَامِ السَّحَابِ.
والبرقُ: اللَّمَعُ المنقَدِحُ من السَّحَابِ، وقيل: البرقُ: مِيْضُ السَّحَابِ.

= كذا، وهي بمنزلة (أو) التي تكون للإباحة في الأمر). انظر: «الكتاب» (٣ / ١٨٤)، و«المقتضب»
للمبرد (١ / ١١)، و«الأصول» لابن السَّراج (٢ / ٥٦)، و«شرح كتاب سيويه» للسيرافي (٣ / ٤٢٧)،
و«معاني القرآن» للنَّحاس (٣ / ٩)، و«الصحاح» للجوهري (٦ / ٢٢٧٤).

(١) انظر: «الإنصاف» للأنباري (٢ / ٣٩١)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (١ / ١٦٧).
(٢) الأصل في هذه الكلمة الجرُّ، وقد ترفعها العرب إن أَرادَتِ الغاية. انظر: «العين» (٢ / ٢٤٧)
مادة (ع ل و)، و«الكتاب» (٣ / ٢٨٧) و(٤ / ٢٢٨)، و«مقاييس اللغة» لابن فارس (٤ / ١١٦)
مادة (ع ل و).

(٣) في (ن): «أراد أو...».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزَّجَّاج (١ / ٩٤).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١ / ٣٥٧ - ٣٥٩).

﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾: الجَعْلُ: تحصيلُ الشَّيْءِ عَلَى حَقِيقَةٍ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا قَبْلَ.

والأصابع: واحدها أصبعٌ، كَيْفَمَا تَلَفَّظَتْ بِهِ مِمَّا لَهُ نَظِيرٌ جَازٌ^(١)، وَهِيَ الْجَارِحَةُ الَّتِي يُعْقَدُ بِهَا الْعَدَدُ.

والحذرُ: طَلَبُ السَّلَامَةِ مِنَ الضَّرَرِ الْوَاقِعِ وَمَا لَا يُؤْمَنُ أَنْ يَقَعَ.
والموتُ: عَرَضٌ يَعْقُبُ الْحَيَاةَ.

﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾: مَهْلِكُهُمْ وَجَامِعُهُمْ فِي النَّارِ، وَالْإِحَاطَةُ: حَضْرُ الشَّيْءِ بِالْمَنْعِ لَهُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ.

وَالصَّاعِقَةُ: الْهَائِلَةُ مِنْ صَوْتِ الرَّعْدِ تَصْحَبُهُ نَارٌ تُحْرِقُ مَا مَسَّتَهُ.

ابن عَبَّاسٍ: الصَّيْبُ مَشَبَّهُ بِالْقُرْآنِ، وَالظُّلُمَاتُ بِمَا فِيهِ مِنَ الْإِتْيَاءِ، وَالرَّعْدُ بِزَوَاجِرِهِ، وَالْبَرْقُ بِبَيَانِهِ، وَالصَّوَاعِقُ بِوَعِيدِهِ^(٢).

الْحَسَنُ: شَبَّهُ الْمَطْرَ بِالْإِسْلَامِ، وَإِبْطَانَ الْمَنَافِقِ الْكَفْرَ بِالظُّلُمَاتِ، وَالرَّعْدَ بِفَرْضِ الْجِهَادِ، وَالْبَرْقَ بِحَقْنِ الدَّمَاءِ، وَالصَّوَاعِقَ بِالْمَزَاجِرِ^(٣).

وَقِيلَ: شَبَّهُ جَعَلَ الْمَنَافِقِينَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ كِرَاهَةً اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ بِجَعْلِ أَصْحَابِ الصَّيْبِ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ خَوْفًا مِنْ أَنْ تَسْلُبَ الصَّوَاعِقُ قُلُوبَهُمْ فَيَمُوتُوا.

(١) الأَصْبَعُ مَثَلَةٌ الْهَمْزَةُ، وَمَعَ كُلِّ حَرَكَةٍ تُثَلَّثُ الْبَاءُ الْمَوْحَدَةُ، فَهِيَ تَسَعُ لُغَاتٍ. انظُر: «تَاجُ الْعُرُوسِ» لِلزَّيْدِيِّ مَادَّةُ (ص ب ع).

(٢) رَوَى نَحْوَهُ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١ / ٣٦٩).

(٣) ذَكَرَ نَحْوَهُ الْمَاتَرِيْدِيُّ فِي «تَأْوِيلَاتِ أَهْلِ السَّنَةِ» (١ / ٣٩٦)، وَالرَّازِيُّ فِي «مِفْتَاحِ الْغَيْبِ»

(٢ / ٣١٥) دُونَ نِسْبَةٍ. وَالْمَزَاجِرُ: جَمْعُ مَزْجَرَةٍ، وَهِيَ مَا يَدْعُو إِلَى الْمَنْعِ.

(٢٠) - ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ﴾: كَادَ: فِعْلٌ يُسْتَعْمَلُ لِتَقْرِيْبِ الْفِعْلِ جَدًّا، وَلَا يُسْتَعْمَلُ مَعَهُ (أَنْ) لِأَنَّهُ عَلَّمَ الْاِسْتِقْبَالَ.

وَالْخَطْفُ: الْاِخْتِلَاسُ السَّرِيعُ^(١).

أَي: يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَ أَصْحَابِ الصَّيْبِ كَمَا تَكَادُ الدَّلَائِلُ تَخْطَفُ قُلُوبَ هَؤُلَاءِ؛ لِمَا مَعَهَا مِنَ الْاِزْعَاجِ إِلَى النَّظْرِ وَالِدُّعَاءِ إِلَى الْحَقِّ.

﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾: الْمَشْيُ: نَقْلُ الْأَقْدَامِ فِي لَيْلٍ.

وَالْمَشِيئَةُ: الْاِِرَادَةُ.

ابن عيسى: الْمَشِيئَةُ: تَضَادُّ الْكِرَاهَةِ^(٢).

﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾؛ أَي: وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْمَاهُمْ وَأَصَمَّهُمْ، فَلَا يَتَنَفَعُونَ بِالظَّاهِرِ مِنْهَا، كَمَا لَا يَتَنَفَعُونَ بِالْبَاطِنِ.

(١) فِي (ن) زِيَادَةٌ: «ابن عيسى».

(٢) قَوْلُ ابْنِ عَيْسَى هَذَا فِيهِ رَائِحَةٌ جَبْرٍ وَقَدْرٍ؛ لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ وَالرِّضَا هُمَا نَقِيضُ الْكِرَاهَةِ، وَالْمَشِيئَةُ وَالْاِِرَادَةُ مَعَانِمَا وَاحِدٌ، فَالْمَشِيئَةُ شَيْءٌ وَالْمَحَبَّةُ وَالرِّضَا شَيْءٌ آخَرَ، وَقَدْ سَوَّى بَيْنَهُمَا الْجَبْرِيَّةَ وَالْقَدْرِيَّةَ، ثُمَّ اِخْتَلَفُوا، فَقَالَتِ الْجَبْرِيَّةُ: الْكُونُ كُلُّهُ بِقَضَائِهِ وَقَدْرِهِ، فَيَكُونُ مَحْبُوبًا مَرْضِيًّا، وَقَالَتِ الْقَدْرِيَّةُ النِّفَاةُ: لَيْسَتْ الْمَعَاصِي مَحْبُوبَةً لِلَّهِ وَلَا مَرْضِيَّةً لَهُ، فَلَيْسَتْ مَقْدَرَةً وَلَا مَقْضِيَّةً، فَهِيَ خَارِجَةٌ عَنِ مَشِيئَتِهِ وَخَلْفِهِ، وَقَدْ دَلَّ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْفِطْرَةُ الصَّحِيحَةُ عَلَى الْفَرْقِ بَيْنَ الْمَشِيئَةِ وَالْمَحَبَّةِ.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الشَّيْءُ: أَعْمُ الْأَسْمَاءِ (١).

ابن عيسى: ما صحَّ أن يُذكَرَ ويُخَبَّرَ عنه.

والقدرة: الاستِطاعة، ونقيضه العجزُ.

والمعنى: إذا سمعوا ما أحبُّوا صدَّقوا، وإذا سمعوا ما كرهوا كذَّبوا.

وقيل: كلُّما غنموا تبعوا المسلمين، وإذا لم يصيبوا غنيمةً قعدوا عن الجهاد،

وهذا تهديدٌ ووعدٌ؛ أي: هم في قبضته سبحانه لا يفوتونه.

(٢١) - ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ عن علقمة: كلُّ ما في القرآن من قوله: ﴿يَأْتِيهَا

النَّاسُ﴾ فهو خطابٌ لأهل مكة، وما فيه من قوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾

فهو خطابٌ لأهل المدينة (٢).

ومعنى ﴿أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾: وحِّدوه.

قال ابن عباسٍ: كلُّ عبادةٍ في القرآن فهي توحيدٌ (٣).

﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾: ابتدأكم ولم تكونوا شيئاً، والخلقُ: الإيجادُ على تقديرٍ وترتيبٍ.

﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾؛ أي: آباءكم وأسلافكم، فعبادةُ الخالقِ أولى من عبادةِ

الصَّنَمِ المخلوقِ.

(١) في (ن): «الأشياء». وانظر: «المقتضب» للمبرد (٣/ ١٨٦).

(٢) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٢).

(٣) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١/ ٣٦٣)، والسمرقندي في «تفسيره» (١/ ٣٠١)،

والقرطبي في «تفسيره» (١٨/ ١٩٣).

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ مجاهدٌ: تطيعون^(١).

قال قطرب: لكي تتقوا عقوبته^(٢).

وقال سيبويه^(٣): أي: اعبدوا على رجاء أن تتقوا^(٤).

وإتصاله^(٥) يحتمل أن يكون بالعبادة، ويحتمل أن يكون بالخلق.

(٢٢) - ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ

الشَّجَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾؛ أي: صيرها لكم بساطًا.

الزَّجَاجُ: ﴿فِرَاشًا﴾ يمكن الاستقرار عليها، ولم يجعلها حَزَنَةً غَلِيظَةً^(٦).

﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾: سقفًا.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٨٦).

(٢) أي: (لعل) بمعنى (كي)، وقد ذكر ذلك المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٢٤)، والواحد

في «البيسط» (٢/ ٢٢٠)، وذكر ابن السَّراج هذا القول، وهو منقول عن الكسائي والأخفش. انظر:

«الأصول» لابن السَّراج (١/ ٢٥٩)، و«ارتشاف الضرب» لأبي حيان (٣/ ١٢٤٠).

(٣) «سيبويه» من (ن).

(٤) ذهب سيبويه إلى أن (لعل) تدلُّ على الطمع والإشفاق، وهو الذي عبَّر عنه بالترجِّي والرجاء،

وعبارة المصنف مستفادة من الواحدي. انظر: «الكتاب» (٣/ ١٦٠) و(٤/ ٢٣٣)، و«معاني القرآن»

للزَّجاج (١/ ٩٨)، و«إعراب القرآن» للنَّحاس (٤/ ٢٣٩)، و«البيسط» للواحد (٢/ ٢١٩).

(٥) لعلُّ مراده: المرجو له التقوى يحتمل أن يكون العابدين أو المخلوقين، والله أعلم.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزَّجاج (١/ ٩٩)، والحزن: ما غلظ من الأرض، وهو خلاف السهل. انظر:

«المصباح المنير» للفيومي مادة (ح ز ن).

الرَّجَّاجِ: ما علا الأرض فهو بناء^(١).

والبناء في اللغة: الوضع على الأساس^(٢).

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾: السحاب، وقيل: من جانب السماء.

﴿مَاءً﴾: مطراً، والماء^(٣): جوهر سيال به قوام الحيوان.

﴿فَأَخْرَجَ﴾: أظهر، والإخراج: النقل عن محيط، والخروج: الانتقال عن محيط.

﴿وَبِهِ﴾: بالمطر.

﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾: حمل الأشجار.

﴿رِزْقًا لَكُمْ﴾: قوتاً لكم ومعاشاً.

يجوز أن ينتصب (الرِّزْق) بالإخراج، و(من) لابتداء الغاية، ويجوز أن تكون (الثمرات) مفعولاً، و(من) زائدة، و(رزقاً) حال.

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾: أمثالاً، والنَّد: المثل المناوي، من (نَدَّ البعير)؛

إذا شرد.

وقيل: هي أنداد بعضها لبعض.

(١) انظر: «معاني القرآن» للرَّجَّاج (١ / ٩٩).

(٢) قد توحى عبارة المصنّف أنه ينقل ما ذكره عن أئمة اللغة، ولكننا لم نجد عبارته هذه - وكثيراً من تعاريفه التي تقدّم ذكرها - فيما بين أيدينا من كتب اللغة، فأغلب الظنّ أنّه يصوغ عبارات للتعريف ببعض الأشياء وفق معرفته باللغة مستفيداً مما ذكره أئمة اللغة قبله، فالمبرد مثلاً ذكر أنّ الأساس أصل البناء، والظاهر أنّ المصنّف أفاد من ذلك، فأعاد صياغة تعريفه للبناء. انظر: «الكامل» للمبرد (٨ / ٤).

(٣) في (و): «والمطر».

المفْضَلُ^(١): ﴿أَنْدَادًا﴾: أَوْصَادًا^(٢).

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أَنَّهَا لَا تَخْلُقُ وَلَا تَرْزُقُ، وَاللَّهُ الْخَالِقُ الرَّازِقُ.

وقيل: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ عن علمٍ منكم؛ لأنَّ الذَّنْبَ من ذي العلم أعظم.

وقيل: معنى ﴿تَعْلَمُونَ﴾: تعقلون.

ثم احتجَّ على منكري نبوة محمدٍ عليه السلام فقال:

(٢٣) - ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا

شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾: في شكِّ.

﴿مِمَّا نَزَّلْنَا﴾؛ أي: القرآن.

﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾: محمدٍ.

والعبدُ: المملوكُ من نوع ما يعقل، مشتقُّ من التَّعَبُدِ، وهو التَّنَدُّلُ.

= وقلتم: لا ندري أهو من عند الله أم لا؟ ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾: يجوز أن

(١) هو المفْضَلُ بن سلمة، كان لغوياً أديباً علامة، توفي ٢٩٠هـ، له كتاب «معاني القرآن»، وله كتاب

«ضياء القلوب في معاني القرآن وغريبه ومشكله»، وقد أخذ عنه المصنف. انظر: «الفهرست» لابن

النديم (ص: ٥٤)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٤/٣٦٢).

(٢) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (١/٨٣)، وكذا فسره أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/٣٤١)،

وسهل التستري في «تفسيره» (ص: ٢٧).

تكون ﴿مَنْ﴾ للتَّبَعِيضِ؛ أي: بعض كلامٍ يماثل القرآن، ويجوز أن تكون للتَّبَيِّنِ، ويجوز أن تكون زيادةً.

والهاء في ﴿مِثْلِهِ﴾ تعود إلى القرآن^(١).

قتادة في جماعه: تعود إلى النبي ﷺ^(٢).

وقيل: الخِطَابُ لليهود الذين كانوا عالمين بما في التَّوْرَةِ؛ أي: فليُحْضِرُوا سورةً من سُورِ التَّوْرَةِ حتى يعلموا وفاقهما.

﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾: واستعينوا بالهتكم، والدُّعَاءُ: الطَّلْبُ لِأَمْرٍ أَنْ يُفْعَلَ.

والشَّهَادَةُ: الإخبارُ بالشَّيْءِ عن مشاهدته، والإخبارُ بالشَّيْءِ عن يقينٍ شهادةٌ تشبيهاً بذلك^(٣).

ابن جريج: هو جمع شاهد؛ أي: مَنْ يشهدُ بأنَّ ما أتيتُم مثله^(٤).

ابن جريرٍ والزَّجَّاجُ: جمع شهيد؛ أي: مَنْ شَهِدْتُمْ حضرته ورجوتُم معونته؛ أي: اجتمعوا أنتم واسألوا الهتكم أن يُعينوكم^(٥).

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ومعنى ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾؛ أي: تأتون عبادته من مكانٍ دونَ مكانِ عبادةِ الله.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٩٦-٣٩٧) عن قتادة ومجاهد.

(٢) لم أقف على من نسب هذا القول لقتادة، وقد ذكره الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٩٧) من غير ذكر قائله، وكذا فعل الزَّجَّاجُ في «معاني القرآن» (١/ ١٠٠)، والثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٦٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٨٤).

(٣) كذا في النسخ الخطية، ولعل المراد: وتسمية الإخبارِ بالشَّيْءِ عن يقينٍ شهادةً تشبيهاً بذلك.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٠٠).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٤٠١)، و«معاني القرآن» للزَّجَّاجِ (١/ ١٠٠).

ويحتمل: استعينوا من^(١) شئتم من دون الله؛ أي: لا يأتي به إلا الله.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أن ذلك من كلام محمد ﷺ.

والصدق: الإخبار بالشيء على ما هو به.

وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله؛ أي: إن كنتم صادقين في دعوتكم

فأتوا بسورة من مثله.

(٢٤) - ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ

لِلْكَافِرِينَ﴾.

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾؛ أي: إن لم تأتوا بالسورة فاتقوا النار.

وقوله: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ قال بعض المفسرين معناه: فإن لم تفعلوا هذا فيما مضى

ولن تفعلوا هذا فيما يستقبل أبداً فاتقوا، فحمل ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ على الماضي، وهذا

تدفعه قضيّة الإعراب والفقه جميعاً، وليس هنا موضع شرحه^(٢).

وقال بعضهم: في الآية تقديم، والتقدير: فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم

من دون الله إن كنتم صادقين ولن تفعلوا، ثم استأنف فقال: فإن لم تفعلوا فاتقوا النار.

(١) يتعدى الفعل (استعان) بنفسه وبالباء، وقد عدّه المصنف بنفسه. انظر: «المحكم» لابن سيده (٣٦٨/٢) مادة (ع و ن).

(٢) شرحه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٢٦) فقال: (هذا غير مرضي عند الفقهاء والنحاة؛ لأنه إذا قال: «إن دخلت الدار فأنت طالق»، وإن لم تدخل الدار فأنت طالق»، يقع على دخول مستأنف، ولا يتعلق بالماضي البتة، وهذا إجماع. وقال النحويون: (لم) إذا دخل المستقبل نقله إلى معنى الماضي، و(إن) الشرطية إذا دخل الماضي أو ما بمعنى الماضي نقله إلى معنى المستقبل).

وهذا ضعيف؛ لأنَّ الشَّيءَ لا يُزَالُ عن موضعه إلا للضرورة، ولا ضرورةً هنا.
والوجه الذي عليه المحققون: أنَّ قوله: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ اعتراضٌ بين الشرطِ
والجزاء، لا محلَّ له من الإعرابِ، وباب الاعتراضِ بابٌ واسعٌ، وحسُنَ هذا
الاعتراضُ لأنَّ الشرطَ لفظه للتَّردُّدِ، فقطع التَّردُّدُ بقوله: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾.

﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾؛ أي: فاحذروا أن تصلوها.

﴿الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾: الوقودُ: ما يُوقَدُ به، والوقودُ: المصدر.

و﴿وَالْحِجَارَةُ﴾: قيل: هي حجارة الكبريت، وهي أشدُّها حرًّا إذا أُحْمِيَتْ.

وقيل: حجارةٌ يُعذَّبون بها.

وقيل: هي الأصنام من قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ

جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

وقيل: كنوز الذهب والفضة.

﴿أَعَدَّتْ﴾: أَدْحَرَتْ وَهَيَّيَتْ.

وفي لفظ: ﴿أَعَدَّتْ﴾ دليلٌ على أنَّ النارَ مخلوقةٌ^(١).

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ خصَّهم بالذكرِ لعظمِ ذنبهم، وقيل: هذه لهم، ولغيرهم غيرها.

وفي الآية دلالة النبوة من وجهين:

أحدهما: عَجَزَهم عن الإتيانِ بمثله.

والثاني: صِدْقَه في قوله: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾.

(١) ذهب طائفة من المعتزلة والخوارج إلى أن الجنة والنار لم يُخلقا بعدُ، وجمهور المسلمين على

أنهما مخلوقتان. انظر: «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم (٤/ ٦٨).

والمعنى: إذا ظهر عجزكم عن الإتيان بمثله صحّت نبوّته ووجب تصديقه، فإن لم تؤمنوا به، فاتّقوا النَّارَ المُعدَّةَ للكفّار.

(٢٥) - ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِمْ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾؛ أي: أخبرهم خبراً يظهر أثره على البشرية، وهي ظاهر الجلد، يقال: بَشَّرْتُهُ فَأَبَشَرَ واستَبَشَرَ، وبَشَّرْتُهُ فَبَشَّرَ، والبشارة المصدر، والبشارة الاسم، يُستعمل في الخير، واستعماله في الشرّ مجازٌ، وقيل: يُستعمل فيهما حقيقةً. ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾؛ أي: الطّاعات.

والعمل: إيجاد الشيء بعد أن لم يكن.

والصّلاح: الفعل المستقيم.

﴿أَنَّ لَهُمْ﴾: بأن لهم ﴿جَنَّاتٍ تَجْرَى﴾: الجنّة: دارُ الله في الآخرة، وفي اللّغة: البستان فيه نخلٌ وشجرٌ، فإذا انضاف إليها الكرمُ فهي الفردوس، مشتقة من (جَنَّتُهُ)؛ أي: سترته.

﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾ ابن عباس: من تحت أشجارها^(١).

وقيل: منازلها^(٢) وأشجارها.

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١/ ٤٠٣)، والسمرقندي في «تفسيره» (١/ ٣٦)،

والثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٧٠) وغيرهم بلا نسبة.

(٢) في (ن) زيادة: «ومن بمعنى في وتحتمل منابعها من تحت منازلها».

وقيل: ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾: من جهتها، كقوله: ﴿وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ﴾ [الزخرف: ٥١]؛ أي: من جهتي.

والجري: الاطراد.

﴿الْأَنْهَارُ﴾: جمع نهر، وأصله السَّعة.

﴿كَلَّمَارِزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ رِزْقًا﴾: كَلَّمَ أَعْطَمُوا فَكَيْهَةً مِنْهَا.

﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رِزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ ابن عباس: في الدنيا^(١)؛ أي: من نوع ذلك.

الحسن في جماعة: أي: في الجنة^(٢).

وقيل: وُعدناه في الدنيا.

﴿وَأَنْتُمْ بِهِ مُتَشَبِهَاتٌ﴾: خيارًا كُلَّهُ، لا يشوبه عَجْمٌ^(٣) ولا نَوَى.

ابن عباس: متشابهًا^(٤) في اللون مختلفًا في الطعم^(٥).

عكرمة: يُشبهُ ثمرَ الدنيا غير أن ثمرَ الجنة أطيَّبُ^(٦).

والتشابه: التماثل.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١ / ٤٠٨).

(٢) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١ / ١٠٩) عن الحسن ومجاهد، ورواه الطبري في «تفسيره» (٤١٠) عن يحيى بن أبي كثير.

(٣) العجم: النوى، وحبُّ كلِّ شيءٍ: عَجْمُهُ. انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (١ / ٤٨٤) مادة (ع ج م).

(٤) في (و): «مشتبهاً».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١ / ٤١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ٦٦).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١ / ٤١٥).

﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ﴾: جمع زوج، والزَّوْج: الرَّجُلُ له امرأةٌ، والمرأةُ لها بَعْلٌ، ويُقال لها: الزَّوْجَةُ أَيضًا.

﴿مُطَهَّرَةٌ﴾: من البولِ والغائطِ والحِضِّ والنَّفَاسِ وسوءِ الأَخْلَاقِ. والتَّطْهِيرُ: التَّقْدِيسُ.

﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: دائمون لتمام النعمة. والخلودُ: البقاءُ في الشَّيْءِ من غيرِ آخِرٍ.

(٢٦) - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾: ابن عباسٍ قال: لَمَّا ضَرَبَ اللَّهُ المَثَلِينَ الَّذِينَ تَقَدَّمَا مِنْ قَوْلِهِ: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧] وقوله: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٩] للمنافقين، قالوا: اللهُ أَجَلٌ وَأَعْلَى مِنْ أَنْ يَضْرِبَ الأمثالَ، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيةَ (١).

الحسن وقتادة: لَمَّا ذَكَرَ اللهُ الذُّبَابَ والعنكبوتَ فِي كِتَابِهِ وَضَرَبَ الأمثالَ، ضَحَكَتِ اليهودُ وَقَالُوا: مَا يُشَبِّهُ هَذَا كَلَامَ اللهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيةَ (٢).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٢٣).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧)، والطبري في «تفسيره» (١/ ٤٢٤) عن قتادة، ورواه ابن أبي

حاتم في «تفسيره» (١/ ٦٨ - ٦٩) عن السدي وقتادة، ثم قال: ورؤي عن الحسن وإسماعيل بن أبي

خالد نحو قول السدي وقتادة.

والمعنى: أَنْ اللَّهَ لَا يَتْرُكُ ضَرْبَ الْمَثَلِ تَرَكَ مَا يُسْتَحْيَا مِنْهُ.

وقيل: لَا يَمْتَنِعُ عَنْهُ.

وقيل: لَا يَخْشَى.

وَالِاسْتِحْيَاءُ: الْاِمْتِنَاعُ وَالِارْتِدَاعُ.

والمعنى: لَيْسَ مَحَلُّ ضَرْبِ الْمَثَلِ بِالْبِعْوِضِ مَحَلًّا مَا يُسْتَحْيَا مِنْهُ.

و﴿أَنْ يَضْرِبَ﴾: يُبَيِّنُ وَيُصِفُ، وَضَرْبُ الْمَثَلِ يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ لِتَضَمُّنِهِ

مَعْنَى (جَعَلَ).

وَالْمَثَلُ: الشَّبَهُ.

﴿مَا بَعُوضَةٌ﴾ الزَّجَاجُ: ﴿مَا﴾ زَائِدَةٌ مُؤَكَّدَةٌ.

وقيل: نَكْرَةٌ بِمَعْنَى (شَيْئًا)، وَ﴿بَعُوضَةٌ﴾: بَدَلٌ عَنْهُ أَوْ صِفَةٌ لَهُ.

وقيل: هِيَ مُوَصَّلَةٌ، وَهَذَا عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ: (بَعُوضَةٌ)^(١).

وقيل: زَائِدَةٌ لِلْعُمُومِ، فَيَحْسِنُ الْوَقْفَ عَلَيْهِ.

الْفَرَاءُ: مَا بَيْنَ بَعُوضَةٍ إِلَى مَا فَوْقَهَا، كَمَا قَالَتِ الْعَرَبُ: مُطْرِنَا^(٢) مَا بَيْنَ زُبَالَةَ

فَالثَّلْبِيَّةِ^(٣).

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١ / ١٠٤)، وقراءة الرفع قراءة شاذة قرأ بها رؤبة بن العجاج. انظر:

«الوقف والابتداء» لأبي بكر الأباري (١ / ٣٥٥)، و«المحتسب» لابن جني (١ / ٦٤).

(٢) «مطرنا» من (ن).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١ / ٢٢)، وزباله والثعلبية: موضعان بطريق مكة من الكوفة. انظر:

«معجم البلدان» لياقوت (٢ / ٧٨) و(٣ / ١٢٩).

والبعوضُ: صِغَارُ البُقِّ، مشتقٌّ من (البعوضِ) (١).

﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ قيل: في الكِبَرِ.

وقيل: في الصَّغَرِ، كما يُقال: فلانٌ رَفِيعٌ، فيقول: وفوقَ ذلك، يريد: وفوقَ ذلك في الصَّغَرِ.

وقيل: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾؛ أي: فما دونها.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾: أَنَّ المَثَلَ - ويحتَمِلُ: ضربَ المَثَلِ -
﴿الْحَقُّ﴾؛ أي: المَثَلُ الذي ضربَه اللهُ مَثَلٌ لِمَا ضربَه له.

وقيل: إِنَّ اللهُ ضربَ هذا المَثَلَ، لا غيرَه.

والحقُّ: نقيضُ الباطلِ.

﴿مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾؛ أي: أيُّ شَيْءٍ أَرَادَ اللهُ بِهَذَا المَثَلِ؟! إنكارًا منهم للحقِّ.
والإرادةُ: المشيئةُ.

وقيل (٢): الكلامُ تَمَّ عندَ قولِهِ: ﴿مَاذَا﴾، فأجاب اللهُ تعالى فقال: ﴿أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾.

﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا﴾ من الكافرين؛ لأنكارِهِم الحقَّ.

والكثيرُ: نقيضُ القليلِ.

(١) في (و): «البق»، والصواب ما أثبت، وذلك أن هذه الحشرة اشتقت من ذلك؛ لصغر جسمها عند مقارنتها بسائر الحيوانات.

(٢) «وقيل» من (ن).

﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ من المؤمنين؛ لتصديقهم.

وقيل: يضلُّ بالكذب ويهدي بالتصديق.

وقيل: يضلُّ عن طريق الجنة.

وقيل: ﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ أيضًا من تمام الحكاية.

والوجه هو الأول.

﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾: الخارجين من الدين. والفُسُوقُ: الخروجُ

والتَّرك.

(٢٧) - ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ

وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ﴾: ينكثون. والتَّقْضُ: إفسادُ ما أبرمتَ من حبلٍ أو بناءٍ.

﴿عَهْدَ اللَّهِ﴾: عَقْدُه.

والعَهْدُ: الوصِيَّةُ، والعَهْدُ: الاستيثاقُ بالأيمان، والعَهْدُ: الالتقاءُ والرؤيةُ،

والعَهْدُ: المَنْزَلُ.

والمراد بالعَهْدِ هاهنا عند أكثرهم: ما عَهَدَ اللهُ إلى عباده يومَ الميثاقِ في قوله:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وعند بعضهم: ما عهد إليهم في الكتب المتقدمة في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ

الْتَّبِيعِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

وقيل: عَهْدُه: ما جعل في عقولهم من الحجَّةِ على توحيدِه وصدقِ رسوله.

وقيل: هو من قوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنَ الْإِحْدَىٰ الْأُمَمِ﴾ [فاطر: ٤٢].

﴿مِنْ بَعْدِ﴾: ﴿مِنْ﴾: زيادة، وقيل: لابتداء الغاية؛ لأنَّ ابتداء النَّقْضِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ. ﴿مِيثَاقِهِ﴾: تأكيدُه ذلك. والميثاقُ: ما وقع التَّوْثِيقُ بِهِ، وأصلُه مِنَ الْوَثَاقَةِ، وهي إِحْكَامُ الشَّيْءِ.

والهاء تعود إلى الله سبحانه، وقيل: إلى العهد.

﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾: الحسن: أمرهم بصله النَّبِيِّ ﷺ والمؤمنين، فقطعواهم بقتالهم إياهم^(١).

قتادة: يعني: الرَّحْمُ؛ فَإِنَّهُمْ قَطَعُوهَا بِالْمَعَادَةِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ^(٢).

ويحتمل أن يُوصَلَ بالتَّصْدِيقِ بِجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَطَعُوا بِتَّصْدِيقِ الْبَعْضِ وَتَكْذِيبِ الْبَعْضِ.

والقَطْعُ: عبارةٌ عن جعلِ الشَّيْءِ عَنِ الشَّيْءِ بِحَيْثُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا حَاجِزٌ غَيْرُهُمَا.

﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: بالكفرِ وقطعِ السَّبِيلِ والتَّعْوِيقِ عَنِ الْإِيمَانِ.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾؛ أي: الموصوفون بالصفات المتقدمة خسروا الثَّوَابَ وَنَالُوا الْعِقَابَ.

والخُسْرَانُ: الذَّهَابُ مِنْ رَأْسِ الْمَالِ، وَيُسْتَعْمَلُ لِلْهَلَاكِ.

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١ / ٩٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١ / ٤٨) عن

الحسن، وذكره الطبري في «تفسيره» (١ / ٤٤١) دون نسبة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١ / ٤٤١).

(٢٨) - ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ قيل: استفهام توبيخ، وقيل: استفهام يتضمّن التعجيب للمؤمنين والتوبيخ للكفار. وموضوع (كيف) للاستفهام.

﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ الواو للحال، و(قد) مقدّرة؛ أي: وقد كنتم أمواتًا.

ابن عباس وابن مسعود: أي: لم تكونوا شيئاً^(١).

﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾: خلقكم، ﴿ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ﴾؛ أي: في الدنيا، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾؛ أي: في القيامة.

قتادة: ﴿أَمْوَاتًا﴾ في أصلاب الآباء، ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ بأن جعل فيكم الحياة وأخرجكم من بطون أمهاتكم، ﴿ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ﴾ في الدنيا، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للبعث^(٢).
المفضل: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ بسبب مفارقة النطفة وانتقالها إلى الرحم؛ لأنّ ما بان من الحيّ فهو ميتّ، ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾^(٣).

وقيل: كنتم أمواتًا خاملِي الذّكر. وهذا مزيفٌ.

وقيل: كنتم أمواتًا، فأحياكم في القبر، ثم يميتكم بعد ذلك، ثم يحييكم للبعث.

وقيل: كنتم أمواتًا في صلب آدم، فأحياكم لأخذ الميثاق، ثم أماتكم بعد أخذ الميثاق، ثم أحياكم وأخرجكم من بطون الأمّهات.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١ / ٤٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ٧٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١ / ٤٤٦).

(٣) ذكره الطبري في «تفسيره» (١ / ٤٤٦)، والسمرقندي في «تفسيره» (١ / ٣٩)، والماوردي في

«النكت والعيون» (١ / ٩١) دون نسبة.

وقيل: الكلامُ تمَّ عندَ قوله: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾؛ احتجَّ عليهم بما كانوا مقرِّين به، ثم استأنف فقال: ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: تصيرون، فيجازيكم على أعمالكم.

وقيل: ترجعون بعد الحياة الثانية إلى مثل ما في ابتداء الحياة الأولى، لا تملكون لأنفسكم شيئاً، والله الحُكْم عليكم.
و(الميت) يُدكَّر والمرادُ به ما فارقه الرُّوح، ويُدكَّر والمرادُ به الموات الذي لم يكن له الرُّوح أصلاً.

(٢٩) - ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: ﴿هُوَ﴾؛ أي: الله ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾: أبداع ﴿لكم﴾: لأجلكم ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: كلِّها.
والجَمْعُ: نقيض التَّفْرِيقِ.

و﴿جَمِيعًا﴾: مصدرٌ منصوبٌ على الحال.

أي: تتنفعون ببعضٍ وتعتبرون ببعضٍ.

وقيل: لا يخلو شيءٌ من منفعةٍ وإن خفيت عنها.

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾؛ أي: بعد خلق الأرض ﴿أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾: قصد إلى بنائها.

ابن عباس: صَعِدَ أمره^(١).

(١) ذكره الزَّجَّاجُ في «تفسيره» (١/ ١٠٧).

المفضل: قصد وعلا وأقبل^(١).

وقيل: خلق الأرض وخلق بعدها السَّماء، وأفاد قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾: أنه لم يخلق بعد الأرض وما فيها إلاَّ السَّماء، وهذا قولٌ حسنٌ.

﴿فَسَوَّيْنَهُنَّ﴾: جعلهنَّ لا تفاوتَ فيها.

الزَّجَّاج: (السَّماء) اسمُ الجنس، قال: ويحتمل أنها جمع سماوة^(٢).

﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾: السَّبْع من العدد: ما دون الثَّمان وفوق السَّتِّ.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: علم انتفاعكم واعتباركم.

وقيل: معناه: إذ بالعلم يصحُّ الإتيان والإحكام.

(٣٠) - ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّي جَاعِلٌ فِي الْاَرْضِ خَلِيْفَةً قَالُوْۤا اَجْعَلْ فِيْهَا

مَنْ يُّفْسِدُ فِيْهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ اِنِّيْۤ اَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ الزَّجَّاج: (إِذ): اسمٌ معناه الماضي، وتقديره: ابتداء خلقكم

حينَ ﴿قَالَ﴾^(٣).

وقيل: تقديره: واذكر إذ قال.

أبو عبيدة: (إِذ) زيادة^(٤).

(١) ذكره الماوردي في «تفسيره» (١ / ٩٢).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزَّجَّاج (١ / ١٠٧).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزَّجَّاج (١ / ١٠٨).

(٤) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١ / ٣٦-٣٧).

ويحتمل أنه ظرف لقوله: ﴿قَالُوا﴾.

﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾: جمع مَلَكٍ، واشتقاقه من (الألوك) و(المألكة)؛ أي: الرسالة،

قال الشاعر:

وِغْلَامٍ أَرْسَلْتَهُ أُمَّهُ بِاللُّوكِ فَبَدَّلْنَا مَا سَأَلَ^(١)

وأصله: (مألك)، ثم قُدِّمَ العين، فصار (ملاًكاً)، قال:

فَلَسْتَ لِإِنْسِيٍّ وَلَكِنْ لِمَلَأِكٍ تَنْزَلَ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ^(٢)

ثم نُقِلَ فصارَ (مَلَكًا)، فلَمَّا جُمِعَ عاد الهمزة، والتاء لتأنيث الجمع، وقد جاء

بغيرها قال:

أَبَا خَالِدٍ صَلَّتْ عَلَيْكَ الْمَلَائِكُ^(٣)

وَسُمُّوا مَلَائِكَةً لَمَنْ فِيهِمْ مِنَ الرُّسُلِ، وَهُمْ الْكِرَامُ الْبَرَّةُ، الَّذِينَ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ.

والخطابُ عامٌّ لهم، وقيل: الخطاب للملائكة الذين كانوا سُكَّانَ الأرض، فأراد نقلهم إلى جملة ملائكة السماء.

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾: ﴿الْأَرْضِ﴾: قيل: هي مكة، وقيل: هي الأرض

المعروفة.

(١) البيت لليد بن ربيعة، كما في «ديوانه» (ص: ١٧٨)، و«غريب الحديث» للقاسم بن سلام (٣/ ٤٠٧)، و«تفسير الطبري» (١/ ٤٧٤).

(٢) البيت لعلمقة بن عبدة بن النعمان، كما في «المفضليات» للضبي (ص: ٣٩٤)، و«الزاهر» للأبباري (٢/ ٢٥٥)، ونُسب لغيره.

(٣) عجز بيت لكثير، كما في «ديوانه» (ص: ١٢٣)، وصدرة:

أي: خليفة عنكم يا ملائكتي.

والخليفة: هو القائم مقام غيره في الأمر الذي جُعِلَ إليه.

وقيل: خليفة عن الجن بني الجان.

وسمّي خليفة؛ لأنه تخلف عمّن تقدّم.

وقيل: ﴿خَلِيفَةً﴾: أمّا يخلفُ بعضهم بعضًا، إذا هلكت أمة خلفتها أمة.

ابن عباس وابن مسعود: خليفة عن الله؛ يعني: آدم عليه السّلام يحكم في الأرض بالحقّ^(١).

وقيل: يزرع ويحصد ويبيني ويُجري الأنهار.

﴿قَالُوا﴾؛ أي: الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ﴾: أتخلق.

الزّجاج في جماعه: الألف هاهنا للتّقرير^(٢)، كقول الشاعر:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونٍ رَاحِ^(٣)

غيرهم: هو للاستخبار^(٤).

﴿فِيهَا﴾: في الأرض.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٧٩).

(٢) أي: همزة الاستفهام خرجت عن معناها الأصلي إلى معنى التقرير على سبيل الإنكار. انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٦٣)، وللزّجاج (١/ ١٠٩)، و«شرح المفصل» لابن يعيش (٥/ ١٠٠).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزّجاج (١/ ١٠٩)، والبيت لجري، كما في «ديوانه» (ص: ٨٥).

(٤) أي: همزة الاستفهام بقيت على معناها الأصلي وهو الاستفهام، ويسمى الاستخبار والاستعلام، وقد رجّح الراغب الأصفهاني أنّ هذا هو المعنى المراد في الآية. انظر: «تفسير الراغب الأصفهاني»

(١/ ١٤٠)، و«اللباب» للعكبري (٢/ ١٢٩).

﴿مَنْ يُفْسِدْ فِيهَا﴾ بترك أو امرك.

﴿وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾: يقتل النفس بغير حلها؛ أي: فيهم ومنهم مَنْ يفعل ذلك.

والسَّفْكُ: صبُّ الدِّمِ خاصَّةً، ويُستعمل لنثر الكلام.

والدِّمُ: أحد الأخلاط الأربعة التي جعل الله بها قوام البدن^(١).

وفي معرفتهم ذلك أقوال^(٢):

قال بعضهم: أخبرهم الله بذلك.

وقيل: قال لهم: إني جاعلٌ في الأرض خليفةً يفسدون فيها ويسفكون الدِّمَاءَ،

فحدَفَ الوصفَ من «القرآن»^(٣)، ودلَّ ما بعده عليه.

وقيل: قاسوا على الغائب، وأوَّلَ مَنْ قاسَ الملائكةُ^(٤).

وقيل: أطلعهم الله على الكائنات كلها، فسألوه عن معرفة وجه الحكمة.

وقيل: فهموا ذلك من لفظ (الخليفة)؛ لأنَّ (الخليفة) هو القائم مقام الغير

موصوفاً بصفته، وكان الجنُّ بهذه الصِّفة.

(١) «الأربعة»: ليس في (ن). والأخلاط الأربعة: الدم والبلغم والمرّة الصفراء والمرّة السوداء، التي

عليها قوام البدن. انظر: «مفاتيح العلوم» للخوارزمي (ص: ١٠٦).

(٢) ذكر هذه الأقوال في «غرائب التفسير» (١/ ١٣١)، وزاد قولاً: (أنهم رأوا ذلك في اللوح المحفوظ،

وهو مشتمل على الكائنات).

(٣) «من القرآن» من (ن).

(٤) ذكر القاضي أبو يعلى الحنبلي هذا القول من غير أن ينسبه مقابلاً لقول محمد بن سيرين:

(أول من قاس إبليس). انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٣٥٨٠٦)، و«العدة» للقاضي أبي يعلى

وقيل: الملائكة شكوا في حال أنفسهم؛ أنكون مع جعلِ الله^(١) الخليفةَ وعدم^(٢) جعله سواً، أم الأمرُ بخلافِ ذلك؟

وجمعُ الخليفة: الخلائفُ، والخلفاءُ: جمعُ الخليفِ.

﴿وَمَنْ يُسَبِّحْ بِحَمْدِكَ﴾: نبرُّتُكَ وننزهُكَ عما لا يليقُ بوصفِكَ.

والتَّسْبِيحُ: التَّنْزِيهُ، ومنه: سبحانَ الله.

قال الشاعر:

أقولُ لما جاءني فخرُهُ سُبحانَ منْ علقمةَ الفاخِرِ^(٣)

وهو مصدرٌ تركَ فعله اكتفاءً بـ(سَبَّحَ تسبيحاً).

وتسبيحُ الملائكة فيما روى ابنُ عباسٍ: سبحانَ ذي المُلْكِ والمَلَكوتِ،

سبحانَ ذي العِزَّةِ والجبروتِ، سبحانَ الحيِّ الذي لا يموت^(٤).

(١) اسم الجلالة: «الله» من (ن).

(٢) في (ن): «وترك».

(٣) البيت للأعشى. انظر: «ديوانه» (ص: ١٠٦)، و«تفسير الطبري» (١/ ٥٠٣). والمعنى: سبحان الله

من فخرِ علقمة؛ أي: تنزيهاً لله مما أتى علقمة من الافتخار.

(٤) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٤٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفي دعاء الملائكة عدة

أحاديث وأثار منها ما رواه المروزي في «الصلاة» (٢٥٦)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «العظمة»

(٥٣٤)، والحاكم في «المستدرک» (٤٥٠٢) عن عبد الله بن عمر عن عمر رضي الله عنهما في

حديث طويل وفي آخره: «أما أهل السماء الدنيا فيقولون: سبحان ذي الملك والملكوت، وأما

أهل السماء الثانية فيقولون: سبحان ذي العزة والجبروت، وأما أهل السماء الثالثة فيقولون: سبحان

الحي الذي لا يموت». وضححه الحاكم، وقال الذهبي: منكر غريب.

وفي حديث آخر عن رواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٠)، والطبري في «تفسيره» =

وقيل: التَّسْبِيحُ: الصَّلَاةُ.

المفْضَلُ: السَّبْحُ^(١) رَفَعُ الصَّوْتِ بِذِكْرِ اللَّهِ^(٢)، وَأَنْشَدَ لَجْرِيرٍ:

قَبَحَ الْإِلَهَ وَجُوهَ تَعْلِبَ كُلَّمَا
سَبَحَ الْحَجِيجُ وَكَبَّرُوا إِهْلَالَ^(٣)
﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾: الْمَفْضَلُ: نَعِظُكَ وَنَنْزَهُكَ.

والتَّقْدِيسُ: التَّطْهِيرُ.

الزَّجَّاجُ: وَمِنَهُ الْقَدَسُ، وَهُوَ السَّطَلُ؛ لِأَنَّهُ يُتَطَهَّرُ مِنْهُ^(٤).

وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَكَ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِالْمَعْنَى؛ أَي: تَقْدِيسُنَا لَكَ، كَمَا تَقُولُ: سَعِيًّا

لَكَ، وَقِيلَ: نَقَدِّسُ أَفْعَالَنَا لَكَ، وَالْأَوَّلُ أَحْسَنُ.

وَالْبَاءُ فِي ﴿بِحَمْدِكَ﴾ مِثْلُهُ فِي قَوْلِهِ: (سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ)؛ أَي: وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَيَّ

مَا هَدَانَا لَهُ.

= (٣/ ٦١١)، وَأَبُو الشَّيْخِ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي «الْعِظْمَةِ» (٣٨٦) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ

حَدِيثُ الصُّورِ الطَّوِيلِ، وَفِيهِ: «لَهُمْ زَجَلٌ مِنَ التَّسْبِيحِ، وَتَسْبِيحُهُمْ أَنْ يَقُولُوا: سُبْحَانَكَ ذِي الْمَلِكِ

ذِي الْمَلَكُوتِ، سُبْحَانَ رَبِّ الْعَرْشِ ذِي الْجَبْرُوتِ، سُبْحَانَ رَبِّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ، قُدُوسِ قُدُوسِ،

سُبْحَانَ رَبِّنَا الْأَعْلَى، سُبْحَانَ رَبِّ الْمَلَكُوتِ وَالْجَبْرُوتِ وَالْكَبْرِيَاءِ وَالسُّلْطَانَ وَالْعِظْمَةَ، سُبْحَانَ أَدْبِ

الْأَدْبِ، سُبْحَانَ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، سُبْحَانَ الَّذِي يَمِيتُ الْخَلَائِقَ وَلَا يَمُوتُ».

(١) فِي (و): «التَّسْبِيحُ».

(٢) ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ قَوْلَ الْمَفْضَلِ هَذَا فِي «غُرَائِبِ التَّفْسِيرِ» (١/ ١٣٢) وَاسْتَعْرَبَهُ، وَنَقَلَ الْمَاوَرِدِي فِي

«تَفْسِيرِهِ» (١/ ٩٨) عَنِ الْمَفْضَلِ أَنَّ الْمُرَادَ بِالتَّسْبِيحِ هُوَ التَّسْبِيحُ الْمَعْرُوفُ.

(٣) انظُرْ: «دِيْوَانَ جَرِيرٍ» (١/ ٥٢)، وَ«تَفْسِيرِ الْمَاوَرِدِي» (٦/ ٢٥١)، وَ«غُرَائِبِ التَّفْسِيرِ» (١/ ١٣٢).

وَفِي «الدِّيْوَانِ»: (شَبِيحٌ) بَدَلَ (سَبِيحٍ)، وَالشَّبِيحُ: رَفَعُ الْأَيْدِي بِالِدَعَاءِ.

(٤) انظُرْ: «مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلزَّجَّاجِ» (١/ ١١٠).

وعلى قول المفضل: نرفعُ أصواتنا بحمديك.

وقيل: الباء للحال؛ أي: نَسْبِحُكَ حامدين، كما تقول: خرج بثيابه وبسلاحه.

﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من انطواء إبليس على الكبر والمخالفة والعزم

على المعصية.

وقيل: إن هؤلاء يُمتحنون بالتكليف، فلهذا يكون من بعضهم العصيان، ولو

كُلفتم لعصيتهم أيضاً.

وقيل: سؤال الملائكة لم يكن إلا بعد استئذان الله فيه، فأذن لهم.

(٣١) - ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ

هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾: ابن عباس: علّمه معاني الأسماء^(١).

الربيع: علّمه أسماء الملائكة^(٢).

وقيل: أسماء ذريّته، وقيل: علّمه اسم كل مخلوق بكل اللغات.

وعن ابن عباس أيضاً: علّمه اسم كل شيء حتى القصة والمعرفة^(٣).

وقيل: عام في حقائق الأشياء وخواصّها وأفعالها وأسمائها؛ لأن لكل شيء

منها اسماً، وتعليمه معجزة تدلّ على كونه رسولاً.

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١ / ٥١٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١ / ٥١٧).

(٣) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١ / ٥١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ٨٠).

﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾؛ أي: خلقهم ثم عرضهم، وقيل: صورهم في قلوب

الملائكة.

وذكر الكناية^(١) لأنهم عقلاء، أو لأن الغلبة للعقلاء.

وقيل: لأن الاسم والمسمى واحد^(٢).

﴿ءَادَمَ﴾: أبو البشر عليه السلام، واشتقاقه من (أديم الأرض)، لا ينصرف في

المعرفة، وينصرف في النكرة^(٣).

وقيل: اشتقاقه من (الأدمة)، وهي شربة من سواد في الناس، وفي^(٤) غيرهم

بياض^(٥)، لا ينصرف في المعرفة والنكرة إن أردت بقاء معنى الوصفية فيه^(٦).

(١) أي: استعمل الضمير (هم).

(٢) فالمعروض هو مسميات الأسماء، وأعيان الخلق. انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٤٦)،

و«غرائب التفسير» (١/١٣٢).

(٣) قال الأخفش: إذا سميت به رجلاً فقد أخرجته من باب الصفة، فيجب إذا نكرته أن تصرفه، وذلك

كقولك: «مررت بآدم وادم آخر»، وذلك على معنى: مررت برجل اسمه آدم ورجل آخر اسمه

آدم أيضاً؛ فالأول لم يُصرف لأنه معرفة، والثاني صُرف لأنه نكرة، وفي هذه المسألة خلاف بين

النحويين. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/١١٣)، و«إعراب القرآن» للتحاس (١/٤٣).

(٤) «وفي» من (ن).

(٥) انظر: «العين» (٨٨/٨) مادة (أدم).

(٦) وذلك كقولك: «مررت بآدم وادم آخر»؛ بمعنى: مررت برجل اسمه آدم ورجل آخر صفته أنه آدم؛

فالأول لم يُصرف لأنه معرفة، والثاني لم يُصرف لأنه صفة على وزن أفعال، وهذا مذهب الخليل

وسيويه. انظر: «الكتاب» (٣/٢٠٣)، و«المقتضب» للمبرد (٣/٣٨٣)، و«معاني القرآن» للزجاج

(١/١١٣).

والكل: اسمٌ موضوعُهُ للإحاطةِ بالأجزاء، وكذلك (أجمعون) غيرَ أَنَّهُ لا تليهِ العوامِلُ^(١).

وعرضُ الشَّيءِ: إظهارُه حتى تُعرَفَ جهتهُ.

﴿فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: هذا أمرٌ تعجيزٌ وتوبيخٌ، لا أمرٌ تكليفٍ^(٢).

وقيل: أمرٌ بشرطٍ؛ أي: إن أمكن أن تخبروني بالصدقِ فيه فافعلوا.

والإنباء: الإعلام، وقيل: الإخبار.

والنَّبأ: الخبرُ، وذلك أن الله سبحانه لما أخبرهم بقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، وقع في نفوسهم أن الله لا يخلق خلقًا أعلم منهم، فقال الله: أنبئوني إن كنتم صادقين في هذا الظنِّ.

وقال الأخفش: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيما تخبرون به من أسمائهم. قال: وهذا كقولك لرجل: أخبرني بما في يدي إن كنت صادقًا؛ أي: إن كنت تعلم ما تخبر به^(٣).

وقيل: لما سمعوا: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ هجسَ في نفوسهم: لو كانوا مكان آدمَ وذريته لم يكن فسادٌ ولا سفكٌ دمٍ، فقال: ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيما ظننتم؛ ليعلموا أنهم إذا لم يعلموا باطنَ ما شاهدوا كانوا عن علمٍ باطنٍ ما غابَ عنهم أبعَدَ.

(١) لعل المراد: لا تليهِ الضمائرُ التي تعود على العوامِلِ في الجملِ قبله، والله أعلم.

(٢) فظاهره الأمر، وهو يحتمل التوعد والمعاتبة. انظر: «تفسير الماتريدي» (١/٤١٨)، و«الوسيط»

للواحدي (١/١١٧).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/٦٣).

وقيل: (إن) بمعنى (إذ)^(١)، وهو مزيفٌ.

(٣٢) - ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿قَالُوا﴾ اعترافاً^(٢) بالعجز: ﴿سُبْحَانَكَ﴾: تنزيهاً لك عن ادّعاءنا علم الغيب

وعن الاعتراض عليك في تدبيرك.

وقيل: ﴿سُبْحَانَكَ﴾: تعظيماً لك.

﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ وليس فيه علمُ الأسماء.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ﴾: العالمُ غيرُ المعلم.

﴿الْحَكِيمُ﴾: الحاكم، وقيل: المحكم، وأصل الكلمة من (المنع).

(٣٣) - ﴿قَالَ يَتَّادُمُ انْتِبَهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ

غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

﴿قَالَ يَتَّادُمُ انْتِبَهُم﴾: أخبرهم ﴿بِأَسْمَائِهِمْ﴾ فأنبأهم بها، وسمى كلَّ شيءٍ

باسمِهِ، وألحق كلَّ شيءٍ بجنسِهِ.

﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ أي: ما

غابَ فيهما عنكم ممّا كان وممّا يكون.

(١) نقل هذا ابن قتبية والطبري وغيرهم عن بعض المفسرين، ولم يُقرّوه. انظر: «تأويل مشكل القرآن»

لابن قتبية (ص: ٢٩٤)، و«تفسير الطبري» (١/٥٢٦).

(٢) في (و): «اعترفوا».

ويحتمل أنه قال لهم ذلك حيث قال: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.
 ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾: هو قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾.
 ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: هو ما هجس في أنفسهم أنه لن يخلق ربنا خلقاً أعلم منا.
 وقيل: هو عام؛ أي: علانيتكم وسركم.
 ابن عباس: ﴿مَا تُبْدُونَ﴾ يعني: الملائكة من الطاعة، ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: من
 إبطن إبليس العزم على المعصية^(١).
 والإبداء: الإظهار، والبُدُو^(٢): الظهور، والكتْمُ والكتْمَانُ: الإخفاء.

(٣٤) - ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ
 الْكَافِرِينَ﴾.
 ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾: السُّجُودُ والإِسْجَادُ: الخضوع وخفض
 الرأس.

ابن عباس: كان ذلك^(٣) انحناءً، ولم يكن الخُرُورَ على الدَّقْنِ^(٤).
 ابن مسعود: أمروا بأن يأتُمُوا بآدمَ، فسجدَ وسجدوا لله^(٥).
 أبي بن كعب: اخضعوا له، وأقروا بالفضل له^(٦).

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٣١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٨٢).

(٢) في (و): «البدء». وانظر: «طلبة الطلبة» للنسفي (ص: ٦٨).

(٣) «ذلك»: ليس في (ن).

(٤) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ١٢٤).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٢٢٤)، وقد ذكره المصنف بلانسة في «غرائب التفسير» (١/ ١٣٣).

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٢٢٤)، والواحد في «البيسط» (٢/ ٣٦٦).

﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾: امثلوا إلا إبليس، وهو استثناءٌ صحيحٌ، وإبليس من قبيلةٍ من الملائكة يُقال لهم: الجنُّ؛ لاستتارهم عنَّا.

وقال الحسن: الاستثناء منقطع، وليس هو منهم^(١).

وإبليس: اسمٌ أعجميٌّ لا ينصرف.

وقيل: هو مشتقٌّ من (أبْلَسَ)، وتَرَكُ الصَّرْفِ يدفعه^(٢).

عن ابنِ عباسٍ: كان اسمه عَزَاذِيلَ^(٣).

﴿أَبَى﴾: امتنع عن السُّجودِ، والإبَاء: الامتناع.

﴿وَأَسْتَكْبَرَ﴾: تكبَّر وتعظَّم.

﴿وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ﴾ قيل: كان في سابقِ علمِ الله.

وقيل: صار منهم، كقوله: ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُعْرِقِينَ﴾ [هود: ٤٣]^(٤).

(١) روى الطبري في «تفسيره» (١ / ٥٣٩) عن الحسن: (ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل الإنس)، وهذه العبارة هي ما أراه المصنف، كما يظهر من كلامه في «غرائب التفسير» (١ / ١٣٤)، أما أن يكون الحسن استخدم مصطلح الاستثناء المنقطع فغير مراد ولا وارد.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١ / ٥٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ٨٤).

(٣) ذكر هذا الوجه والذي قبله ابن قتيبة، وذكر المانع من الصرف على هذا الوجه، وهو أنه لا سميَّ له فاستُقل. انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٣).

(٤) ذكر هذا والذي قبله الماتريدي في «تفسيره» (١ / ٤٢٥).

(٣٥) - ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾: اتخذها مسكنًا تسكنان^(١) فيه.

والسكون: ضدُّ الحركة^(٢).

والجنة: هي جنة الخلد التي وعد المتقون دخولها، وهي مخلوقة، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة^(٣).

وقيل: كانت جنة في السماء، أسكن الله آدم وحواء فيها، ولم تكن جنة الخلد.

وقيل: كانت جنة في الأرض.

﴿وَكُلَا مِنْهَا﴾؛ أي: من ثمارها، والأكل: الالتقام.

﴿رَغَدًا﴾: الزجاج: الرغد^(٤): الكثير الذي لا يُعْنِيكَ^(٥).

(١) في (و): «تسكنون».

(٢) ذكر المصنف في «البرهان» (ص: ٧٠) أن (اسكن) ليس من (السكون) الذي هو ضدُّ الحركة، وإنما من (السكون) الذي هو الإقامة، وذكر أن حمل المعنى على اتخاذ الجنة مسكنًا يناسب آية الأعراف، لا آية البقرة.

(٣) أي: أن الجنة مخلوقة، ولم يخالف في هذا إلا طائفة من المعتزلة والخوارج، وأما إسكان آدم عليه السلام جنة الخلد فهو الشائع الراجح الظاهر، وقد ذكر المصنف أنه مذهب أهل السنة في «غرائب التفسير» (١/ ١٣٤)، لكن قال الماتريدي في «تفسيره» (١/ ٤٢٥): (ليس في الآية بيان ذلك)، وقد توسع ابن حزم وابن حبان في بحث المسألة. انظر: «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم (٤/ ٦٨)، و«البحر المحيط» (١/ ٢٥٣).

(٤) «الرغد» من (ن).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ١١٤)، ومعنى يعنُّيك: يشقُّ عليك.

مقاتل^(١): عطاء^(٢) مَوْسَعًا عَلَيْكُمَا^(٣).

﴿حَيْثُ شَتُّمًا﴾: مَتَى شَتُّمًا، وَأَيْنَ شَتُّمًا، وَكَيْفَ شَتُّمًا.

مجاهدٌ: لَا حِسَابَ عَلَيْكُمَا^(٤).

﴿وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾: لَا تَحُومُوا حَوْلَهَا بِالْأَكْلِ مِنْهَا.

وَالْقُرْبُ: ضِدُّ الْبُعْدِ، وَ(قَرَبَ الشَّيْءُ) لَازِمٌ، وَ(قَرَّبْتُهُ) مَتَعَدٌّ.

وَالشَّجَرَةُ مِنَ النَّبَاتِ: مَا تَقُومُ عَلَى سَاقٍ.

وَاخْتَلَفُوا فِي هَذِهِ الشَّجَرَةِ؛ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْبِرُّ^(٥).

عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْكَافُورُ^(٦).

السُّدِّيُّ: الْعِنَبُ^(٧).

وَقِيلَ: التَّيْنُ^(٨).

(١) «مقاتل» ليست في (و).

(٢) «عطاء» من (و).

(٣) ذكر أبو حيان في «تفسيره» (١ / ٢٥٥) نحوه عن مقاتل، وروى الطبري في «تفسيره» (١ / ٥٥٠)

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (الرغد: سعة المعيشة)، وذكر نحوه بلا نسبة في: «تفسير

السمرقندي» (١ / ٤٤)، و«تفسير الثعلبي» (١ / ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (١ / ٩٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١ / ٥٥٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ١١٧).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١ / ٥٥٣).

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١ / ١٨٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (٢ / ٢٠٩).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (١ / ٥٥٥).

(٨) ذكره الواحدي في «الوسيط» (١ / ١٢٢) عن ابن جريج، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير»

(١ / ٥٥) عنه وعن الحسن، وعطاء بن أبي رباح.

الكلبي: شجرة العِلمِ عليها من كلِّ نوع^(١)؛ أي: هي شجرةٌ من أكلٍ منها عِلمٌ الخَيْرِ والشرِّ.

وقيل: هي شجرةُ الخُلْدِ التي تأكلُ منها الملائكة.

وقيل: هي شجرةٌ من أكلٍ منها أحدث.

وقال أهل الكتاب: هي شجرةُ الحنظل، حكاه الماوردي^(٢).

﴿فَكُونُوا﴾: فتصيرا، يجوز أن يكون جزماً عطفاً على النهي، ويجوز أن يكون نصباً جواباً للنهي.

﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: الذين وضعوا أمرَ الله غيرَ موضِعِهِ، والظلم بالإجماع: وَضَعُ الشَّيْءِ فِي غيرِ موضِعِهِ.

(٣٦) - ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾.

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ﴾: بعدهما، تقول: زلَّ (٣) الشَّيْءُ عن موضِعِهِ، و(أزلَّ)^(٤) مُتَعَدِّيه، والمعنى: حملهما على الزَّلَّةِ، وقيل: سأل منهما الزَّلَّةَ.

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٠٩) عن الكلبي، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٨٢) عن قتادة.

(٢) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٢/ ٢٠٩). وقد ذكر المصنف هذه الأقوال في «غرائب التفسير» (١/ ١٣٥)، وذكرها أبو حيان في «البحر المحيط» (١/ ٢٥٦)، ونَبَّهَ على أن الأظهر أنها شجرة لم يعلمنا الله ما هي؛ إذ لا يتعلَّق بعرفانها كبير أمر، وإنما المقصود إعلامنا أن فعل ما نُهيننا عنه سببٌ للعقوبة.

(٣) في (و): «زال».

(٤) في (و): «وأزال».

وَقُرئ: (أزال) متعدّي (زال)^(١)، والمعنى سواء.

﴿عَنهَا﴾: عن الجنة، وقيل: عن الطاعة.

المفضّل: عن الشجرة^(٢)، والمعنى: بسببها، ويحتمل: من أجلها، وذلك حين أكل من الشجرة.

وقيل: أكل ناسياً من قوله: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [طه: ١١٥].

ابن المسيّب: أكل سكران^(٣).

وقيل: أكل متأوِّلاً، تأوَّل النَّهْيَ على عينِ الشَّجَرَةِ لا على جنسها، فأكل من غيرها من الجنس، واللفظُ صالحٌ لهما.

وقيل: تأوَّل النَّهْيَ على التَّنْزِيهِ لا على التَّحْرِيمِ.

وقيل: أكل عامداً؛ لقوله: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه: ١٢١]، وذلك أن إبليسَ

حمله على الأكلِ حيث قال: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ [طه: ١٢٠]،

وغرّه بالمقاسمة حيث قال: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِرٍ﴾ [الأعراف: ٢١].

﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾: نحاها من الزينة والرّتبة ولين العيش.

وقال بعضهم: كان آدم يخرج من الجنة إلى السماء، فخاطبه إبليسُ في السماء.

وقيل: دخل بطن الحية، فدخل الجنة^(٤)، ثم خاطبه.

(١) قرأ حمزة: ﴿فَأزالهما﴾. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٥٤)، و«التيسير» لللداني

(ص: ٢٧٨).

(٢) ذكره ابن الجوزي في «تفسيره» (١/ ٥٦) دون نسبة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٦٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٨٣).

(٤) «فدخل الجنة» من (ن).

وقيل: خاطبه من الأرض.

وقيل: لم تكن مخاطبةً، بل كان وسوسةً؛ لقوله تعالى: ﴿فَسَوَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾

[الأعراف: ٢٠].

﴿وَقُلْنَا أَهْبِطُوا﴾: انزلوا.

والخطابُ لآدم وحواء وإبليس^(١)، وإن كان خطابُ^(٢) إبليس أسبق.

وقيل: الحية والطاوس.

وقيل: لآدم وحواء وذريتهما؛ لأنهم كانوا في ظهره.

﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾؛ يعني: العداوة التي بينهما وبين إبليس والحية، وكذلك

بين ذريتهما.

والبعض: نقيض الكل، وهو الجزء من الشيء.

والعداوة: اختلاف القلوب، واشتقاقه من (عدوتَي الوادي)، كالمحادة

والمشاقة.

﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾: قرار، ومستقرٌّ: موضع قرارٍ وسكونٍ.

﴿وَمَتَعُ﴾: ما تمتعون وتعيشون به.

﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ قيل: حين الموت، وقيل: إلى انقضاء الدنيا.

والحين: اسمٌ للزمانِ مبهمٌ، وقد يتعيَّن بالقرائن.

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣١)، وللأخفش (١/ ٧٤).

(٢) «خطاب» من (ن).

(٣٧) - ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَةً فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَةً﴾؛ أي: لقاهنَّ اللهُ فتلقَى، من (اللقية).

أبو عبيدة: قَبَلَهَا^(١).

الزَّجَّاجُ: اعترف بالذَّنْبِ^(٢).

وقرى: ﴿آدَمَ﴾ بالنَّصْبِ^(٣) ﴿كَلِمَاتٌ﴾ بِالرَّفْعِ^{(٤)(٥)}؛ لَأَنَّ مَا لَقِيَتْهُ فَقَدْ لَقِيَكَ،

والمعنى: نَزَلَ عَلَيْهِ وَأَتَتْهُ الْكَلِمَاتُ.

والكلمات: جمع كلمةٍ، والكلمةُ: المتكلمُ به، عامٌّ في القليلِ والكثيرِ، والكلامُ

خاصٌّ في المفيدِ، وأصلُ البابِ من التَّأثيرِ، ومنه: الكَلْمُ.

ابن عَبَّاسٍ: الكلماتُ هي التي في (الأعراف): ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا...﴾ الآية^(٦).

مجاهد^(٧): اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي

فَاغْفِرْ لِي، إِنَّكَ أَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ، اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، رَبِّ

إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ، اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحَانَكَ

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١ / ٣٨).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزَّجَّاجِ (١ / ١١٦).

(٣) في (و): «نصب».

(٤) في (و): «رفع».

(٥) هي قراءة ابن كثير المكي. انظر: «التيسير» للداني (١ / ٢٧٨).

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣ / ٢٤٩)، و«زاد المسير» (١ / ٥٧)، و«الدر المنثور» للسيوطي

(١ / ١٤٤)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٥) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (١ / ٥٧٩

- ٥٨٦) عن قتادة ومجاهد وابن زيد وأبي العالية.

(٧) في النسخ الخطية: «ابن مجاهد»، ولكن على كلمة (ابن) علامة إلغاء في (ن)، وهو الصواب.

وبحمدك، ربِّ إني ظلمتُ نفسي فتُبْ عليَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ^(١).

﴿فَنَابَ عَلَيْهِ﴾: فعاد عليه بالرحمة، وأصله الرجوع، والتَّوبَةُ من العبد: رجوع وإقلاع عن الذَّنْبِ، ومن الله: قَبُولٌ ورحمةٌ.

﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾: الكثيرُ القبولِ لتوبة العبد، وقيل: المعينُ عليها.

﴿الرَّحِيمُ﴾: المتجاوزُ عن العبدِ برحمته.

وترك ذَكَرَ حَوَاءَ؛ لكونها تَبَعًا له، أو اكتفاءً بذكرِ أحدهما عن الآخر، كقوله:

﴿أَنْفَضُوا إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١]^(٢)، وقوله: ﴿أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ [التوبة: ٦٢]^(٣).

(٣٨) - ﴿قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ كرَّر الأمرَ بالهبوطِ للتأكيد.

وقيل: لأنَّ الأوَّلَ من الجنَّة، والثاني من السَّماء^(٤).

والهبوط: النزول.

المفضَّل: الهبوط: الخروج، ويُستعمل للدُّخول، كقوله: ﴿أَهْبَطُوا مِصْرًا﴾

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٨٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٩١).

(٢) أعاد الضمير على التجارة وحدها اكتفاءً بذكرها عن الله الذي تقدَّم ذكره في الآية.

(٣) أعاد الضمير على اسم الجلالة وحده اكتفاءً بذكره عن الرسول صلوات الله عليه الذي تقدَّم ذكره في الآية.

(٤) ذكر المصنف القولين في «غرائب التفسير» (١/ ١٣٦)، لكنه ذكر هذا أولاً، واقتصر عليه في

«البرهان» (ص: ٧١).

[البقرة: ٦١] ^(١)، وحقيقته: الانتقال من مكانٍ إلى مكانٍ دونَه.

﴿فَأَمَّا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.
والإيمان به، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

الخوف: توقُّع مكروهٍ في المستقبل ^(٢)، وضده الأمان.

والحزن: غلظُ الهَمِّ لفواتٍ ^(٣) المرغوبِ فيه ^(٤) في الماضي والحال ^(٥)، وضدهُ السرورُ.

(٣٩) - ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بهدای ﴿وَكَذَّبُوا﴾ رسلنا ﴿بِآيَاتِنَا﴾ بردَّ آياتنا وتركِ قبولها.
والآياتُ: الكتبُ، وقيل: المعجزاتُ، ويحتملُ الدلالةُ على التوحيدِ من السَّمَاوَاتِ والأرضِ.

﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾: يصحبونها فلا يفارقونها.

﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: دائمون.

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٠٧).

(٢) انظر: «معجم الفروق اللغوية» (ص: ٤٠٤)، و«زاد المسير» (١/ ٥٨).

(٣) في (ن): «لفوت».

(٤) «فيه»: ليس في (ن).

(٥) انظر: «معجم الفروق اللغوية» (ص: ٥٦٠).

(٤٠) - ﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِّ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونِ﴾.

﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ﴾: يا أولاد يعقوب، ﴿أَذْكَرُوا﴾: اشكروا.

وذكرُ النعمة: شكرها، والذكرُ باللسان.

وقيل: لا تغفلوا عنها، وليكن ذلك منكم على ذكرٍ، والذكرُ مضموم: بالقلب.

وقيل: هما لغتان^(١).

﴿نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ قيل: هي من النعمِ العامّةِ على الكافّةِ، من قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨].

وقيل: ﴿عَلَيْكُمْ﴾: على آبائكم من إنجائهم من فرعون وإغراقه، وجعلهم ملوكًا، وإيتائهم ما لم يؤت أحدًا من العالمين، والنعمّةُ على آبائهم نعمةٌ عليهم.

ابن عباسٍ: هو ما استودعوه من التّوراة، وفيها صفةُ محمدٍ ﷺ ونعتهُ وبعثتهُ^(٢).

﴿وَأَوْفُوا﴾: أدّوه وافيًا تامًّا، والوفاءُ: تمامُ الشّيءِ، (وفى) و(وفى) و(أوفى) لغاتٌ كلّها^(٣).

﴿بِعَهْدِي﴾ ما عهدتهُ إليكم ولزمكم^(٤) الوفاءُ به من قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ

(١) انظر: «تصحيح الفصحح» لابن درستويه (ص: ٣٤١)، و«تهذيب اللغة» (٩٤ / ١٠) مادة (ذك ر).

(٢) في (ن): «وبعثه». ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٤٧ / ١)، وابن الجوزي في «زاد المسير»

(٥٩ / ١).

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» (٤٢٠ / ١٥) مادة (وف ي).

(٤) في (ن): «إليهم ولزمهم».

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْفُرُ بِهِمْ ﴿ [آل عمران: ١٨٧]، ومن قوله: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] الآية.

﴿ أَوْفٍ بِمَهْدِكُمْ ﴾: من الإعزاز في الدنيا، والثواب في العقبى.

وسمي الثاني عهداً؛ لأنه جزاء وفاء العهد^(١).

﴿ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونِ ﴾: خافون، والرّهبة: الخوف.

و﴿ وَإِنِّي ﴾ منصوبٌ بفعلٍ مُضْمَرٍ دَلَّ عليه ما بعده، وتقديره: وإيائي فارهبوا فارهبوني، وحذف الأول؛ لأنَّ الثاني يدلُّ عليه.

وقيل: تقديره: فارهبوني فارهبوني، فحذف الفعل الأول، وجعل الضمير المتصل^(٢) منفصلاً.

وحذف الياء^(٣) للفاصلة، والفواصل للآي كالتقوافي للشعر.

(٤١) - ﴿ وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرِينَ وَلَا تَشْرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَأَنْقُونِ ﴾.

﴿ وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ ﴾؛ يعني: القرآن ﴿ مُصَدِّقًا ﴾: موافقاً ﴿ لِمَا مَعَكُمْ ﴾: ما في التوراة من التوحيد والعبادة.

وقيل: ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ أن التوراة من عند الله.

وقيل: لما فيها من ذكرٍ محمَّدٍ ﷺ والقرآن.

(١) «من الإعزاز في الدنيا والثواب في العقبى وسمي الثاني عهداً لأنه جزاء وفاء العهد» من (ن).

(٢) أي: من الفعل الأول.

(٣) أي: من الفعل الثاني.

﴿وَلَا تَكُونُوا أَوْلَ كَافِرِيهِ﴾؛ أي: من اليهود، فتكونوا أئمةً في الضلالة.
 ووحد كافرًا^(١)؛ قال الفراء: لأنَّ التَّقْدِيرَ أَوْلَ مَنْ يَكْفُرُ بِهِ، فوحد على لفظ (مَنْ)^(٢).
 الأخفش: أَوْلَ فَرِيقٍ كَافِرٍ بِهِ^(٣).
 وقوله: ﴿بِهِ﴾ يعود إلى (ما أنزلت)، وهو القرآن.
 وقيل: إلى مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٤).
 الزَّجَّاجُ: إلى ما معكم؛ يعني: التَّوراة؛ لأنَّكم إذا لم تؤمنوا بمُحَمَّدٍ ﷺ والقرآن
 وقد أمرتم بذلك في التَّوراة، فقد كفرتم بكتابكم^(٥).
 ﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾: تستبدلوا ﴿بِأَيْتِي﴾: بتغييرها وتحريفها.
 وذلك أن اليهودَ غيَّروا أحكامَ التَّوراة، فحرَّفوا معناها، وفسَّروا على خلافِ
 مقتضاها، وغيَّروا صفةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وأخذوا عليه الرُّشى من كبرائهم.
 وقال أبو العالية: هو ما أخذوا على تعليمها؛ لأنَّ في التَّوراة: ابنَ آدمَ علَّمَ مجانًا
 كما علَّمَتَ مجانًا^(٦).
 ﴿ثُمَّ نَأْتِيهِ﴾: عوضًا، والثمنُ: البَدْلُ في المدفوعِ من العَيْنِ والوَرِقِ^(٧).

(١) في (ن): «الكافر».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١ / ٣٢).

(٣) نقل الزَّجَّاجُ والنَّحَّاسُ عن الأخفش مثل قول الفراء، ونقل هذا القول عن بعض البصريين. انظر:

«معاني القرآن» للزَّجَّاجِ (١ / ١٢٣)، و«إعراب القرآن» للنَّحَّاسِ (١ / ٤٩).

(٤) ذكره الماوردي عن أبي العالية. انظر: «تفسير الماوردي» (١ / ١١٢).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزَّجَّاجِ (١ / ١٢٣).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١ / ٦٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ٩٧).

(٧) العَيْنُ: الذهب، والوَرِقُ: الدراهم المضروبة. انظر: «جمهرة اللغة» (٢ / ٩٥٥)، و«مختار الصحاح»

(ص: ٣٣٦)، و«معجم الفروق اللغوية» (ص: ١٥٠).

والباء دخل في (آياتي)، ومحله الثمن، كقوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [يوسف: ٢٠]، و: اشتريتُ بدينارٍ.

قال الفراء: العروضُ يصلحُ فيها دخولُ الباءِ على كلِّ واحدٍ من المتاعين، وإن كان يدخل الباءُ الدينارَ والدرهم^(١).

وقيل: لأنَّ معناه: لا تتوصلوا بها إلى دنياكم.

وقال أبو علي: تقديره حيث وقع^(٢): لا تشتروا بآياتي ذا ثمن، قال: لأنَّ الثمنَ لا يُشترى، وإنما يُشترى المبيع^(٣).

قلت: الباء تدخلُ في بابِ الشَّرَى الشَّيْءِ المَبذُولِ، ولَمَّا بذلوا الآياتِ دخلها الباء، وهذا مطرَّدٌ.

والقليل: اليسير، وضدهُ الكثير، والدُّنيا عن آخرها قليلةٌ بالإضافة إلى ما يفوتكم.

﴿وَأِنِّي فَأَتَّقُونَ﴾: فخافون.

(٤٢) - ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنْهُوَ الْحَقُّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ﴾.

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ أصل اللبس: التَّغْطِية، تقول: لبستُ الأمرَ البسُّ لبسًا: إذا خلطته وأزلت بيانه، ولبستُ الثوبَ البسه لبسًا: إذا غطيتَ بدنك به.

الزجاج: ﴿الْحَقُّ﴾ هاهنا: أمرُ النبي ﷺ وما أتى به من كتاب الله.

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٠).

(٢) في (و): «حيث ولا» بدل «تقديره حيث وقع لا».

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٣/ ٢٦٦).

﴿بِالْبَاطِلِ﴾؛ أي: بما يحرفون^(١).

ابن جرير: الصّدق بالكذب^(٢).

المفضّل: كانوا يُخبرونَ بأشياءَ ممّا في التّوراة على صحّة، فيثقُ بهم السّائلُ، فإذا جاء ذِكرُ محمّدٍ ﷺ حرّفوه، فهذا لبسُهم الحقّ بالباطل^(٣).

وقيل: صفة محمّدٍ ﷺ بصفة الدّجال.

﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ قيل: هو عطفٌ على النّهي؛ أي: ولا تكتُموا الحقّ،

وقيل: نصب^(٤).

والخطابُ لليهود.

وقيل: للمنافقين، والحقُّ: إظهار الإيمان، والباطل: إبطان الكفر.

﴿وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الحقّ من الباطل.

وقيل: وأنتم علماء، والتّخليطُ منهم أقبح.

(٤٣) - ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَزْكُوا مَعَ الزَّكَاةِ﴾.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: هي المفروضة.

﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾: هي ما يجبُ في الأموال من الصّدقة والزّكاة.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٢٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٠٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ذكر نحوه الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١١٢) دون نسبة.

(٤) ذكر المصنف الوجهين في «غرائب التفسير» (١/ ١٣٧).

وَالزَّكَاةُ فِي اللُّغَةِ: النَّمَاءُ وَالزِّيَادَةُ، وَتَأْدِيَةُ الزَّكَاةِ تَنْمِي الْمَالَ.
وَتَأْتِي الزَّكَاةُ وَالزَّكَاءُ بِمَعْنَى الطَّهَارَةِ، وَتَأْدِيَةُ الزَّكَاةِ تَطَهَّرُ الْأَمْوَالَ مِنَ الْحَرَامِ،
وَأَرْبَابَهَا مِنَ الْآثَامِ.

﴿وَأَزْكُوا مَعَ الزَّكِيَيْنِ﴾: اخضعوا.

وَالرُّكُوعُ: الْخُضُوعُ، وَقَالَ الْأَضْبَطُ السَّعْدِيُّ:

وَلَا تُذِلُّ الضَّعِيفَ عَلَّكَ أَنْ تَرَكَعَ يَوْمًا وَالذَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ^(١)

وقيل: هو الرُّكُوعُ فِي الصَّلَاةِ، وَكَانَتْ صَلَاةُ الْيَهُودِ بغيرِ رُكُوعٍ.

وقيل: أَرَادَ الصَّلَاةَ فِي الْجَمَاعَةِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿مَعَ الزَّكِيَيْنِ﴾، فَعَبَّرَ بِالرُّكُوعِ عَنِ

جَمِيعِ الصَّلَاةِ.

وقيل: كُونُوا مِنْهُمْ وَفِيهِمْ.

(٤٤) - ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي يَهُودِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ،

كَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ^(٢) يَقُولُ لِصَهْرِهِ وَلِذَوِي قَرَابَتِهِ وَلِمَنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ رِضَاعٌ مِنْ

الْمُسْلِمِينَ: أَثَبَتَ عَلَى الدِّينِ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ، وَمَا يَأْمُرُكَ بِهِ هَذَا الرَّجُلُ - يَعْنُونَ

(١) الْبَيْتُ لِلأَضْبَطِ بْنِ قُرَيْعِ السَّعْدِيِّ، كَمَا فِي «الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ» لِلْجَاهِظِ (٣/ ٢٢٣)، وَ«الشُّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ»

لِابْنِ قَتَيْبَةَ (١/ ٣٧١)، وَفِي «الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ»: «لَا تَحْقِرَنَّ الْفَقِيرَ»، وَفِي «الشُّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ»: «لَا تَهِينِ

الْفَقِيرَ»، وَفِيهِ: «تَخْشَعُ» بِدَلِّ «تَرَكَعَ».

(٢) «مِنْهُمْ» مِنْ (ن).

مَحَمَّدًا ﷺ - فَإِنَّ أَمْرَهُ حَقٌّ، وَكَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِذَلِكَ، وَلَا يَفْعَلُونَهُ^(١).
وَالْبِرُّ عَلَى هَذَا: الْإِيمَانُ وَالِدِّينُ.

وقيل: البرُّ: الصدق؛ أي: تأمرون الناس بالصدق وتكذبون؟

وقيل: البرُّ: العطفُ والصدقة؛ أي: تأمرون الناس بالصدقة وتبخلون؟
والبرُّ: الصَّلَةُ^(٢).

وفي ذلك كله: بَرَزْتُ أَبْرَبْرًا، فَأَنَا بَارٌّ وَبِرٌّ.

﴿وَنَسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ﴾: تتركونها، ولا تأمرونها به.

وَالنِّسْيَانُ: التَّرْكَ.

﴿وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾: تقرأون التوراة، وأصل التلاوة: التَّبْعُ.

وفيها الحثُّ على البرِّ المذكورِ.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ وليس من قضيَّةِ العقلِ أن تأمرَ بالمعروفِ ولا تأتيه.

والعقل: نقيضُ الحُمقِ، وقيل: ضدُّ الجهلِ، وأصله الشَّدُّ؛ لأنَّه يشدُّ على

المعنى الذي يفهمه في قلبه.

(٤٥) - ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾.

﴿وَأَسْتَعِينُوا﴾ هذه الآية متصلة بما قبلها في خطاب اليهود؛ أي: استعينوا على

أداء ما فرضت عليكم من الوفاء بالعهد والانتها عن الكفر واللبس.

(١) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٤)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (١/ ٦١٤).

(٢) في (ن) «الدين والصدق والصدقة» بدل «الصلة».

﴿بِالصَّبْرِ﴾: وهو حبسُ النَّفْسِ عَمَّا تَنَازَعِ إِلَيْهِ.

وقيل: الصَّبْرُ هَاهُنَا: الصَّوْمُ.

﴿وَالصَّلَاةُ﴾: الصَّلَاةُ: الدُّعَاءُ.

وقيل: هي ذات الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ.

وعن ابن عَبَّاسٍ: ﴿بِالصَّبْرِ﴾ عَلَى أَدَاءِ الْفَرَائِضِ، ﴿وَالصَّلَاةُ﴾ عَلَى تَمَحِيصِ الذُّنُوبِ^(١).

وقيل: ﴿بِالصَّبْرِ﴾ عَنِ الْمَعَاصِي، ﴿وَالصَّلَاةُ﴾ عَلَى تَكْثِيرِ الطَّاعَاتِ.

﴿وَأَنَّهَا﴾: قِيلَ: الصَّلَاةُ.

وقيل: أَرَادَ: وَأَنَّهِنَّ، فَكَتَفَى بِأَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ^(٢).

وقيل: وَإِنَّ الْإِسْتِعَانَةَ.

وقيل: وَإِنَّ إِجَابَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وقيل: وَإِنَّ هَذِهِ الْمَوْعِظَةَ.

﴿لِكَبِيرَةٍ﴾: لِثَقِيلَةٍ ﴿الْأَعْلَى الْخَشِيعِينَ﴾: الْمَتَوَاضِعِينَ.

وَالْخَشِيعَةُ: التَّوَاضِعُ، وَقِيلَ: الْخَشِيعُ فِي الصَّوْتِ وَالْبَصْرِ فَحَسَبَ.

(١) انظر: «تنوير المقباس» للفيروزآبادي (ص: ٨)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٤٩) بلا نسبة، وذكره الواحدي في «البيسط» (٣/ ٤٢٢) عن مقاتل.

(٢) أي: وإن الصبر والصلاة، فاكتمى بضمير أحدهما عن الآخر، ولعل في عبارة المصنف هنا اجتزاءً، فقد قال في «غرائب التفسير» (١/ ١٣٧): (وقيل: للصبر والصلاة، ونزلاً منزلة الجمع ما لم يلتبس قياساً على باب ﴿صَعَتَ قُلُوبُكُمْ﴾. وقيل: تقديره: واستعينوا بالصبر وإنه لكبير، واستعينوا بالصلاة وإنها لكبيرة، فاكتمى بذكر أحدهما).

(٤٦) - ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ .

﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ : يتيقنون .

وأصل الظنُّ: وقوع معنى في النفس قبل تحقيقه أو تزييفه، فيستعمل مرّةً للتحقيق فيكون اليقين، ويستعمل مرّةً للتزييف فيكون الكذب والباطل، كقوله: ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَعْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٨].

﴿أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ﴾؛ أي: إنهم يرون الله تعالى، من (اللقاء)، وقيل: يرون

الثواب .

﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ : مبعوثون ومحاسبون بعد الموت، كما كانوا في بدء

الخلق، لا يملكون ضرراً ولا نفعاً .

وقيل: ﴿يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ﴾ بذنوبهم؛ إشفاقاً من المعاصي .

وقيل: أنهم ميتون .

(٤٧) - ﴿يَبْنَئِ إِسْرَاءَ بِلِ أَدْكُرُوا نَعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ .

﴿يَبْنَئِ إِسْرَاءَ بِلِ أَدْكُرُوا نَعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: اذكروها مرّةً بعد أخرى .

﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾ : أعطيتكم الزيادة، من قوله: ﴿إِذْ جَعَلْنَا فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾ [المائدة: ٢٠]

الآية . وأصل الفضل: الزيادة .

﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ يريد: عالمي زمانهم بإجماع^(١) المفسرين .

(١) في (ن): «بإجماع من» .

(٤٨) - ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ أي: يوم الحشر والنَّشْرِ، وهو مفعول به.

﴿لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ المفضل: ﴿لَا تَجْرَى﴾: لا تقضي^(١)، يُقال: جَزَى دينه: قضاها، وَتَجَارَى دينه: تقاضاه، ويُقال: جَزَى عنه حَقُّه؛ إذا قضى عنه غيره حَقَّهُ. ويُقال: ﴿لَا تَجْرَى﴾: لا تنوب، من قولهم: جَزَى عمرو عن زيد؛ إذا ناب عنه، فيكون ﴿شَيْئًا﴾ نُصِبَ عَلَى المصدر^(٢).

والتقدير: يومًا لا تجزي فيه، فحذف الضمير بعد حذف الجار.

﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾؛ أي: لم يأذن الله في الشفاعة للكفار.

وقيل: ليس لها شفاعَةٌ، فيكون لها قبولٌ.

والشفاعة من (الشفع) الذي ضده الوتر؛ لأنَّ الشفيع ينضمُّ إلى الطالب^(٣) في تحصيل ما يطلبه.

﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ المفضل: لا يُؤْخَذُ من الرَّجُلِ رَجُلٌ مكانه غيره فداءً^(٤)، وأصل العدل: المساواة.

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١ / ١١٧) عن المفضل، وذكره الطبري في «تفسيره» (١ / ٦٣٦) بلا نسبة.

(٢) لأن الفعل على هذا المعنى لازم، أما الفعل على المعنى الأول فمتعد، و(شيتاً) مفعول به. (٣) في (و): «طالب».

(٤) لو قال: رجلٌ غيره مكانه، لكان أولى، وقد فسّر العدل بالفداء كثيرين، فقد رواه الطبري في «تفسيره» (١ / ٦٣٨) عن أبي العالية وابن زيد، وانظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١ / ١٠٣)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١ / ٥٣)، و«تفسير السمرقندي» (١ / ٥٠)، و«تفسير الثعلبي» (١ / ١٩٠).

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: يُمنعون من عذابِ الله.

والنَّصْرُ: هو سائرُ أسبابِ الخلاصِ.

أبو عليٍّ في «الحجّة»: قبولُ الشّيءِ: تلقّيه والأخذُ به، خلافُ الإعراضِ عنه، ومنه: قبالةُ الشّيءِ^(١).

والنَّصْرُ: عونُ المظلومِ، والنَّصْرَةُ: أحسنُ المعونة.

«الحجّة»: يجوزُ أن تكونَ خطاباً لليهود حيث قالوا: يشفعُ لنا أبأؤنا^(٢).

(٤٩) - ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَدَّبْحُونَ أَبْنَاءَكُمْ

وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: خلَّصناكم منهم^(٣)، والإنجاءُ: التَّخْلِيصُ،

وكذلك التَّنْجِيَةُ، وأصله من (النَّجْوَةِ)^(٤)؛ أي: صيرناكم إليها؛ لأنَّ من صار إليها تباعدَ عن مؤذياتِ وجهِ الأرض.

﴿وآلِ فِرْعَوْنَ﴾ قيل: أهل بيته، وقيل: مياسره^(٥)، وقيل: أهل دينه.

وأصله: أهل، قُلِبَ الهاءُ همزةً، ثم قُلِبَتْ ألفاً، تقولُ في تصغيره: أهيل.

(١) انظر: «الحجّة» لأبي علي الفارسي (٢ / ٤٦).

(٢) المصدر السابق، الموضع نفسه.

(٣) في (و): «منه».

(٤) هي الربوة المشرفة المرتفعة. انظر: «التفنية في اللغة» للبندنجي (ص: ٦٨٤)، و«جمهرة اللغة»

لابن دريد (١ / ٤٩٧) مادة (ن ج و).

(٥) كتب فوقها في (ن): «أغنياؤه».

وهو اسمٌ فيه فخامةٌ، يُستعملُ للأكابرِ.

وقيل: اشتقاقه من (آل يؤول)، وآل الرجلِ من يؤولُ إليه، وتصغيره على هذا: أويل.

وفرعون^(١): اسمٌ يُستعملُ للعظيم من العمالقة كقيصر وكسرى، واسمُه فيما أورده المفسرون: وليد بن مصعب^(٢).

﴿سُؤْمُونَكُمْ﴾: يُولونكم أشدَّ العذابِ.

المفصل: أي: يزيدونكم على ذلك، قال: ومنه مساومةُ البيع^(٣)، قال:

إِذَا مَا الْمَلِكُ سَامَ النَّاسَ خَسْفًا أَبِينَا أَنْ نُقِرَّ الْحَسْفَ فِينَا^(٤)

ابن عيسى: يرفعون عذابكم إلى أشدِّه، قال^(٥): وأصلُ السَّومِ: الارتفاعُ في المرعى.

﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾: أشدُّه، والسُّوءُ: اسمٌ جامعٌ للآفاتِ، ثم فسَّرَ، فقال:

﴿يَذِبْحُونَ أَبْنَاءَ كُمْ﴾: يقتلونهم بقرى الأوداج، وأصله الشَّقُّ.

(١) «قيل أهل بيته وقيل مياسره، وقيل أهل دينه وأصله أهل قلب الهاء همزة ثم قلبت ألفاً تقول في تصغيره أهيل وهو اسم فيه فخامة يستعمل للأكابر وقيل اشتقاقه من آل يؤول وآل الرجل من يؤول إليه وتصغيره على هذا أويل وفرعون» من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١ / ٦٤٢)، وابن أبي حاتم «في تفسيره» (٩ / ٢٩٤٤)، عن محمد بن إسحاق.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١ / ١١٨).

(٤) البيت لعمرو بن كلثوم من معلقته. انظر: «ديوانه» (ص: ٣٤٩)، و«جمهرة أشعار العرب» للقرشي (ص: ٢٧٢).

(٥) «قال» من (ن).

﴿وَسْتَخِيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾: يستبقونهنَّ للخدمة والنكاح على وجه الاسترقاق.

وقيل: ليتوجَّعن^(١) على الأبناء.

واستحيى: استفعل من الحياة.

وذكر أفضى القضاة وجهين آخرين: من (الحياة) و(الحياء)^(٢)، وكلاهما بعيدٌ.

والنساء جمعٌ، واحدها: المرأة.

وقيل: المرادُ بهنَّ هنا: البناتُ والأطفال، من تسمية الشيء بما يؤوُلُ إليه.

وقيل: بل اللَّفْظُ يشتملُ عليهنَّ.

﴿وَفِي ذَلِكُمْ﴾ قيل: إشارة إلى التنجية، وقيل: إلى السَّوم، وما فسَّرَ به.

﴿بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾: اختبارٌ، يُستعملُ للخيرِ والشرِّ، قال الله تعالى:

﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقال: ﴿وَلِيَسْبِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنهُ بَلَاءٌ حَسَنًا﴾

[الأنفال: ١٧].

(١) في (ن): «استوجعن».

(٢) ذكر أفضى القضاة الماوردي المعنى المشهور، وهو أن (يستحيون) بمعنى يستبقون، وهي من (الحياة)، ولم أقف في «تفسيره» على أنها من (الحياء)، أما الماتريدي فذكر المعنى المشهور، لكنه جعله من (الإحياء)، وذكر معنى ثانياً من (الحياء)، وهو أنهم استحيوا من قتل النساء، وقد ذكر المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ١٣٨) المعنى المشهور، وذكر وجهين على اعتبار الكلمة من (الحياء):

الأول: أنهم لا يتعرضون للخنا صيانةً للنساء، وهو من الحياء المحمود، لكنه مستبعد.

الثاني: أنهم كانوا يفتشون أحياء النساء عما في بطونهنَّ من الجنين، وعما يلدن من الأولاد؛

فالاستحياء هو طلب الحياء، وهو الفرج.

(٥٠) - ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾.

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾: أصل الفَرْقِ: الفصل، تقول: فَرَقْتُ بَيْنَ الْمَعْنَيْنِ فَافْتَرَقَ، وَفَرَقْتُ بَيْنَ الْجَيْتَيْنِ فَتَفَرَّقَ^(١)، وَالْفِرْقُ: الْبَعْضُ مِنَ الْمَتَفَرِّقِ.

وَمَعْنَى ﴿فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾: جَعَلْنَا اثْنَيْ عَشَرَ فِرْقًا بِسَبِيحِكُمْ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْبَاءُ لِلْحَالِ؛ أَي: فَرَقْنَا الْبَحْرَ وَكْتَمْنَا فِيهِ^(٢).

وَالْبَحْرُ: الْمَتَّسِعُ مِنَ الْأَرْضِ، مَشْتَقٌّ مِنْ (بَحْرْتُهُ)؛ أَي: شَقَّقْتُهُ^(٣).

﴿فَأَنْجَيْنَاكُمْ﴾: خَلَّصْنَاكُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ.

﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾: أَهْلَكْنَا هُمْ بِالْمَاءِ.

وَالْمَرَادُ: فِرْعَوْنَ وَآلَهُ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ﴿آلَ فِرْعَوْنَ﴾ شَخْصَهُ؛ فَقَدْ رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ:

(اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ مُحَمَّدٍ؛ أَي: شَخْصَهُ)^(٤)،.....

(١) ظاهر كلام ابن سيده والزيدي أن (فَرَقَ) و(فَرَّقَ) لغتان، ومن اللغويين من خصَّصَ كلاً منهما بمعنى؛ فذكر ابن سيده أن (فَرَّقَ) فرقا للصلاح و(فَرَّقَ) تفريقاً للإفساد، وذكر المصنِّف أن (فَرَّقَ) للكلام و(فَرَّقَ) للأجسام، انظر: «معجم الفروق اللغوية» للعسكري (ص: ٤٠٢)، و«المحكم» (٦/ ٣٨٣)، و«تاج العروس» (٢٦/ ٢٧٩) مادة (ف ر ق).

(٢) في النسخ الخطية «فيها»، والتصويب من «غرائب التفسير» (١/ ١٣٩).

(٣) ذهب إلى هذا الأزهري، وذهب ابن فارس إلى أن أصل معناه الاتساع. انظر: «الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي» للأزهري (ص: ١٧٣)، و«تهذيب اللغة» (٥/ ٢٥) مادة (ب ح ر)، و«مقاييس اللغة» (١/ ٢٠١) مادة (ب ح ر).

(٤) ذكره ابن بطال في «شرح صحيح البخاري» (١٠/ ٢٧٧)، وأبو العباس القرطبي في «المفهم»

(٢/ ٤٠)، وابن المنير في «المتواري على أبواب البخاري» (ص: ٣٢٤)، والبيضاوي في =

واقْتَصَرَ عَلَى ذِكْرِ فِرْعَوْنَ، وَالْمِرَادُ: فِرْعَوْنٌ وَأَتْبَاعُهُ.

﴿وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾ إِلَى انْطِبَاقِ الْبَحْرِ عَلَيْهِمْ بَعْدَ خُرُوجِكُمْ مِنْهُ.

قَالَ الْفَرَّاءُ: وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ؛ لِأَنَّكُمْ كَانُوا فِي شُغْلٍ^(١) عَنْ مَعَايِنَةِ مَا يَجْرِي عَلَيْهِ^(٢).

(٥١) - ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾.

﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾: (موسى) عِنْدَ الْمَفْسَّرِينَ عِبْرَانِيٌّ مَرْكَبٌ مِنْ

(مو) و(شا)؛ أَي: مَاءٌ وَشَجَرٌ؛ لِأَنَّهُ وُجِدَ عِنْدَهُمَا^(٣).

«الْحِجَّةُ»: وَعَدْنَا تَتَمَّةً أَرْبَعِينَ، فَحُذِفَ الْمُضَافُ^(٤).

وَقِيلَ: وَعَدْنَا إِقَامَةَ أَرْبَعِينَ.

= «تفسيره» (١/ ٣٢٢) وغيرهم.

وَقَدْ رَوَى أَبُو إِسْحَاقَ الْأَزْدِيُّ فِي «فَضْلِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ» (ص: ٦٥): عَنِ الْحَسَنِ

قَالَ: (لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

[الأحزاب: ٥٦] قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا السَّلَامُ قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ هُوَ، فَكَيْفَ تَأْمُرُنَا أَنْ نَصَلِّيَ عَلَيْكَ؟

قَالَ: «تَقُولُونَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَبِرَكَاتِكَ عَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا جَعَلْتَهَا عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ؛

إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ».

(١) فِي (و): «شَكَ».

(٢) فِي (ن): «عَلَيْهِمْ». انْظُرْ: «مَعَانِي الْقُرْآنِ» لِلْفَرَّاءِ (١/ ٣٦).

(٣) ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١/ ٦٦٥)، وَالْمَاوَرِدِيُّ فِي «النُّكْتِ وَالْعَيُونِ» (١/ ١٢٠)، وَالسَّمِينِ

الْحَلْبِيِّ فِي «الدَّرِّ الْمَصُونِ» (١/ ٣٥٤)، وَالسِّيُوطِيُّ فِي «الدَّرِّ الْمَشْتُورِ» (٣/ ٥٠٩)، وَقَدْ ذَكَرَ هَؤُلَاءِ

الْمَفْسَّرُونَ أَنَّ اسْمَ (مُوسَى) مَعْنَاهُ الْمَاءُ وَالشَّجَرُ فِي لُغَةِ الْقِبْطِ.

(٤) انْظُرْ: «الْحِجَّةُ» لِأَبِي عَلِيٍّ (٢/ ٦٥).

والمعنى: واعدنا موسى أن نكلّم معه أو نوحى إليه عند انقضاء أربعين ليلةً.
وقيل: ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ ظرفٌ للوعد^(١)؛ أي: كُنّا نعدّه كلّ ليلةٍ منها أن نوحى إليه.
وذكر اللّيلة، والمراد: اللّيل والنّهار؛ لأنّ أوّل الشّهر ليلة الهلال، ولهذا يؤرّخ
بالليالي.

ومَن جعل ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ ظرفاً، فالمرادُ عنده: اللّيلُ دون النّهار.
واللّيل: عبارةٌ عن امتدادِ الظلّمة العامّة، وقيل: اللّيلُ: عبارةٌ عن وقتِ غروبِ
الشمسِ إلى طلوعها.
والجمهورُ على أنّه كان ذا القعدة وعشرًا من ذي الحجّة، وقيل: كان ذا الحجّة
وعشرًا من المحرم.

وقرئ: ﴿وعدنا﴾ و﴿وعدنا﴾^(٢).

وجهُ (وعد) ظاهرٌ، ووجهُ (واعد) أنّ قَبولَ موسى الوعدَ وإنجازَه به وعدٌ،
ولا يمتنعُ أيضًا أن يكونَ من موسى وعدٌ، فيكون ﴿وعدنا﴾ على أصلِ الوضع^(٣)،
ويحتملُ أن يكونَ من بابِ: عافاه الله، وطارقتُ النعل^(٤).

﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعَجَلَ﴾: الاتّخاذُ: ابتداءُ عملِ الشّيءِ، وهو على وجهين:

(١) «ظرف للوعد» من (ن).

(٢) في (و): «وأوعدنا». وقد قرأ أبو عمرو بغير ألف: ﴿وعدنا﴾، وقرأ باقي السبعة: ﴿وعدنا﴾. انظر:
«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٣).

(٣) أي: دالًّا على المشاركة بين اثنين مثل: قاتل.

(٤) أي: أن وزن (فاعِل) قد يُطلق ولا يدلُّ على مشاركة، بل يُراد به واحد، فهو بمعنى (فَعَل) نحو:
سافرتُ، وطارقتُ النعل، وعافاه الله.

- اتَّخَذَ صِنْعَةً، وهو يتعدى إلى مفعولٍ واحدٍ، نحو: اتَّخَذْتُ آتِيَةً؛ أي: صنعْتُها.
- اتَّخَذَ وَصْفٍ، نحو: اتَّخَذْتُ زَيْدًا أَمِينًا، وَعَمْرًا وَكَيْلًا.

والآية تحتَمِلُ الوجهين:

الوجهُ الأوَّلُ معناه: ثم صنعْتُم عَجَلًا بعدَ انطِلاقِ موسى لموعدِ رَبِّهِ، وذلك أنَّ السَّامِرِيَّ كان صائغًا، وكان مع القومِ شيءٌ من حُلِيِّ القِبطِ، فأمرهم بِالقائه، وألقى ما كان معه، واتَّخَذَ منه شكْلَ عَجَلٍ، وهو ولدُ البقرة، وكان معه قبضةٌ من ترابِ أثرِ حافرِ فرسِ جبريلَ، فنبذَها مع الحُلِيِّ، فصارَ عَجَلًا من لحمٍ ودمٍ يخورُ^(١).

وقيل: لم يَصِرْ عَجَلًا، بل بقيَ على شكلِ العجلِ، فخارَ بِمَخْرَقَةٍ^(٢) اخترَقَها^(٣) السَّامِرِيُّ.

والوجه الثاني: اتَّخَذْتُم العجلَ الذي صنعَه السَّامِرِيُّ معبودًا وإلهًا.

(١) نقل الرازي في «التفسير الكبير» (٢٢/ ٩٥) عن أبي مسلم الأصفهاني وجهًا آخر، قال: «ليس في القرآن تصريح بهذا الذي ذكره المفسرون، فها هنا وجه آخر، وهو أن يكون المراد بالرسول: موسى عليه السلام، وبأثره: سنته ورسمه الذي أمر به، فقد يقول الرجل: فلان يقفو أثر فلان ويقبض أثره؛ إذا كان يمثل رسمه، والتقدير: أن موسى عليه السلام لما أقبل على السامري باللوم والمسألة عن الأمر الذي دعاه إلى إضلال القوم في باب العجل، فقال: بصرت بما لم يبصروا به؛ أي: عرفت أن الذي أتمت عليه ليس بحق، وقد كنت قبضت قبضة من أترك أيها الرسول؛ أي: شيئاً من سنتك ودينك، فقذفته؛ أي: طرحته، فعند ذلك أعلمه موسى عليه السلام بما له من العذاب في الدنيا والآخرة»، وقد أيده الرازي لوجهه.

(٢) أي: بحيلة احتالها السامري، والمخرقة: إظهار الخرق توضحاً إلى حيلة، وهي كلمة مولدة. انظر:

«الصحاح» (٤/ ١٤٦٨)، و«المفردات» للراغب الأصفهاني (ص: ٢٨٠).

(٣) الفعل الذي ذكره المصنف موافق للجوهري والراغب الذين عدّا الميم زائدة، أما الزبيدي فذكر أنَّ

الفعل منها (مخرق). انظر: «تاج العروس» للزبيدي (٢٦/ ٣٨٠) مادة (مخرق).

وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾؛ أي: من بعد انطلاقه إلى الطُّور.

﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾؛ أي: أنتم واضعون العبادة غير موضعها.

وقيل: ضارون أنفسكم.

قال أبو العالية: سمي ما اتخذ السامريُّ عجلًا لأنهم عجلوا فاتخذوه إلهًا^(١).

(٥٢) - ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾: محونا ذنوبكم ولم نعاقبكم عليها.

وعفا الشيءُ: درس أثره، لازمٌ ومتعدُّ.

﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: من بعد اتِّخاذِ العجلِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: لكي تشكروا^(٢).

والشُّكرُ: الاعترافُ بالنعمةِ والثناءُ على المنعمِ.

(٥٣) - ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾؛ أي: التَّوراة.

﴿وَالْفُرْقَانَ﴾ قيل: هو التَّوراةُ أيضًا؛ لقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ

وَضِيَاءً وَذِكْرًا﴾ [الأنبياء: ٤٨]، فعطفَ عليه لاختلافِ اللَّفْظَيْنِ، قال:

أَلَا حَبْدًا هِنْدُ وَأَرْضٌ بِهَا هِنْدُ وَهِنْدُ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبُعْدُ^(٣)

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٠٨)، وذكره المصنف

في «غرائب التفسير» (١/ ١٤٠).

(٢) تقدم الكلام على مثل هذا في تفسير قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَنْفَعُونَ﴾.

(٣) البيت للحطيئة، كما في «ديوانه» (ص: ١٤٠). والشاهد فيه: عطف (البعد) على (النأي) ومعناها واحد.

وقيل: الفرقُ بينَ الحقِّ والباطلِ.

وقيل: انفراقُ البحرِ.

وقيل: المَخْلُصُ من عذابِ فرعونَ.

الفراء والمفضل: وإذ آتينا موسى الكتابَ ومحمدًا الفرقانَ، واكتفى بذكرِ كتابهِ

عنه^(١).

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: لكي تهتدوا^(٢).

سيبويه: لتكونوا على رجاء الهداية^(٣).

(٥٤) - ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَلْقَوْنِي بِقَوْمٍ يَكْفُرُونَ إِنَّكُمْ أَنْفُسَكُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَلْقَوْنِي بِقَوْمٍ يَكْفُرُونَ إِنَّكُمْ أَنْفُسَكُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٧)، ونقله الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٩٧)، والواحدي في «البيضا» (٢/ ٥٢٧) عن قطرب، وقد أنكره النحاس في «إعراب القرآن» (١/ ٥٣) فقال: (هذا خطأ في الإعراب والمعنى، أما الإعراب فإنَّ المعطوفَ على الشيء مثله، وعلى هذا القول يكون المعطوفُ على الشيء خلافه، وأما المعنى فقد قال فيه جَلَّ وعزَّ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ [الأنبياء: ٤٨].

(٢) ذكر هذا الطبري وابن فارس. انظر: «تفسير الطبري» (١٠/ ٥٠٠)، و«الصاحبي في فقه اللغة» لابن فارس (ص: ١٢٤)، وقد تقدم الكلام على مثل هذا في تفسير قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

(٣) هذا لازم قوله؛ لأنه جعل (لعل) للطمع والإشفاق، كما نبهنا عليه سابقاً، وإلا فليس في «كتابه» كلام على هذه الآية. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٩٨)، و«البيضا» للواحدي (٢/ ٢٢٠)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ١٠٥).

بَارِيكُمْ ﴿: خَالِقِكُمْ، بَرَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ يَبْرُؤُهُ بُرَأً، فَهُوَ بَارِيٌّ، وَالْبَرِيَّةُ مِنْ هَذَا الْخَلْقِ.

﴿فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾؛ أَي: لِيَقْتُلَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا^(١).

قِيلَ: الْقَتْلَةُ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا اخْتَارَهُمْ مُوسَى، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾

[الأعراف: ١٥٥] الآية^(٢).

وقيل: هم الذين اعتزلوا منهم مع هارون، وكانوا اثني عشر ألفاً.

وقيل: قتلوا أنفسهم بأيديهم، وفيه بُعدٌ.

﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾؛ أَي: التَّوْبَةُ وَالْقَتْلُ خَيْرٌ لَكُمْ ﴿عِنْدَ بَارِيكُمْ﴾: خَالِقِكُمْ مِنْ

الإقامة على المعصية.

﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أَي: فَعَلْتُمْ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ^(٣)، فَتَابَ عَلَيْكُمْ.

وقيل: فیتوبُ عليكم.

وذلك أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام: قل لبني إسرائيل: إن توبتكم

أن تقتلوا أنفسكم، فاصطفوا صفيين، ثم ليقتل بعضكم بعضاً، ففعلوا، وأقبل بعضهم

يقتل بعضاً، لا يحتشم الأب ابنه، ولا الابن أباه، من غدوة إلى العشي، ثم أوحى الله

إلى موسى أن قد قبلت توبتهم، فمن قتل فهو شهيد، ومن لم يقتل فقد تبئت عليه

وغفرت له، وكان المقتولون سبعين ألف قتيل.

والقتل: إماتة^(٤) الحركة، ومنه: قتلت الخمر؛ إذا مزجتها بالماء.

(١) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٤٩).

(٢) ذكر الزجاج هذا في «معاني القرآن» (١/١٣٧)، ورأى أن عدم تحديد القتلة أشبهه بالآية.

(٣) «به» من (ن).

(٤) في (ن): «إزالة»، والمثبت موافق لعبارة الماوردي في «تفسيره» (١/١٢٢).

وقيل: أصله من قولك: قتلته؛ أي: أصبتُ قتالَه؛ أي: نفسه^(١)، كما تقول: رأسته وجبهته.

﴿إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ﴾: المتجاوزُ عن ذنبِ العبادِ ﴿الرَّحِيمُ﴾: حيثُ رخصَ في التَّوبَةِ.

(٥٥) - ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تُنظَرُونَ﴾.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾: لن نصدِّقك ﴿حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ ابن عباس: علانية^(٢)، غيره: عياناً لا يستتره شيء.

وأصل الجهر: الظهور والإظهار، تقول: جهزت بالبر؛ إذا نزلت حماتها، و(جهر بالقراءة) و(رجل جهوري الصوت) و(الجوهر) من هذا.

و﴿جَهْرَةً﴾: صفةٌ مصدرٍ محذوفٍ؛ أي: رؤيةً جهرةً.

وقيل: ﴿جَهْرَةً﴾ متصلٌ بالقول؛ أي: قولاً جهروا به^(٣).

﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾: وهي نارٌ جاءت من السماء فأحرقتهم.

الكلبي: إنَّ السَّبْعِينَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ مُوسَى قَالُوا لَهُ: نَحْنُ^(٤) لَمْ نَعْبُدِ الْعَجَلَ كَمَا عَبَدَهُ هَؤُلَاءِ، فَأَرْنَا اللَّهَ جَهْرَةً، فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: سَأَلْتَهُ ذَلِكَ فَأَبَاهُ عَلَيَّ، فَقَالُوا:

(١) «أي نفسه»: ليس في (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٨٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١١١).

(٣) ففي الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: وإذ قلتم جهرةً: يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله.

(٤) «نحن» من (ن).

لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرةً، فبعث الله عليهم صاعقةً، فأحرقتهم، وماتوا^(١).
قال الزّجاج: والدليل على أنّهم ماتوا قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾
[البقرة: ٥٦]^(٢).

وقيل: لم يموتوا، بل صاروا مغشياً عليهم، كقوله: ﴿وَحَرَّمَ سَبْعَ صَعَفًا﴾
[الأعراف: ١٤٣].

والصّحيح هو الأوّل.

﴿وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ﴾: تعلمون.

وقيل: تنظرون إلى أوائل ما كان ينزل^(٣) من الصّاعقة قبل الموت.

(٥٦) - ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾: أعدناكم أحياء؛ لتستوفوا بقیة آجالكم.

والبعث: الإثارة، والبعث: الإرسال أيضاً، وهو منه^(٤)، وأصله: إزالة ما يحبس
عن التصرف.

وقيل: بعثناكم رسلاً.

﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾: غشيتكم.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: نعمة البعث بعد الموت، وقيل: نعمة النبوة.

(١) ذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٢ / ١٤٥)، ومكي في «الهداية» (٤ / ٢٥٧٨).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزّجاج (١ / ١٣٧).

(٣) في (ن) زيادة: «بهم».

(٤) أي: معنى الإرسال من معنى الإثارة.

(٥٧) - ﴿وَضَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

﴿وَضَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾: سترناكم عن الشمس.

والظُّلُّ: فقدانُ ضوءِ الشمسِ من المكان.

والغمامُ: السَّحابُ الرِّقيق، مشتقٌّ من (غممته)؛ أي: سترته.

ابن عباسٍ: الغمامُ غير السَّحاب، بل هو من قوله: ﴿فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾

[البقرة: ٢١٠] (١).

الكلبيُّ: كان الغمامُ يستترهم من الشمس، وكان عمودٌ من نارٍ (٢) ينزل من السماء فيضيءُ لهم بالليل ويسير معهم (٣).

الحسن: لما قطعَ بنو إسرائيلَ البحرَ خرجوا إلى أرضٍ طيِّبةٍ بيضاءَ ليس فيها نباتٌ ولا ماء، فأذتهم الشمسُ بحرَّها، فظللَ اللهُ عليهم الغمامَ، وهو السَّحابُ الأبيض (٤).

وقيل: هذا من قصة التَّيه (٥)، وإنما ذكِرَ هذا القدرُ هاهنا في تعدادِ النِّعمِ عليهم.

﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّانَ﴾: اختلفَ المفسِّرون فيه:

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٠٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٧٢) عن مجاهد.

(٢) في (و): «النار».

(٣) ذكر نحوه «مقاتل بن سليمان» (١/ ١٠٠)، وكذا الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٢٦٢) دون نسبة.

(٤) ذكر ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١١٣) عن الحسن أن التظليل كان في البرية.

(٥) ذكر كثير من المفسرين أن التظليل كان في التيه، وقد رواه الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما

والسدي وابن إسحاق والربيع. انظر: «تفسيره الطبري» (١/ ٧٠٧-٧٠٨) و(٢/ ٦).

ابن عباس: هو شيءٌ يسقطُ على الشَّجرِ فيأكله النَّاسُ^(١).
 قتادة: الطَّرْنَجِينُ^(٢)، قال: وكان ينزلُ كهَيْثَةَ الثَّلْجِ من طُلُوعِ الفَجْرِ إلى طُلُوعِ
 الشَّمْسِ، فيأكله النَّاسُ^(٣).
 السُّدِّيُّ: هو الزَّنَجِيلُ^(٤).
 وهب: الخبز الرَّقَاقُ^(٥).
 مجاهدٌ: ﴿الْمَنُّ﴾: الصَّمْغَةُ^(٦).
 الرِّبْعُ: كان ماءً يشربونه^(٧).
 الزَّجَّاجُ: ما منَّ اللهُ به عليهم ممَّا لا تعبَ فيه ولا نَصَبَ^(٨).
 ابن جريرٍ: ﴿الْمَنُّ﴾: العسلُ^(٩).
 ﴿وَالسَّلَوَى﴾ ابن عباسٍ: هو طيرٌ يُشْبِهُ السُّمَانِيَّ^(١٠).

-
- (١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧٠٣ / ١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١١٤ / ١).
 (٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧٠١ / ١) عن السدي.
 (٣) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٧٠٠ / ١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١١٤ / ١).
 (٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١١٤ / ١).
 (٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٧٠١ / ١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١١٥ / ١).
 (٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٧٠٠ / ١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١١٤ / ١).
 (٧) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٧٠٠ / ١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١١٥ / ١).
 (٨) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١٣٨ / ١).
 (٩) رواه الطبري في «تفسيره» (٧٠١ / ١) عن ابن زيد وعامر، ومال ابن جرير إلى أنه كالعسل أو هو
 العسل. انظر: «تفسيره» (٧٠٣ - ٧٠٤).
 (١٠) رواه الطبري في «تفسيره» (٧٠٦ / ١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١١٥ / ١).

قال الخليل: واحدها سلواة^(١)، وأنشد:

كما انتفض السلواة من بلل القطر^(٢)

وقيل: هو العسل، وأنشد:

وقاسمها بالله جهدا لأنتم^(٣) ألد من السلوى إذا ما نشورها^(٤)

تقول: شرت العسل: إذا استخرجته.

المفضل: غلط الشاعر في قوله: (نشورها)، وأراد: نصيدها^(٥).

ويحتمل أن السلوى معناها: ما كان لهم فيه التسلي عن الطعام^(٦)؛ وزان قول

الزجاج في المن^(٦).

﴿كَلُوا﴾: وقلنا لهم: كلوا.

﴿مِنْ طَبِيبَتٍ﴾: حلالات ﴿مَارَزَقْتَكُمْ﴾، وكانوا يأخذون منها ما يكفيهم

(١) انظر: «العين» للخليل (٧ / ٢٩٨).

(٢) عجز بيت لأبي صخر الهذلي، كما في «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (٢ / ٥٤٩)، وصدده:

وإنسي لتعروني لذكر الكهزة

ويروى: كما انتفض العصفور بلله القطر.

(٣) البيت لخالد بن زهير الهذلي، كما في «الغريب المصنف» لأبي عبيد (٢ / ٤٦٥)، و«ديوان

الهذليين» (١ / ١٥٨)، و«تفسير الطبري» (١٠ / ١٠٨).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ١٤٢)، ونقل ابن سيده عن الزجاج أنه قال: (أخطأ خالد،

إنما السلوى طائر). انظر: «المحكم» لابن سيده (٨ / ٦١١) مادة (س ل و).

(٥) اختار أبو علي القالي قريباً من هذا. انظر: «المقصود والممدود» للقالي (ص: ١٣٦).

(٦) هذا رأي المصنف، وقد ذكره في «غرائب التفسير» (١ / ١٤٢)، ومراده: أنه خلص إلى هذا القول

بالنظر إلى العموم، كما خلص الزجاج إلى معنى (المن) بالنظر إلى العموم.

ليومهم وليلتهم إلا يوم الجمعة، فإنهم كانوا يأخذون فيه ليوم الجمعة والسبت،
ومن زاد على ذلك فسد.

وقال رسول الله ﷺ: «لولا بنو إسرائيل ما خنَزَ الخبزُ»^(١)؛ أي: إنهم زادوا على
مقدار الحاجة، ففسد.

وقيل: ﴿مِنْ طَيِّبَاتٍ﴾؛ أي: من لذيات ما رزقناكم.

وقيل: من المباح.

وقيل: بدل طَيِّبَاتٍ ما رزقناكم^(٢)، ولهذا قال^(٣): ﴿فَأَذَعْنَا لِنَارِكَ يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا تُثَبِّتُ
الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٦١] الآية، و(من) تأتي بمعنى البدل، قال الله تعالى: ﴿لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ
مَلَائِكَةً﴾ [الزخرف: ٦٠]؛ أي: بدلکم، قال الشاعر:

فَلَيْتَ لَنَا مِنْ مَاءٍ زَمَزَمَ شَرْبَةً مُبَرَّدَةً بَاتَتْ عَلَى الطَّهْيَانِ^(٤)
﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ ابن عباس: ما نقصونا^(٥)، وقيل: ما ضررنا.

(١) روى نحوه البخاري (٣٣٣٠)، ومسلم (١٤٧٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظ
البخاري: «لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم».

وأما الرواية بلفظ: «الخبز» فقد عزاها السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٣٦) إلى سفيان بن عيينة
عن عكرمة. ورواها العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٣٢٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما، وضعفها
بعمار بن مطر الرهاوي.

(٢) «وقيل من المباح وقيل بدل طيبات ما رزقناكم» من (ن).

(٣) في (ن): «قالوا».

(٤) البيت للأحول الكندي، كما في «تهذيب اللغة» للأزهري (٦/ ٢٠٠) مادة (ط ه و)، و«معجم
البلدان» لياقوت (٤/ ٥٢). والطهيان: خشبة تُعلَّقُ عليها أوعية الماء ليبرد، وقيل: موضع، وقيل:
جبل. ويروى: (حمتان) بدل (زمزم)، و(شدوان) بدل (طهيان).

(٥) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٦٨)، وانظر: «تنوير المقباس» للفيروزآبادي (ص: ٩)، =

ومعناه: ما ظلمونا بقولهم: ﴿أَرَأَىٰ اللَّهُ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣].

وقيل: وما ظلمونا بادِّخارهم المنَّ والسَّلوى.

وقيل: وما ظلمونا بإبائهم على موسى دخول قرية الجبارين.

﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: ينقصون ويضرون.

(٥٨) - ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ

سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّفَرْنَا لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ الكلبى: هي أريحا^(١)، وقيل: إيليا، وقيل: بيت

المقدس.

وقيل: أريحا قرية بالأرض المقدسة، وفيها مسجد هو بيت المقدس، وفي

المسجد بيت يُسمى إيليا.

والقرية: هي المكان الذي يجمعُ الخلق، مشتقة من (قَرَيْتُ)؛ أي: جمعتُ.

﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾: فاستمتعوا بما شئتم من طعام القرى وثمارها.

﴿رَغَدًا﴾: موسعًا.

﴿وَاَدْخُلُوا الْبَابَ﴾ قيل: بابًا من أبوابها.

= وروى الطبري في «تفسيره» (١ / ٧١٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا

أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، قال: يضرون.

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١ / ٥٥) عن الكلبي، ورواه الطبري في «تفسيره» (١ / ٧١٣) عن

وقيل: باب القبة التي كان يُصلي فيها موسى؛ لأنهم دخلوا الباب زمن موسى، ودخلوا بيت المقدس بعده.

﴿سُجَّدًا﴾: مُنْحَنِينَ متواضعين غير باغين بالظفر الذي نلتّموه مستغفرين الله.

﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ الحسن وقتادة: أي: حُطَّ عنا ذنوبنا^(١).

عكرمة: قولوا: لا إله إلا الله^(٢).

سعيد بن جبير: الحِطَّةُ المغفرة، أمروا بالاستغفار^(٣).

ابن عباس: أي: قولوا: هذا الأمرُ حقٌّ، كما قيل لكم^(٤).

وقيل: أمروا بهذه اللفظة من غير تعرُّضٍ لمعنى.

وقيل: ﴿حِطَّةٌ﴾: باب البلد.

وقيل: ﴿حِطَّةٌ﴾: باب المسجد.

﴿تَغْفِرْ لَكُمْ﴾: نَعْفُ عنكم، ونستُر ذنوبكم، من (غَفَرْتُ الشَّيْءَ)؛ أي: سترته،

ومنه: المِغْفَرُ، والغَفِيرَةُ^(٥).

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٨)، والطبري في «تفسيره» (١ / ٧١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ١١٩).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٧)، والطبري في «تفسيره» (١ / ٧١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ١١٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١ / ٧١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ١١٨)، والحاكم في «المستدرک» (٣٠٤٠) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١ / ٧١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ١١٨).

(٥) المغفر: حَلَقٌ يُغَطِّي بها الرأس والعنق في الحرب، والغفيرة: شعر في الأذن. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٨ / ١١٣).

﴿خَطَايَكُمْ﴾: جمع خطيئة، وهي الذنب، تقول: خطيئ؛ إذا قصد الذنب،
واسمه: الخِطْءُ^(١)، و: أخطأ؛ إذا كان من غير قصد، واسمه: الخطأ^(٢).

﴿وَسَنزِيلُ الْمُحْسِنِينَ﴾: الذين لم يكونوا من أهل تلك الخطيئة.

وقيل: معناه: مَنْ أَحْسَنَ بَعْدَ ذَلِكَ زِدْنَاهُ ثَوَابًا وَدَرَجَاتٍ.

(٥٩) - ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجْرًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾: التَّبْدِيلُ: جعلُ شيءٍ مكانَ شيءٍ، والبدلُ: الخَلْفُ.

أي: تركوا ما أمروا به، وقالوا قولاً فسقوا به.

المفصَّل: دخلوا البابَ رَحْفًا على أَسْتَاهِمِمْ^(٣)، وقالوا: (حِطًّا سَمِقَاتًا)؛
أي: حِنطَةً حَمْرَاءَ.

وقيل: قالوا: حنطة بيضاء مثقوبة فيها شعيرة^(٤)؛ استهزاءً.

﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾؛ أي: غَيَّرُوا ﴿رَجْرًا﴾: عَذَابًا، وقيل: طاعونًا، وأصله
من قولهم: ناقةٌ رَجْرَاءُ؛ إذا كانت ترتعدُّ قوائمها عند القيام.

(١) في (ن): «الخطاء».

(٢) انظر: «الغريبين» للهرابي (٢/ ٥٦٧)، و«درة الغواص» للحريري (ص: ١٣٤).

(٣) «على أستاهمهم» من (ن).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٤٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧٢٧)، وابن أبي

حاتم في «تفسيره» (١/ ١١٩) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ويُروى: (فيها شعرة).

﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾: مبالغة، فمات منهم في ساعةٍ أربعةً وعشرون ألفاً من كبارهم وشيوخهم، وبقي الأبناء.

﴿يَمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: بخروجهم عما أمرهم الله تعالى، والفسوق: الخروج.

(٦٠) - ﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ط فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ ط كَلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ الحسن: لما قطعوا البحر عطشوا، فشكوا إلى موسى (١).

غيره: كان ذلك في التيه؛ أي: استسقى الله موسى لبني إسرائيل والاستسقاء: طلب السقي.

﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ﴾؛ أي: أمرنا موسى أن يضرب بعصاه الحجر، وكانت من آس (٢) الجنة، يقال لها: عُليق (٣).

﴿الْحَجَرَ﴾ قيل: الألف واللام فيه للجنس؛ أي: أي حجر كان.

وقيل: للعهد، والإشارة إلى حجرٍ مُعِين (٤).

﴿فَإِنفَجَرَتْ﴾؛ أي: فضرِبَ فانفجرت.

(١) ذكر أبو حيان نحو هذا القول بلا نسبة في «البحر المحيط» (١/٣٦٦).

(٢) الآس: شجر ورقه معطر. انظر: «العين» (٧/٣٣١).

(٣) كذا ضبطت في (ن).

(٤) وفي صفة هذا الحجر أقوال ذكرها المصنف في «غرائب التفسير» (١/١٤٣).

والانفجار: انصبابُ الماء بكثرةٍ، مطاوعٌ (فَجَرَ)، وهو الشَّقُّ^(١).

والانجاسُ: ابتداءُ الانفجار؛ لأنَّه خروجُ الماء قليلاً قليلاً^(٢).

﴿مِنْمَا أَتَيْنَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾؛ أي: على عددِ الأسباط.

والعينُ: اسمٌ مشتركٌ، والمراد بها هاهنا: عينُ الماء.

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ﴾ يأتي كلُّ سِبْطٍ مَشْرَبَهُ فلا يتعداه.

وكان حجرًا مثل رأسِ الرَّجُلِ.

وقيل: كان ذراعًا في ذراعٍ.

أبو عبيدة: كان مع كلِّ سبْطٍ حجرٌ يحملونه على حمارٍ^(٣).

وقيل: هو الحجرُ الَّذِي وضعَ موسى ثوبه عليه، ويأتي ذكره في (الأحزاب)^(٤).

﴿كُلُّوا﴾؛ أي: وكلنا لهم: كلوا من المنِّ والسَّلوى، ﴿وَأَشْرَبُوا﴾ من الماءِ.

﴿مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾؛ أي: وكلاهما من رزقِ الله.

﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ابن عباس: العُثُوُّ والعِثِيُّ: أشدُّ الفسادِ^(٥).

(١) في (ن): «سعة الشق».

(٢) ذكره المصنف للتبنيهِ على الفرق بين ما في هذا الموضع وما في سورة الأعراف، فانظره في (البرهان) للمصنف (ص: ٧٤)، وللراغب الأصفهاني رأي في الفرق بين الانفجار والانجاس يخالف رأي المصنف، فانظره في «تفسيره» (١/ ٢٠٦).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٤٢).

(٤) في تفسير قوله تعالى: ﴿فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٤٣).

(٥) هذا الكلام ذكره الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٠) بعد أن روى عن ابن عباس رضي الله عنهما تفسيره

﴿وَلَا تَعْتَوُوا﴾ بـ: (لا تسعوا)، فهو من كلام الطبري، وليس من كلام ابن عباس رضي الله عنهما.

وفيه لغاتٌ ^(١) (عَثِي) و(عَثَا) و(عَاثَ)، من (التَّعْيِثِ)، وهو طلبُ الشيءِ في الظُّلمةِ، وكذلك طلبُ الأعمى.

وقوله: ﴿مُفْسِدِينَ﴾ تكررُ للتأكيد؛ لاختلافِ اللفظين.

وقيل: العَثِي: التَّخْلِيْطُ؛ أي: لا تُخَلِّطُوا مفسدين.

(٦١) - ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْؤِسُ لَنْ نَضِرَ عَلَى طَعَامٍ وَجِدْ لَنَا رَبِّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصِلَهَا ۗ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۗ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ ۗ وَالْمَسْكَنَةُ ۗ وَبَاءَ وَبِعَضْبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ۗ﴾

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْؤِسُ لَنْ نَضِرَ عَلَى طَعَامٍ وَجِدْ﴾: الطعام: اسمٌ جامعٌ لما يؤكل.

والواحد: المنفرد، والوحدة: الانفراد، وحقيقة الواحد: هو الذي لا يتبعص.

وإنما قالوا: طعام واحد؛ لأنهم كانوا يأكلونه بالسُّلوى.

وقيل: كان يأتيهم المنُّ مدَّةً فانقطع، وأتاهم بعده السُّلوى، فكانوا يأكلون منها.

وقيل: استنكفوا من تساويهم فيه، وأرادوا الامتياز في الأطعمة ^(٢).

﴿فَادْعُ لِنَارِكَ﴾: أصلُ الدُّعَاءِ للنداء، ثم يُستعارُ للسُّؤالِ والعبادةِ والتَّسميةِ؛

لأنها لا تخلو من نداءٍ.

(١) «وفيه لغات» من (ن).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/١٤٤)، واستغربه.

والمعنى: سَلَّهُ بِدَعَائِكَ إِيَّاهُ ﴿يُخْرِجُ لَنَا﴾؛ أي: وقل له: أَخْرِجْ يَخْرِجْ لَنَا.
 ﴿مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾: يخرجه من النَّبَاتِ، ثم فَسَّرَ فقال:
 ﴿مِنْ بَقْلِهَا﴾: وهو ما اخضرَّ من النَّبَاتِ، والمرادُ به هاهنا: المعتادُ للأكل.
 ﴿وَقَشَائِبَهَا﴾ الخليل: هي الخيار^(١).

﴿وَفُومَهَا﴾ قال الفراء: هو الثُّوم؛ قُلِبَتْ ثَاوُهُ فَأَاءٌ، كَجَدَفٍ وَمُغْفُورٍ^(٢).
 وإليه ذهب الكسائيُّ أيضًا في جماعته^(٣)، وقالوا: هو أليقُّ بالبقلِ والقثاءِ
 والعدسِ والبصلِ، ولما في قراءة ابن مسعودٍ: (وثومها)^(٤)، ولقوله سبحانه
 وتعالى: ﴿أَسْتَبْدِلُوكَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾، ومعلومٌ أنَّ الحِنَّطَةَ خَيْرٌ
 مأكولِ بني آدم^(٥).

قال الزَّجَّاجُ في جماعته: الفوم: الحِنَّطَةُ، وسائر الحبوب التي تُخْبِزُ يلحقها اسم

(١) انظر: «العين» للخليل (٥/ ٢٠٣).

(٢) في (و): «المغثور». والجدف: لغة في (الجدث)، وهو القبر. انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد مادة (ج د ف). والمغفور: لغة في (المغثور)، واحد المغافير، وهو شيء ينضحه العرفطُ حلو الطعم، وهو كريبه الرائحة. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٢٢٢). أما كلام الفراء فظاهره ما نقله المصنّف؛ فقد ذكر أن الفوم قيل فيه: إنه الحِنَّطَةُ وما يُخْبِزُ، ورأى أنَّ الأشبه فيه أنه الثوم، وذكر ابن السكيت أنه فسَّرَ الفوم والثوم بالحِنَّطَةَ. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤١)، و«الكنز اللغوي» لابن السكيت (ص: ٣٥).

(٣) كالكلبي والنضر بن شميل. انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ٢٠٥).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤١)، و«تفسير الطبري» (٢/ ١٨)، و«مختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١٤)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٨٨).

(٥) انظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٧١).

الفوم، قال الزَّجَّاج: ومحالٌ أن يطلب القوم طعامًا لا بُرَّ فيه، وهو أصلُ الغذاء^(١).

وقيل: الفوم: الخبز، تقول العرب: فَوَمَّ؛ إذا خبزَ^(٢).

ابن عباسٍ: الفوم: الحنطة، وأنشد قول أبي محجنٍ الثَّقَفِيِّ:

قد كنتُ أحسبُني كأغني واحدٍ ورَدَ المدينةَ عن زِراعةِ فومٍ^(٣)

وقيل: الفومُ: كلُّ لُقْمَةٍ كبيرةٍ وقطعةٍ من اللحمِ عظيمةٍ^(٤).

﴿وَعَدَسِيهَا وَبَصَلِيهَا﴾: هما المعروفان.

﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ أَحْسَبُ﴾: أتبدلون الذي هو ﴿أَدْنَى﴾:

أقرب؛ أي: أقلُّ قيمة، من قولهم: هذا شيءٌ مقاربٌ؛ أي: قليل الثمنِ دونُ.

وقيل: أصله (أدناً) - بالهمزة - من (الدَّناءة)، وهي الخِسَّةُ والحقارة، فخُفِّفَ،

وقد قرئ بالهمزة^(٥).

(١) انظر: «معاني القرآن» للزَّجَّاج (١/ ١٤٣).

(٢) في (ن): «فومت إذا خبزت».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٢٣)، وورد فيهما الشطر

الأول:

قد كنت أغنى الناس شخصًا واحدًا

وجاء فيهما البيت منسوبًا لأحيحة بن الجلاح، وقد نسب البيت لأبي محجن الثَّقَفِيِّ أيضًا، كما في

«غريب القرآن» للسجستاني (ص: ٣٦٧)، و«رسالة الملائكة» لأبي العلاء المعري (ص: ١٦)،

و«الإبانة» للضحاري (٣/ ٤٤٠)، و«لسان العرب» لابن منظور (١٢/ ٤٦٠).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٤٥)، واستغربه.

(٥) نسبت هذه القراءة لزهير الفرقي، كما في «مختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١٤)،

و«تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٤٢).

وقيل: مقلوبٌ من (أذون) (١).

﴿يَأْتِيهِمْ هُوَ خَيْرٌ﴾: أشرف وأرفع؛ فالأدنى والخير في جنس الطعام.

ويحتمل أن يكون أدنى لاختياركم، وخيرٌ لاختياره تعالى (٢).

﴿أَهْبِطُوا﴾: ادخلوا وانزلوا ﴿مِصْرًا﴾؛ فَإِنَّ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ يَوْجَدُ فِي الْقُرَى

والأمصار.

و(مِصْر) نكرة؛ أي: مِصْرٌ من الأمصار.

الحسن: مصر فرعون (٣)، وُصِرْفَ لِسْكَونِ عَيْنِهَا، وَقُرِئَ غَيْرَ مِصْرٍ فِي (٤).

وقيل: بيت المقدس؛ لقوله: ﴿أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾

[المائدة: ٢١].

والمِصْرُ: الحدُّ، ومُصُورُ الدَّارِ (٥): حدودُها، قال:

وَجَاعِلُ الشَّمْسِ مِصْرًا لَا خَفَاءَ بِهِ بَيْنَ النَّهَارِ وَبَيْنَ اللَّيْلِ قَدْ فَصَلَا (٦)

(١) ذكره الثعلبي عن بعض النحويين، ونصَّ الواحدي على أنه خطأ. انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/٣٤٢)،

و«البيسط» للواحدي (٢/٥٨٦)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/١٤٥).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/٣٤٢).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/١٢٩)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢/٢٣) عن

أبي العالية والربيع، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/١٢٤) عن أبي العالية، والكلمة على

هذا معرفة تستحقُّ المنع من الصرف للعلمية والعُجْمة، ولكن يجوز صرفها للخفة، فلذلك قال

المصنف: وُصِرْفَ...

(٤) قرأ بها الأعمش، كما في «مختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١٤).

(٥) في (و): «والمصور للدار».

(٦) البيت لعدي بن زيد العبادي، كما في «ديوانه» (ص: ١٥٩)، و«غريب الحديث» لابن قتيبة =

﴿فَإِنَّ لَكُمْ﴾؛ أي: فيها ﴿مَا سَأَلْتُمْ﴾: طلبتُمْ.
 ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ﴾: أَلْزَمُوا الزَّمَامًا لَا يَبْرَحُ، ومنه: الضَّرْبِيَّةُ.
 و﴿الذَّلَّةُ﴾: الهَوَانُ، وأصله من اللين^(١)، صِدُّ العِزَّةِ.
 ﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾: الفقرُ، ومنه: المسكينُ؛ لأنَّ الفقرَ أسكنه، فلا حراكَ به.
 والمسكنةُ: الضَّعْفُ والصَّغَارُ أيضًا، والتي ضُرِبَتْ بها^(٢) اليهودُ من هذا؛ لأنَّ
 فيهم الفقيرَ والغنيَّ.
 وجمهور المفسِّرين على أنَّ المرادَ بالمضروبِ عليهم الذَّلَّةُ والمسكنةُ:
 اليهودُ الَّذِينَ كانوا في زمنِ النَّبِيِّ ﷺ، وفسَّروا الذَّلَّةَ بالجزيةِ وزيِّ اليهوديةِ، وقيل:
 الكُستيج^(٣).
 وقيل: هو لأبائهم الَّذِينَ كفروا بآياتِ الله، وقتلوا الأنبياءَ، وهذا أظهر.
 ﴿وَبَاءٌ وَبِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ قال الكسائيُّ: باؤوا: رجعوا^(٤)، والبَّوءُ^(٥): الرَّجوعُ
 بالخيرِ والشرِّ^(٦).

= (١ / ٤٧٧)، و«تفسير الطبري» (١ / ١٦٠)، ونُسب لأمية بن الصلت في «ديوانه» (ص: ٤٦٠).

(١) انظر: «إسفار الفصيح» للهرودي (١ / ٥٣١).

(٢) في (ن): «بها».

(٣) الكستيج: خيط غليظ بقدر الأصبع يشدُّه الذمِّيُّ فوق ثيابه دون ما يتزينون به من الزناير المتخذة من الإبريسم. انظر: «المغرب» للمطرزي (ص: ٤٠٧)، و«تاج العروس» (٦ / ١٧٤) مادة (ك س ت ج).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣ / ٣٤٦).

(٥) في (و): «والبَّوء».

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١ / ١٣٠) عن الكسائي، وذهب ابن خالويه والحريري =

المبرّد: ﴿وَبَاءٌ﴾: أنزلوا، من قوله: ﴿لَتُؤْتِيَهُمُ﴾ [النحل: ٤١]، ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾^(١) [الحشر: ٩] ^(٢).

الزجاج: أصل البوء: التّسوية^(٣).

غيرهم: احتملوا^(٤)، وقيل: اعترفوا بما استحقوا.

والغضب: هو ما حلّ بهم من البلاء والنّقم في الدنيا.

وقيل: ما ينالهم في العقبى.

المفضّل: رجعوا إلى الله بعد الموت، وهو غضبان عليهم.

﴿ذَلِكَ﴾: إشارة إلى الضرب والغضب.

﴿يَأْتِيَهُمْ كَأَنُؤُا يَكْفُرُونَ يَتَأْتَى اللَّهُ﴾ بتركهم العمل بما في التّوراة، وقيل: بالقرآن.

﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيْنَ﴾: زكريّا ويحيى وغيرهما، صلوات الله عليهم أجمعين.

وقيل: يتولّون أولئك الذين فعلوا.

﴿النَّبِيِّْنَ﴾: جمع نبويّ، وكذلك الأنبياء والنّبأء.

= إلى أن (باء) لا يكون إلا في الشّرّ. انظر: «ليس في كلام العرب» لابن خالويه (ص: ١٨٧)، و«درة الغواص» للحريري (ص: ٩٤).

(١) في النسخ الخطية: «وإذ تبوأ»، ولعل الصواب المثبت.

(٢) ذكر الماوردي والواحدي نحوه في «النكت والعيون» (١/ ١٣٠)، و«البيسط» (٢/ ٥٩٤)، وقد

ذكر المبرّد في «الكامل» (٢/ ١٧٢) أن (باء) يأتي بمعنى: قُتل بغيره، ويأتي بمعنى: أقرّ، وبمعنى:

احتمل.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٣٠).

(٤) ذكره الزّجاج في «معاني القرآن» (١/ ١٤٥)، والسمرقندي في «تفسيره» (١/ ٥٨).

وَالنَّبِيُّ: هُوَ الَّذِي يَخْبِرُ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَعِيلٌ بِمَعْنَى مُفْعِلٍ، وَقِيلَ: بِمَعْنَى مُفْعَلٍ^(١)، وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ (النَّبَأِ) وَهُوَ الْخَبْرُ، وَقِيلَ: هُوَ مِنَ (النَّبُوءَةِ)^(٢)، وَقِرَاءَةٌ مِنْ هَمْزٍ^(٣) تَدْفَعُهُ^(٤).

وَقِيلَ: النَّبِيُّ الطَّرِيقُ، وَسُمِّيَ الرَّسُولُ نَبِيًّا؛ لِأَنَّهُ الطَّرِيقُ إِلَى اللَّهِ.
﴿غَيْرِ الْحَقِّ﴾؛ أَي: بغيرِ الْحَقِّ الَّذِي يُقْتَلُ الْمَرْءُ بِهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا
الْنَفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١].

﴿ذَلِكَ بِمَعْصُوا﴾ قِيلَ: هُوَ إِشَارَةٌ إِلَى الْكُفْرِ وَالْقَتْلِ، وَقِيلَ: إِشَارَةٌ إِلَى الْأَوَّلِ.
وَالْعَصِيَانُ: مَخَالَفَةُ الْأَمْرِ.

﴿وَكَاؤُا يَمْتَدُونَ﴾: يَجَاوِزُونَ مَا حُدَّ لَهُمْ.

وَالِاعْتِدَاءُ: مَجَاوِزَةُ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ.

وَقِيلَ: الْإِعْتِدَاءُ وَالْعُدْوَانُ: الظُّلْمُ^(٥).

(١) «وقيل بمعنى مفعول» من (ن).

(٢) وهو الارتفاع من الأرض. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ١٢١).

(٣) في (و): «يهمز».

(٤) همز نافع: «النَّبِيِّ»، «النَّبُوءَةِ»، «الْأَنْبِيَاءِ»، «النَّبِيِّ» في القرآن كله، وترك قالون الهمز في

موضعين من سورة الأحزاب وصلاً، وباقي السبعة لا يهمزون من ذلك شيئاً. انظر: «السبعة

في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٥٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٣).

(٥) وهو الارتفاع من الأرض، لكن ميل الكرمانى للأول. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت

(ص: ١٢١).

(٦٢) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰدِقِينَ وَالصَّٰدِقَاتِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰدِقِينَ وَالصَّٰدِقَاتِ﴾ عن ابنِ عَبَّاسٍ وابْنِ
مسعودٍ ومجاهدٍ^(١) والسُّدِّيِّ: الآية نزلت في سلمان الفارسيِّ، وكان من أهلِ
جُنْدِيسَابُورٍ^(٢) من أشرفهم، وذلك أنَّ سلمانَ لما قصَّ على رسول الله ﷺ قصَّة
أصحاب الدَّير الذين قال: هم في النَّارِ، قال سلمان: فأظلمت عليَّ الأرض، فنزلت
هذه الآية قال: فكانما كُشِفَ عني جبلٌ^(٣).

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بمن تقدَّم من الأنبياء، ولم يؤمنوا بك بعدُ.

وقيل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بعيسى، ولم يبدلوا، وانتظروا خروجَ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وقيل: هم طَلَّابُ الدِّينِ؛ قَسُّ بن ساعدة، وزيدُ بن عمرو بن نُفَيْلٍ، وورقةُ بن
نوفلٍ، وغيرهم ممَّن آمنوا بمحمدٍ ﷺ قبل مبعثه.

وقيل: هم المنافقون أظهروا الإيمانَ من غير اعتقاد.

وقيل: هم المؤمنون جميعاً.

(١) يذهب إلى هذا كثير من أهل اللغة. انظر: «العين» (٢/٢١٣) مادة (ع دو)، و«تهذيب اللغة» للأزهري

(٣/٧٠)، و«المحتسب» لابن جني (١/٢٢٦)، و«المخصص» لابن سيده (٣/٤٠٥).

(٢) جُنْدِيسَابُور: مدينة بخوزستان، والنسبة إليها: الجنديسابوري، بناها سابور بن أردشير فُنِسبت إليه،

وأسكنها سبي الروم وطائفة من جنده، افتتحها المسلمون أيام عمر رضي الله عنه صلحاً. انظر:

«معجم البلدان» لياقوت (٢/١٧٠ - ١٧٢).

(٣) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٤ - ٢٥)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢/٤٠ - ٤٥)

﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾: دانوا باليهوديّة، وسُمُّوا يهودًا لتوبيتهم، وقولهم: ﴿إِنَّا هُدُنَا إِلَىٰكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وقيل: نُسِبُوا إِلَىٰ يَهُوذَا بْنِ يَعْقُوبَ، فَأَعْرَبَ وَقَلَّبَ الذَّلَّ دَالًا، ثُمَّ جُمِعَ كَرُومِيٌّ وَرُومٌ.

﴿وَالنَّصْرَى﴾: هم قوم عيسى، وسُمُّوا نصارى لأنَّهم نُسِبُوا إِلَىٰ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا: ناصرة^(١)؛ في قول مقاتل^(٢).

قال الزَّجَّاج: سُمُّوا نصارى لاعتزائهم^(٣) إلى (نَصْرَةَ)^(٤)؛ قَرْيَةٍ كَانَ نَزَلَهَا^(٥) عيسى عليه السَّلَام^(٦).

و(النَّصَارَى) على هذا: جمع نَصْرِيٍّ^(٧)، كَمَهْرِيٍّ وَمَهَارَى.

(١) الناصرة: قرية بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلاً، فيها كان مولد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، ومنها اشتقَّ اسم النصارى، وأهل بيت المقدس يأبون ذلك، ويزعمون أن المسيح إنما وُلِدَ فِي بَيْتٍ لَحْمٍ، وَأَنَّ آثَارَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ ظَاهِرَةٌ، وَإِنَّمَا انْتَقَلَتْ بِهِ أُمُّهُ إِلَىٰ هَذِهِ الْقَرْيَةِ، وَذَكَرَ فِي الْإِنْجِيلِ يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ كَثِيرًا. انظر: «معجم البلدان» لياقوت (٥ / ٢٥١).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١ / ٤٦٢)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢ / ٣٤) عن قتادة وابن جريج.

(٣) أي: لانتسابهم.

(٤) قرية ذكرها الخليل، وهي غير الناصرة، وربَّما جعلها بعضهم بألف مقصورة. انظر: «العين» (٧ / ١٠٩)، و«تاج العروس» للزبيدي (١٤ / ٢٢٩).

(٥) في (ن): «ينزلها».

(٦) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٣ / ٣٥٤)، والواحدي في «البيسط» (٢ / ٦١٣)، ولم أقف عليه في «معاني القرآن» للزجاج.

(٧) هذا مذهب الخليل، وقد نصَّ سيبويه وابن سيده على أن كلمة (نصريّ) غير مسموعة. انظر: «العين» (٧ / ١٠٩)، و«الكتاب» (٣ / ٤١١)، و«المحكم» (٨ / ٣٠١).

وقيل: جمع نصران، كسكاري وندامي^(١).

وقيل: نُسبوا إلى قولهم: ﴿مَنْ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢].

﴿وَالصَّيِّغَ﴾: الفراء: كلُّ مَنْ أَحْدَثَ دِينًا فَقَدْ صَبَأُ^(٢).

مجاهدٌ: هم بين اليهود والمجوس^(٣).

السُّدِّيُّ: هم طائفةٌ من أهل الكتاب^(٤).

قتادة: يعبدون الملائكة ويصلُّون إلى القبلة ويقرؤون الزبور^(٥).

الخليل: هم قومٌ زعموا أنَّهم على دينِ نوحٍ عليه السَّلام^(٦).

وقيل: انقرضوا، فلا عينٌ ولا أثرٌ.

واشتقاقه من (صَبَأَ نابُ البعيرِ)؛ إذا ظهَرَ وطعَ، وقيل: من (صَبَأَ)؛ إذا مَالَ،

وقراءةٌ من همزٍ تدفعُه^(٧).

﴿مَنْ آمَنَ﴾؛ أي: منهم ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يعني: القيامة، وقيل: مَنْ دَامَ عَلَى

الإيمان، وقيل: مَنْ مَاتَ عَلَيْهِ.

(١) هذا المذهب الذي اختاره سيويه. انظر: «الكتاب» (٣/ ٤١١)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٤٧).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٥٥)، ولم أقف عليه في «معاني القرآن» للفراء.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٩)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٦).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٧).

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٣٩)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٧).

(٦) انظر: «العين» للخليل (٧/ ١٧١).

(٧) قرأ نافع: ﴿وَالصَّيِّغَ﴾، و﴿وَالصَّيِّغُونَ﴾ بغير همز، وقرأ الباقون بالهمز. انظر: «السبعة في القراءات»

لابن مجاهد (ص: ١٥٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٤).

﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ فيما بينه وبين ربه، ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾: ثوابهم، والأجرُ: جزاءُ العملِ.
﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: في الآخرة.

﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ابن عباسٍ: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: فيما قدّموا،
﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: فيما خَلَفُوا^(١).
وَجُمِعَ حَمَلًا عَلَى مَعْنَى (مَنْ).

(٦٣) - ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا
فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾؛ أي: أَكَّدْنَا عَلَيْكُمْ الْقِيَامَ بِالذِّينِ.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ﴾؛ أي: وَقَدْ رَفَعْنَا، وَالْوَاوُ لِلْحَالِ^(٢).

﴿الطُّورَ﴾: الْجَبَلُ، وَقِيلَ: الْجَبَلُ الْمُنْبِتُ، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ﴾؛ أي: اقْبَلُوا أَحْكَامَ التَّوْرَةِ وَاَعْمَلُوا بِهَا.

﴿بِقُوَّةٍ﴾ الزَّجَاجُ: بِالْجَدِّ وَتَرْكِ الرِّيبِ^(٣)، وَقِيلَ: نَاوِينَ الْعَمَلَ بِمُوجِبِهِ^(٤)،
وَقِيلَ: بِقُدْرَةٍ.

(١) انظر: «تنوير المقياس» للفيروزآبادي (ص: ١٠)، وذكره الطبري في «تفسيره» (٢ / ٤١)،
والسمرقندي في «تفسيره» (١ / ٥٩) دون نسبة.

(٢) ذكره الواحدي في «البيسط» (٢ / ٦٢٨)، والباقولي في «إعراب القرآن» (٣ / ٩٦١).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١ / ١٤٨).

(٤) في (ن): «بموجبته».

والقوة: القدرة والاستطاعة.

والباء للآلة على سبيل المجاز، وقيل: للحال^(١).

﴿وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ من الأحكام؛ أي: لا تنسوه، وقيل: اعملوا به.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: لكي تتقوا السخطة والعذاب.

وقيل: كونوا على رجاء الاتقاء من العذاب.

وذلك أنهم امتنعوا عن قبول أحكام التوراة لما فيها من الأصار والأثقال، فتتق الله جبلاً فرسخاً في فرسخ على قدر عسكرهم، ورفعته فوق رؤوسهم.

ابن عباس: وبعث ناراً من قبل وجوههم، وأتاهم البحر الملح من خلفهم، وأوحى الله إلى موسى: قل لهم: إن فعلتم ما أمرتم وإلا رضختكم بهذا الجبل، وغرقتكم في هذا البحر، وأحرقتكم بهذه النار، فقبلوا خوفاً من أن يرضخوا به، وسجدوا على خدودهم^(٢) ينظرون إليه، فبقي ذلك فيهم^(٣).

(٦٤) - ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾: أعرضتم ﴿وَمِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾؛ أي: من بعد أخذ الميثاق ورفع

الطُّور.

(١) وباء الآلة هي التي للاستعانة في تعبير النحويين، وباء الحال هي التي للمصاحبة. انظر: «الجنى

الداني» للمراي (ص: ٤٠).

(٢) في (و): «خدهم».

(٣) ذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٦٢).

﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بتأخير العذاب، ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾؛ أي: الهالكين، وقيل: خطابٌ للحاضرين منهم؛ أي: ولولا فضل الله عليكم ورحمته ببعثة النبي ﷺ.

(٦٥) - ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾: عرفتم ﴿الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ﴾: ظلموا^(١)، وقيل: جاوزوا ما حُدَّ لهم ﴿فِي السَّبْتِ﴾ يعني: زمن داود عليه السلام، وذلك أن الله حرم عليهم صيد الحيتان في يوم السبت، ويأتي ذكره في (سورة الأعراف) إن شاء الله تعالى^(٢).

والسَّبْتُ: آخر يومٍ من الأسبوع، سمي سبتاً من (السَّبْتِ) الذي هو الدهر، وقيل: من (السَّبْتِ) الذي هو قطع العمل والاستراحة.

فخالفوا أمر الله وصادوا يوم السبت، عن الحسن^(٣).

وقيل: نصبوا الحبائل ووضعوا الشبكات وحفروا غُدراً^(٤) لها يوم السبت، وصادوها في غيره من الأيام^(٥).

وقيل: مُنعوا عن الكسبِ يوم السبت، فصادوا الحيتان.

(١) مال الكرماني هنا إلى تفسير الاعتداء بالظلم وقدمه، بينما قدّم تفسير الاعتداء بمجاوزة الحدّ في قوله تعالى: ﴿وَكَاثُرًا يُعْتَدُونَ﴾، وقد تقدّم.

(٢) «في سورة الأعراف إن شاء الله تعالى» من (ن).

(٣) روى الطبري نحوه عن قتادة والحسن. انظر: «تفسير الطبري» (٢ / ٦٣) و(١٠ / ٥٢٣)، و«زاد

المسير» لابن الجوزي (١ / ٧٤).

(٤) في (و): «غدرانا».

(٥) روى الطبري في «تفسيره» (٢ / ٦٣) نحوه عن السدي.

﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا﴾: صِيرُوا بِتصِيرِنَا إِيَّاكُمْ ﴿قِرْدَةً﴾: جمع قِرْدٍ، وهي دَابَّةٌ مستقدرةٌ مُستخسنةٌ عند الناس.

وقيل: لم يكن هناك خطابٌ، وإنما هو عبارةٌ عن تصييرِ الله إياهم قِرْدَةً بسرعةٍ وسهولةٍ.

وهذا قولٌ لجميعِ المفسرين إلا مجاهدًا فإنه قال: مُسِخَتْ قلوبُهُم، وهذا مثلٌ ضرب به الله لهم، كقوله: ﴿كَمَثَلِ الْجَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥] ^(١).

وقول الجمهورِ أولى؛ لقوله: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا﴾ [البقرة: ٦٦]؛ فَإِنَّ مَسِخَ الْقُلُوبِ مِمَّا لَا يُوقَفُ عَلَيْهِ.

﴿خَاسِعِينَ﴾: متباعدين بطردٍ وإبعادٍ عن الله ونيلِ جنته.

وعلى قول مجاهد: ﴿خَاسِعِينَ﴾ بالصَّغَارِ وذهابِ القَدْرِ والجَاهِ ^(٢).

تقول: خَسَاتُهُ فهو مَخْسُوءٌ، فَخَسَأَ وهو خَاسِيٌَّ؛ لازمٌ ومُتَعَدٌّ ^(٣).

(٦٦) - ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ قيل: تلك العقوبة.

وقيل: القرية، واسمها أيلة ^(٤)، وقيل: مَدِين.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٣٣)، وقد ذكره المصنّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٤٥) واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٧).

(٣) انظر: «إسفار الفصيح» للهرودي (١/ ٣٧١).

(٤) في (و): «أَيْكَة».

وقيل: الحيتان.

وقيل: القردة.

وقيل: الفرقة الممسوخة.

﴿نَكَلًا﴾: عِبْرَةٌ وَعَقُوبَةٌ.

مَشْتَقٌّ مِنْ (نَكَلَ عَنْهُ)؛ أَي: امْتَنَعَ وَجَبُنَ مَنْ هَمَّ بِمِثْلِ ذَلِكَ.

﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ ابن عباسٍ: مَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا مِنَ الْقُرَى^(١).

عكرمة: مَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا مِنَ الْأُمَمِ^(٢).

وقيل: لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا مِنَ الْمَعْصِيَةِ.

الحسن: ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾: لذنوبها المتقدمة، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾: من المعصية في

صيد الحيتان^(٣).

الزَّجَّاجُ: لِلْأُمَمِ الَّتِي تَرَاهَا، وَالتِّي تَجِيءُ بَعْدَهَا^(٤).

ويحتمل أن يكون (ما) بمعنى (من)؛ أي: لِمَنْ يَرَى وَيَشَاهِدُ تِلْكَ الْعُقُوبَةَ،

وَلِمَنْ يَأْتِي بَعْدَهَا^(٥).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧٠ / ٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ١٣٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧١ / ٢) عن السدي.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧٠ / ٢) عن قتادة. وربما يكون المصنّف قد أخذ هذا عن الطبري،

فرأى الرواية عن شيخ الطبري الحسن بن يحيى، فذكرها عن الحسن. انظر: «مفاتيح الغيب» للرازي

(٣ / ٥٤٣).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزَّجَّاج (١ / ١٤٩).

(٥) هذا القول نسبته أبو حيان لقطرب، وذكره المصنّف في «غرائب التفسير» (١ / ١٤٦). وانظر: «البحر

المحيط» (١ / ٣٩٨).

وقيل: فجعلنا العقوبة التي وقعت بهم^(١) في الدنيا، ﴿وَمَا خَلَفَهَا﴾: التي تقع بهم في الآخرة، ﴿تَكْنَلًا﴾ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا مِنَ الْمَعَاصِي.
﴿وَمَوْعِظَةً﴾: تَذِكْرَةٌ وَتَأْدِيبًا ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: الخائفين من عذاب الله.

(٦٧) - ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَ خَدُّنَاهُ زُورًا قَالِ
أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً﴾ أجمع المفسرون على أَنَّ
أَوَّلَ الْقِصَّةِ مُؤَخَّرٌ فِي التَّلَاوَةِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَاذْرِكْهَا﴾ [البقرة: ٧٢]
وذلك أَنَّ رَجُلًا اسْمُهُ عَامِيلٌ وَجِدَ قَتِيلًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ.
قال الكلبي: قتله ابن أخيه؛ لينكح ابنته^(٢).

عطاء: قتله ابن عمه؛ ليرث ماله^(٣)، وقيل: لينكح^(٤) زوجته، وكانت مثلًا في بني
إسرائيل بالحسن.

قتله فحمله من قرية إلى قرية أخرى، وقيل: ألقاه بين قريتين.
عكرمة: ألقاه على باب المسجد، وكان له اثنا عشر بابًا، لكل سبب باب^(٥).

(١) «بهم» من (ن).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٧٠).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٧٠) عن عطاء والسدي، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٧٧)
عن أبي العالية.

(٤) «ابنته، عطاء: قتله ابن عمه ليرث ماله، وقيل لينكح» من (ن).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٧٠).

ابن سيرين: ألقاه على باب رجلٍ منهم، ثم أصبح يطالبه بثأره^(١).

فاشتبه أمرُ القَتيلِ ولم يدروا قاتله، فتدافعوا بينهم حتى ارتفع ذلك إلى موسى صلوات الله عليه، فسأله أن يدعو الله ليبيِّنَ لهم ذلك، فسأل موسى ربَّه، فأمرهم بذبح بقرة، وذلك قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾^(٢).

وهي الأنتى من الثور، كالناقة من الجمل، واشتقاقها من (بقرت)؛ أي: شقت؛ لأنها تُحرثُ عليها الأرض للزراعة.

﴿قالوا أتتخذنا هزواً﴾^(٣)؛ أي: ذوي هزء، والمعنى: أتستهزئ بنا وتستضعف عقولنا وتتخذنا سُخْرِيًّا؟ وما ذبحُ البقرة من القَتيلِ؟!

وقيل: إنما ذكروا ذلك لأنه لم يقل: فاضربوه ببعضها ليحيا.

﴿قال أعود بالله﴾: أمتنع به ﴿أن أكون من الجاهلين﴾؛ فإن الاستهزاء بالمؤمنين جهلٌ.

وقيل: ﴿أعود بالله﴾ أن آمركم بأمرٍ من تلقاء نفسي، وأكذب على الله.

(٦٨) - ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لأفارص ولا يكر عواناً بيك ذلك فافعلوا ما تؤمرون﴾.

(١) كذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٧١) عن ابن سيرين، ولكنه في «تفسير ابن أبي حاتم»

(١/ ١٣٦)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٧٥) عن ابن سيرين عن عبيدة السلماني.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٧١).

(٣) قرأ حفص: ﴿هزواً﴾ بضم الزاي من غير همز، وقرأ حمزة بإسكان الزاي وبالهزم في الوصل، فإذا

وقف أبدل همزة واواً اتباعاً للخط وتقديرًا لضمة الحرف المسكن، وباقي السبعة بالضم والهمز.

انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٤).

﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ﴾: (ما): للسؤال عن الجنس، و(كيف) عن الوصف، وقد تقع (ما) موضع (كيف)^(١)؛ لأنهم علموا ما البقرة، ولكنهم سألوه عن وصفها.

فروى الحسن عن النبي ﷺ مرفوعاً^(٢) أنه قال: «والذي نفس محمد بيده، لو اعترضوا بقرة فذبوها لأجزت عنهم، ولكن شددوا فشدد الله عليهم»^(٣).
وذهب بعض المفسرين إلى أنهم أرادوا أن يدفعوا^(٤) ذبح البقرة عن أنفسهم بهذه الأسئلة^(٥).

وذهب بعضهم إلى أن المكلف بقرة بعينها.

السدي قال: كان رجل في بني إسرائيل باراً بأبيه^(٦)، وعنده بقرة، فأمروا بذبح تلك البقرة^(٧).

(١) نقل المصنّف إجماع المفسرين على أن (ما) هنا للكيفية. انظر: «غرائب التفسير» (١/١٤٦).

(٢) «مرفوعاً» من (ن).

(٣) لا يصح مرفوعاً، وقد ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/١٣٨)، ورواه سعيد بن منصور في «سننه» (٢/٥٦٥) عن عكرمة يبلغ به النبي ﷺ، ورواه البزار في «مسنده» (٩٥٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: (وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن أبي هريرة رضي الله عنه إلا بهذا الإسناد)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/٣١٤): (رواه البزار، وفيه عباد بن منصور، وهو ضعيف، وبقية رجاله ثقات). وعزه ابن كثير في «تفسيره» إلى ابن مردويه، وقال: (حديث غريب من هذا الوجه، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة رضي الله عنه).

(٤) في (و): «أرادوا دفع».

(٥) الأسئلة: لغة في (الأسئلة). انظر: «المحكم» لابن سيده (٨/٦١٢).

(٦) في (ن): «بأمه».

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/٣٧٣).

قال ابن عباس: وكان رجلاً صالحاً، وله ابنٌ طفل، وكانت له عَجَلَةٌ، فأتى بالعِجَلَةَ إلى غِيضَةٍ، فقال: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَوِدُّكَ هَذِهِ الْعِجَلَةَ لابني حتى يكبر، ومات الرَّجُلُ وبقيتِ الْعِجَلَةُ في الْغِيضَةِ، وصارت عَوَانًا، فلمَّا كبر الغلام قالت له أمُّه - وكان بارًّا بها -: إِنَّ أَبَاكَ قد استودعَ اللهُ لكِ عِجَلَةً، فاذهبِ إلى غِيضَةِ كَذَا، وادعِ إلهَ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ أن يرُدَّها عليكِ، ففعل، فأقبلتُ تسعى حَتَّى قَامَتْ بين يديه، ثم باعها منهم بمِئَةٍ مَسْكِيهَا ذَهَبًا^(١).

وقيل: بوزنها عشرَ مرَّاتِ ذَهَبًا.

عكرمة: ما كان ثمنها إِلَّا ثلاثةَ دنانير^(٢).

وذهب آخرون إلى أن المكلَّفَ بقرةٌ غيرُ معيَّنة، فلم يفعلوا، فكُلَّفوا بالوصفِ الأوَّل، ثم بالوصفِ الثَّاني، ثم بالوصفِ الثَّالث.

وقيل: يجب أن تستوفي كلَّ صفةٍ تقدِّمَ ذِكْرُها.

وقيل: يجب أن تكونَ بالصِّفَةِ الأخيرةِ فحسبُ.

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ﴾: مسنَّةٌ هَرَمَةٌ، وأصلُ الفارِضِ: الضَّخْمُ من كلِّ شيءٍ، يقال: سِقَاءٌ فَارِضٌ، وجِلَّةٌ^(٣) فارِضَةٌ^(٤).

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٧٤). والمسك: الجلد، والجمع: مُسوك، مثل: فُلَسٌ وفُلُوسٌ.

انظر: «المصباح المنير» للفيومي (٢/ ٥٧٣).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٧٦)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ١١٦)، وابن أبي حاتم في

«تفسيره» (١/ ١٤٤)، واستغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٤٩).

(٣) كذا في الأصول الخطية، ولعلها: حلَّة، وهي وعاء للطعام، أو حلَّة، وهي مجتمع الناس.

(٤) روى الأخفش أنه يقال: لحية فارضة، وقال الأزهري: لا يقال للأثني: فارضة؛ فالذكر والأثني فيه

سواء، كما في التنزيل: ﴿لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ﴾. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٢/ ١٢) مادة: =

﴿وَلَا يَكْرُمُ﴾ الْبِكْرُ: الْحَدِيثُ الَّتِي لَمْ يُحْمَلْ عَلَيْهَا، وَلَمْ يَفْتَحِلْهَا الْفَحْلُ.

ويقال: الَّتِي وَضَعْتَ بَطْنًا.

وأصله من التَّقَدُّمِ فِي الزَّمَانِ وَالْإِبْتِدَاءِ، كَالْبَكْرِ وَالْبُكْرَةِ، وَالْبَاكُورَةُ مِنْ هَذَا^(١).

﴿عَوَانٌ﴾: نَصَفٌ فِي سَنِّهَا.

﴿بَيْنَكَ ذَلِكَ﴾؛ أَي: السِّنِّينِ، وَقَامَ مَقَامَ التَّنْثِيَةِ كَالْمَبْهَمَاتِ^(٢)، قَالَ الشَّاعِرُ:

إِنَّ لِلْخَيْرِ وَاللِّشْرِ مَدَى وَكِلَا ذَلِكَ وَجْهٌ وَقَبْلُ^(٣)

الزَّجَّاجُ: ﴿ذَلِكَ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى الْجُمْلَةِ^(٤)، وَرَدَّ عَلَيْهِ أَبُو عَلِيٍّ فِي «إِصْلَاحِ

الْإِغْفَالِ»^(٥)، وَالْحَقُّ مَعَ أَبِي عَلِيٍّ^(٦).

= (ف ر ض)، و«الصَّحاح» لِلْجَوْهَرِيِّ (٣ / ١٠٩٨) مَادَّة: (ف ر ض).

(١) «من هذا»: لَيْسَ فِي (ن).

(٢) أَي: قَامَ الْجَمْعُ مَقَامَ التَّنْثِيَةِ؛ لِأَنَّ (بَيْنَ) يُضَافُ إِلَى شَيْئَيْنِ فَصَاعِدًا، وَالْمَبْهَمَاتُ أَسْمَاءُ الْإِشَارَةِ، قَالَ سِيَبَوِيهِ: (وَأَمَّا الْأَسْمَاءُ الْمَبْهَمَةُ فَنَحْوُ هَذَا وَهَذِهِ، وَهَذَانِ وَهَاتَانِ، وَهَؤُلَاءِ، وَذَلِكَ وَتِلْكَ، وَذَانِكَ وَتَانِكَ، وَأُولَئِكَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا صَارَتْ مَعْرِفَةٌ لِأَنَّهَا صَارَتْ أَسْمَاءَ إِشَارَةٍ إِلَى الشَّيْءِ دُونَ سَائِرِ أُمَّتِهِ). انظُر: «الْكِتَابُ» (٢ / ٥).

(٣) فِي (ن): «ذَلِكَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ». وَالْبَيْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِيِّ، وَهُوَ مُطَّلِعٌ قَصِيدَةً قَالَهَا بَعْدَ أُحُدٍ شَامِتًا، وَنَسَبَهُ أَبُو حِيَانَ لِلْبَيْدِ. انظُر: «شَعْرُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِيِّ» (ص: ٤١)، و«سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ» (٤ / ٩٢)، وَ«الْأَغَانِي» لِلْأَصْفَهَانِيِّ (١٥ / ١٧٢)، وَ«الْبَحْرُ الْمَحِيْطُ» (١ / ٤٠٦). وَالْوَجْهُ: الْغَايَةُ، وَالْقَبْلُ: مَا يُقْبَلُ عَلَيْهِ.

(٤) انظُر: «مَعَانِي الْقُرْآنِ» لِلزَّجَّاجِ (١ / ١٥٠).

(٥) أَبُو عَلِيٍّ: هُوَ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْغَفَّارِ الْفَارَسِيِّ (ت: ٣٧٧هـ)، وَاسْمُ كِتَابِهِ: «الْإِغْفَالُ فِيمَا أَغْفَلَهُ الزَّجَّاجُ مِنَ الْمَعَانِي». انظُر: «الْإِغْفَالُ» لِأَبِي عَلِيٍّ الْفَارَسِيِّ (ص: ٢١٤ - ٢٢٠).

(٦) وَقَدْ عَلَّلَ الْمَصْنُفُ ذَلِكَ بِوَجْهَيْنِ:

﴿فَاعْمَلُوا مَا تُؤْمُرُونَ﴾: فامتثلوا ما أمرتم به.

(٦٩) - ﴿قَالُوا أَدْعُنَا لِنَارِكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْ نُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾.

﴿قَالُوا أَدْعُنَا لِنَارِكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْ نُهَا﴾: (ما)^(١) للسؤال عن الجنس على أصله، طلبوا معرفة لونها^(٢).

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ﴾: أجابهم الله إلى ما سألوا.

والصُّفْرَةُ هي المعروفة، وقيل: الصُّفْرَةُ هاهنا السَّوَادُ، كقوله: ﴿جَمَلَتِ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: ٣٣]، وكقول الشاعر:

تِلْكَ خَيْلِي مِنْهَا وَتِلْكَ رِكَابِي^(٣) هُنَّ صُفْرٌ أَوْلَادُهَا كَالزَّيْبِ^(٤)

وقيل: الصُّفْرَةُ السَّوَادُ فِي الْإِبِلِ خَاصَّةً.

وقيل: أصفر^(٥).....

= أحدهما: أن (بين) تستدعي اسماً عطفَ على اسم، وليس جملة.

والثاني: أن (ذلك) لا يقع مواقع الجمل في الصلة وغيرها، وقول القائل في جواب (ظننت زيدا قائماً؟): ظننت ذلك. إنَّما هو إشارة إلى الظن، وهو المصدر؛ أي: ظننت ذلك الظن. انظر: «غرائب

التفسير» (١/١٤٦).

(١) في (ن) زيادة: «هاهنا أيضاً».

(٢) ذكر المصنّف أن من المفسرين من جعلها للكيفية. انظر: «غرائب التفسير» (١/١٤٦).

(٣) «تلك خيلي منه وتلك ركابي» من (ن).

(٤) البيت للأعشى. انظر: «ديوانه» (ص: ٢٧).

(٥) كذا في الأصول الخطية، لو قال: صفراء، لكان أنسب.

القرون^(١) والظُّلْفُ، وقيل: أصفرُ حتى القرون^(٢) والظُّلْفُ.

وقوله: ﴿فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ اتباعٌ للتأكيد، كما تقول: أبيضٌ يققُ، وأحمرٌ قانٍ، وأصفرٌ فاقعٌ؛ أي: مشبعٌ اللونِ خالصٌ صافٍ.

ولم يقل: فاقعة؛ لأنَّ الفعلَ للون^(٣)، ويجوزُ أن يكونَ لَمَّا كَانَ تَبَعًا لم يحتج إلى العلامة^(٤)، كقوله:

وإِنِّي لِأَسْقِي الشَّرْبَ صَفْرَاءَ فَاقِعًا كَأَنَّ ذَكِيَّ الْمِسْكِ فِيهَا يُفْتَقُ^(٥)
﴿تَسْرُ التَّنْظِيرِينَ﴾: تعجبهم لحسنها^(٦).

(٧٠) - ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾.

﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا﴾: استزادوا وصفاً آخرَ لوجودهم^(٧) على الصِّفَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ بقراً كثيرة.

(١) في (و): «اللون»، وما في (ن) هو الأنسب؛ لأن معنى العبارة هنا: أنها صفراء القرن والظلف خاصة، أما العبارة التالية فمعناها أنها صفراء اللون وصفراء القرن والظلف.

(٢) في (و): «القرن».

(٣) فابتدأ البيان القرآنيُّ أولاً بوصف البقرة بالصفرة، ثم أكد ذلك بوصف اللون بها، فكأنه قال: هي صفراء، ولونها شديد الصفرة.

(٤) أي: تاء التأنيث.

(٥) البيت لعدي بن زيد، كما في: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٨٢)، و«الوسيط» للواحدى (١/ ١٥٥).

(٦) في (و): «بحسنها».

(٧) أي: لأنهم وجدوا.

والتَّشَابُه: الدُّخُولُ فِي الشَّبْهِ.

﴿وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾؛ أي: إلى وصفها، ورُوي عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَوْ لَمْ يَسْتَشْنُوا لَمَا بَيَّنَّتْ لَهُمْ آخِرَ الْأَبْدِ»^(١).

(٧١) - ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْفَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾.

فَأَجَابَهُمُ اللَّهُ إِلَى ذَلِكَ ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾: مَذَلَّةٌ بِالْعَمَلِ وَإِثَارَةُ الْأَرْضِ لِلزَّرَاعَةِ، وَهِيَ كِرَابُهَا^(٢)، تَقُولُ: دَابَّةٌ ذَلُولٌ بَيْنَهُ الذَّلُّ بِالْكَسْرِ، وَالْجَمْعُ ذُلٌّ^(٣).

﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾؛ أي: ليست بناضحة تسقي الحرث، وهي الأرض المزروعة.

أَبُو حَاتِمٍ وَالزَّجَّاجُ: ﴿لَا ذَلُولٌ﴾ وَقَفٌّ؛ أَي: هِيَ تُثِيرُ الْأَرْضَ؛ لِأَنَّهَا خُلِقَتْ لِلزَّرَاعَةِ بِهَا^(٤)، وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ^(٥).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٩٩ - ١٠٠) مقطوعاً عن ابن جريج وقتادة.

(٢) الكراب: الحرث، وكَرَبَتِ الْأَرْضَ: إِذَا قَلَبْتَهَا لِلْحَرْثِ. انظر: «الصحاح» للجوهري (١/ ٢١١) مادة: (ك ر ب).

(٣) في (و): «وَالذُّلُّ جَمْعُهُ».

(٤) «بها» من (ن).

(٥) نقله الأنباري في «إيضاح الوقف والابتداء» (١/ ٥٢١) عن أبي حاتم، واعترض عليه فقال: (وهذا القول عندي غير صحيح؛ لأن التي تثير الأرض لا يعدم منها سقي الحرث، وما روى أحد من الأئمة الذين يلزمنا قبول قولهم أنهم وصفوها بهذا الوصف، ولا ادَّعوا لها ما ذكره هذا الرجل، بل المأثور =

﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ من العيبِ وآثارِ العملِ.

﴿لَا شَيْئَةَ فِيهَا﴾: لا لونَ فيها يخالفُ^(١) الصُّفْرَةَ من بياضٍ وغيره، وهي مصدر وَشَى يَشِي وَيَشِيًا وَشِيَةً.

﴿قَالُوا لَنْ نَجِدَ بِالْحَقِّ﴾ قيل: هذا يدلُّ على أَنَّ بعضَهم كان شاكًّا في صحَّته ابتداءً، وذلك كفرٌ من قائله.

وقيل: معناه: ﴿جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾؛ أي: بالوصفِ التامِّ الذي لا مزيدَ عليه. قتادة: تَبَيَّنَ الْحَقُّ^(٢).

﴿فَدَجَّوْهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ قيل: معناه: كادوا لا يفعلون.

ابن عيسى: كانوا قبلَ ذبحِها على تلك الصِّفَةِ ثم ذبحوها.

وقيل: ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ لغلاءِ ثمنها، وقيل: خشيةُ العارِ^(٣)، وقيل: لكثرةِ تسويفِهم ومراجعتهم.

الحسن: ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾؛ لأنَّهم لم يجدوا على تلك الصِّفَةِ إِلَّا واحدةً عند الرَّجْلِ^(٤).

= في تفسيرها: ليست بذلول فتثير الأرض وتسقي الحرث. وقوله أيضًا يفسر بظاهر الآية؛ لأنها إذا أثارَت الأرض كانت ذلولًا، وقد نفى الله هذا الوصف عنها، فقولُ السجستاني في هذا لا يُؤخَذُ به ولا يُعْرَجُ عليه. أما النقل عن الزجاج ففي المطبوع من «معاني القرآن» (١/ ١٥٢) ما يخالفه، ففيه: (معناه ليست بذلول ولا مثيرة)، والله أعلم.

(١) في (ن): «مخالف».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٤٣).

(٣) نقله المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٤٩) عن عكرمة، واستغربه.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٩٠) عن محمد بن كعب.

(٧٢) - ﴿وَإِذْقَلْتُمْ نَفْسًا فَاذَرْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْنُبُونَ﴾ .

﴿وَإِذْقَلْتُمْ نَفْسًا﴾ قال صاحب النظم^(١): القصة محمولة على أن الله عز وجل

أنزلها على فصلين، في وقتين مختلفين، وفي معنيين غير متفقين^(٢).

غيره: فيه تقديم وتأخير، كما سبق^(٣).

﴿فَاذَرْتُمْ فِيهَا﴾: فاختلفتم^(٤) فيها.

وعن الزجاج: تدافعتم^(٥)، والتدارؤ: التدافع^(٦).

ويقوي الوجه الأول تعديته بـ(في).

﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْنُبُونَ﴾؛ أي: مُظهِرٌ، ونونه للاستقبال^(٧)؛ لأنه حكاية حال.

يعني: الذين علموا القاتل وكتموه، لا القاتل؛ لأن ذلك منه جحدٌ، لا كتمانٌ.

(١) هو الحسين بن يحيى الجرجاني، كما ذكر المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٢٩)، وابن الجوزي

في «زاد المسير» (٤/ ٤٦١)، وقد أكثر المصنف من النقل عنه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٤٩).

(٣) تقدّم قول المصنف في تفسير: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧]:

أجمع المفسرون على أن أول القصة مؤخرٌ في التلاوة، وهو قوله: ﴿وَإِذْقَلْتُمْ نَفْسًا فَاذَرْتُمْ فِيهَا﴾

[البقرة: ٧٢].

(٤) في (ن): «ثم اختلفتم».

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٥٣).

(٦) في (ن): «التدافع والاختلاف».

(٧) أي: إثبات التنوين في ﴿مُخْرِجٌ﴾ دليل الاستقبال؛ لأن اسم الفاعل إذا دل على الماضي أضيف

إلى ما بعده.

(٧٣) - ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بَعْضَهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ﴾؛ أي: القتل.

﴿بَعْضَهَا﴾: ببعض من البقرة^(١)، قيل: اللسان، وقيل: الذنب، وقيل: العجب، وجاء في الخبر: «أَنَّ أَوَّلَ مَا يُخْلَقُ، وَآخِرُ مَا يَبْلَى»^(٢)، وقيل: الفخذ اليمنى، وقيل: الغضروف.

﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾؛ أي: فضرب به فحيي، فقام بإذن الله وأودأجه تشخُّب دماً وقال: قتلني ابن أخي^(٣)، وقيل: ابن عمي، ثم سقط، فمات مكانه.

﴿كَذَلِكَ﴾؛ أي: كما أحيي هذا القتل، يحيي الله الموتى يوم القيامة للبعث والنشور، والتشبيه للإحياء فقط.

﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾: آيات قدرته على الإحياء وغيره ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ذلك. وذكر بعض المفسرين: إنَّما أمرُوا بذبح البقرة دون غيرها لأنَّهم عبدوا العجل، فأراد الله أن يهون عندهم ما كانوا يرونه من تعظيمه^(٤).

(١) الظاهر أن المصنف يميل إلى عدم التحديد؛ لأنَّه ذكر وجوه ترجيح بعض هذه الأشياء على بعض في «غرائب التفسير» (١/ ١٥٠).

(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (١/ ١٠٩) عن مجاهد وسعيد بن جبير، والوارد في الصحيح أنه لا يبلى، كما روى البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظما واحداً وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة»، وفي رواية لمسلم: «لا تأكله الأرض أبداً».

(٣) في (و): «فلان بن فلان ابن أخي».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٥٠).

(٧٤) - ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبِكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبِكُمْ﴾ يا معشر اليهود؛ أي: اشتدَّت وصلبَتْ بالتجرُّؤِ على الله بمعاصيه، والقساوة: الصلابة.

﴿مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ ابن عباسٍ: إشارةٌ إلى إحياءِ الله عاميلٍ؛ لأنَّ القتالَ أنكرَ مع ذلك البرهان^(١).

غيره: إشارةٌ إلى ما تقدَّم من الآياتِ من ابتداءِ السورة.

﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ في الصلابة والغلظ.

﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾؛ أي: بعضها في قسوةِ الحجارة وبعضها أشدُّ، والشدة ضدُّ الرخاوة.

واختلفوا في تأويل (أو) هذه؛ فذهب الزجاجُ إلى أنه للإباحة^(٢)، وذلك في الأمر، وقد سبق^(٣).

ابن عيسى: هو للشكِّ على أصله، وتقديره: أشدُّ قسوةً عندكم^(٤).

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢ / ١٢٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن قتادة.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١ / ١٥٦).

(٣) يخالف المصنّف الزجاج، ويرى أنّ واو الإباحة تأتي بعد الأمر فقط، وقد تقدّم كلامه في هذا عند

تفسير ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٩].

(٤) ذكره الماوردي في «تفسيره» (١ / ١٤٦) دون نسبة.

المفْضَلُ: هو كما تقول: ما أطعمته إِلَّا حلواً أو حامضاً، وما نركب إِلَّا الفرس أو البغل؛ أي: هذين الصَّريَّين لا غير^(١).

﴿وَأَنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾
ثم فَضَّلَ الحِجَارَةَ على قلوبهم^(٢) لتفجَّر الأنهار من بعضها - والتفجَّر: انصباب الماء، كالانفجار - وتشقَّق بعضها عن الماء، وهو الذي لا يبلغ أن يكون نهرًا.
﴿وَأَنَّ مِنْهَا لَمَّا يَهْبِطُ﴾: ينزل من علو إلى سفلى.

﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾: خوفاً من الله بعد أن جعل فيه التَّمييزَ، كقوله: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ﴾ [الحشر: ٢١] الآية.

مجاهدٌ: كلُّ حجرٍ تفجَّر منه الماء أو تشقَّق عن ماءٍ أو تردَّى عن رأسِ جبلٍ فهو من خشيَةِ الله، نزل به القرآن^(٣).

وقيل: المرادُ بالحجرِ المتفجِّر منه الأنهارُ والمتشقِّق عن الماء: الحجرُ الذي ضربَه موسى عليه السلام بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، والمرادُ بالحجرِ الذي يهبط من خشيَةِ الله: الجبلُ الذي ذكره في قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] الآية^(٤).

(١) ذكر نحوه الأخفش في «معاني القرآن» (١/ ١١٥)، وذكره الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٣١) دون نسبة.

(٢) في (و): «بعضهم».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٤٧)، وذكره المصنّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٥٠).

(٤) ذكره المصنّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٥١)، واستغربه.

وقيل: هذا مثل ضربه الله؛ أي: لو كان ممّا يعقل لهبط من خشية الله، وأنتم عقلاء لا تخشونه!

وقيل: المراد بالحجر: البرد، والمراد بقوله: ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾: بإخشاء الله عباده وزجره إياهم عن الكفر والمعاصي^(١).

وقيل: الهاء في قوله: ﴿وَأِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ تعودُ إلى القلوب^(٢)؛ أي: من القلوبِ قلوبٌ تطمئنُّ وتستكنُّ إلى ذكرِ الله تعالى؛ يعني: قلوب المؤمنين المخلصين.

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ﴾: بساه^(٣) ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: التاءُ للخطاب، والياءُ للاستئناف^(٤).

(٧٥) - ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿أَفَنظَمُونَ﴾: الخطابُ للنبيِّ ﷺ والمؤمنين.
والطمعُ: رجاءُ الشيءِ والرغبةُ فيه.

﴿أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾: قيل: الباءُ واللامُ يتعاقبان، نحو قوله: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦١]^(٥).

(١) ذكره المصنّف أيضاً في «غرائب التفسير» (١/١٥١)، وعده من العجيب.

(٢) ذكره المصنّف في «غرائب التفسير» (١/١٥١)، وعده من العجيب أيضاً.

(٣) «بساه» من (ن).

(٤) قرئت ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بوجهين؛ قرأ ابن كثير بالياء، وباقي السبعة بالتاء. انظر: «السبعة في القراءات»

لابن مجاهد (ص: ١٦٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٤).

(٥) يذهب النحويون الكوفيون إلى أن حروف الجرّ تتعاقب، وذهب ابن قتيبة إلى أن الباء واللام =

ابن عيسى: يستجيبوا لكم بالتصديق^(١).

وقيل: يُظهِرُوا لَكُمْ أَنَّهُمْ وَاجِدُونَ نِعْتَ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي كِتَابِهِمْ وَصِفَتِهِ^(٢).

وقيل: يَصَدِّقُوا لَكُمْ لِأَجْلِ سِوَالِكُمْ إِيَّاهُمْ عَنْ صِحَّةِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَنِعْتِهِ.

وقيل: الْخِطَابُ لِلْيَهُودِ، وَفِيهِ بُعْدٌ.

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ﴾؛ يعني: التوراة.

﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾: التَّحْرِيفُ عَلَى وَجْهَيْنِ:

١ - تحريف لفظٍ إلى لفظٍ.

٢ - وتحريف معنى، وهو حمله على غير ما قصد له.

وذلك أن اليهود حرّفوا بعض أحكام التوراة، وحرّفوا صفة محمد النبي ﷺ.

ابن عباس: هم السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام ليسمعوا كلام الله،

وتحريفهم أنهم قالوا: سمعنا الله يقول في آخر كلامه: إن استطعتم أن تفعلوا هذه

الأشياء فافعلوا، وإن شئتم فلا تفعلوا ولا بأس^(٤).

﴿مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾: فهموه.

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: كان ذلك عن علمٍ منهم وتعمّدٍ، لا عن جهلٍ وخطأٍ.

= في قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ زائدتان. انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة

(ص: ١١٧)، و«الحجة» لأبي علي الفارسي (٣/ ٥٤).

(١) فسّر ابن عيسى الآية على مذهب البصريين في التضمين، فجعل الفعل (يؤمنوا) متضمناً معنى الفعل

(يستجيبوا).

(٢) في (ن): «نعت النبي».

(٣) في (ن): «وصفاته».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٩٨).

(٧٦) - ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ .

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾: نزلت في منافقي اليهود^(١)؛ أي: إذا اجتمعوا مع المؤمنين أظهروا كلمة الإيمان، وحدثوهم بما في كتابهم من نعت محمد ﷺ وصفته.

﴿وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾؛ أي: رجعوا إلى رؤسائهم، لاموهم ﴿قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ﴾: أتخبرون أصحاب محمد ﷺ.

والتحديث: الإخبار عن حوادث الزمان^(٢)، وأصله الحدوث.

﴿بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ ابن عباس والحسن: بما علمكم الله^(٣)، من قوله: افتح على الإمام؛ أي: علمه وذكره.

وقيل: ﴿فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: أنزله.

مجاهد: حكم به عليكم، من جعله منكم قردهً وخنازير - والفتح: الحكم، والفتاح: الحاكم^(٤) -

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢ / ١٤٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما والسدي، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ١٤٩) عن الربيع بن أنس.

(٢) «الزمان» من (ن).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢ / ١٤٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: (بما أمركم الله به)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ١٥١) عن الحسن، بلفظ: (قال بعضهم: لا تحدثوا أصحاب محمد بما فتح الله عليكم مما في كتابكم ليحاجوكم به عند ربكم فيخصمونكم)، وهذا هو القول الذي يميل إليه المصنّف. انظر: «غرائب التفسير» (١ / ١٥٢).

(٤) في (و): «القاضي».

قالوا ذلك حين دعاهم النَّبِيُّ ﷺ: «يا إِخْوَانَ الْقِرْدَةِ وَالْخَنَازِيرِ»^(١).

ابن عيسى: ﴿بِمَا فَتَحَ اللَّهُ﴾: حَكَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ وَأَلْزَمَكُمْوهُ بِاتِّبَاعِ^(٢) مُحَمَّدٍ ﷺ^(٣).

المفضل: أَظْفَرَكُمْ بِعَلْمِهِ، وَالْفَتْحُ: الظَّفْرُ^(٤).

﴿إِخْوَانُكُمْ﴾: لِيَجَادِلُوكُمْ وَيُلْزِمُوكُمُ الْحِجَّةَ بِمَا أَخْبَرْتُمُوهُمْ ﴿بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾: يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

المفضل: عِنْدَ كِتَابِ رَبِّكُمْ، فَحَذَفَ الْمِضَافَ؛ أَي: إِذَا تَلَوْتُمْ كِتَابَ رَبِّكُمْ احْتَجُّوا بِهِ عَلَيْكُمْ.

وقيل: فِي حُكْمِ رَبِّكُمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾؛ أَي: فِي حُكْمِهِ.

الحسن: ﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾: فِي رَبِّكُمْ، فيقولوا: نحن أولى بالله منكم^(٥).

ومعناه: إِنَّكُمْ مَقْرُونٌ بِنَبِيِّتِهِ، ثُمَّ جَحَدْتُمْ نَبِيَّتَهُ بَعْدَ الْإِقْرَارِ.

﴿أَفَلَا نَعْقِلُونَ﴾ أَنْ الْإِقْرَارَ بِالشَّيْءِ التَّرَامُ.

الحسن: ﴿أَفَلَا نَعْقِلُونَ﴾ خِطَابٌ لِلْمُؤْمِنِينَ.

ثُمَّ اسْتَأْنَفَ فَقَالَ:

(٧٧) - ﴿أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٤٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٥٠).

(٢) في (ن): «من اتباع».

(٣) ذكر نحوه الواحدي في «الوسيط» (١/ ١٦١) عن ابن الأنباري.

(٤) ذكر نحوه ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٨١).

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٤٩)، والرازي في «تفسيره» (٣/ ٥٦٢) عن الحسن،

وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٥٠) عن السدي.

﴿أَوْلَا يَعْلَمُونَ﴾؛ يعني: اليهود ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا سِرُّونَ﴾ في الخلوة ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ من الإيمان عند النبي ﷺ.

وقيل: هو عامٌ في جميع ما يخفونه وما يعلنونه.

(٧٨) - ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَايَ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

﴿وَمِنْهُمْ﴾: من اليهودِ ﴿أُمِّيُونَ﴾؛ أي: قومٌ أميون لا يقرؤون ولا يكتبون. والأميُّ: منسوبٌ إلى (الأم) ^(١).

المفضل: لأنه تربى معها، ولم يربّه الرجال، فيتعلّم ما يتعلّمه الرجال ^(٢).

وقيل: منسوبٌ إلى الأمّة؛ أي: الجماعة؛ لأنّ معظمهم لا يكتبون ^(٣).

أبو عبيدة: الأميون: الذين نزل عليهم الكتاب ^(٤)؛ أي: يقرؤونه ولا يعرفونه، كأنهم نُسبوا إلى أمّ الكتاب، وهو كتاب الله عزّ وجلّ.

والأميُّ أيضًا في غير هذه: المنسوبٌ إلى أمّ القرى مكّة.

﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾: لا يفهمون ما فيه.

(١) قال ابن الأنباري: إنما سُمّي الذي لا يكتب ولا يقرأ أميًا؛ لأنه نسب إلى أمّه؛ إذ كان النساء لا يكتبن

في ذلك الدهر. انظر: «التفسير البسيط» للواحدي (٣/ ٨٤).

(٢) ذكره الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٥٣) دون نسبة، ورجحه.

(٣) هذا ما اختاره ابن قتيبة في «غريب الحديث» (١/ ٣٨٤).

(٤) لم أفق على هذا عن أبي عبيدة، وقد ذكر الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٠٢) نحوه عن ابن عباس

رضي الله عنهما وقادة، وروى ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٥٢) عن أبي عبيدة خلاف هذا

المعنى فقد قال: (الأميون: الذين لم يأتهم الأنبياء بالكتب، والنبيُّ الأميُّ: الذي لا يكتب)، وهو

الذي في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٩٠).

﴿إِلَّا أَمَانِي﴾: إِلَّا تِلَاوَةً. استثناءً منقطعاً، معناه: لكن^(١).
والأمنيّة: التّلاوة؛ قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾
[الحج: ٥٢]؛ أي: تلاوته^(٢)، قال الشّاعر:

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ أَحْرَ كَيْلَةٍ تَمَنَّى دَاوُدَ الزَّبُورَ عَلَى رِسْلِ^(٣)

ابن عباس: إِلَّا كَذْبًا^(٤). من قوله: ما تمنيت منذ أسلمت^(٥).

قتادة: تشهياً، يتمنون على الله ما ليس لهم أن يتمنوه^(٦).

﴿وَأَن هُمْ﴾: وما هم ﴿إِلَّا يَظُنُّونَ﴾: لا يدرون ما فيه، فيجحدون نبوتك بالظنّ.

(٧٩) - ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ رُؤْيَا
بِهِ ثُمَّ قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾.

﴿فَوَيْلٌ﴾ روى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ: «وَيْلٌ وَاِدٍ فِي جَهَنَّمَ يَهْوِي
فِيهِ الْكَافِرُ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ قَعْرَهُ»^(٧).

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٢٣).

(٢) في (ن): «تلاوته ثم».

(٣) البيت بلا نسبة في: «المنجد» لكراع النمل (١/ ١٥٤)، و«الزاهر» لأبي بكر الأنباري (٢/ ١٥١)،
و«الغريبين» لأبي عبيد الهروي (٦/ ١٧٨٢).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٥٦).

(٥) هو قول عثمان رضي الله عنه، رواه عنه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٠٥٥)، وابن شيبة في «تاريخ
المدينة» (٢/ ٢١٣)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٢٨٢).

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٧٩)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ١٥٦).

(٧) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١١٧١٢)، والترمذي (٣١٦٤)، وقال: (حديث غريب لا نعرفه
مرفوعاً إلا من حديث ابن لهيعة).

عثمانُ بنُ عفَّانَ: هو جبلٌ في النَّارِ^(١).

وقيل: وادٍ من صديدٍ في جهنم.

الكلبيُّ: الشَّدِيدُ من العذاب^(٢).

الأصمعيُّ: الويلُّ: تقييحٌ^(٣).

وقيل: الويلُّ: الهلاكُ، يُستعملُ لمن لا يُرجى خلاصُه.

﴿لَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: تولَّوا كتابته بأيديهم، لم يأمرُوا غيرهم

بالكتابة.

وقيل: لتحقيق الإضافة.

قال ابن السَّراج: من تلقاء أنفسهم^(٤).

والوجهُ هذا؛ لقوله: ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾؛ لأنهم غيروا صفةَ محمَّدٍ

ﷺ وغيروا بعضَ أحكامه، ثم قالوا: هذا من عند الله.

﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثُمَّاتًا قَلِيلًا﴾: عوضًا يسيرًا، وهو ما كانوا يُصيرونه من سفلتهم.

﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ لتحريفهم ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ من الحرام،

والاكتسابُ: الاجتلابُ للنتع.

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١ / ١٥١) عن عثمان رضي الله عنه، ورواه الطبري في

«تفسيره» (٢ / ١٦٤) وابن كثير في «تفسيره» (١ / ٣١٢) عن عثمان رضي الله عنه مرفوعًا، وقال ابن

كثير: (وهذا غريب أيضاً جداً).

(٢) ذكره الواحدي في «البيسط» (٢٠ / ٤٨٣).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١ / ١٥١)، والواحدي في «البيسط» (٣ / ٩١).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١ / ١٥١)، والواحدي في «البيسط» (٣ / ٩٣).

(٨٠) - ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخِذُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يَخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة ويهود تقول: إنما هذه الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما يُعَذَّبُ النَّاسُ فِي النَّارِ بِكُلِّ أَلْفِ سَنَةٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا يَوْمًا وَاحِدًا فِي النَّارِ مِنْ أَيَّامِ^(١) الآخرة، إنما هي سبعة أيام ثم ينقطع العذاب، فأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾^(٢).

الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: وَجَدَ أَهْلَ الْكِتَابِ: مَا بَيْنَ طَرَفِي جَهَنَّمَ مَسِيرَةٌ أَرْبَعِينَ، فَقَالُوا: لَنْ نُعَذَّبَ فِي النَّارِ إِلَّا مَا وَجَدْنَا فِي التَّوْرَةِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أُقْحِمُوا فِي النَّارِ فَصَارُوا فِي الْعَذَابِ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى سَقَرٍ، وَفِيهَا شَجَرَةٌ الزَّقُّومِ إِلَى آخِرِ يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ الْمَعْدُودَةِ، قَالَ: فَيَقُولُ لَهُمْ خَزَنَةُ أَهْلِ النَّارِ: يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ، زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ لَنْ تُعَذَّبُوا فِي النَّارِ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً، فَقَدْ انْقَضَى الْعَدَدُ وَبَقِيَ الْأَبَدُ^(٣).

الحسن وقتادة: عَنَّا بِهَا الْأَيَّامُ الَّتِي عَبْدُوا فِيهَا الْعِجْلَ^(٤).

(١) في (و): «الأيام».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢ / ١٧٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ١٥٥).

ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١ / ٩٦) من طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما، وحسن إسنادَه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٠ / ٢٤٦).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ١٥٦)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢ / ١٧١) بأوجز

من هذا.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٨١)، والطبري في «تفسيره» (٢ / ١٧١)، وابن أبي حاتم في

«تفسيره» (١ / ١٥٦) عن قتادة.

وقيل: معنى ﴿مَعْدُودَةٌ﴾: قلائل، كقوله: ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يوسف: ٢٠].
 ... (١) ثم يشفعُ لنا آباؤنا الأنبياءُ عليهم السلام، فأيسهم الله، وأنزلَ هذه الآية.
 وقوله: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا﴾: لن نصيبنا، والمسُّ: الجمعُ بين الشيئين على
 نهايةِ القُربِ، واللَّمْسُ مثله، لكنَّه مع الإحساس (٢).
 ﴿فَلْ أَمُحِّدْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾: عقداً، وقيل: وعداً، ﴿فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ أَمْ نَقُولُونَ
 عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿جهلاً وكذباً.
 وتقديره: أتقولون على الله ما تعلمون أم تقولون على الله ما لا تعلمون؟ ويجوز
 أن تكون (أم) المنقطعة؛ أي: بل أتقولون على الله ما لا تعلمون؟ (٣)

(٨١) - ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَظَّتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿بَلَىٰ﴾: ردٌّ لجوابِ النَّفي؛ استفهاماً كان أو خبراً (٤).
 ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾: قيل: الشُّركُ، وقيل: الكبائرُ من الذُّنوب.
 ﴿وَأَحَظَّتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾؛ أي: ذنوبه، وسدَّتْ عليه مسالكُ النَّجاةِ، وهو أن
 يموتَ على الكفرِ، والإحاطةُ: الإدارةُ حولَ الشَّيءِ.

(١) في الكلام اختصار، والمراد: اليهودُ كانوا يقولون: لن تمسنا النارُ إلا أياماً معدودةً.

(٢) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٤٢٦/١).

(٣) وعلى التقدير الأول تكون (أم) المعادلة، وقد ذكر جوازَ الوجهين الواحدي في «البيسط»

(٣/٩٥)، والزمخشري في «الكشاف» (١/١٥٨).

(٤) بلى: حرف جواب لا يقع إلا بعد نفي في اللفظ أو المعنى، ومعناها ردُّ النفي، سواء كان مقروناً باستفهام، أو لا. انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان الأندلسي (١/٤٣٧).

﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾: مُلَازِمُوهَا وَالِدَّاخِلُونَ فِيهَا.

﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: دَائِمُونَ.

(٨٢) - ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾:

وَالْخُلُودُ: الْوَجُودُ^(١) إِلَى غَيْرِ نَهَايَةٍ.

(٨٣) - ﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وِبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي

الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ

تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾.

﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: الْجُمْهُورُ: اذْكَرُ إِذَا أَخَذْنَا، فَيَكُونُ اسْتِثْنَاءً.

قال الشيخ رحمه الله^(٢): وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ جَمِيعُ مَا تَقَدَّمَ وَمَا سِيَّأْتِي إِلَى

انْقِضَاءِ الْقِصَّةِ عَطْفًا عَلَى قَوْلِهِ: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾؛ أَي: حِينَ أَنْعَمْتُ

عَلَيْكُمْ وَفَعَلْتُمْ كَذَا وَفَعَلْنَا كَذَا.

وَالْمِيثَاقُ: الْعَقْدُ^(٣) الْمَوْكَدُ غَايَةَ التَّوَكِيدِ.

(١) «الوجود» من (ن).

(٢) «قال الشيخ رحمه الله»: ليس في (ن).

(٣) في (و): «العهد».

﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ الكلبى^(١): بأن لا تعبدوا، فحذف الجارَّ، وتعدى الفعل من غير واسطة، ثم حذف (أن) فارتفع الفعل، كقول الشاعر:

ألا أيُّ هذا الزَّاجِرِ أَحْضَرُ الوَعَى وأنَّ أشْهَدَ اللَّذَاتِ هل أنتَ مُخْلِدي^(٢)

«الحجّة»: (الأخذ) من الألفاظ التي تجري مجرى القسم، فتُجابُ بجواب القسم، فيكون تقديره: حلّفتناهم لا تعبدون، ومثله: ﴿لَتَبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٨٧]^(٣).

قطرب: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ حال؛ أي: غير عابدين إلا الله^(٤).

الفراء: اللَّفْظُ خَبْرٌ، والمرادُ به النَّهْيُ^(٥)، كقوله: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الصف: ١١] في (الصف)، وجرُّمٌ ﴿يَغْفِرُ﴾ [الصف: ١٢] يدلُّ عليه^(٦).

ومن قرأ بالتاء^(٧) فيإضمار القول، وإضمار القول لا يضيّقُ.

(١) كذا في النسخ الخطية، والصواب أن القول للكسائي. انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٤٢١)، و«البيسط» للواحدى (٣/ ١٠٣)، و«تفسير الراغب الأصفهاني» (١/ ٢٤٦)، و«تفسير الرازي» (٣/ ٥٨٥). وأجازه الفراء والأخفش والزجاج. انظر: في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٥٣)، وللأخفش (١/ ١٤٠)، وللزجاج (١/ ١٦٤).

(٢) البيت لطرفة بن العبد من معلقته. انظر: «ديوانه» (ص: ٢٥)، و«جمهرة أشعار العرب» للقرشي (ص: ٣٢٥).

(٣) انظر: «الحجّة» لأبي علي الفارسي (٢/ ٧٣).

(٤) ذكره الواحدى في «البيسط» (٣/ ١٠٣).

(٥) ذكر الفراء هذا الوجه، وذكر الوجه الأول والثاني أيضاً. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٥٣ - ٥٤).

(٦) كلام المصنّف على آية (الصف) التي أيد بها قول الفراء، فهو يرى أن الخبر فيها معناه الأمر، ولذلك جزم جوابه، وهو في رأيه هذا موافق للزجاج، وفي كلامه ردُّ على المبرّد الذي رأى أن الجزم جواب للاستفهام بـ(هل). انظر: «المقتضب» للمبرّد (٢/ ٨٢)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٦٦).

(٧) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء، وباقي السبعة بالتاء. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد =

﴿وَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا﴾: الوالد: الأب، والوالدان: الأب والأم، والولد: نتيجتهما، وأصله من الولادة، كالتَّاجِ لِلنَّاقَةِ.

والإحسان: النَّفْع.

الحسن^(١): والباءُ مَتَّصِلٌ بالإيِّصاء؛ أي: أوصينا بهما إحساناً، كقوله: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ [الأحقاف: ١٥]^(٢).

وقيل: يَتَّصِلُ بفعلٍ من الإحسان؛ أي: وأحسنوا بالوالدين، تقول: أحسن به، قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ [يوسف: ١٠٠]، وأحسن إليه، قال الله سبحانه^(٣): ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧]^(٤).

وقيل: مَتَّصِلٌ بِالْأَخْذِ؛ أي: أخذنا ميثاق بني إسرائيل بأن لا تعبدوا إلا الله وبالوالدين إحساناً^(٥).

= (ص: ١٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٤).

(١) كذا في النسخ الخطية، والصواب أنه: «الحجة»؛ فالقولان ذكرهما أبو علي الفارسي في «الحجة»، كما أن مثل هذا الكلام يبعد أن يصدر عن الحسن رحمه الله، ولم ينسبه أحد إليه. انظر: «الحجة» (٢/ ١٣٠).

(٢) في (و): ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨]. انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٥٦).

(٣) في (و): «كقوله».

(٤) اختار هذا الوجه الأخفش والزجاج، وذكره والذي قبله العكبري. انظر: «معاني القرآن» للأخفش

(١/ ١٣٤)، وللزجاج (١/ ١٦٣)، و«إعراب القرآن» للعكبري (١/ ٨٤).

(٥) انظر هذه الأقوال بلا نسبة في: «تفسير الطبري» (٢/ ١٩١)، و«البيسط» للواحدى (٣/ ١٠٧)،

و«المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ١٧٢)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ٤٥٨)، وقد رجَّح

الطبري القول الأخير؛ لأنه أنسب لسياق الآية، ورجَّح الأخفش والزجاج والواحدى وأبو حيان

تعلَّقُ الباءُ بالإحسان؛ لأنَّه أقرب إلى قياس اللغة، أما الكرمانى فقدَّم هنا الأول؛ لشبهه بالقرآن، =

﴿وَذَى الْقُرْبَى﴾: القريبُ المعتدُّ بقربته.

﴿وَأَلَيْتَمَى﴾: جمعُ يتيمٍ، وهو الَّذي فقدَ أباه قبلَ الحُلْمِ إلى الحُلْمِ^(١).

﴿وَأَلْمَسَكِينَ﴾: جمعُ مسكينٍ، وهو الَّذي ضمَّ إلى فقره الذلَّ وانقطاعَ المعونة.

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾: قيل: النَّاسُ عامٌّ، وقيل: خاصٌّ للمؤمنين، وقيل:

المرادُ به النَّبِيُّ ﷺ؛ أي: وقولوا للنَّاسِ في شأنِ مُحَمَّدٍ ﷺ حُسْنًا.

وقيل: الأمرُ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكر.

وقيل: هو محكمٌ، وقيل: هو منسوخٌ بآيةِ السَّيفِ.

والْحُسْنُ وَالْحَسَنُ لغتان، كالبُخْلِ والبَخَلِ، وقيل: الْحَسَنُ وصفٌ؛ أي: قولاً

حَسَنًا، وَالْحُسْنُ المصدرُ؛ أي: قولاً ذا حُسْنٍ.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ المفروضة، ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ الواجبة.

ابن عيسى: كان زكاةُ أموالهم قرباناً تهبطُ إليه نارٌ فتحمله^(٢).

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾: أعرضتم، والتَّوَلَّيْتُ: الذَّهَابُ عن الشَّيْءِ خلافَ التَّوَلَّيْتُ إليه.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾؛ فَإِنَّهُمْ بقوا على الميثاق.

﴿وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾: خطابٌ لليهود الذين كانوا في عصرِ النَّبِيِّ ﷺ؛ أي: أنتم

معرضون كأوائلكم، وقيل: تأكيدٌ للأوَّلِ، وهم الغيبُ.

= ولأنه أنسب لسياق نظائر هذه الآية في القرآن كله، وقدم في «غرائب التفسير» (١/ ١٥٤) تعلقُ الباء بالإحسان؛ لأنه الأشهر عند المفسرين.

(١) في (و): «وإلى الحلم»، والصواب ما أثبتناه من (ن)؛ لأنَّ المراد: أنَّ هذه التسمية تُطلق عليه إلى الحلم.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٩٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٨٤) - ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَاسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ .

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَاسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾؛ أي: لا يسفك بعضكم دم بعض.

وقيل: لا يقتل فيقتل قوداً، فيكون كأنه سفك دمه؛ أي^(١): تسبب له.

وقيل: نهوا عن قتل أنفسهم، وهذا^(٢) محرّم.

وقيل: لا تأتوا ما يجب قتلكم به في حكم الله.

وقيل: كان فرضاً عليهم قتل أنفسهم من الكبائر، ثم رُفِعَ عنهم.

﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾؛ أي: لا يُخْرِجُ بعضكم بعضاً من داره،

فيستولي عليها.

قال الشيخ رحمه الله تعالى^(٣): ويحتمل بعض وجوه الأوّل.

والنفس: الذات.

والدار: اسم جامع للعِصَةِ والبناء والمحلّة، واشتقاقه من الدّور، وهو التّحجير

حول الشّيء.

﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾؛ أي: اعترفتهم، والإقرار: الإخبار على طريق الإيجاب^(٤) بـ(نعم).

وقيل: ﴿أَقْرَرْتُمْ﴾: قبلتم، من (الإقرار) الذي هو الرّضا، قال البُعَيْثُ:

(١) في (ن): «إذ».

(٢) في (و): «وذلك».

(٣) «قال الشيخ رحمه الله تعالى»: ليس في (ن).

(٤) «الإيجاب»: من (ن).

أَلَسْتَ كَلْبِيًّا إِذَا سِيمَ خُطَّةً أَقَرَّ كإِقْرَارِ الْحَلِيلَةِ لِلْبَعْلِ^(١)
 ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ على إقرار أسلافكم، ويجوز أن يكون خطاباً لأسلافهم،
 فيدخل هؤلاء في معناه، فيكون الكلام على نسقٍ واحدٍ.
 وإعراب ﴿لَا تَسْفِكُونَ﴾ ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ﴾ كإعراب ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾.

(٨٥) - ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ
 تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَفْدُوهُمْ وَهُمْ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ
 إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكُذِبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ
 مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَيْهِ أَسَدُّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا
 تَعْمَلُونَ﴾.

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ الزَّجَاجُ: (هؤلاء) بمعنى: الذين،
 و(تقتلون) صلته، قال: ومثله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ [طه: ١٧]^(٢).
 ابن عيسى: يا هؤلاء^(٣).

وقيل: (هؤلاء)^(٤) تأكيد لـ (أنتم)، و(تقتلون) خبره^(٥).

(١) انظر: «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (١/ ٤٤٨)، و«العقد الفريد» لابن عبد ربه (٥/ ٢٦٤).
 (٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٦٧)، وقد ذكره المصنّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٥٥).
 (٣) ذكره بلا نسبة الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٠٥)، والسمرقندي في «تفسيره» (١/ ٧٠)، والواحدي
 في «البيسط» (٣/ ١١٧).
 (٤) «وقيل هؤلاء» من (ن).
 (٥) ذكره المصنّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٥٥).

﴿وَتَخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دِيَارِهِمْ﴾: من مقامهم؛ أي: أنتم^(١) تسفكون الدماء، وتخرجون الموحدين من ديارهم غير مراقبين ميثاق الله عليكم.

﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ﴾: تتعاونون، والمعاونة والمظاهرة واحدٌ، وأصله: تتظاهر، فأدغم التاء عند بعضٍ، وحذف عند بعضٍ.

﴿بِالْإِثْمِ﴾: بما فيه إثمٌ، والإثم: الفعل الذي يُستحقُّ عليه اللومُ.

﴿وَالْعُدُونَ﴾: وهو مجاوزة الحدِّ، وقيل: الإفراط في الظلم.

﴿وَإِن يَأْتُوكُمُ أُسْرَىٰ تَفْدُوهُمْ﴾ أسرى: جمعُ (أسير) على القياس، وأسارى: جمعُ الجمع، وقيل: أجري (أسيرًا) مجرى (سكران)، فجمع جمعه، ولا فرق بينهما، وروي عن أبي عمرو: أنه فرق بينهما^(٢).

وأصله: الشدُّ بالأسر، وهو القدُّ.

والفداء: البدل من الشيء صيانةً له.

والأظهر أن (فدى) و(فادى) بمعنى واحدٍ، والمفعول الثاني^(٣) محذوفٌ؛ أي: تفدوهم بأموالكم أو أسرائكم.

(١) في (ن): «أي من مقامهم ثم أنتم».

(٢) روى الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٣١) عن أبي عمرو أنه قال: (ما أسير فهو أسارى، وما لم يُؤسر فهو أسرى، وروي عنه من وجهٍ آخر قال: ما صار في أيديهم فهم أسارى، وما جاء مستأسرًا فهو أسرى)، وذكر عن ثعلب إنكاره للفرق بينهما. ومعنى (ما أسر) في كلام أبي عمرو: ما شدَّ بالإسار، و(ما لم يُؤسر): ما أخذه العدو أسيرًا ولم يربطه بالإسار.

(٣) الفعل (فدى) يتعدى إلى مفعولين، ويتعدى إلى الثاني بحرف الجرِّ. انظر: «الحجة» لأبي علي

﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، والتقدير: وتخرجون فريقاً

منكم^(١) من ديارهم، وهو محرمٌ عليكم إخراجهم، وإن يأتوكم أسارى تفادوهم^(٢).

و(هو) كنايةٌ عن الإخراج، وقيل: كنايةٌ عن الأمرِ والشأن، وقيل: كنايةٌ بشريطة

التفسير، وقيل: عمادٌ.

ابن عباس: كانت قريظةً والنضيرُ أخوين، والأوسُ والخزرجُ أخوين، وكانت

قريظةً مع الأوس، والنضيرُ مع الخزرج، فإذا اقتتلا عاونَ كلُّ فريقٍ حلفاءها^(٣)، فإذا

وضعت الحربُ أوزارها فدوا أسراها^(٤).

﴿أَفْتَوْمُنُونَ بَعْضُ الْكُتُبِ﴾؛ يعني: فداء الأسرى، ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ﴾:

بما سواه.

قال السُّدِّيُّ: أخذَ اللهُ عليهم أربعةَ عهودٍ: تركَ القتال، وتركَ الإخراج، وتركَ

المظاهرة، وفداءُ أسرائهم، فأعرضوا عن كلِّ ما أمروا إلاَّ الفداء^(٥).

﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ﴾ الجزاء: المقابلةُ على الخيرِ بالثواب،

وعلى الشرِّ بالعقاب.

و﴿ذَلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الإيمانِ ببعضٍ والكفرِ ببعضٍ.

﴿الْآخِرَى﴾: هوانٌ.

(١) «منكم» من (ن).

(٢) في (ن): «أسرى تفادوهم».

(٣) أعداد الضمير بصيغة المؤنث؛ لأنه أراد بالفريق القبيلة.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٠٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٦٤).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٣٢)، والواحد في «البيسط» (٣/ ١١٦).

ابن السَّرَّاج: يصلحُ أن يكون أصله من الخَزَايَةِ، وهو الاستحياء؛ أي: يقف موقفاً يُسْتَحْيَا منه^(١).

﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: بالقتلِ والأسْرِ والجِزْيَةِ والجلاء.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ﴾: يُصْرَفُونَ، والرَّدُّ: الرَّجْعُ، والرَّدُّ: المردود، وجمعه:

الرُّدود.

﴿إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾: هو الَّذِي لَا رَوْحَ فِيهِ وَلَا فَرْحَ، وقيل: إلى أَشَدِّ من^(٢)

عذاب الدنيا.

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ﴾: بساؤه ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: التَّاءُ تَدُلُّ عَلَى أَوَّلِ آيَةِ، والياءُ عَلَى

آخرها^(٣).

(٨٦) - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ

يُنصَرُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: اختاروها عَلَى الْآخِرَةِ اخْتِيَارَ الْمَعْطِيِّ

والمشترى.

﴿فَلَا يُخَفَّفُ﴾: لَا يَهْوَنُ ﴿عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾، والتَّخْفِيفُ: التَّسْهِيلُ والتَّهْوِينُ.

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: يُمنَعُونَ من عذابِ اللَّهِ، والنُّصْرَةُ: المَعُونَةُ عَلَى الْعَدُوِّ.

(١) ذكره الواحدي في «البيسط» (٣/ ١٢٧)، وانظر: «الأصول» لابن السراج (٣/ ١٠٧).

(٢) «من» من (ن).

(٣) قرأ نافع وابن كثير وشعبة ويعقوب وخلف بالياء، وباقي العشرة بالتاء. انظر: «النشر» لابن الجزري

(٢/ ٢١٨).

(٨٧) - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾: أعطينا، والإيتاء: إخراج المأخوذ^(١) إلى الآخذ.

﴿مُوسَى الْكِتَابَ﴾^(٢): التوراة.

﴿وَقَفَّيْنَا﴾: أتبعنا، والتقفية: إلحاق الشيء بالشيء^(٣).

﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾: بعده.

﴿الرُّسُلِ﴾: جمع رسول، والرسول: المؤدّي عن الله ما أوحاه إليه، المبان عن غيره بالمعجزة الدالة على صدقه، واشتقاقه من (الرسول)، وهو اللبّن.

والمعنى^(٤): جعلنا الرسل يتلو بعضهم بعضًا بعده.

وقيل: جعلنا الرسل بعد موسى إلى عيسى تابعين لشريعته.

﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات من إحياء الموتى وإبراء الأكمه

والأبرص وغيرها.

وقيل: ﴿الْبَيِّنَاتِ﴾: الإنجيل.

﴿وَأَيَّدْنَاهُ﴾: قوّناه، والأيد والآد: القوّة.

(١) في (و): «الإخراج للمأخوذ».

(٢) في (ن) زيادة: «يعني».

(٣) في (ن): «الشيء بعده».

(٤) في (و): «ومعناه».

﴿رُوحَ الْقُدُسِ﴾ الحسن وجماعة: هو جبريل عليه السلام^(١).

وسُمِّيَ رُوحَ الْقُدُسِ لِأَنَّهُ يَأْتِي بِمَا فِيهِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ، وَقِيلَ: سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّ الْغَالِبَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ الرُّوحُ، وَالرُّوحُ مَعْنَى يَبِينُ^(٢) بِهِ الْحَيُّ عَنْ^(٣) الْمَيِّتِ، وَالْمَلَائِكَةُ هُمُ الرُّوحَانِيُّونَ.

وَالْقُدُسُ: الطَّهَارَةُ، وَقِيلَ: الْقُدُسُ: الْبَرَكَةُ.

الْحَسَنُ: الْقُدُسُ: هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ^(٤).

وَتَأْيِيدُهُ إِيَّاهُ: إِتْيَانُهُ بِكَلَامِ اللَّهِ، وَقِيلَ: صَعُودُهُ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ لَمَّا أَرَادُوا قَتْلَهُ.

ابن عَبَّاسٍ: رُوحَ الْقُدُسِ: هُوَ الْاسْمُ الَّذِي كَانَ يُحْيِي بِهِ الْمَوْتَى، وَيَعْمَلُ الْعَجَائِبَ بِهِ^(٥).

وَقِيلَ: هُوَ الْإِنْجِيلُ.

﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ﴾: تَحَبُّ وَتَرْضَى، وَالْهَوَى: الْمَحَبَّةُ، تَقُولُ: هَوِيَ يَهْوَى هَوًى، وَأَصْلُهُ مِنَ (الْمِيلِ).

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٣٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٥٦) عن الحسن وغيره، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٢٢) عن الربيع والضحاك والسدي وقتادة. وهذا هو القول الذي يميل إليه المصنّف؛ فقد قال في «غرائب التفسير» (١/ ١٥٦): (روح القدس: يعني جبريل، والقدس: هو الله، أُضيفَ إليه تشريفاً، كبيت الله، وناقة الله).

(٢) أي: يمتاز ويختلف.

(٣) في (و): «به يبينُ الحيُّ من».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٣٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٥٦) عن الحسن، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٣٨) عن مجاهد.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٦٩).

﴿أَسْتَكْبَرْتُمْ﴾: تعظمتن عن^(١) الإيمان.
 ﴿وَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾ مثل عيسى ومحمد عليهما السلام.
 ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ كزكريا ويحيى عليهما السلام.
 وَإِنَّمَا قَالَ^(٢): ﴿تَقْتُلُونَ﴾ لآنه فاصلةٌ وحكايةٌ حال^(٣).

(٨٨) - ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ بل لَعَنَهُمُ اللَّهُ يَكْفُرِهِمْ فَبَقِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ ﴿﴾.
 ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾: جمع غُلْفٍ؛ أي: عليها حجابٌ، فلا نفهمُ منك ما تقولُ،
 كقوله: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكْتِنَةٍ﴾ [فصلت: ٥].
 وقيل: هو جمعُ غِلَافٍ؛ أي: هي أوعيةُ العلم^(٤).
 وأصله غُلْفٌ، فسكَّنَ ك(رُسل)، وقد قرئ في الشَّوَادِثِ مَثَقَلًا^(٥).
 والغِلافُ: وعاءُ الشَّيْءِ وصِوانُهُ.
 ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾: طردهم ﴿يَكْفُرِهِمْ﴾، والطَّرْدُ واللَّعْنُ واحِدٌ، وذِئْبٌ لعينٌ؛ أي:
 طريد، قال:

(١) في (ن): «على»، وفي الهامش: «عن».

(٢) «قال»: ليس في (و).

(٣) وتقديره: فريقاً كذبتهم وأنتم تقتلون فريقاً، فلذلك جاء (تقتلون) بلفظ المضارع مع أن معناه: وفريقاً قتلتم.

(٤) في (ن): «للعلم».

(٥) قال ابن مجاهد في «السبعة في القراءات» (ص: ١٦٤): (كلهم قرأ ﴿غُلْفٌ﴾ مخففة، وروى أحمد بن موسى اللؤلؤي عن أبي عمرو أنه قرأ ﴿غُلْفٌ﴾ بضم اللام، وروى الباقر عنه أنه خفف، والمعروف عنه التخفيف).

ذَعَرْتُ بِهِ الْقَطَا وَنَفَيْتُ عَنْهُ مَقَامٌ^(١) الذُّبِّ كَالرَّجُلِ اللَّعِينِ^(٢)
 أراد: مقام الذُّبِّ اللَّعِينِ كَالرَّجُلِ.

﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ قيل: معناه: فإيمانهم قليل، ونصبه على أنه صفة مصدرٍ محذوف؛ أي: يؤمنون إيمانًا قليلًا، و(ما) صلة^(٣).

وقيل: معناه: فقليلٌ مؤمنوهم، والنَّاصِبُ مُضْمَرٌ، تقديره: فصاروا قليلًا يؤمنون، حكاه^(٤) عليُّ بن عيسى^(٥).

وقيل: (ما) للنفى؛ أي: ما يؤمنون لا قليلًا ولا كثيرًا، وهذا لا يجوز؛ لأنَّ ما بعدَ (ما) لا يعملُ فيما قبله^(٦).

(١٩) - ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

(١) في (ن): «مكان»، وهي كذلك في بعض المصادر.

(٢) البيت للشَّامِخ بن ضرار. انظر: «ديوان الشَّامِخ» (ص: ٣٢٠)، و«المعاني الكبير» لابن قتيبة (١ / ١٩٤)، و«تفسير الطبري» (٢ / ٢٣٢).

(٣) وقد استحسن المصنف هذا الوجه في «غرائب التفسير» (١ / ١٥٧).

(٤) في (و): «حكاهما».

(٥) هو الرَّمَانِي، وقد استغرب المصنّف هذا الوجه في «غرائب التفسير» (١ / ١٥٧)، وروى الطبري في «تفسيره» (٢ / ٢٣٢ - ٢٣٣) المعنيين؛ الأول عن معمر، والثاني عن قتادة، وذكرهما الماوردي في «النكت والعيون» (١ / ١٥٧) بلا نسبة.

(٦) «وهذا لا يجوز لأن ما بعد ما لا يعمل فيما قبله» من (ن). ذكر الثعلبي هذا الوجه عن الواقدي في

«تفسيره» (٣ / ٤٤٢)، وعده المصنّف من العجائب في «غرائب التفسير» (١ / ١٥٧).

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾؛ أي: هؤلاء اليهود.

﴿كَيْتَبُ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: كانت يهودُ خيبرَ تقاتلُ غطفانَ، فكلَّمَا التقوا هُزِمَتْ يهودُ، فعادَتِ اليهودُ بهذا الدُّعاء وقالت: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِحَقِّ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي وَعَدْتَنَا أَنْ تَخْرُجَهُ لَنَا فِي آخِرِ الزَّمَانِ إِلَّا نَصَرْتَنَا عَلَيْهِمْ، قال: فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدُّعاء، فهزموا غطفانَ، فلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ كفروا به، فأَنْزَلَ اللهُ هذه الآية (١).

﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾؛ يعني: القرآن.

﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾؛ أي: يصدِّقُ القرآنُ التَّوراةَ؛ لأنَّ فِيهِ ذَكَرَ مَجِيءَ النَّبِيِّ ﷺ والقرآنِ، ومَجِيءُ الْمُخْبِرِ به يجعلُ الْمُخْبِرَ بوقوعِهِ صادقًا.

وقيل: يصدِّقُ التَّوراةَ والإنجيلَ أَنَّهُمَا من عند الله.

وقيل: موافقٌ بجُلِّ أَحكامِهِ.

﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾؛ أي: من قَبْلِ الْقُرْآنِ ومحمَّدٍ ﷺ (٢) ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾: يستنصرون الله ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: على أعدائهم، ويقولون: اللَّهُمَّ انصُرنا بِحَقِّ النَّبِيِّ عَلَى أَعْدائِنَا فَيُنصِرُونَ.

وقيل: يسألون الله القضاءَ بينهم وبينَ عدوِّهم به.

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٨)، ورواه الحاكم في «المستدرک» (٣٠٤٢)، وقال: (أدَّت الضرورة إلى إخراجه في التفسير، وهو غريب جدًا)، وعلَّق الذهبي قائلًا: (لا ضرورة في ذلك؛ فعبُد الله متروك هالك).

(٢) في (ن): «والنبي عليه السلام».

وقيل: ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾: يَسْتَعْلِمُونَهُمْ^(١): هل وُلِدَ فِيهِمْ مَنْ هُوَ بِصِفَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟^(٢)

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾: جحدوا نبوته وأنكروه.

والمعرفة: ظهور الشيء للنفس على ثقة.

وجواب (ولمّا) مُضْمَرٌ دَلَّ عَلَيْهِ مَا بَعْدَهُ، وَجَوَابٌ (فَلَمَّا): ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾.

وقيل: لَمَّا طَالَ الْكَلَامُ أَعَادَ ﴿فَلَمَّا﴾، كَقَوْلِهِ: ﴿أَيُّدِكُمْ أَكْثَرُ إِذَا مِتُّمْ﴾ [المؤمنون: ٣٥]^(٣).

قال الفراء: ﴿فَلَمَّا﴾ بالفاء جواب ﴿وَلَمَّا﴾، و﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ جواب ﴿فَلَمَّا﴾^(٤).

﴿فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكٰفِرِينَ﴾: كلمة تُسْتَعْمَلُ لِلْبُعْدِ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَأَصْلُهُ مِنَ

(الطرد).

(٩٠) - ﴿بِسْمَا أَشْرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ

فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ قَبْأً وَيَغْضَبِ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

﴿بِسْمَا أَشْرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾: (بئس): كلمة تُسْتَعْمَلُ

لِلدَّمِّ خِلاف (نعم)، والمعنى: بئس شيئاً باعوا به أنفسهم الكفر.

واشترى بمعنى: باع، وقيل: إنّما يستعمل (اشترى) بمعنى (باع)؛ إذا وقع

التبائعُ بغير الذهب والفضة؛ لأنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بَائِعٌ وَمَشْتَرٍ.

(١) في (و): «يستعلمون».

(٢) ذكر المصنّف هذا الوجه في «غرائب التفسير» (١/ ١٥٧)، واستغربه.

(٣) وهذا القول منسوب للمبرّد. انظر: «البيسط» للواحدي (٣/ ١٤١).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٥٩)، وفيه: (ليس للأولى جواب؛ فإن الأولى صار جوابها كأنه

في الفاء التي في الثانية، وصارت ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ كافية من جوابها جميعاً).

وقيل: هو على ظاهرٍ ما يُعرَفُ من الشُّرى، فيكونُ المعنى: بئسَ شيئاً فدوا به أنفسهم الكفُرُ.

و(ما) في (بئسما) هي التَّكْرَةُ الموصوفة، و﴿أَنْ يَكْفُرُوا﴾ رفعٌ مثله في^(١): بئسَ رجلاً زيدٌ، ويجوزُ أن تكونَ الموصولة^(٢)، وجازَ وقوعه بعد (بئس) كما جاز وقوع (الذي) بعدها.

قال الفراء: (بئس) مع (ما) بمنزلة اسمٍ واحدٍ؛ أي: المذموم اشتروا به أنفسهم، تقول العرب: بئسما تزويجٌ ولا مهر، فيكونُ قوله: ﴿أَنْ يَكْفُرُوا﴾ بدلاً من الهاء^(٣).
﴿بَغِيًّا﴾: تطاولاً وحسدًا، والبغي: شدةُ الطَّلَبِ للتطاول.
﴿أَنْ يُنَزَّلَ﴾: لأن يُنزلَ ﴿اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ الكتاب والنُّبُوَّة.

﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾؛ يعني: محمداً ﷺ، وذلك أن اليهود كفروا بمحمّد ﷺ بغياً وحسدًا؛ لأنهم كانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث من بني إسحاق، فلما كان من بني إسماعيل، كفروا به بغياً وحسدًا، ولم يكن كفرهم عن شكٍّ وارتيابٍ.
﴿بَاءً وَ﴾: انصرفوا واحتملوا، وقد سبق.

﴿بَعْضٍ﴾: بكفرهم بمحمّد ﷺ.

﴿عَلَى عَضْبٍ﴾: بكفرهم بعبسى عليه السلام، وقيل: بقولهم: ﴿عَزَّيْبُ بْنُ اللَّهِ﴾
[التوبة: ٣٠] و﴿يُدَّ اللَّهُ مَغْلُوبَةً﴾ [المائدة: ٦٤]، وتغيير أحكام التوراة.

وقيل: أراد التتابع والاستدامة.

(١) «في» من (ن).

(٢) وتقديره: بئس الذي اشتروا به أنفسهم الكفُرُ.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٥٦-٥٧).

﴿وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: مُذِلٌّ، والهوانُ: الاستخفافُ، وأصلُ البابِ: السُّهولةُ.

والعذابُ المِهينُ هو^(١) الموصوفُ بالتَّخْلِيدِ، والذي مألٌ صاحبه إلى الكرامةِ والنَّعيمِ ليس بمِهينٍ.

وقيل: كلُّ عذابِ الله مِهينٌ، والمُهينُ هو الله عزَّ وجلَّ، وجازَ وصفُ العذابِ به لأنَّ الإهانةَ تقعُ به.

(٩١) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ، وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾؛ أي: لهؤلاء اليهود ﴿ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ يعني: القرآن ﴿قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ يعني: التَّوراة.

﴿وَيَكْفُرُونَ﴾؛ أي: وهم يكفرون، وقيل: ﴿يَكْفُرُونَ﴾ حال^(٢).

﴿بِمَا وَرَاءَهُ﴾ يعني: بعده، والوراءُ: الخلف^(٣).

وقيل: بما سواه.

﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾؛ أي: القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ سبق.

(١) «هو»: ليس في (ن).

(٢) في (و): «وهو القرآن».

(٣) والجملة استثنائية أو حالية، وظاهر صنيع المصنِّف أنه يرجِّح الاستئناف.

﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ﴾ وإِنَّمَا ذُكِرَ بِلَفْظِ الْخِطَابِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا اجْتَمَعَ الْغَائِبُ وَالْمَخَاطَبُ، فَالغلبةُ للخطاب.

المفضل: فلم كنتم تقتلون؟

وقيل: فلم تتولون الذين قتلوهم؟

وقيل: مستقبلٌ وقعَ موقعَ الماضي^(١)؛ أي: لم قتلتم؟

قال الشيخ رحمه الله^(٢): ويحتملُ أن يكونَ ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ ظرفًا للخبر^(٣)، نحو قولك في المناظرة: لِمَ فعلتَ كذا أو لا^(٤)، أو متعلقًا بـ ﴿قُلْ﴾^(٥).

﴿مِنْ قَبْلُ﴾؛ أي: من^(٦) قبلِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

قال الكلبي: قتلوا في يومٍ واحدٍ ثلاثِ مئةٍ نبيٍّ في بيتِ المقدس^(٧).

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ حيثُ قتلتم: ﴿نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٩١]؛ أي: أيُّ

كتابٍ رُخصَ فيه قتلُ النبيين؟

الكلبي: ما كنتم مؤمنين^(٨).

(١) وقد نقل المصنّف عن ابن السراج أنّه قال: إنّ هذه أمثلةٌ جازَ وقوعُ بعضها موقعَ بعضٍ إذا لم يورث التباساً، واستغربه. انظر: «غرائب التفسير» (١/١٥٨).

(٢) «قال الشيخ رحمه الله»: ليس في (ن).

(٣) في (و): «للتخيير».

(٤) وقد عدّ المصنّف هذا من العجائب. انظر: «غرائب التفسير» (١/١٥٩).

(٥) في (ن): «قال ويحتمل أنه متصل بقل».

(٦) «من» من (ن).

(٧) روى نحوه ابن المنذر في «تفسيره» (١/١٥٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/١٢٦) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٨) ذكره الزّجاج في «تفسيره» (١/١٧٥)، والسمعاني في «تفسيره» (١/١٠٩)، وابن الجوزي في =

(٩٢) - ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ

ظَالِمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: الآيات التسع، ﴿ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ إلهًا

﴿مِن بَعْدِهِ﴾: بعد انطلاقه إلى الطور، وقيل: بعد مجيئه بالبينات، ﴿وَأَنْتُمْ

ظَالِمُونَ﴾: واضعون العبادة غير موضعها.

(٩٣) - ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ

وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَا سَمَاعَةَ

يَا مَرْكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ سبق تفسيره،

وأعيد لأن الأول ذكر للاعتبار بأخبار من مضى، وقيل: لتعداد النعم على بني إسرائيل،

والثاني للحجاج.

﴿بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا﴾؛ أي: اقبلوا ما سمعتم، كقولنا: (سمع الله لمن حمده)؛ أي:

قبل الله حمده^(١).

وقيل: اسمعوا متدبرين له واعملوا.

المفضل: معناه: أطيعوا^(٢).

= «زاد المسير» (١ / ١١٦) دون نسبة، و(إن) على هذا القول نافية بمعنى (ما)، وذكر عن الكسائي أنها

بمعنى (قد)، وعن أبي زيد الأنصاري أنها بمعنى (إذ). انظر: «تاج العروس» للزبيدي (٣٤ / ٢٠٧).

(١) «أي قبل الله حمده» من (ن).

(٢) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١ / ٥١١)، والثعلبي في «تفسيره» (٣ / ٤٤٨) دون نسبة.

﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ قال الشيخ رحمه الله^(١): يحتمل أن ذلك كان منهم قولاً، ويحتمل أن حالهم دلت على ذلك.

الحسن: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ من قول اليهود الذين كانوا في عصر رسول الله ﷺ، ثم عاد إلى القصة^(٢).

وقيل: قالوا: ﴿سَمِعْنَا﴾ في الظاهر، ﴿وَعَصَيْنَا﴾ في السرّ.

﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ هو من قولهم: هذا مُشْرَبٌ حُمْرَةً أو صُفْرَةً؛ أي: مخالطٌ، والمعنى: خالط قلوبهم حبُّ العجل، فحذف المضاف كقوله:

حَسِبْتُ بُغَامَ راحِلَتِي^(٣) عَنَاقًا وما هي وَيَبَ غَيْرِكَ بِالْعَنَاقِ^(٤)
أراد: بُغَامَ عَنَاقٍ، وهو كثيرٌ جدًا.

قال أكثرُ المفسرين: إنَّ موسى عليه السَّلام أحرَق العِجْلَ، وذرا رماده في البحر، فلم يشرب من مائه أحدٌ إلا بقيتْ محبَّةُ العِجْلِ في قلبه^(٥)، فيكون المعنى: سُقُوا، وفيه بُعدٌ، لا يُقال: أشربته الماء، وإنَّما يُستعمل ذلك في الحبِّ، والقلوبُ تدلُّ على ذلك، قال زهيرٌ:

(١) «قال الشيخ رحمه الله»: ليس في (ن).

(٢) وقد عدَّ المصنّف هذا من الغرائب. انظر: «غرائب التفسير» (١/١٥٩).

(٣) في (و): «ناقتي».

(٤) البيت لذي الخرق الطهوي، كما في «النوادر في اللغة» لأبي زيد الأنصاري (ص: ٣٦٦)، و«تفسير

الطبري» (٣/٧٧). والبغام: صوت للناقة لا تفصح به، والعناق: الأثني من المعز، وويب: كلمة

مثل: ويل.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٢/٢٦٤)، و«تفسير الماتريدي» (١/٥١٢).

فَصَحَوْتُ عَنْهَا بَعْدَ حُبِّ دَاخِلٍ وَالْحُبُّ يُشْرِبُهُ فَوَادَكَ دَاءٌ^(١)

الحسن: كان قد بقيت من بني إسرائيل طائفة لم يتوبوا من عبادة العجل.

﴿يَكْفُرِهِمْ﴾: باعتقادهم التشبيه ورُسوخ الكفر في قلوبهم.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿بِسْمَايَا مُرْكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾؛ أي: بس شيئاً يأمركم به

إيمانكم قولكم: سمعنا وعصينا.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: يحتمل أنه محمول على الأول؛ أي: إن صدقتُم في

قولكم: ﴿تُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٩١].

وقيل: تقديره: إن كنتم مؤمنين فلا تقولوا ولا تفعلوا مثل هذا.

المفضل: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بعبادة العجل.

(٩٤) - ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا

المَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ﴾؛ يعني: الجنة ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾: في القيامة

﴿خَالِصَةً﴾: من غير شركة، وخلوص الشيء: صفوه من كل شائب.

﴿مِّنْ دُونِ النَّاسِ﴾؛ أي: سائر الناس.

ابن عباس: من دون محمد ﷺ والمؤمنين^(٢).

(١) البيت لزهير. انظر: «ديوانه» (ص: ٣٣٩)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٢٦٥)، و«أساس البلاغة»

للزمخشري مادة: (ش رب).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٧٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٧٧).

ومعنى (دون) هاهنا: الاختصاصُ، بخلافِ الشُّركة^(١)، ويُقالُ أيضًا: فلانٌ دونَه في المكان، ودونَه في الشُّرف.

﴿فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ﴾ ابن عباسٍ: ادعُوا بالموتِ على أيِّ الفريقينِ أكذبَ^(٢).

الزَّجَّاجُ في جماعةٍ: لَمَّا قَالَتِ الْيَهُودُ: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا﴾ [البقرة: ١١١]، وَقَالَتْ: ﴿مَنْ أَبْتَنُوا اللَّهَ وَأَجَبْتُوهُ﴾ [المائدة: ١٨]، أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ﴾^(٣).

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيما تقولون؛ فَإِنَّ مَنْ عَلِمَ قِطْعًا أَنَّهُ صَائِرٌ إِلَى الْجَنَّةِ فَهِيَ أَثَرٌ عِنْدَهُ مِنَ الدُّنْيَا.

ابن عيسى: التَّمَنِّيُّ: قَوْلٌ يُقَدَّرُ فِيهِ مَعْنَى يُحِبُّ بِالطَّبَاعِ بِأَدَاةٍ تَمَيِّزُهُ^(٤) مِنَ الْإِخْبَارِ، كـ(ليت)، و﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ﴾ [الأعراف: ٥٣].

(٩٥) - ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾

﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾؛ أَي: الدَّهْرَ^(٥).

(١) ورَبَّمَا كَانَتْ (دون) هُنَا بِمَعْنَى (غَيْر). انظُر: «شرح كافيّة ابن الحاجب» للرّضويّ الاسترّاباذي (١/ ٥٠٠)، و«خزانة الأدب» للبيّغداديّ (٣/ ٣٤٢)، و«دراسات لأسلوب القرآن الكريم» لمحمّد عبد الخالق عضيّمة (٣/ ٦٧٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٦٩).

(٣) انظُر: «معاني القرآن» للزَّجَّاجِ (١/ ١٧٦)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٧٠) عن قتادة وأبي العالية والربيع بن أنس.

(٤) في (ن): «تمييز».

(٥) وقف المصنّف على سُرِّ استخدام (لن) في هذه الآية، و(لا) في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا =

﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾: بما أسلفوا من الأعمال القبيحة، والتقديم: تحصيل شيء

بعد^(١) شيء.

ابن عيسى: بما عرفوا أن محمداً ﷺ نبي حق، فكتموه.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: تهديد لليهود، وقيل: عام.

فأبوا أن يتمنوا ذلك، وقال ﷺ: «والله لا يقولها أحدٌ منهم إلا غصَّ بريقه»^(٢).

وقيل^(٣): لو تمنوه بقلوبهم لماتوا عن آخرهم.

= إن زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿ [الجمعة: ٦] فقال: (قال في هذه السورة: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ﴾، وفي الجمعة ﴿ولا يتمنونه﴾؛ لأن دعواهم في هذه السورة بالغة قاطعة، وهو كون الجنة لهم بصفة الخلوص، فبالغ في الرد عليهم بـ(لن)، وهي أبلغ ألفاظ النفي، ودعواهم في الجمعة قاصرة مترددة، وهي زعمهم أنهم أولياء الله، فردَّ بـ(لا). انظر: «البرهان في متشابه القرآن» (ص: ٧٦).

(١) في (ن): «قيل».

(٢) رواه البيهقي في «الدلائل» (٦ / ٢٧٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولا يصحُّ بهذا اللفظ، وذكر نحوه السمرقندي في «بحر العلوم» (١ / ٧٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٣ / ٤٥١)، وقد روي بمعناه آثارٌ موقوفة صحيحة عن ابن عباس.

وروى الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٢٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٩٩٥) بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا». وانظر: «تفسير الطبري» (٢ / ٢٦٨)، و«تفسير ابن كثير» (١ / ٣٣١).

(٣) «قيل»: من (ن).

(٩٦) - ﴿وَلَنَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوَةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يُوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْحَزٍ مِنْهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلَنَجِدَنَّهُمْ﴾ يعني: اليهود.

والوجود: الإحساس بالشيء.

﴿أَحْرَصَ النَّاسِ﴾: العرب^(١) ﴿عَلَى حَيَوَةٍ﴾، والحرص: شدة الطلب؛ لأنهم قد علموا أن آخرتهم قد أفسدوا على أنفسهم بالكفر بمحمد ﷺ.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾؛ أي: وأحرص من الذين أشركوا؛ يعني: المجوس، وقيل: مشركي العرب.

وَمَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ أَحَبَّ طَوْلَ الْبَقَاءِ؛ لَأَنَّهُ لَا يَرْجُو حَيَاةً^(٢) بَعْدَهُ.

والإشراك في عبادة الله: الكفر، وأصله من الشراكة، وهي ضد الاختصاص.

﴿يُوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾: يحبُّ أحدُ اليهود ﴿لَوْ يُعَمَّرُ﴾: يطولُ عمره ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ابن عباس: هو تحية بعضهم بعضاً، عش ألف عام^(٣).

والألف: عشر مئاة في عقد، وأصله من التأليف، وهو ضمُّ شيء إلى شيء.

(١) تفسير الناس بالعرب هنا يحتاج إلى تأمل، ولعله منبني على تفسير الذين أشركوا بالمجوس الأعاجم، فلا يعود في الآية تخصيص بعد تعميم على ما ذهب إليه الأكثرون. انظر: «تفسير الراغب الأصفهاني» (١/ ٢٦٨).

(٢) «حياة»: ليس في (و).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٧٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٧٩)، والحاكم في «المستدرک» (٤٤/ ٣٠)، ولفظ الحاكم: «هو قول الأعاجم إذا عطس أحدهم: ده هز أرسال»، وهو كلام فارسي، ومعناه: عش ألف سنة. وهذا ما يبرر ترجيح الكرمانلي وبعض المفسرين أن المراد بالمشركين في هذه الآية المجوس.

﴿وَمَا هُوَ﴾ قيل: كناية عن (أحد) المتقدم^(١) ذكره.

وقيل: كناية بشرطة التفسير، وتفسيره: ﴿أَنْ يُعَمَّرَ﴾، وفيه ضعف.

وقيل: كناية عن الأمر والشأن^(٢)، والباء يأباه^(٣).

والمعنى: ما أحدٌ ﴿يُمَزَّجُهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾: تعميره ألف سنة، والزحزحة:

الإبعاد، من قوله: ﴿فَمَنْ زُحِّجَ عَنِ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقيل: الوقف^(٤) عند قوله: ﴿عَلَى حَيَوٍ﴾، على تقدير: ومن الذين أشركوا من

يود. وهذا لا يجوز عند البصريين^(٥).

وقيل: ومن الذين أشركوا قومٌ يود. وهذا أيضاً بعيد^(٦)؛ لأن النكرة إذا حذفت

أقيم مقامها اسمٌ مثلها.

وقيل: في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: ولتجدنهم ومن الذين^(٧) أشركوا

أحرص الناس.

(١) في (و): «المقدم».

(٢) «والشأن»: ليس في (ن).

(٣) أي: الداخلة على كلمة (مزحزحه) تمنع هذا الوجه، وهذا الوجه ذكره أبو علي الفارسي، وعده المصنّف من العجائب، وضعفه أبو حيان، ورجّح الوجه الأوّل الذي قدّمه المصنّف. انظر: «غرائب التفسير» (١/١٦٠)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١/٥٠٥).

(٤) في (و): «الوقف».

(٥) لأنه من باب حذف الموصول وإبقاء الصلة. انظر: «غرائب التفسير» (١/١٦٠).

(٦) لأنه من باب حذف الموصوف وإبقاء الصفة، وقد أجازها النحاس لغةً، لكنّه ذكر أنّ المعنى يأباه، أمّا المصنّف ففرّق بين الصفة إذا كانت اسماً فيجوز حذف موصوفها وإبقاؤها مكانه، وبين الصفة إذا كانت جملة فلا يجوز ذلك. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٦٩)، و«غرائب التفسير» (١/١٦٠).

(٧) في (و): «والذين».

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ﴾: عالمٌ ﴿يَمَاعَمَلُونَ﴾: بعمل هؤلاء الكفار، فيجازيهم على فعلهم .

(٩٧) - ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ قال ابن عباس: إن حبراً من أخبار اليهود، يُقال له: عبد الله بن صوريا حاج النبي ﷺ وسأله عن أشياء، فلما اتَّجَهَتِ الحِجَّةُ عليه قال: أَيُّ مَلَكٍ يَأْتِيكَ مِنَ السَّمَاءِ؟ قال: جبريل، ولم يبعث الله نبياً إلا وهو وليه، قال: ذلك عدونا من الملائكة، ولو كان ميكائيل^(١) مكانه آمناً بك، إن جبريل ينزل بالعذاب والقتال، وإنه عادانا مراراً كثيرة، وكان أشد ذلك^(٢) علينا أن الله أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخرب على يدي رجل يُقال له: بُخْتَنْصَر، وأخبرنا بالحين الذي يخرب فيه، فلما كان وقته بعثنا رجلاً من أقوياء بني إسرائيل في طلب بُخْتَنْصَر ليقتله، فانطلق يطلبه حتى لقيه ببابل غلاماً مسكيناً ليست له قوة، فأخذه صاحبنا ليقتله، فدفَعَ عنه جبريل، وقال لصاحبنا: إن كان ربكم هو الذي أذن لهذا^(٣) في هلاككم فلن تسلط عليه، وإن لم يكن هذا فعلى أيِّ ذنبٍ تقتله؟ فصدقه صاحبنا ورجع إلينا، فكبر بُخْتَنْصَر وقوي، وغزانا وخرب بيت المقدس، ولهذا نتخذُه عدواً. فأنزَل اللهُ هذه الآية^(٤).

(١) في (و): «وغيره من الملائكة».

(٢) في (ن): «من ذلك».

(٣) في (و): «أذن لهذا».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٥٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (١/ ٣٠)، وقال ابن حجر =

مقاتل: قالت اليهود: إنَّ جبريلَ عدوُّنا، أمرَ أن يجعلَ النبوةَ فينا فجعلها في غيرنا، فأَنزل اللهُ هذه الآيةَ^(١).

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾: مُبْغِضًا، واشتقاقه من (عدوتي الوادي)، والمعاداة: المحادة^(٢) والمشاقَّة.

وجبرئيل: اسمٌ أعجميٌّ^(٣) لا ينصرفُ، وفيه^(٤) لغاتٌ^(٥).

وقيل: (جبر): هو العبدُ بالسُّريانية، و(أيل): اسمُ الله.

وكذلك ميكائيل^(٦).

في «العجاب في بيان الأسباب» (١ / ٢٩٧): (يتعجب من جزمه - أي: الواحدي - بهذا عن ابن عباس مع ضعف طريقه؛ فإنه من تفسير عبدالغني بن سعيد الثقفى، وقد قدّمت أنه هالك). هذا وقد نقل الطبري في «تفسيره» (٢ / ٢٨٣) الإجماعَ على سبب نزول الآية فقال: (أجمع أهل العلم بالتأويل جميعاً على أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل، إذ زعموا أن جبريل عدوٌّ لهم، وأن ميكائيل وليٌّ لهم. ثم اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك).

(١) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١ / ١٢٥).

(٢) في (ن): «كالمحادة».

(٣) في (ن): «عجمي».

(٤) في (و): «وفيها».

(٥) وقد اختلف القراء في قراءة ﴿جبريل﴾؛ فقرأ ابن كثير بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز، وقرأ حمزة والكسائي وخلف بفتح الجيم والراء وهمزة مكسورة، واختلف عن أبي بكر، وقرأ الباقون بكسر الجيم والراء من غير همزة. انظر: «النشر» لابن الجزري (٢ / ٢١٩).

(٦) اختلف القراء أيضاً في قراءة ﴿ميكائيل﴾؛ فقرأه البصريان وحفص: ﴿ميكال﴾ بغير همز ولا ياء بعدها، وقرأه المدنيان بهمزة من غير ياء بعدها، واختلف عن قنبل؛ فرواه ابن شنبوذ عنه كذلك، ورواه ابن مجاهد عنه بهمزة بعدها ياء كالباقين. انظر: «النشر» لابن الجزري (٢ / ٢١٩).

وجوابُ الشرطِ مُضْمَرٌ؛ قيل: هو: فَلْتَمْتُ غِيظًا.

وقيل: جوابه: فَإِنِّي له صديقٌ يأتيني بالوحي.

وقيل: جوابه: فَإِنَّهُ رسولُ الله إليك^(١)؛ شأؤوا أم كرهوا.

﴿فَأَنَّهُ نَزَّلَهُ﴾ ابن عباسٍ: فَإِنَّ جبريلَ نَزَّلَ القرآنَ^(٢). وقيل: فَإِنَّ اللهَ نَزَّلَ جبريلَ.

﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾: خَصَّ القلبَ لَأَنَّهُ محلُّ الحفظِ، كقوله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾^(٣)

عَلَى قَلْبِكَ [الشعراء: ١٩٣]، وقيل: على عقلِكَ.

﴿يَا ذُنَّ اللهَ﴾: بأمره، وتأتي بمعنى: علمه.

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتاب، ﴿وَهَدَى﴾ لِمَن اتَّبَعَهُ، ﴿وَبَشَّرَى﴾

لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿بِالْجَنَّةِ﴾.

(٩٨) - ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ

لِلْكَافِرِينَ﴾.

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾: خُصَّ بالذكرِ بعدَ

العمومِ لشرفِهما، ولأنَّ ذَكَرَهُمَا^(٣) في سببِ النزولِ.

وجوابُ الشرطِ مُضْمَرٌ تقديرُه: فهو كافرٌ، ودلَّ عليه قوله: ﴿فَأِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ

لِلْكَافِرِينَ﴾.

(١) «إليك» من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٩٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٨٠).

(٣) أي: ولأنهما ذُكرا في سببِ النزولِ.

قال الشيخ رحمه الله: الواو هاهنا بمعنى التفصيل؛ أي: مَنْ كان عدوًّا لأحد هؤلاء.

ابن عيسى: الواو هاهنا بمعنى: (أو)، وليس للجمع؛ لأنَّ ذلك يجري مجرى التسهيل بعداوة الواحد منهم إذا انفرد^(١)، ولا يجوز ذلك.

(٩٩) - ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ ابن عباس: هذا جواب لابن صوريا حيث قال لرسول الله ﷺ: يا محمد^(٢)، ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل عليك من آية بيّنة^(٣) فتتبعك لها، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٤).

والآيات البيّنات: هي المعجزات، وقيل: هي القرآن، وقيل: هي الشرائع والفرائض^(٥).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ١٦٠)، وذكره الواحدي في «الوجيز» (ص: ١٢٠)، والبغوي في «تفسيره» (١ / ١٢٥) بلا نسبة، ويعدُّ هذا القول للرماني غريباً؛ لأنه يحمل معنى الواو على حرف آخر، ولأنَّ معنى التفصيل الذي ذكره المصنّف، أو التقسيم كما يسميه النحويون المتأخرون عنه، يخرج من الإشكال الذي يدلُّ عليه معنى الجمع، ولذلك وافق المرادي وابن هشام المصنّف في ترجيحه. انظر: «الجنى الداني» للمرادي (ص: ١٦٦)، و«مغني اللبيب» لابن هشام (ص: ٤٦٨).

(٢) «يا محمد» من (ن).

(٣) «بيّنة»: ليس في (ن).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢ / ٣٠٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ١٨٣).

(٥) في (و): «الفروض».

﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾: قيل: هم اليهود، وقيل: هم الفاسقون عن أديانهم؛ أي: الخارجون منها.

(١٠٠) - ﴿أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا﴾ يعني: اليهود.

﴿عَاهَدًا﴾: هو ما عَهِدَ^(١) إليهم في التَّوراة من الإيمانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وقيل: ما عاهدوا^(٢) مع النَّبِيِّ ﷺ بأن لا يُعِينُوا عليه، فنقضوا، وأعانوا عليه قريشًا.

﴿نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾: تركه وألقاه.

قتادة: نقضه^(٣).

والنَّبَذُ: الطَّرْحُ على وجه الاستحْقارِ له.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: كفرَ فريقٌ بنقضِ العهدِ، وكفرَ أكثرهم بجحدِ الحقِّ.

(١٠١) - ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ

أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانْتَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يعني: محمدًا.

(١) في (ن): «عاهد».

(٢) كذا في (ن)، وفي (و): «عاهدوا مع»، وتعدي الفعلين بـ(مع) لا يخلو من إشكال، والله أعلم.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٠٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٨٤).

وقيل: الرَّسُولُ هاهنا: الرَّسَالَةُ، قال:

فَقَدْ كَذَبَ الْوَاشُونَ مَا بُحْتُ عَنْهُمْ بَلِيلى وَلَا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولٍ^(١)
والمرادُ بها: الكتابُ؛ فإنَّ قوله: ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ صفةٌ للكتابِ^(٢) في مواضع^(٣).

﴿بَدَأَ فِرْيَقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يعني: التَّوراة.

﴿كِتَابَ اللَّهِ﴾ ابن عباسٍ: القرآن.

وقيل: التَّوراة؛ لأنَّهم لما لم يعملوا به، فقد نبذوه.

﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾؛ أي: خلفهم، وهي عبارةٌ عن التَّضْيِيعِ.

﴿كَانَتْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: ما أمروا به من أتباع محمدٍ ﷺ.

(١٠٢) - ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۗ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ

الشَّيْطَانُ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ
وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ
بَيْنَ الْمَرْءِ وَرَوْحِهِ ۗ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا
يَنْفَعُهُمْ ۗ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنْ أُشْرِبَهُ مَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرُّوا بِهِ
أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

(١) البيت لكثير. انظر: «ديوانه» (ص: ١١٠)، وجاء في بعض المصادر: «بسوء» في موضع: «بليلى».

(٢) في (و): «الكتاب».

(٣) من مثل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ

كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٨٩]، ويُلاحظ أنَّ الكرمانى يميل إلى تقديم تفسير القرآن بالقرآن، ويستشهد لصحة المعنى

بوروده في آيات مشابهة، وهذا معلّم مهم من معالم منهجه، فهو ينظر إلى القرآن الكريم نظرة كلية.

﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُّوْا الشَّيْطٰنِ﴾ السُّدِّيُّ: نَبَدُوا التَّوْرَةَ وَاتَّبَعُوا السَّحْرَ^(١).

ومعنى: ﴿تَنَلُّوْا﴾ قال ابن عباس: تَتَّبِعُ^(٢)، من (التَّلَوُّ).

قتادة: تَقْصُّ وَتَقْرَأُ^(٣)، من (التَّلَاوَةُ).

﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمٰنَ﴾؛ أي: فِي عَهْدِهِ وَزَمَانِهِ، كَمَا تَقُولُ: كَانَ هَذَا عَلَىٰ عَهْدِ

فَلَانٍ وَزَمَانِهِ، وَفِي عَهْدِهِ وَزَمَانِهِ. قَالَ:

فَهِيَ عَلَى الْأَفْقِ كَعَيْنِ الْأَحْوَالِ^(٤)

وقيل: ﴿تَنَلُّوْا الشَّيْطٰنِ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمٰنَ﴾؛ أي: تَكْذِبُ عَلَيْهِ، كَمَا يَقَالُ: قَالَ

عَلَيْهِ، وَرَوَى عَلَيْهِ؛ إِذَا كَذَبَ، قَالَ:

وَمَا كُلُّ مَنْ يَظُنُّنِي أَنَا مُعْتَبٌ وَمَا كُلُّ مَا يُرَوَى عَلَيَّ أَقْوَلُ^(٥)

الزَّجَّاجُ: مَا كَانَتْ تَتَلَوُا^(٦).

(١) فِي (و): «السَّحْرَةُ». وَالْأَثَرُ رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٢ / ٣١٢)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١ / ١٨٤).

(٢) رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٢ / ٣٢٠).

(٣) ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٣ / ٤٧٢) عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَضْلِ.

(٤) مِنْ أَرْجُوْزَةِ لِأَبِي النَّجْمِ الْعَجَلِيِّ يَصِفُ بِهَا الشَّمْسَ، وَصَدَرَ الْبَيْتُ:

صَغْوَاءُ قَدْ كَادَتْ وَلَمَّا تَفْعَلْ

انظُر: «دِيْوَانَ أَبِي النَّجْمِ» (ص: ٢٤)، وَ«الشَّعْرُ وَالشَّعْرَاءُ» لِابْنِ قَتِيْبَةَ (٢ / ٥٨٩)، وَ«الْكَامِلُ» لِابْنِ الْمَرْدِ (٣ / ٧١).

(٥) الْبَيْتُ بِلا نِسْبَةٍ فِي: «مَعَانِي الْقُرْآنِ» لِلْفَرَّاءِ (١ / ١٤٠)، وَ«غَرِيبَ الْحَدِيثِ» لِأَبِي عَمِيْدٍ (٥ / ٥١٦)، وَ«الْأَلْفَاظُ» لِابْنِ السَّكَيْتِ (ص: ١٨١)، وَ«الصَّحَاحُ» لِلْجَوْهَرِيِّ (٦ / ٢١٦٠).

(٦) انظُر: «مَعَانِي الْقُرْآنِ» لِلزَّجَّاجِ (١ / ١٨٣).

«الحجّة»: ﴿تَنلُّوْا﴾ حكاية حال، كما تقول: رأيت زيدًا أمسٍ يقرأ^(١).

وقيل: مستقبلٌ وقع موقع الماضي، كقول الشاعر يرثي:

فانْضَحْ جَوَانِبَ قَبْرِهِ بِدِمَائِهَا فَلَئِدُ يَكُونُ أَخَا دِمٍ وَذَبَائِحِ^(٢)
أي: كان.

﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾ ابن عباسٍ والحسن: قالت اليهود: إِنَّمَا مَلَكَ سُلَيْمَانُ
الجنَّ وَالْإِنْسَ وَالطَّيْرَ بِالسَّحْرِ^(٣).

قال ابن إسحاق^(٤): قال بعضُ أحبار اليهود لَمَّا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ سُلَيْمَانَ النَّبِيَّ
وَعَدَّهُ فِي جَمَلَةِ الْأَنْبِيَاءِ: إِنَّ مُحَمَّدًا يَزْعُمُ أَنَّ سُلَيْمَانَ كَانَ نَبِيًّا! وَاللَّهِ مَا كَانَ إِلَّا سَاحِرًا،
فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾، فَبَرَّأَهُ مِنَ السَّحْرِ وَالْكَفْرِ^(٥).

﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ وذلك أَنَّ الشَّيَاطِينَ عَمَدُوا إِلَى كِتَابٍ، فَكَتَبُوا
فِيهِ السَّحَرَ وَالْكَهَانَ وَالنَّيْرِنَجَاتِ^(٦)، فَدَفَنُوهُ تَحْتَ مَجْلِسِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ
غَيْرِ عِلْمِهِ، فَلَمَّا فَارَقَ الدُّنْيَا اسْتَخْرَجُوا ذَلِكَ السَّحَرَ وَخَدَعُوا بِهِ النَّاسَ، وَقَالُوا: هَذَا
عِلْمٌ كَانَ سُلَيْمَانُ يَكْتُمُهُ وَيَحْسُدُ النَّاسَ عَلَيْهِ.

(١) في (و): «يقول».

(٢) البيت لزياد الأعجم. انظر: «ديوانه» (ص: ٥٤).

(٣) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٢٣-٣٢٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن سعيد بن جبير وقتادة، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٨٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) في النسخ الخطيَّة: «أبو إسحاق»، والمثبت موافق لمصادر التخريج.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣١٦) عن ابن إسحاق، وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره»

(١/ ١٨٧)، وابن هشام في «السيرة النبوية» (١/ ٥٤٤).

(٦) النيرنجات، أو النيرنجيات: تشبيه وتلبس كالسحر، وليس به. انظر: «تاج العروس» للزبيدي مادة:

وقيل: إِنَّ الشَّيَاطِينَ كَانُوا يَسْتَرْقُونَ السَّمْعَ، وَيَسْتَخْرِجُونَ السَّحْرَ، فَجَمَعَ سَلِيمَانُ تِلْكَ الْكُتُبَ وَأَخْرَجَهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ وَدَفَنَهَا فِي خَزَانَتِهِ؛ لِئَلَّا يُعْمَلَ بِهِ^(١)، فَلَمَّا مَاتَ سَلِيمَانُ دَلَّتِ الشَّيَاطِينُ النَّاسَ عَلَى تِلْكَ الْكُتُبِ، وَقَالَتْ: بِهَذَا كَانَ يَتَمُّ مَلِكُهُ، فَقَبِلَتْهُ الْيَهُودُ، وَشَاعَ فِيهِمُ السَّحْرُ.

﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ قيل: أَلْقَوْهُ فِي قُلُوبِهِمْ فَعَلِمُوهُ^(٢)، وَقِيلَ: دَلُّوا النَّاسَ عَلَى تِلْكَ الْكُتُبِ فَأَخْرَجُوهَا، وَاشْتَغَلُوا بِتَعَلُّمِهَا.

وَالسَّحْرُ: قِيلَ: هُوَ قَلْبُ الْأَعْيَانِ وَاخْتِرَاعُهَا، وَتَغْيِيرُ صُورِ النَّاسِ، وَفِعْلُ الْمَعْجَزَاتِ، كَالطَّيْرَانِ وَقَطْعِ الْمَسَافَاتِ^(٣) فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ.

قَالَ الْقَفَّالُ^(٤): وَمَنْ يَدَّعِي هَذَا فَهُوَ كَافِرٌ، وَكَذَلِكَ مَنْ يَصَدِّقُ بِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَتَمَيَّزُ عِنْدَهُ^(٥) السَّحْرُ مِنْ عِلْمَاتِ النَّبُوَّةِ^(٦).

وقيل: هو خدعٌ وتمويهاتٌ ومخاريقٌ وشعوذةٌ يُخَيَّلُ إِلَى الْمَسْحُورِ أَنَّ لَهَا

(١) في (و): «يعمل عليه».

(٢) في (ن): «فتعلموه».

(٣) في (و): «المسافة».

(٤) هو الإمام محمد بن علي بن إسماعيل أبو بكر الشاشي الفقيه الشافعي المعروف بالقفال الكبير، وُلِدَ سَنَةَ ٢٩١هـ، كَانَ إِمَامَ عَصْرِهِ بِمَا وَرَاءَ النَّهْرِ، فَفِيهَا، مُحَدِّثًا، مَفْسِّرًا، أَصُولِيًّا، لُغَوِيًّا، شَاعِرًا، لَمْ يَكُنْ لِلشَّافِعِيَّةِ بِمَا وَرَاءَ النَّهْرِ مِثْلُهُ فِي وَقْتِهِ، صَنَّفَ فِي التَّفْسِيرِ وَالْأَصُولِ وَالْفِقْهِ، وَقَالَ النَّوَوِيُّ: الْقَفَّالُ الْكَبِيرُ، يَتَكَرَّرُ ذِكْرُهُ فِي التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْأَصُولِ وَالْكَلَامِ، بِخِلَافِ الْقَفَّالِ الصَّغِيرِ الْمَرْوَزِيِّ، فَإِنَّهُ يَتَكَرَّرُ فِي الْفِقْهِ خَاصَةً. انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (٢/ ٢٨١)، و«طبقات المفسرين» للسيوطي (١/ ١٠٩)، و«طبقات المفسرين» للدودوي (٢/ ١٩٨).

(٥) «عنده»: من (ن).

(٦) نقله المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٦٢).

حقيقةً كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُخَلِّلُ إِلَيْنَا مِنْ سِحْرِهِمْ أَنْهَا سَعَى﴾ [طه: ٦٦]، كالسَّرابِ أغرَّ مَنْ رآه، وأخلفَ مَنْ رجاه^(١).

وصاحبُ هذه فاسقٌ؛ لأنَّه مُخَبِّرٌ أَنَّهُ مَمُوءٌ.

وقيل: هو أخذُ بالعينِ على جهةِ الحيلةِ، كقوله: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ [الأعراف: ١١٦] الآية.

قيل: ومنه ما يكونُ كاللَّضْرِبِ بين النَّاسِ^(٢) والنَّمِيمَةِ والباطلِ، حتَّى يتوهَّم المبلِّغُ أنَّ ذلك حقٌّ.

وقيل: إِنَّه^(٣) صَرَبٌ من خدمةِ الجنِّ^(٤).

﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾: الجمهور أن (ما) بمعنى الذي، وهو نصبٌ عطفاً عند بعضهم على ﴿مَا تَنَلُوا﴾، وعند بعضهم على ﴿السِّحْرِ﴾.

وقيل: محلُّه جرٌّ عطفاً على ﴿مُلْكٍ سَلِئَمَنَ﴾.

الحسن والرَّبيع: ﴿مَا﴾ نفْيٌ؛ أي: ولم ينزل على الملكين^(٥).

وكلا القولين عن ابن عباس^(٦).

(١) في (و): «من جاءه».

(٢) أي: إيقاع الفتنة بينهم.

(٣) «إنه» من (ن).

(٤) أخذ أبو حيان هذه الأقوال عن الكرمانى في أغلب الظن. انظر: «البحر المحيط» (١/ ٥٢٥).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٣١) عن الربيع، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٨٨) عن

أبي العالوية، وقال: وروي عن خالد بن أبي عمران، والربيع بن أنس نحو ذلك.

(٦) روى معنى الأول: الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٨٨)،

وروى الثاني: الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٣١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٨٨).

وَمَنْ جَعَلَ ﴿مَا﴾ إِبْثَاتًا قَالَ: لَمَّا كَثُرَ السَّحْرُ وَالتَّمْوِيهُ بَيْنَ النَّاسِ التَّبَسُّ أَمْرُ
الْأَنْبِيَاءِ، فَبَعَثَ اللَّهُ مَلَكَ يَبِينَانِ لِلنَّاسِ مَا هِيَ السَّحْرُ، وَمَمَّ يَكُونُ، وَكَيْفَ يَكُونُ،
وَالْوَجُوهَ الَّتِي مِنْهَا يَتَوَصَّلُ السَّحْرَةُ إِلَى الْاِحْتِيَالِ عَلَى الْجَهَالِ؛ لَيْسَتْخَفَّ النَّاسُ
بِالسَّحْرِ وَيَعْرِفُوا حَقِيقَتَهُ، وَكَانَا لَا يَعْلَمَانِ أَحَدًا^(١) السَّحْرَ وَلَا يَصِفَانَهُ وَلَا يَكْشِفَانِ
وَجُوهَ الْاِحْتِيَالِ فِيهِ حَتَّى يَبْذُلَا لَهُ النَّصِيحَةَ فَيَقُولَا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾؛ أَي:
نَحْنُ مَحْنَةٌ لَكَ فَلَا تَكْفُرْ؛ أَي: فَلَا تَسْتَمِعْهُ لِتَسْتَعْمَلَهُ فِيمَا نُهَيْتَ عَنْهُ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَفْتَ
عَلَيْهِ تَحَرَّزْ مِنْ أَنْ يَنْفَذَ لِسَاحِرٍ عَلَيْكَ تَمْوِيَهُ، وَاعْلَمْ أَنَّهُمْ مَبْطُلُونَ.

وقيل: إنَّ الله امتحن النَّاسَ بِالْمَلَائِكِينَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَجَعَلَ الْمَحْنَةَ فِي الْكُفْرِ
وَالْإِيمَانِ أَنْ يَقْبَلَ الْقَابِلُ تَعَلَّمَ السَّحْرَ؛ فَيَكْفُرَ بِتَعَلُّمِهِ، وَيُؤْمِنَ بِتَرْكِ التَّعَلُّمِ، وَاللَّهُ أَنْ
يَمْتَحِنَ عِبَادَهُ بِمَا شَاءَ.

وما ذكره الثَّعْلَبِيُّ وَغَيْرُهُ أَنَّهُمَا مَلَكَانِ اخْتَارَهُمَا الْمَلَائِكَةُ لِلتَّكْلِيفِ لَمَّا
أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ حِينَ قَالُوا: ﴿أَجْعَلْ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] وَأَنَّهُ رَكَّبَ
الشَّهْوَةَ فِيهِمَا، وَكَانَا يَحْكُمَانِ بَيْنَ النَّاسِ، فَجَاءَتْهُمَا زَهْرَةٌ فَافْتَتَنَا بِهَا، وَشَرَبَا
الْخَمْرَ وَزَنِيَا وَقَتَلَا، وَعَلَّمَا زَهْرَةَ مَا صَعَدَتْ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ^(٢)، وَمُسِخَتْ كَوْكَبًا،
وَخَيَّرَا بَيْنَ عَذَابِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ، فَاخْتَارَا عَذَابَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ،
وَهُمَا يَعْلَمَانِ النَّاسَ السَّحْرَ^(٣) = فَكَلَامٌ غَيْرُ مَرْضِيٍّ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ مِنْهُمْ،
وَمَرْضِيٌّ عِنْدَ^(٤) بَعْضِهِمْ.

(١) فِي (و): «أَحَدًا إِلَّا».

(٢) «إِلَى» مِنْ (ن).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٤٨٦).

(٤) فِي (و): «عَلَى».

وَمَنْ جَعَلَ ﴿مَا﴾ نَفِيًّا قَالَ: زَعَمَ سَحْرَةُ الْيَهُودِ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ السَّحَرَ عَلَى لِسَانِ جَبْرِيْلَ وَمِيكَائِيْلَ إِلَى سَلِيْمَانَ، فَكَذَّبَهُمُ اللَّهُ وَأَنْزَلَ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾، ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾، ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾.

﴿بَابِلَ﴾: ابن مسعود^(١): بابل هي الكوفة وسوادها^(٢)، قتادة: نصيبين^(٣)، وقيل^(٤): جبل دماوند^(٥)، وقيل: هي هدة في^(٦) الأرض.

﴿هَرُوتَ وَمَرْوَتَ﴾: عائشة: هما الملكان، من دنا منهما يسمع كلامهما ولا يراها^(٧).

السُّدِّيُّ: رجلان^(٨)، وقيل: شيطانان؛ فهما بدلٌ من ﴿النَّاسِ﴾ في قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ﴾، أو من قوله: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ﴾.

وقيل: هما جبريل وميكائيل خاصّةً، فيكونان بدلاً من: ﴿الْمَلَائِكَةِ﴾.

(١) «ابن مسعود» من (ن).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١ / ١٦٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١ / ٩٦).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١ / ١٦٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١ / ٩٦).

(٤) في (و): «وهي» بدل «وقيل».

(٥) دماوند: لغة في دباوند، ودباوند، جبل قرب الري وكورة. انظر: «معجم البلدان» لياقوت (٢ / ٤٦٢).

(٦) في (ن): «من».

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٢ / ٣٣٢ - ٣٣٣) عن عبد الله بن مسعود وقاتدة وابن زيد، و(٢ /

٣٤١ - ٣٤٨) عن ابن عباس وعلي بن أبي طالب وابن عمر رضي الله عنهم وكعب الأحرار والسدي والربيع ومجاهد.

(٨) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣ / ٤٨٠) عن ابن عباس والحسن والضحاك ويحيى بن أبي كثير.

الصَّحَّاحُ: عَلْجَانٌ^(١).

﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾: ﴿مِنْ﴾ زيادةٌ؛ أي: وما يعلمان أحداً، و﴿أَحَدٍ﴾ هنا للعموم، كقوله: ﴿مِنْ أَمَدٍ عَنْهُ حَاجِرِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧].

﴿حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾: بلاءٌ واختبارٌ.

﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾؛ أي: بتعلّمه، وقيل: بالعمل به.

هذا إذا جعلته كنايةً عن الملكين؛ لأنَّ الملكين كانا يعلمان النَّاسَ ما^(٢) السَّحَرِ، ويأمران باجتنابه، ومنَّ جعله كنايةً عن الشَّيْطَانَيْنِ أو الرَّجَلَيْنِ فَإِنَّ المعنى بقوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ معنى كلام الخليل الضَّالُّ؛ أي: أنا في ضلالٍ فلا تُردُّ ما أنا فيه.

﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾ الرَّجَّاجُ: هو عطفٌ على المعنى؛ أي: فيأبون فيتعلَّمون^(٣).

وقيل: عطفٌ على قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ فيتعلَّمون.

وقيل: عطفٌ على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ فيتعلَّمون.

﴿وَمِنْهُمَا﴾: قيل: من^(٤) هاروت وماروت، وقيل: من الكُفْرِ والسَّحْرِ.

قال الشَّيْخُ^(٥): ويحتمل أن يكون كنايةً عن السَّحْرِ وعمَّا أُنزل على الملكين.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣ / ٤٨١) عن الحسن، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١ / ١٦٥) عن أبي الأسود الدؤلي.

(٢) في (ن): «ماهية».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١ / ١٨٥).

(٤) «قيل من» من (ن).

(٥) «قال الشيخ»: ليس في (ن).

قال ابن جرير: مَنْ جَعَلَ ﴿مَا﴾ جَحْدًا وَالْمَلَكَيْنِ جَبْرِيْلَ وَمِيكَائِيْلَ، جَعَلَ (مِنْ) فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْهُمَا﴾ بِمَعْنَى الْمَكَانِ وَالْبَدَلِ^(١)، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

فَلَيْتَ لَنَا مِنْ مَاءٍ زَمَزَمَ شَرْبَةً مُبَرَّدَةً بَاتَتْ عَلَى طَهْيَانِ^(٢)
فِيكَوْنِ التَّقْدِيرِ: فَيَتَعَلَّمُونَ مَكَانَ مَا عَلَّمَاهُمْ.

﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ قَتَادَةَ: يُؤْخَذُ كُلُّ وَاحِدٍ عَنْ صَاحِبِهِ وَيَبْغِضُهُ إِلَيْهِ^(٣).

القِفَالُ وَابْنُ عِيْسَى: إِذَا عَمِلَ بِالسِّحْرِ كَفَرَ، فَحَرَمَتْ عَلَيْهِ زَوْجَتَهُ^(٤).

﴿وَمَا هُمْ بِضَّآرِّينَ بِهِ﴾: بِالسِّحْرِ ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾: أَحَدًا ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بِعَلْمِهِ.
وَالِإِذْنُ وَالْأَذْنُ لِعَتَانَ كَالشَّبهِ وَالشَّبِيهِ، وَقِيلَ: الْأَذْنُ الْمَصْدَرُ، وَالِإِذْنُ - بِالْكَسْرِ -
الاسْمُ، كَالْحَذَرِ وَالْحِذْرِ.

﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ فِي الْآخِرَةِ.

﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾: اخْتَارَهُ، وَقِيلَ: كِنَايَةٌ عَنِ السِّحْرِ، وَقِيلَ: عَنِ الْكُفْرِ.

﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾: دِينٍ^(٥)، الْحَسَنُ: خَيْرٌ، وَقِيلَ: نَصِيبٌ^(٦).

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٣٣٧).

(٢) نسب البيت للأحول الكندي، كما في «تهذيب اللغة» للأزهري مادة: (ط ه و)، و«معجم البلدان» لياقوت (٤/ ٥٢). ويروى: (حمان) بدل (زمزم)، وقد تقدم.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٥٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٩٣).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٦٥).

(٥) «دين» من (ن).

(٦) في (و): «الحسن من خير وقيل من نصيب».

﴿وَلَيْسَ مَا شَكَّرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾: اشتروا به أنفسهم، وقيل: باعوا به أنفسهم السحر والكفر.

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ وإنما قال: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ مع قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ لأنهما فريقان؛ فريقٌ علموا وعاندوا، وفريقٌ ضيَّعوا وجهلوا. وقيل: الأوَّل للمعلمين، والثاني للمتعلمين.

(١٠٣) - ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لِمَثُوبَةٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾: أن اليهود ﴿ءَامَنُوا﴾ بمحمد ﷺ ﴿وَأَتَقُوا لِمَثُوبَةٍ﴾؛ أي: لأثيوا ﴿مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ما هو ﴿خَيْرٌ﴾ لهم، مصدر^(١) وقع موقع الماضي. الفراء: تقديره: لو كانوا يعلمون لآمنوا؛ أي: ليس ذلك فعل من يعلم^(٢)، والله أعلم.

(١٠٤) - ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا آنظُرْنَا وَأَسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ عن ابن عباس: أن العرب كانت تتكلم بها، فلما سمعتهم^(٣) اليهود يقولونها للنبي ﷺ أعجبهم ذلك، فكان (راعنا)

(١) الكلام عائد على ما سبق؛ أي: (مثوبة) وقعت موقع (أثيوا).

(٢) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ١٨٩) دون نسبة.

(٣) في (و): «سمعت».

في لغة^(١) اليهود: السَّبُّ القبيح، وقالوا: كُنَّا نَسْبُ مُحَمَّدًا سَرًّا، وَالآنَ أَعْلَنُوا السَّبَّ لِمُحَمَّدٍ ﷺ؛ لِأَنَّهُ مِنْ كَلَامِهِمْ، فَكَانُوا يَأْتُونَ النَّبِيَّ ﷺ فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدَ رَاعِنَا، وَيَضْحَكُونَ، فَفَطِنَ بِهَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَهُوَ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ، وَكَانَ عَارِفًا بِلُغَةِ الْيَهُودِ فَقَالَ: يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ، عَلَيْكُمْ لعنة الله، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لئن سَمِعْتُهَا مِنْ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِأَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ، فَقَالُوا: أَلَسْتُمْ تَقُولُونَ لَهَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنًا وَقُولُوا أَنْظَرْنَا﴾^(٢).

السُّدِّيُّ: كَانَ الْقَائِلُ لَهَا رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ يُقَالُ لَهُ: رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ^(٣).

و(راعنا) لَفْظٌ أَمْرٌ مِنْ (رَاعَى يِرَاعِي)^(٤)، تَقُولُ الْعَرَبُ: أُرْعِنِي سَمْعَكَ وَرَاعِنِي؛ أَي: اسْتَمِعْ مِنِّي، فَذَهَبَتْ الْيَهُودُ بِهِ إِلَى مَعْنَى الرُّعُونَةِ، وَهُوَ الْاضْطِرَابُ.

قَالَ الْقَفَّالُ: كَانُوا يَقُولُونَ: رَاعُونَا، يُوْهَمُونَ التَّعْظِيمَ، كَقَوْلِهِ: ﴿رَبِّ أَرْجِعُونَا﴾ [المؤمنون: ٩٩]، وَهُوَ (فَاعُولًا) مِنَ (الرُّعُونَةِ) كَعَاثُورًا^(٥)، فَنَهَاكَ اللَّهُ عَنْ هَذِهِ اللَّفْظَةِ الَّتِي تَجِدُ الْيَهُودَ إِلَى تَحْرِيفِهَا سَبِيلًا^(٦)، مِنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ﴾ الْآيَةَ.

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: (راعونا)^(٧).

(١) فِي (ن): «كَلَامٌ».

(٢) ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي «أَسْبَابِ النَّزُولِ» (ص: ٣٣).

(٣) فِي (و): «يَزِيدٌ». رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٢/ ٣٧٧)، وَابْنُ الْمُنْذَرِ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٢/ ٧٣٣)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١/ ١٩٨).

(٤) فِي (و): «وَلَفْظُ رَاعِنَا أَمْرٌ رَاعِيٌّ».

(٥) هُوَ الْمَكَانُ الْوَعْرُ الَّذِي يُعْتَرِ فِيهِ، وَاسْتَعِيرَ لِلرُّوْطَةِ، فَقِيلَ: وَقَعَ فُلَانٌ فِي عَاثُورٍ شَرًّا.

(٦) ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ فِي «غَرَائِبِ التَّفْسِيرِ» (١/ ١٦٦).

(٧) نَسَبَتْ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «الْمَخْتَصَرِ فِي شَوَازِ الْقِرَاءَاتِ» لِابْنِ خَالَوَيْهِ (ص: ١٦)،

و«تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ» (٢/ ٣٧٧).

قال عطاء: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾؛ أي: خلافاً^(١)، ولعله أراد: (راعناً) كقراءة الأعمش^(٢)، فأجرى الوصل مجرى الوقف^(٣).

ابن عباس ومجاهد: نُهوا عنها لِأَنَّهَا لَفْظَةٌ تُنْبِئُ عَنِ الْمَسَاوَاةِ، وَالْمُسْلِمُونَ مَأْمُورُونَ بِأَنْ يَخَاطَبُوا الرَّسُولَ ﷺ بِمَا فِيهِ خُضُوعٌ وَخُشُوعٌ وَتَذَلُّلٌ^(٤).

يقويه قوله: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ﴾ [النور: ٦٣] الآية، وقوله: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ [الحجرات: ٢] الآية.

وقيل: هذه كلمة تقولها الأنصار في الجاهلية، فنهوا عنها في الإسلام، فالنهي وقع على اللفظ دون المعنى، ومثله قوله ﷺ: «لا تسموا العنب كرمًا»^(٥).

وقيل: عنوا ب(راعنا): يا راعي إبلنا.

﴿وَقُولُوا أَنْظَرْنَا﴾؛ أي: وقولوا بدل (راعنا): انظرنا.

مجاهد: معناه: بين لنا^(٦).

وقيل^(٧): انظر إلينا.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٧٣).

(٢) نسبت للأعمش في «الكامل في القراءات» للشكري (ص: ٤٩٠)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٩٧)، ونسبت لغيره أيضًا.

(٣) في حذف التنوين.

(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (١/ ٧٣) عن مجاهد، وذكر نحوه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٧٧) دون نسبة، وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٩٧) عن مفضل بن فضالة.

(٥) رواه البخاري (٦١٨٢)، ومسلم (٢٢٤٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٨٣)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٩٨).

(٧) «أي وقولوا بدل راعنا انظرنا، مجاهد معناه بين لنا وقيل» من (ن).

وقيل: ﴿أَنْظَرْنَا﴾: توقّف علينا حتى نفهم ما تقول ونحفظه، وقيل: حتى نسألك عن جميع مشكلاتنا، كقوله: ﴿أَنْظَرُونَا نَقْنِسَ مِنْ تُورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣].

﴿وَأَسْمَعُوا﴾ الحسن: ما يأتيكم به الرّسول^(١)، وقيل: اقبلوا ما يأمركم به.
﴿وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلمٌ.

(١٠٥)- ﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ قال المفسّرون: إنّ المسلمين كانوا إذا قالوا للحلفائهم من اليهود: آمنوا بمحمّد ﷺ قالوا: ما هذا الذي تدعوننا إليه بخير ممّا نحن فيه، ولوددنا لو كان خيراً، فأنزل الله تكديباً لهم: ﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بمحمّد ﷺ ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني: اليهود والنصارى ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾؛ أي: لا يحبّون ولا يتمنّون ﴿أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ من الحكمة والقرآن والنصر والغلبة.

﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾: من عند ربّكم.

﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾: بنبوته وحكمته ونصرته من يشاء.

﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾: الثّواب الكثير.

والاختصاصُ بالشّيء: الانفرادُ به.

(١) روى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ١٩٨).

(١٠٦) - ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ﴾ قال المفسرون: إن المشركين قالوا: ألا ترون إلى محمدٍ ﷺ يأمر أصحابه بأمرٍ ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه، ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً، ما هذا القرآن إلا كلام محمدٍ يقوله من تلقاء نفسه، وهو كلامٌ يناقض بعضه بعضاً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً﴾ [النحل: ١٠١] الآية، وأنزل أيضاً: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ﴾.

والنسخُ: الرَّفْعُ لِلشَّيْءِ قد كان يلزم العملُ به إلى مدّةٍ يبدلُ منه، وكلُّ شيءٍ خالفَ شيئاً فقد انتسخه، ونسختِ الشمسُ الظلَّ وانتسخته؛ إذا أزلته وحلّت محلّه، ومنه (نسختُ الكتاب)؛ إذا نقلته من نسخةٍ إلى نسخةٍ.

وأجمعت الأمة على أن في القرآن النَّاسِخَ والمنسوخَ إلا شردمةً قليلين سلكوا غيرَ سبيلِ الحقِّ، فأنكروا أن في القرآن^(١) ناسخاً ومنسوخاً^(٢).

والنسخُ يقع في الأمر والنهي وما في معناهما، ومنهم من أجاز النَّسخَ في الأخبار، وهذا في العِظَمِ كالإنكارِ^(٣) للناسخ والمنسوخ أصلاً^(٤).

(١) «الناسخ والمنسوخ إلا شردمة قليلين سلكوا غير سبيل الحق فأنكروا أن في القرآن» من (ن).

(٢) وهم طائفة قليلون من المعتزلة، كما في «البحر المحيط» (٥/٢٠٨).

(٣) في (ن): «كإنكار».

(٤) لأنه يفضي إلى الكذب، لكن إن كان مما يصح تغييره بأن يقع على غير الوجه المخبر عنه، فهو موضع الخلاف، وقد ذهب أبو عبد الله وأبو الحسين البصريان، والقاضي عبد الجبار، والإمام

الرازي إلى جوازه، كما في «البحر المحيط» (٥/٢٤٥).

ومنهم مَنْ قال: إِنَّ ذَلِكَ إِلَى الْإِمَامِ يَنْسَخُ مَا يَشَاءُ، وَهُوَ ثَالِثُ ثَلَاثَةِ مُبْتَدِعِينَ^(١).

وَالنَّسْخُ فِي الْقُرْآنِ عَلَى وَجْهِ:

أحدها: أَنْ يَكُونَ الْمَنْسُوخُ ثَابِتًا فِي الْمَصْحَفِ مَتْلُوًّا، نَحْوَ قَوْلِهِ: ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [السجدة: ٣٠]، ﴿فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٩]، و﴿لَكَرِهُنَا لَكُمُ الْوَيْلَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَإِنَّهَا مَنْسُوخَةٌ الْحُكْمِ بِآيَةِ السَّيْفِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥] وَهَذَا الْوَجْهُ هُوَ الْمَطْرُودُ فِي الْقُرْآنِ.

وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ مَنْسُوخًا غَيْرَ ثَابِتٍ فِي الْمَصْحَفِ وَالْحُكْمُ بَاقِيًّا، نَحْوَ مَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: خَطَبْنَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَقَالَ: كُنَّا نَقْرَأُ: (السَّيْخُ وَالسَّيْخَةُ إِذَا زَيَّا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ بِمَا قَضِيَا مِنَ اللَّذَّةِ نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)، وَلَوْلَا أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ يُقَالَ: زَادَ عُمَرُ فِي الْقُرْآنِ، لَزِدْتُمَا^(٢).

وَالثَّلَاثُ: مَا نُسِخَ حُكْمُهُ وَلَمْ يَثْبُتْ لَفْظُهُ، وَذَلِكَ مَا رُوِيَ عَنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ^(٣) أَنَّهُ قَالَ: كُنَّا نَقْرَأُ: (لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ إِنَّهُ كَفَرٌ)^(٤).

وَالرَّابِعُ: مَا نُسِخَ لَفْظُهُ^(٥) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ حُكْمٌ، كَمَا رُوِيَ عَنِ أَنَسٍ قَالَ: كَانَتْ تُقْرَأُ مَرَّةً: (أَخْبِرُوا قَوْمَنَا أَنَّا لَقِينَا رَبَّنَا فَارْضَانَا وَرَضِيَ عَنَّا)^(٦).

(١) يَعْنِي الْأَقْوَالُ الثَّلَاثَةُ السَّابِقَةَ، وَهِيَ إِنْكَارُ النَّسْخِ، وَمَنْ قَالَ بِنَسْخِ الْأَخْبَارِ، وَمَنْ قَالَ: إِنَّ ذَلِكَ لِلْإِمَامِ.

(٢) رَوَى نَحْوَهُ الْبُخَارِيُّ (٧٣٢٣)، وَمُسْلِمٌ (١٦٩١).

(٣) «الصِّدِّيقُ» مِنْ (ن).

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٨٣٠) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) فِي (و): «حُكْمُهُ».

(٦) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٨٠١)، وَمُسْلِمٌ (٦٧٧)، وَلَفْظُ الْبُخَارِيِّ: «فَكُنَّا نَقْرَأُ: أَنْ بَلَّغُوا قَوْمَنَا أَنْ قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا

فَرْضِي عَنَّا وَأَرْضَانَا، ثُمَّ نَسَخَ بَعْدَ».

وَرُوي أَيْضًا: كُنَّا نَقْرَأُ فِي الْقُرْآنِ: (لَوْ أَنَّ لَابْنَ آدَمَ وَادْبَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ لَابْتَغَى إِلَيْهِمَا ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ تَابٍ) (١).

وَالْخَامِسُ: مَا نُسِخَ لَفْظُهُ وَبَقِيَ بَعْضُ حِكْمِهِ، وَذَلِكَ مَا رُوي عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ فِيْمَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ: (عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ)، فَنُسِخْنَ بِ(خَمْسٍ) (٢) مَعْلُومَاتٍ يَحْرَمْنَ، قَالَتْ: وَتُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مِمَّا يُقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ (٣).
وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الشَّافِعِيُّ (٤).

وَقَوْلُهُ: ﴿مَا نُسِخَ مِنْ آيَةٍ﴾: هِيَ مَا نُسِخَ لَفْظُهَا وَبَقِيَ حِكْمُهَا، أَوْ مَا نُسِخَ حِكْمُهَا وَبَقِيَ لَفْظُهَا.

﴿أَوْ نُسِيَهَا﴾: هِيَ مَا نُسِخَ لَفْظُهَا وَحِكْمُهَا، مِنْ (النَّسْيَانِ) الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْحِفْظِ.

وَقِيلَ: مِنْ النَّسْيَانِ الَّذِي (٥) مَعْنَاهُ: التَّرْكَ؛ أَي: نَتْرُكُهَا مُحْكَمَةً فَلَا نُنْسِخُهَا.
قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ: وَهَذَا لَا يَجُوزُ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿نَأَتْ بِخَيْرٍ مِمَّنْهَا﴾ إِنَّمَا يُحْمَلُ عَلَى الْمُنْسُوخِ لَا عَلَى الْمَتْرُوكِ (٦).

(١) رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «مُصَفِّهِ» (١٩٦٢٣)، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٠٤٨) وَفِيهِ يَقُولُ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَلَا أُدْرِي أَشْيَاءَ أَنْزَلَ أَمْ شَيْءٌ كَانَ يَقُولُهُ»، وَرَوَى نَحْوَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٤٣٧)، وَمُسْلِمٌ (١٠٤٩) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) فِي النُّسخِ الْخَطِيئَةِ: «إِلَّا خَمْسًا»، وَالْمَثْبُوتُ مِنْ مُسْلِمٍ.

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٤٥٢).

(٤) انظُرْ: «الْأَمُّ» لِلشَّافِعِيِّ (٥ / ٢٩).

(٥) «هُوَ ضِدُّ الْحِفْظِ وَقِيلَ مِنَ النَّسْيَانِ الَّذِي» مِنْ (ن).

(٦) انظُرْ: «الْحِجَّةُ لِلْقُرْآنِ السَّبْعَةُ» لِأَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ (٢ / ١٩٢).

﴿نُنسخ﴾ بضم النون^(١)، «الحجة»: نجدها منسوخة، فهو إذا بمعنى: ﴿نَسَخَ﴾ بالفتح^(٢).

وقرأ أبو عمرو: ﴿نَسَاها﴾^(٣)؛ أي: نُوخِرُها فلا ننسخها^(٤).

وقيل: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ﴾ من اللوح المحفوظ ﴿أَوْ نُسِهَا﴾: نُوخِرُ إنزالها.

﴿ثَاتٍ بِخَيْرٍ مِّنْهَا﴾ في الثواب، وقيل: أخفٌ للمكلف بها.

﴿أَوْ مِثْلَهَا﴾: في الثواب والعمل بها.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من النسخ والتبديل وغيرهما ﴿قَدِيرٌ﴾: قادرٌ، لفظٌ

مبالغة.

والاستفهام تقريرٌ؛ أي: أنت عالمٌ بهذا، وقيل: الخطابُ للنبي ﷺ والمرادُ به

غيره.

(١٠٧) - ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ

مِنْ وَّلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: فهو أعلم بمصالح عباده في

الناسخ والمنسوخ.

(١) وهي قراءة ابن عامر. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٦٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦).

(٢) انظر: «الحجة للقراء السبعة» لأبي علي الفارسي (٢/ ١٨٦).

(٣) كذا قرأها أبو عمرو وابن كثير من السبعة. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٦٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦).

(٤) في (و): «نساها».

﴿ وَمَا لَكُمْ مِّنْ ذُوْنِ اَللّٰهِ مِنْ وَّلِيٍّ ﴾: يلي أمركم، والوليُّ: القيمُ بالأمر.
﴿ وَلَا نَصِيْرٍ ﴾: ناصرٍ يمنعكم.

(١٠٨) - ﴿ اَمْ تُرِيْدُوْنَ اَنْ تَسْأَلُوْا رَسُوْلَكُمْ كَمَا سَئِلَ مُوسٰى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْاِيْمٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيْلِ ﴾.

﴿ اَمْ تُرِيْدُوْنَ ﴾ قيل: هي المعادلة للألف في قوله: ﴿ اَلَمْ تَعْلَمْ ﴾^(١).

وقيل: تقديره: بل أتريدون^(٢).

﴿ اَنْ تَسْأَلُوْا رَسُوْلَكُمْ كَمَا سَئِلَ مُوسٰى مِنْ قَبْلُ ﴾ هو خطاب^(٣) لليهود، وقوله: ﴿ رَسُوْلَكُمْ ﴾؛ أي: الذي أتاكم الآن، ﴿ كَمَا سَئِلَ مُوسٰى مِنْ قَبْلُ ﴾؛ أي: سأله أسلافكم.

وقيل: خطابٌ للمشركين.

وقيل: خطابٌ للمؤمنين، كقوله: ﴿ لَا تَسْأَلُوْا عَنْ اَشْيَآءَ ﴾ [المائدة: ١٠١].

وقيل: نزلت في رجلٍ قال: يا رسول الله، لو كانت لنا كفاراتٌ ككفاراتِ بني إسرائيل^(٤).

ابن عباسٍ: نزلت في عبد الله بن أبي أمية ورهطٍ من قريشٍ قالوا: يا محمد،

(١) وهي بمعنى: أتريدون. انظر: «الصاحبي في فقه اللغة» لابن فارس (ص: ٨٨)، و«منازل الحروف» للرماني (ص: ٥٨).

(٢) واختاره الزجاج. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٩٢).

(٣) في (و): «قيل: هي خطاب».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٠٣) عن أبي العالية.

اجعل لنا الصِّفَا ذَهَبًا، ووسِّعْ لنا أَرْضَ مَكَّةَ، وفَجِّرْ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا، نُوْمِنُ بِكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَةَ^(١).

وهو القائل أيضًا: اتننني بكتابٍ من السَّمَاءِ فيه: من ربِّ العالمين إلى ابن أبي أمية، اعلم أنني قد أرسلتُ محمدًا إلى الناس^(٢).

وَرُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سَأَلَهُ قَوْمٌ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا كَانَ لِلْمَشْرِكِينَ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، وَهِيَ شَجَرَةٌ كَانُوا يَعْبُدُونَهَا وَيَعْلُقُونَ عَلَيْهَا الثَّمَرَةَ وَغَيْرَهَا مِنَ الْمَأْكُولَاتِ، كَمَا سَأَلَ مُوسَى بَنُو إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِنْهَاءَ كَمَا لَهُمْ آلهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]^(٣).

وأظهرُ من هذه كلها قولهم: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ﴾ [الإسراء: ٩٠] الآية. ﴿وَمَنْ يَتَّبِدْ أَلْكَفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ لأنَّ اقتراحَ الآياتِ بعدَ ظهورِ المعجزاتِ كُفْرٌ.

والتَّبْدِيلُ وَالْإِبْدَالُ وَالتَّبَدُّلُ وَاحِدٌ، وَهُوَ أَخَذُ الْبَدْلِ، وَالْبَدْلُ: مَا يَقُومُ مَقَامَ الشَّيْءِ، سِوَاهُ^(٤) سَدَّ مَسَدَهُ أَمْ لَمْ يَسُدَّ.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤ / ٢٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٤)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢ / ٤٠٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، لكنه سمى السائلين: رافع بن حريملة ووهب بن زيد، وروى نحوه أيضًا الطبري في «تفسيره» (٢ / ٤١٠) عن مجاهد، دون تسمية من سأل.

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٥)، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١ / ٩٩) عن محمد بن إسحاق الأنباري.

(٣) رواه الترمذي (٢١٨٠) من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه، وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) «سواء» من (ن).

﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾: أخطأ ﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ قَصْدَهُ، وَالسَّوَاءُ: الْوَسْطُ، وَالسَّبِيلُ: الطَّرِيقُ؛ يُذَكَّرُ وَيُؤنَّثُ.

(١٠٩) - ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَهُمْ الْحَقُّ فَأَعْفُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا﴾ ابن عباس: نزلت في نفرٍ من اليهود قالوا للمسلمين بعد وقعة أحد: ألم تروا إلى ما أصابكم؟! ولو كنتم على الحق ما هزمتكم، فارجعوا إلى ديننا؛ فهو خير لكم^(١).
أي: تمنى وأحب كثير من اليهود - وهم علماءهم^(٢) - ردكم إلى الكفر بعد الإيمان.

﴿حَسَدًا﴾؛ لَأَنَّهُمْ يَحْسُدُونَ الْعَرَبَ عَلَى كَوْنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْهُمْ.

و(وَدَّ) و(تَمَنَّى) يتعديان إلى المعاني دون الأعيان، وقد يُزاد مع (وَدَّ): (لَوْ)^(٣).

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٥)، وعلّق عليه ابن حجر في «العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٣٥٤): هذا لعله من تفسير الكلبي، والذي ذكره ابن إسحاق في «المغازي» عن ابن عباس قال: كان حبي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشد اليهود للعرب حسداً، إذ خصهم الله تعالى برسوله، وكانا جاهدين في ردّ الناس عن الإسلام بما استطاعا، فأنزل الله تعالى فيهما هذه الآية، ثم ذكر قولاً آخر.

(٢) في (و): «علمائهم».

(٣) انظر: «غرائب التفسير» (١/ ١٧٠).

قوله: ﴿مَنْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ﴾: ﴿مَنْ﴾ صلة ﴿وَدَّ﴾؛ أي: مودّتهم لكفركم من عند أنفسهم؛ أي: في تدبيرهم؛ لم يؤمروا به.

قال الزّجاج: وليس ﴿مَنْ﴾ متعلّقًا بالحسد؛ لأنّ حسدَ الإنسان لا يكون إلّا من عند نفسه^(١).

ابن عيسى: يجوز أن يكون تأكيدًا، كقوله: ﴿وَلَا ظَلِمَ بَطِيرٌ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨]^(٢).
والحسد: تمنّي إزالة النعمة عن صاحبها.

وقيل: الحسد: الأسف على من له خيرٌ لسبب الخير الذي له.

﴿مَنْ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾؛ أي: ظهر ووضح أنّ رسول الله محمدٌ ﷺ وأنّ دين الله الإسلام.

﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾: نزلت في كعب بن الأشرف^(٣)، وكان شاعرًا يهجو النبي ﷺ ويحرّض عليه كفّار قريش.

﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾: بالقتال، وهو قوله: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]، وقيل: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [التوبة: ٢٩]؛ فإنّها نسخت: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾، وقيل: بالموت، وقيل: بالجلّاء في بني النضير والسّبي في بني قريظة^(٤).

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٩٣).

(٢) ذكره المصنف في «غريب التفسير» (١/ ١٧٠)، وذكره الواحدي في «البيضا» (٣/ ٢٤١)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ١٩٦) دون نسبة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤١٩) عن الزهري وقتادة، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٠٤) عن الزهري وعبد الله بن كعب بن مالك.

(٤) «بني» من (ن).

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١).

(١١٠) - ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ نَّحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ تذللًا لله (٢) وخشوعًا له، ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ طاعة لله في مواساة عباده.

﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ﴾: طاعة وعبادة ﴿نَّحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾؛ أي: مسطورًا في كُتُبِ الحَفَظَةِ.

ابن عباس: تجدوا جزاءه (٣).

﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: عالم؛ فيجازيكم على الإحسان إحسانًا، وعلى الإساءة إساءةً أو غفرانًا.

(١١١) - ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا﴾: هذا إيجازٌ، وتقديره: قالت

(١) في (و): «قديرٌ من ذلك».

(٢) «الله» من (ن).

(٣) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢ / ٤٢٦) عن الربيع، وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره»

(١ / ٢٠٧) عن أبي العالية، ولفظهما: «جدوا ثوابه عند الله».

اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديًا، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيًا، فأخبر عنهما إيجازًا من غير إخلالٍ.

(هود): قيل^(١): جمع هائِد، كحائلٍ وحولٍ، وقيل: مصدرٌ، وقيل: حُذَفَ فاؤه^(٢).

﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾: التي تمنوها على الله كاذبةً.

المورج^(٣): ﴿أَمَانِيُّهُمْ﴾: أباطيلهم بلغة قريش^(٤).

وقيل: أفاويلهم وتلاوتهم.

﴿قُلْ هَاتُوا﴾: أحضروا وعجلوا وقربوا^(٥)؛ أمرٌ تعجيز.

﴿بُرْهَنَكُمْ﴾: حجبتكم.

ابن عيسى: البرهان: بيانٌ عن معنى يشهدُ بمعنى آخر حقٌّ في نفسه وشهادته.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾؛ أي: في دعواكم.

ثمَّ بَيَّنَّ مَنْ يَدْخُلُهَا فَقَالَ:

(١) «قيل» من (ن).

(٢) وأصله: يهود.

(٣) هو العلامة مورج بن عمرو، شيخ العربية أبو فَيْدٍ السدوسي، روى عن أبي عمرو بن العلاء وشعبة وطائفة، وأخذ عن الأعراب، كان من أصحاب الخليل بن أحمد، يُعدُّ مع سيبويه والنضر بن شميل، وله عدة تصانيف منها: «غريب القرآن»، و«كتاب جماهير القبائل»، و«كتاب المعاني»، توفي سنة (١٩٥ هـ) يوم موت أبي نواس الشاعر، ويقال: مات بعد المئتين بالبصرة. انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٩/ ٣١٠).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣٤) بلا نسبة.

(٥) «وقربوا» من (ن).

(١١٢) - ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿بَلَىٰ﴾ ردًّا عليهم وإيجابًا لما نفوه؛ أي: يدخلها ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾؛ أي: أخلص قلبه ولسانه، وأصله^(١): الانقياد.

وذكر الوجه لأنه أكرم الأعضاء، ولأنَّ الوجه إذا خضع تبعه غيره.

الفراء: أخلص عمله لله^(٢).

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾؛ أي: في أعماله.

﴿فَلَهُ أَجْرُهُ﴾: ثواب عمله معدًّا^(٣) ﴿عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؛ أي: هم من أهل الجنة، فإنَّ هذا صفتهم، وذلك جامعٌ لأسباب السعادة.

(١١٣) - ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾؛ أي: على حقٍّ وصوابٍ وأمرٍ يُعتدُّ به، ﴿وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾؛ أي: الفريقان يتلوان

(١) أي: أصل الإسلام.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (١/ ٤٢٣) عن الفراء، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٣٢)

عن الربيع، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٠٨) عن أبي العالية وسعيد بن جبير.

(٣) «ثواب عمله معدًّا» ليس في (و).

التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَالْكِتَابُ يَحْمِلُ عَلَى الْحَقِّ وَتَعْرِفُهُ^(١). وهذا تعجيبٌ.

نزلت في يهود المدينة ونصارى نجران، وذلك أن وفد نجران لما قدموا على رسول الله ﷺ أتاهم أحرارُ اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم، فقالت اليهود: ما أنتم على شيءٍ من الدين، وكفروا بعبسى والإنجيل، وقالت لهم النصارى: ما أنتم على شيءٍ من الدين، وكفروا بموسى والتَّوْرَةَ، فأنزل الله هذه^(٢) الآية^(٣).

﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: الكتاب ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾؛ أي: أهل الكتاب^(٤).

السُّدِّيُّ: مشركو العرب^(٥).

عطاء: هم قومٌ قبل اليهود والنصارى^(٦).

أي: سبيلُ أهلِ الكتابِ سبيلُ الكفَّارِ في إنكارِهِمُ الْحَقَّ وتكذيبِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ والاختلافِ عَلَيْهِمُ، ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ فيريهم المحقُّ من المبطل.

(١١٤) - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا

أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

(١) في (ن): «ومعرفه».

(٢) في (ن): «فأنزلت هذه».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٠٨).

(٤) «أي أهل الكتاب»: ليس في (و).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٣٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٠٩).

(٦) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٠٩).

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾: روى الكلبي عن ابن عباس: أنها نزلت في حق ططوس الرومي وأصحابه من النصارى، غزوا بني إسرائيل، فقتلوا مقاتلتهم، وسبوا ذراريهم، وحرقوا التوراة، وخرّبوا بيت المقدس، وقذفوا فيه الحيف^(١).

قتادة والسدي: هو بختنصر وأصحابه، وأعانتهم على ذلك النصارى^(٢).

عطاء: نزلت في مشركي أهل مكة^(٣) ومنعهم المسلمين عن البيت^(٤).
ويجوز أن يكون عامًا في كل من منع مسلمًا عن ذكر الله وعن الصلاة^(٥)؛
لأن النبي ﷺ يقول: «جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا»^(٦).

(١) كذا في «أسباب النزول» للواحيدي (ص: ٣٦)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٨٦) عن الكلبي.
(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٠٩) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٤٣) عن قتادة والسدي.

قال الجصاص في «أحكام القرآن» (١/ ٧٥) متعقبًا: «ما روي في خبر قتادة يشبه أن يكون غلطًا من رواه؛ لأنه لا خلاف بين أهل العلم بأخبار الأولين أن عهد بختنصر كان قبل مولد المسيح عليه السلام بدهر طويل، والنصارى إنما كانوا بعد المسيح وإليه يتمون، فكيف يكونون مع بختنصر في تخريب بيت المقدس، والنصارى إنما استفاض دينهم في الشام والروم في أيام قسطنطين الملك، وكان قبل الإسلام بمئتي سنة وكسور... ومع ذلك فإن النصارى تعتقد من تعظيم بيت المقدس مثل اعتقاد اليهود، فكيف أعانوا على تخريبه مع اعتقادهم فيه؟».

(٣) في (ن): «مشركي مكة».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٤٤) عن ابن زيد، وذكره الواحيدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق عطاء.

(٥) في (و): «وعن النبي». والمساجد على هذا القول هي الأرض كلها، وقد ذكر المصنّف هذا القول في «غرائب التفسير» (١/ ١٧١)، واستغربه. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٩٦)، و«تفسير الماتريدي» (١/ ٥٤٣).

(٦) رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

والمَنعُ: أن تحوّل بين المرء وبين الشّيء يريدُه.

وقوله: ﴿أَنْ يُذَكَّرَ﴾ يجوز أن يكون بدلاً من المسجد^(١).

الزَّجَاجُ: يجوز أن يكون تقديره: كراهة أن يُذَكَّرَ^(٢).

الفراء: يجوز أن تكون (من) مقدّرة؛ أي: منع من أن يُذَكَّرَ^(٣).

قال الشّيخ رحمه الله: ويحتمل أن يكون المفعول الثاني كقول أبي بكرٍ: «لو منعوني عقلاً»^(٤)؛ لأنّه في معنى حرّم^(٥).

﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾: خراب أبنيتها ومحاربيها.

وعلى الوجهين الآخرين^(٦): ﴿خَرَابِهَا﴾: منع النَّاسِ عن العبادة فيها؛ لأنَّ عمارتها بالعبادة، والخرابُ نقيضُ العمارة.

(١) أي: من كلمة (مساجد)، والمصدر المؤوّل على هذا في موضع نصب، وقد ذكر هذا الوجه الأخفش والزجاج والنحاس. انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/١٥١)، وللزجاج (١/١٩٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/٧٥).

(٢) لم أفق على هذا القول له في «معاني القرآن»، وقد نقله عنه الرازي في «تفسيره» (٤/١٢)، والمصدر المؤوّل على هذا الوجه مفعول لأجله، وقد أجازَه الزمخشري في «الكشاف» (١/١٧٩)، وانظر: «إعراب القرآن» للعكبري (١/١٠٧).

(٣) ذكره الأخفش في «معاني القرآن» (١/١٥١)، والطبري في «تفسيره» (٢/٤٤١)، والنحاس في «إعراب القرآن» (١/٧٥)، وابن عطية في «تفسيره» (١/١٩٩) دون نسبة.

(٤) رواه البخاري (٧٢٨٤)، ومسلم (٢٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) هذا الوجه الذي قدّمه الثعلبي في «تفسيره» (٤/٣٩)، وذكره المصنّف في «غرائب التفسير» (١/١٧١)، واستغربه.

(٦) وهما: أنها نزلت في مشركي أهل مكّة، أو أنها عامة في كلّ من منع مسلماً عن ذكر الله والصلاة.

﴿أَوْلَيْكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾: لا يدخل النَّصرانيُّ بيتَ المقدس إلا خائفاً من أن يُعاقب.

وعلى القول الثاني: أن يدخلوها خائفين؛ فإنَّ رسولَ الله ﷺ نادى: «أن لا يحجَّ بعد العام مشركٌ، ولا يطوفَ بالبيتِ عُرْيَانٌ»^(١).

وقيل: هذا وعدٌ للنبي ﷺ بفتح مكة.

﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ بالصَّغَارِ والجِزْيَةِ، وقيل: بفتح بلادهم عُمُورِيَّةَ والرُّومِيَّةَ وقسطنطينيَّةَ.

﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: دائمٌ.

(١١٥) - ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَوَجَّهُ اللَّهُ إِلَيْكَ وَرَاسِعٌ عَلَيْكُمْ﴾.

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَوَجَّهُ اللَّهُ﴾ لِمَا ذَكَرَ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ^(٢) عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ فِيهَا عَلَى مَا سَبَقَ قَالَ: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾، فَصَلُّوا مِنَ الْأَرْضِ حَيْثُ شِئْتُمْ.

وعن جابر بن عبد الله، وعامر بن ربيعة، قال: نزلت رخصةً للمتحرِّري عند اشتباه القبلة، وهي محكمة^(٣).

(١) رواه البخاري (١٦٢٢)، ومسلم (١٣٤٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في (ن): «منع المساجد».

(٣) رواه الترمذي (٣٤٥)، وابن ماجه (١٠٢٠) من حديث عامر بن ربيعة رضي الله عنه، وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث أشعث السمان أبي الربيع عن عاصم بن عبيد الله، وأشعث يُضَعَّفُ فِي الْحَدِيثِ.

ورواه الدارقطني في «سننه» (١٠٦٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢٢٤٣)، وقال: لم نعلم لهذا الحديث سنداً قوياً.

ابن عمر: نزلت في التطوع بالنافلة؛ تصلي حيثما توجهت بك راحلتك في التطوع، وهي محكمة^(١).

ابن عباس في رواية عطاء: نزلت في النجاشي حين صلى عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، فقالت الصحابة: كيف صلينا على رجل مات وهو يصلي لغير قبلتنا؟ فأنزل الله: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾^(٢).

قتادة: ولما نزلت: ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ صلى رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس، وترك البيت العتيق بضعة عشر شهرا، ثم نسخ بقوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤]^(٣).

قال: وأول ما نسخ من القرآن شأن القبلة^(٤).

قال القفال: زعمت اليهود أن الله عز وجل لما خلق الأرض صعد إلى السماء من الصخرة، فأتخذوها قبلة، والنصارى استقبلوا المشرق لولادة مريم من جهته^(٥).

(١) رواه مسلم (٧٠٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ولفظه: كان رسول الله ﷺ يصلي وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه، قال: وفيه نزلت: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾.

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٨)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٥٥) عن قتادة، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥٤٢) عن ابن جريج.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٥٢).

(٤) رواه أبو عبيد الهروي في «الناسخ والمنسوخ» (٢١)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٥٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢١٢)، والحاكم في «المستدرک» (٣٠٦٠)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. ورواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٢٢) عن عكرمة والحسن البصري.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٧١)، وذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٤/ ١٩) بلا

مجاهدٌ والحسن: الآية ناسخةٌ مثل قوله: ﴿قَدْ زَرَى نَقْلَبُ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٤٤] والمعنى: فأينما تولُّوا مقبلين ومدبرين فثمَّ وجهُ الله الذي أمركم بالتَّوجُّه إليه؛ يعني: الكعبة، فتوجَّهوا إليها، فإنَّه ممكنٌ لكم التَّوجُّه إليها من كلِّ مكانٍ. والتَّقديمُ والتَّأخيرُ لا يمنعُ صحَّةَ هذا التَّأويل (١).

وزاد القفال وجهاً آخر فقال: ليس في الآية ذكر القبلة والصلاة، وإنما أخبرهم عن علمه بهم ولحوق سلطانه إليهم حيث كانوا، كما قال الله تعالى: ﴿إِنْ أَسْطَقْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ﴾ [الرحمن: ٣٣] الآية، وكذلك قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾ [المجادلة: ٧] الآية (٢).

والمشرق: موضعُ شروق الشمس، وهو طلوعها، والمغرب: موضعُ الأفل، وكلاهما خارجان عن القياس.

و(ثمَّ): إشارةٌ إلى المكان المتراخي كـ(هنالك)، بُني لتضمينه معنى الإشارة، وحركٌ لالتقاء الساكنين، وفتح تخفيفاً وتشبيهاً بالظرف.

﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾؛ أي: جهته التي أمركم بالتَّوجُّه إليها، وقيل: الوجه صلوة؛ أي: فقد صادفتم المقصود بعبادتكم، وقيل: معناه القصد والتَّقرب، قال:

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُخَصِّصِيَهُ رَبَّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهَ وَالْعَمَلَ (٣)

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٧١)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٥٧) عن مجاهد.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٧١).

(٣) البيت لا يعرف قائله. انظر: «الكتاب» لسيبويه (١/ ٣٧)، و«معاني القرآن» للفرّاء (١/ ٢٣٣)،

و«أدب الكاتب» لابن قتيبة (١/ ٥٢٤)، و«المقتضب» للمبرد (٢/ ٣٢١)، و«تفسير الطبري»

وقيل: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا﴾ بالدعاء ﴿فَسَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ﴾: قادرٌ.

المفضَّل: محيطٌ، والسَّعة: الإحاطة^(١).

وقيل: واسع الشريعة.

﴿عَلِيمٌ﴾: عالمٌ.

(١١٦) - ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ ۗ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ

قَلْبِنُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ نزلت في اليهود حيث قالوا: ﴿عُزَيْرُ بْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠،

وفي نصارى نجران حيث قالوا: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، ومشركي العرب حيث قالوا^(٢): الملائكة بنات الله^(٣).

ثم نزه نفسه عن اتخاذ الولد؛ لأنَّ البُنوة تقتضي المجانسة، والله تعالى منزّه عن الوصف بالجنس والنوع، وجاز له اتّخاذ الخليل حيث لا يقتضي نقصاً.

﴿سُبْحٰنَهُ ۗ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾: واللام للملك، والرَّجُلُ لا يملكُ

ابنه.

(١) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٢/ ١٤٩١) بلا نسبة.

(٢) «عُزَيْرُ بْنُ اللَّهِ﴾ وفي نصارى نجران حيث قالوا ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ ومشركي العرب حيث قالوا «من (ن).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٥٥) عن السدي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَحَرِّقُوا لَهُ بَيْنَ وَبَيْنَ يَغْيَرِ

عَلِيٍّ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩).

﴿كُلُّ﴾؛ أي: كلُّ ما فيهما ﴿لَهُ﴾: ﴿لِلَّهِ﴾ ﴿قَدِينُونَ﴾: مطيعون، من قوله: ﴿يَمْرِيْرُ أَقْنِي لِرَبِّكَ﴾ [آل عمران: ٤٣].

وقنوت كلُّ شيءٍ على حسب ما يوجد منه؛ فمنه ما يشمل الجميع لظهور آيات الصَّنعة، ومنه ما يخصُّ العقلاء، كالملائكة والجنِّ والإنس.

قال الفراء: المراد به أهل طاعته^(١).

وأصل القنوت: الدَّوام، ويُسْتعملُ للشُّكوت والطَّاعة والقيام على حالةٍ واحدةٍ. ومن قرأ: ﴿قَالُوا﴾ بغير واو العطف، اكتفى عنه بواو الضَّمير^(٢).

(١١٧) - ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ أي: مُبْدِعُهُمَا ومُخْتَرُهُمَا لا على مثالِ سَبَقٍ، وضدُّ الإبداع: الاحتذاء، فعيلٌ بمعنى: مُفْعِلٍ، ورُوي عن قُطْرُب: بَدَعَ بمعنى: أَبْدَعَ^(٣).

﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾: حتمَ بآنه يفعل فعلاً، وقيل: حكم، وقيل: أحكم، قال الشاعر:

وعليهما مسرودتان قضاهما
داودُ أو صنَعُ السَّوابغِ تُبَعُّ^(٤)

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٧٤).

(٢) قرأ ابن عامر الشامي بغير واو، وباقي السبعة بالواو. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٦٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦).

(٣) في (ن): «بدعه بمعنى أبده». وانظر الرواية عن قطرب في «الإبانة في اللغة العربية» للصحاري (٣٠١ / ٢).

(٤) البيت لأبي ذؤيب الهذلي. انظر: «ديوان الهذليين» (١/ ١٩)، و«المفضليات» للمفضل الضبي (ص: ٤٢٨)، و«جمهرة أشعار العرب» للقرشي (ص: ٥٥٠)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٤٦٦).

والمسرودتان: درعان، والصنَعُ: الحاذق بالصنعة، وقد ذُكر أنَّ تبعاً لم يصنع الدروع وأنَّ أبا ذؤيب =

وقيل: وإذا خلق شيئاً، من قوله: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢].
اللفظ للماضي، والمعنى للمستقبل، كقوله: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ [الإسراء: ٤٥]،
و﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: ٦].

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ﴾: حمل بعضهم القولَ والأمرَ على الحقيقة، وجعلَ
المخاطبَ هو الموجودُ الذي أراد نفوذَ الأمر^(١) فيه، كقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ
مِنْ سُكَّالَةٍ﴾ [المؤمنون: ١٢] الآية، لا ما اخترعه ابتداءً.

ومنهم من قال: كلُّ ما هو كائنٌ فهو في علم الله كالموجود، فصَحَّ الخطاب.
ومنهم مَنْ حمل القولَ والكونَ على سرعة التَّكوين وسهولته، وألَّا نَصَبَ
هنالك ولا تَعَبَ؛ لأنَّ المعدومَ لا يُخاطَب، والموجود لا يُؤمَّرُ بالوجود.

﴿فَيَكُونُ﴾؛ أي: فيكون ذلك على حَسَبِ ما أراد سبحانه^(٢).
والوجهُ الرَّفْعُ على تقدير: فهو يكون، وقراءة النَّصَبِ^(٣) بعيدةٌ في المعنى،
محمولةٌ على ظاهر لفظ الأمر، وهو ﴿كُنْ﴾^(٤)، وكذلك قال الأَخْفَشُ في قوله:
﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣]، وما أشبه ذلك^(٥).

= توهم ذلك؛ لنسبتها إليه، ولقولهم: دروع تبعية.

(١) في (ن): «أمره».

(٢) في (ن): «أراده الله».

(٣) قرأ ابن عامر الشامي بنصب النون، وباقي السبعة بضمها. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد

(ص: ١٦٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦).

(٤) «وهو كن»: ليس في (ن).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٨٢).

(١١٨) - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ابن عباس: اليهود^(١).

مجاهد: النَّصَارَى^(٢).

الحسن وقتادة: مشركو العرب^(٣).

﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ أنك نبيُّه ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ توافق مرادنا.

و(لولا) للتحضيض، كقوله: ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [المنافقون: ١٠].

﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾؛ يعني: أسلافهم اقترحوا الآيات

بقولهم: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا لَنَنْزِلُكُمْ مِنْ سَمَاءٍ مَاءً بَدِينًا﴾ [النساء: ١٥٣]، و﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [المائدة: ١١٤].

﴿تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ بالكفر وقلّة التدبّر في آيات الله.

﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ﴾؛ أي: نصّبنا الأدلّة، فأنزلنا من القرآن ما عجزتم عن الإتيان

بمثله، وذلك دليلٌ وبيانٌ.

﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ اليقين: علمٌ ما^(٤) يُثَلِّجُ به الصّدرُ.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢١٥)، وفيهما أن قائل ذلك هو رافع بن حريملة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٧٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢١٥).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٧٤) عن قتادة والربيع والسدي، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره»

(١/ ٢١٥) عن أبي العالية، وقال: وروي عن قتادة والربيع نحو ذلك.

(٤) «ما»: من (ن).

(١١٩) - ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ .

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾ : بالإسلام .

﴿ بَشِيرًا ﴾ : مبشراً للمؤمنين .

﴿ وَنَذِيرًا ﴾ : منذراً للكافرين .

﴿ وَلَا تُسْأَلُ ﴾ قيل : هو حالٌ ؛ أي : غير مسؤولٍ عنهم ، إنما عليك البلاغُ وعلينا

الحساب .

وقيل : هو استثناءٌ ؛ أي : وأنت لا تُسألُ .

وَمَنْ جَزَمَ^(١) فمعناه : ولا تسأل عنهم ؛ فلن^(٢) تنفعهم شفاعَةُ الشافعين .

وقيل : هو على التعظيم والتَّهْوِيلِ .

وروى القرظيُّ^(٣) : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان يقولُ : « لَيْتَ شِعْرِي مَا فَعَلَ أَبُوَاي ؟ »

فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾^(٤) .

(١) قرأ نافع (ولا تسأل) مفتوحة التاء مجزومة اللام، وقرأ الباقون مضمومة التاء مرفوعة اللام. انظر:

«السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٦٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦).

(٢) في (و): «فلم».

(٣) في (و): «القرظي».

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٦)، وأبو عمر الدوري في «جزء فيه قراءات النبي ﷺ»

(ص: ٧٣)، والحربي في «غريب الحديث» (١ / ١٤٤)، والطبري في «تفسيره» (٢ / ٤٨١). قال

ابن حجر في «العجاب في بيان الأسباب» (١ / ٣٦٩): «من مرسل محمد بن كعب القرظي، وفي

سنده موسى بن عبيدة وهو ضعيف، واستبعد الفخر الرازي صحة هذا السبب قال: لأنه ﷺ يعلم

حال من مات كافراً»، وانظر: «التفسير الكبير» للرازي (٤ / ٣٢).

ورُوي أيضًا أنه قال: «لو أنزل الله بأسه باليهود لآمنوا»، فأُنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ هذه الآية^(١).

والجحيم: النارُ إذا شَبَّ وَقودُها.

(١٢٠) - ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ﴾ ابن عباس: نزلت في شأن القبلة، وذلك أن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أن النبي ﷺ يصلي إلى قبلتهم، فلما صُرفَتِ القبلةُ إلى الكعبة شقَّ ذلك عليهم، ويُسوا منه أن يوافقهم على دينهم، فأُنزل اللهُ تعالى هذه الآية^(٢).

غيره من المفسرين: إن اليهود والنصارى كانوا يسألون النبي ﷺ الهدنة، ويُطعمونه في موافقتهم إياه وأتباعهم إن هادتهم وأمهاتهم، فأُنزل اللهُ تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ﴾^(٣).

﴿حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾: دينهم وقبيلتهم.

والملة: الدين، مشتقُّ من (أملتُ)؛ لأنها تُبتنى على مسموعٍ ومتلوٍّ.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤ / ٦٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٠)، و«البيسط»

(٣ / ٢٨٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١ / ١٠٦) عن مقاتل، ولعلَّ مقاتلاً هو ابن حيان. انظر:

«العجائب» لابن حجر (١ / ٣٦٨).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤ / ٦٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٠).

(٣) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٤٠).

﴿قُلْ إِن هُدَىٰ اللَّهُ﴾؛ أي: هدى الله الذي رضي لعباده.

﴿هُوَ الْهُدَىٰ﴾: الإسلام والقرآن والكعبة.

﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ﴾: ما ابتدعوه في أديانهم، وأجبتهم إلى ما يتمنونه عليك

﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾: أن دين الله الإسلام، وقيلته الكعبة، ﴿مَالِكٍ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيِّ وَلَا

نَصِيرٍ﴾: غلظ في التهديد قطعاً لطمعهم.

(١٢١) - ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ

هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ ابن عباس والكلبي: نزلت في أصحاب

السَّفِينَةِ الَّذِينَ أَقْبَلُوا مَعَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، كَانُوا أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِنْ الْحَبَشَةِ وَأَهْلِ الشَّامِ^(١).

الضَّحَّاكُ: نَزَلَتْ فِيْمَنْ آمَنَ مِنَ الْيَهُودِ^(٢).

قَتَادَةُ وَعُكْرَمَةُ: نَزَلَتْ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٣).

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤ / ٦٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٠) عن ابن عباس من رواية ابن عطاء والكلبي.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤ / ٧٠) عن الضحاك، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢ / ٤٨٦) عن ابن زيد، ورجَّحه لأن السياق عن اليهود، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ٢١٨) عن قتادة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢ / ٤٨٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ٢١٨) عن قتادة، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١ / ١٠٧)

ومعنى ﴿حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾: عن ابن عباسٍ وابن مسعودٍ: يَتَّبِعُونَهُ حَقَّ اتِّبَاعِهِ وَلَا يَحْرِفُونَهُ (١).

غيرهما: يقرؤونه حقَّ قراءته.

والتلاوة: القراءة والاتباع.

﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ بالمصير إلى النار.

(١٢٢ - ١٢٣) - ﴿يٰٓبَنِي إِسْرٰٓءِيْلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي اَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَاِنِي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعٰلَمِيْنَ

﴿١٢٢﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفْعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

﴿يٰٓبَنِي إِسْرٰٓءِيْلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي اَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَاِنِي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعٰلَمِيْنَ﴾ ﴿١٢٣﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا

لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفْعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ الآيتان مضي

تفسيرهما، وإنما كرر؛ لأن كل واحدٍ منهما صادقٌ معصيةً يقتضي تنبيهاً ووعظاً، ولأن

كل واحدٍ منهما وقع في غير وقت الآخر (٢).

(١٢٤) - ﴿وَإِذْ أَبْتَلَىٰ إِبْرٰٓهٖمَ رَبُّهُ بِكَلِمٰتٍ فَاَتَمَّهِنَّ قَالَ اِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ اِمٰمًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي

قَالَ لَا يَتٰلَا عَهْدِي اَظْلَمِيْنَ﴾.

﴿وَإِذْ أَبْتَلَىٰ إِبْرٰٓهٖمَ رَبُّهُ﴾: عامله معاملة المختبر، وقيل: أمره.

وإبراهيم: اسمٌ أعجميٌّ، وفيه لغاتٌ، والمعروفُ المقروءُ منها: إبراهيم

وإبراهام (٣)، وقيل: معناه: أبٌ رحيمٌ.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٨٧ - ٤٨٨).

(٢) ذكر المصنّف نحو هذا في «البرهان» (ص: ٧٨).

(٣) قرأ هشام: (إبراهام) في جميع سورة البقرة، وفي مواضع متفرقة عددها ثلاثة وثلاثون موضعاً، =

﴿بِكَلِمَةٍ﴾ مجاهدٌ: هي الآياتُ التي بعدها: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ الآيات (١).

ابن عباس: مناسك الحج (٢).

وعن ابن عباس أيضًا وقادة: أَنَّهَا خَمْسُ خِصَالٍ فِي الرَّأْسِ: الْمِضْمِضَةُ وَالِاسْتِنْشَاقُ وَقَصُّ الشَّارِبِ وَالسُّوَاكُ وَالْفَرْقُ، وَخَمْسٌ فِي الْبَدَنِ: تَقْلِيمُ الْأَطْفَارِ، وَتَنْفُ الْإِبْطِينِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَالِاسْتِنْجَاءُ بِالْمَاءِ، وَالْخِتَانُ (٣).

وجاء في الحديث: أَنَّهُ اخْتَنَ وَكَانَ ابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً، وَجَاءَ أَيضًا: أَنَّهُ اخْتَنَ بِقُدُومٍ (٤)؛ فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهُ اسْمٌ بِقَعَةٍ (٥)، وَبَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهُ آلَةُ النَّجَّارِ (٦).

الحسن: ابتلاه بالنجم والقمر والشمس، وبالختان، وذبح ابنه، وبالنار، والهجرة (٧).

= ولابن ذكوان بالوجهين في البقرة خاصة، وباقي القراء بالياء في الجميع. انظر: «السبعة في

القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٧٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦-٧٧).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٠١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٢١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٢١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٩٩ - ٥٠٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢١٩).

(٤) ذَكَرَ الْأَمْرَانُ فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٣٥٦)، وَمُسْلِمٌ (٢٣٧٠)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) ذَهَبَ إِلَى هَذَا الْمَبْرَدِ، وَ(قُدُومٌ) قَرْيَةٌ بِالشَّامِ، وَهِيَ غَيْرُ مِصْرُوفَةَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ. انظر: «غرائب

التفسير» للمصنّف (١/ ١٧٤).

(٦) وَ(قُدُومٌ) مِصْرُوفَةُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ. انظر: «غرائب التفسير» للمصنّف (١/ ١٧٤).

(٧) رَوَى نَحْوَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «تفسيره» (١١٤)، وَالطَّبْرِيُّ فِي «تفسيره» (٢/ ٥٠٦)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي

«تفسيره» (١/ ٢٢١).

وعن ابن عباسٍ أيضًا: أَنَّهَا ثَلَاثُونَ خِصْلَةً: عَشْرٌ^(١) فِي (بِرَاءة): ﴿التَّيْبُونَ
الْعَبِيدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢]، وَعَشْرٌ فِي (الأحزاب): ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾
[الأحزاب: ٣٥]، وَعَشْرٌ فِي أَوَّلِ (المؤمنين) و(المعارج)^(٢).

قال الشَّيْخُ^(٣): وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ الكَلِمَاتُ: أَوْامِرَ اللَّهِ وَنَوَاهِيهِ، فَتَنْدَرُجُ تَحْتَهُمَا
الأقْوِيلُ كُلُّهَا.

﴿فَأْتَمَّهِنَّ﴾: أَتَى بِهِنَّ^(٤) تَامَاتٍ وَافِيَاتٍ، وَالْإِتْمَامُ: الْإِكْمَالُ.

ويحتملُ أَنَّ الفِعْلَ لَللَّهِ تَعَالَى؛ أَي: ابْتِلَاهُ بِكَلِمَاتٍ، فَأَتَمَّ لَهُ تِلْكَ الكَلِمَاتِ.

﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾: قَدْوَةٌ؛ يُؤْتَمُّ بِكَ وَتُتَّبَعُ، فَجَعَلَهُ شَجَرَةَ الأنبياء؛ لِأَنَّ
الأنبياءَ بَعْدَهُ مِنْ وَلَدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾؛ أَي: اجْعَلْ مِنْهُمْ أُمَّةً يُقْتَدَى بِهِمْ، وَذُرِّيَّةُ الرَّجُلِ: أَوْلَادُهُ
ذَكَورُهُمْ وَإِنَاثُهُمْ، وَيَجُوزُ بِالْحَرَكَاتِ الثَّلَاثِ^(٥)، وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ (الذَّرْوِ)^(٦)،

(١) فِي (ن): «عشرة»، وكذا فِي المَوَاضِعِ التَّالِيَةِ.

(٢) رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ فِي «تفسيره» (٢ / ٤٩٨)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تفسيره» (١ / ٢٢٠)، وَذَكَرَهُ المَصْنُفُ
فِي «غرائب التفسير» (١ / ١٧٤).

(٣) «قال الشيخ»: لَيْسَ فِي (ن). وَهَذِهِ العِبَارَةُ وَأَمْثَالُهَا تُشِيرُ إِلَى أَنَّ هَذَا الكَلَامَ مِنَ المَصْنُفِ، وَهُوَ
يَعْكِسُ طَرِيقَتَهُ فِي الجَمْعِ بَيْنَ أَقْوَالِ المَفْسَّرِينَ، وَالاسْتِنَادِ إِلَى البَيَانِ القُرْآنِيِّ، وَمِيلَهُ إِلَى الحِفَافِ عَلَى
عُمُومِهِ، كَمَا يُلْحِظُ فِيهِ وَرَعُ المَصْنُفِ وَتَحَرُّزُهُ.

(٤) فِي (ن): «أَي: أَدَاهَنَ»، وَفِي هَامِشِهَا: «أَتَى بِهِنَّ».

(٥) وَقَدْ قَرَأَهَا عَامَّةُ النَّاسِ بِالضَّمِّ، وَرُوي الفَتْحُ وَالكَسْرُ عَنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظُر:
«المحتسب» لابن جَنِي (١ / ١٥٦).

(٦) وَهُوَ البُتُّ وَالتَّطَايِرُ وَالاْتِشَارُ، وَهُوَ الخَلْقُ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ أَيْضًا، وَيُهْمَزُ. انظُر: «جمهرة اللغة» لابن
دَرِيدٍ (٢ / ٦٩٥)، وَ«الصَّحاح» (١ / ٥١).

وقال الشيخ^(١): وَيُحْتَمَلُ مِنَ (الذَّرِّ)^(٢)، وَمِنَ (الذَّرِي)^(٣).

﴿قَالَ لَا يَنْأَلُ عَهْدِي﴾؛ أَي: نَبَوْتِي وَرِسَالَتِي.

الحسن: طَاعَةٌ يُحْتَسَبُ بِهَا فِي الْآخِرَةِ^(٤).

مَجَاهِدٌ: الْإِمَامَةُ^(٥).

﴿الظَّالِمِينَ﴾^(٦)؛ أَي: فِي ذُرِّيَّتِكَ كَافِرٌ وَمُؤْمِنٌ، فَلَا يَنْأَلُ عَهْدِي الْكَافِرِينَ مِنْهُمْ^(٧).

وَقَرَأَ: (الظَّالِمُونَ)^(٨)؛ لِأَنَّ مَا نَأَلَكَ فَقَدْ نَأَلْتَهُ، وَالنَّيْلُ: اللَّحُوقُ.

(١٢٥) - ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾ يَعْنِي: الْكَعْبَةَ.

﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾: مَعَادًا وَمَرَجَعًا يَثُوبُونَ إِلَيْهِ كُلِّ عَامٍ^(٩)، وَلَا يَمْلُونَ.

(١) «وقال الشيخ»: ليس في (ن).

(٢) وهو التفريق والنثر. انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٣٩٦).

(٣) وهو النشر والتفريق والبذر. انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٢/ ٣٥٣).

(٤) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥١٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٢٣).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥١٢).

(٦) «الظالمين»: ليس في (و).

(٧) «منهم»: من (ن).

(٨) قراءة شاذة نسبت لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه. انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٥١٦)، و«المختصر

في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١٦).

(٩) «كل عام»: ليس في (ن).

الزَّجَاجُ: سُمِّيَ بِالمَصْدَرِ كَالْمَقَامَةِ^(١).

والمثابة: اسمٌ للمكان.

قال الأَخْفَشُ: ودخولُ التَّاءِ للمبالغة^(٢).

ابن عَبَّاسٍ: ﴿مَثَابَةٌ﴾؛ أي: مَنْ قَصَدَهُ تَمَنَّى العُودَ إِلَيْهِ^(٣).

وقيل: ﴿مَثَابَةٌ﴾ من الثَّوَابِ؛ أي: يَحْجُونَ فَيُثَابُونَ عَلَيْهِ.

﴿وَأَمَّا﴾؛ أي: ذَا أَمْنٍ، إِذَا التَّجَأَ إِلَيْهِ الجَانِي لَا يُقَامُ عَلَيْهِ الحُدُّ.

وقيل: أَهْلُهُ آمِنُونَ وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ.

قال الشَّيْخُ: وَيَحْتَمِلُ مَنْ حَجَّ البَيْتِ أَمِنْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾: هُوَ الحِجْرُ الَّذِي فِيهِ أَثْرُ قَدَمَيْهِ.

وروى المفسِّرونَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَ بِيَدِ عُمَرَ فَلَمَّا أَتَى المَقَامَ، قالَ عُمَرُ: هَذَا

مَقَامُ أَيْبِنَا؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، أَفلا تَتَّخِذُ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ

تَعَالَى: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾^(٤).

مجاهدٌ: الحَرْمُ كُلُّهُ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ^(٥).

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١ / ٧٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١ / ١٥٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢ / ٥١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ٢٢٥).

(٤) رواه البخاري (٤٠٢)، ومسلم (٢٣٩٩)، من حديث عمر رضي الله عنه.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢ / ٥٢٦)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ٢٢٦) عن ابن عباس

رضي الله عنهما، وقال: وروي عن مجاهد وعطاء مثل ذلك.

ابن عباسٍ: الحُجُّ كُلُّهُ مقامُ إبراهيم^(١).

عطاء: عرفة^(٢).

﴿مُصَلِّي﴾ مجاهدٌ: مَدَعَى^(٣)، غيره: موضع صلاةٍ.

و﴿وَاتَّخِذُوا﴾: عطفٌ على قوله: ﴿أَذْكُرُوا﴾ [البقرة: ١٢٢].

وقيل: عطفٌ على ﴿وَاتَّقُوا﴾ [البقرة: ١٢٣].

وقيل: عطفٌ على^(٤) (واذكروا إذ جعلنا البيت)، و(اتخذوا من مقام إبراهيم).

وقيل: تقديره: وإذ جعلنا البيتَ مثابةً للنَّاسِ وأمنًا، وقلنا: اتَّخذوا.

ومن قرأ: ﴿وَاتَّخِذُوا﴾ بالفتح^(٥)، فهو عطفٌ على ﴿جَعَلْنَا﴾.

«الحجَّة»: وإذ جعلنا، وإذ اتَّخذوا^(٦).

القفال: ﴿وَاتَّخِذُوا﴾ أمرٌ لأمَّةِ محمدٍ ﷺ، واعتراضٌ بين المعطوف والمعطوف عليه^(٧).

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٨)، والطبري في «تفسيره» (٢ / ٥٢٥)،

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢ / ٥٢٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق عطاء.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢ / ٥٢٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ٢٢٧). ومعنى (مدعى):

موضع دعاء. انظر: «البيضا» للواحدي (٣ / ٣٠٦).

(٤) أي: على فعل مقدرٌ قبل (إذ)، وتقديره ما ذكره المصنّف.

(٥) قرأ نافع وابن عامر مفتوحة الخاء على الخبر، وباقي السبعة مكسورة الخاء. انظر: «السبعة في

القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٧٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦).

(٦) انظر: «الحجّة للقراء السبعة» لأبي علي الفارسي (٢ / ٢٢٠)، وفيه أن وجه قراءة مَنْ قرأ:

﴿وَاتَّخِذُوا﴾ أنه معطوف على ما أضيف إليه، إذ كأنه: وإذ اتَّخذوا... ومن قرأ: ﴿وَاتَّخِذُوا﴾ بالكسر

فتقديره: افعلوا، وصيغة الأمر أكد.

(٧) ذكره المصنّف في «غرائب التفسير» (١ / ١٧٥).

﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾: أمرناهما أمرًا مؤكدًا.

﴿أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي﴾ السُّدِّيُّ: ابنياه على الطَّهَّارَةَ^(١)؛ من قوله: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ

بُنْيَانَهُ﴾ [التوبة: ١٠٩]^(٢).

سعيد بن جبير ومقاتل: من الأوثانِ والرَّيبِ وقولِ الزُّورِ^(٣).

وقيل: بخراه وخلِّقاه^(٤).

القفال: عرَّفَا النَّاسَ أَنْ بَيْتِي طَهْرَةٌ لِمَنْ حَجَّ وَزَارَ^(٥).

﴿لِلطَّائِفِينَ﴾: لِلنُّزَّاعِ إِلَيْهِ مِنَ الْبِلَادِ.

﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾: الْمَقِيمِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ.

﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾: الْمَصَلِّينَ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ كَانُوا.

القفال: الطَّائِفُونَ^(٦) الَّذِينَ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ، وَالْعَاكِفُونَ: هُمُ الْمَقِيمُونَ فِي

الْمَسْجِدِ، وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ: هُمُ الْمَصَلُّونَ، قَالَ: وَالنَّاسَ فِي ذَلِكَ الْمَسْجِدِ عَلَى هَذِهِ الْمَنَازِلِ الثَّلَاثَةِ.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢ / ٥٣١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ٢٢٧)، ولفظهما: «ابنينا بيتي».

(٢) ذكر المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ١٧٥) أن هذا قول الجمهور، ويبيِّن بالاستدلال بالآية وجه هذا القول ومستنده.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (١ / ١٣٨) وفيه فقط ذكر الأوثان، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ٢٢٧) عن مجاهد وسعيد بن جبير.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤ / ٩٧) عن يمان بن رثاب، والمعنى عطراه بالبخور والخلوق.

(٥) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٤ / ٤٦) دون نسبة.

(٦) في (ن): «للطائفين هم».

(١٢٦) - ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيُسَّرُ الْمَصِيرُ﴾ .

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون هذا دعاءً من إبراهيم قبل البناء، فيكون ﴿هَذَا﴾: إشارة إلى الوادي من قوله: ﴿بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، و﴿بَلَدًا﴾: مفعولٌ، و﴿ءَامِنًا﴾: صفة. وفي الأخرى: ﴿هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥] دعاءً منه بعد البناء، فيكون ﴿هَذَا﴾: مفعولاً، و﴿الْبَلَدَ﴾: عطف بيانٍ أو وصفٌ، و﴿ءَامِنًا﴾: المفعول الثاني. والوجه الثاني: أن يكون تقديره: هذا البلد بلدًا آمنًا، فيكون كالأية الأخرى.

والبلدُ والمُضْرُ واحدٌ.

﴿ءَامِنًا﴾؛ أي: ذا أمنٍ.

القفال: مأمونًا فيه، كقولك: ليلٌ نائمٌ، وليلٌ ساهرٌ^(١).

وقيل: آمنًا أهله.

﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾: أنواعِ حَمْلِ الأشجار.

﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ خَصَّ إبراهيمُ المؤمنَ بالرزقِ دونَ الكافرِ لَمَّا

قال سبحانه: ﴿لَا يَتَأَلَّ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

﴿قَالَ﴾ فأجابهُ سبحانه بقوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ﴾؛ أي: فأمتَّعهُ بالأمنِ والرِّزقِ.

﴿قَلِيلًا﴾: تمتيعًا قليلًا، أو زمانًا قليلًا إلى حينِ أجله، سمَّاه قليلًا لسرعة

انقضائه.

(١) ذكره الواحدي في «البيسط» (٣/ ٣١٠)، والزمخشري في «الكشاف» (١/ ١٨٦) دون نسبة.

وقيل: إلى وقت خروج محمد ﷺ.

وقرى: ﴿فَأَمْتَعُهُ﴾^(١) من الإمتاع، والإمتاعُ والتَّمتيعُ: النَّعْمُ والتَّنعيم، واشتقاقه من (مَتَعَ النَّهَارُ)؛ إذا طال^(٢).

﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ﴾: أُلْجِئُهُ، والاضطرارُ: فعلٌ ما لا يتهيأ له الامتناع منه. ﴿وَيَبْسُ الْمَصِيرُ﴾: المرجع.

ابن عيسى: المصيرُ: الحال التي يؤدِّي إليها أوَّلُ لها.

(١٢٧) - ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ﴾.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ﴾: يُعَلِّي، والرَّفْعُ: الإِعْلَاءُ.

﴿الْقَوَاعِدَ﴾: الأساس، واحدها: قاعدة.

الزَّجَاجُ: أصله في اللُّغة: الثُّبوتُ والاستقرار^(٣).

ابن عباسٍ وعطاءٌ: كان آدم عليه السَّلام بنى البيت ثمَّ عفا أثره، فجدَّده إبراهيمُ عليه السَّلام^(٤).

(١) بالتخفيف، وهي قراءة ابن عامر من السبعة. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٧٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦).

(٢) وإذا ارتفع أيضاً. انظر: «الصحاح» للجوهري (٣/ ١٢٨٢).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٠٨)، وفيه: (القواعد واحدها قاعدة، وهي كالأساس والأسس للبنيان، إلا أن كل قاعدة فهي للتي فوقها).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٤٩).

وقيل: كان معه أهبط من السماء، فدرَس.

مجاهدٌ وعمرو بن دينار: أنشأ إبراهيمُ بأمر الله إياه^(١).

﴿مِنَ الْبَيْتِ﴾ يعني: بيت الله، وهو الكعبة.

﴿وَإِسْمَاعِيلُ﴾ السُّدِّيُّ في جماعةٍ: عطفٌ على ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾؛ أي: يرفعانه^(٢).

ابن عباسٍ: كان إبراهيمُ بيني وإسماعيلُ يناوله الحجارة^(٣)، فجازَ وصفهُما برفع القواعد.

وقيل: ﴿وَإِسْمَاعِيلُ﴾ رفعٌ بالابتداء، والمعنى: كان إبراهيمُ بيني، وكان إسماعيلُ يقول: ربنا تقبل منا^(٤)، وفي هذا بُعدٌ.

والوجه: ويقولان: ﴿رَبَّنَا اقْبَلْ مِنَّا﴾؛ أي: تقربنا إليك ببناء هذا البيت، من قبول الرجل ما يهدى إليه، والتقبلُ: الإثابة على العمل، ودلَّ هذا على أنَّهما بنياه مُتَعَبِّدًا لا مَسْكِنًا.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ لدعائنا ﴿الْعَلِيمُ﴾ بنياتنا.

(١٢٨) - ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا

إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٥٤) عن مجاهد.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٥٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٥٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٣٢).

(٤) «تقبل منا»: من (ن).

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾؛ أي: أدم لنا توفيقك للإسلام، وقيل: اجعل إسلامنا لك ولو جهك وحدك.

﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ﴾: جماعةٌ ﴿مُسْلِمَةٌ لَكَ﴾ خصَّ البعض؛ لأنَّ الله أعلمهما أنَّ في ذرِّيتهما الظَّالم بقوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].
﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾: علَّمنا أعمالَ الحجِّ، وما يُفَعَّلُ في المواقف كالطَّواف والسَّعي والوقوف والصَّلاة، فتكون (مناسك) جمع (منسك) للمصدر، وجمع لاختلافها^(١).

وقيل: ﴿وَأَرِنَا﴾: من رؤية العين، ﴿مَنَاسِكَنَا﴾: المواقف التي تُقام فيها شرائع الحجِّ، كمنى وعرفات والمزدلفة، فتكون جمع (منسك) و(منسك)، وهو موضعُ العبادة.
﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا﴾ ما جرى من التَّقصير والسَّهو والذَّنْب الصَّغِير، وليس الأنبياءُ بمعصومين عن الصَّغائر^(٢).

وقيل: ضمًّا الدرِّيَّة إليهما في الدُّعاء.

وقيل: قالوا على وجه التَّسبيح؛ ليقْتديَ بهما من بعدهما.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ﴾: يتوبُ على عبده إذا تاب إليه من ذنبه.

﴿الرَّحِيمُ﴾ حيث رَحَّصَ لهم في التَّوبة وَغَفَرَ لهم.

(١) وهذا اختيار أبي علي الفارسي. انظر: «الحجة» (٢/٢٢٤).

(٢) هذه مسألة فيها خلاف بين بعض العلماء، وما ذهب إليه المصنِّف من جواز وقوع الصغائر من الأنبياء هو مذهب ابن فورك من الأشاعرة، وثمة من أجاز وقوع كلِّ معصية إلا الكذب في التبليغ، وذهب جماهير أهل السنة والمعتزلة والخوارج والشيعة إلى أنه لا يجوز البتة أن تقع من نبي معصية عمداً. انظر: «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم (٢/٤)، و«غرائب التفسير» للمصنِّف (٢/٦٩٦).

(١٢٩) - ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ﴾ في الذرية ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ هو: محمد ﷺ، ومنه قوله ﷺ: «أنا دعوة إبراهيم، وبشرى عيسى»^(١)، ولم يكن نبي بعد إسماعيل في مكة إلا محمد ﷺ.

﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾: خبر من مضى وخبر من بقي إلى يوم الدين.

المفضل: يبين لهم دينك.

وقيل: الآيات: القرآن.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾: هو القرآن.

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ قيل: هي القرآن أيضًا، وقيل: الفقه، وقيل: السنة، وقيل: الحكم

والقضاء.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: ويعلمهم ما يصيرون به أذكاء.

وقيل: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يشهد لهم بالزكاء، من تركية العدول.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾: الغالب في نعمتك ﴿الْحَكِيمُ﴾: في حكمك.

(١٣٠) - ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا

وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٧١٥٠)، والبزار في «مسنده» (٤١٩٩)، وابن حبان في

«صحيحه» (٦٤٠٤) من حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه.

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾: استفهامٌ بمعنى الجَحْد؛ أي: ما يَرْغَبُ عن دين إبراهيم، وأصل الرِّغْبَةِ: رفعُ الهِمَّةِ عن الشَّيْءِ تَنْزُهًا، وإلى الشَّيْءِ سُمُوًّا.

﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾: جهلها وجهل خالقها، تقول: سَفِهَ يَسْفَهُ سَفَاهَةً، وَسَفِهَ يَسْفَهُ^(١) سَفَاهًا.

أبو عبيدة: ﴿سَفِهَ نَفْسَهُ﴾: أهلكتها^(٢).

الفراء: ﴿نَفْسَهُ﴾ نصبٌ على التَّمْيِيزِ^(٣).

الأخفش: ﴿سَفِهَ﴾ بمعنى: سَفَّهَ^(٤).

الزَّجَّاجُ: سَفِهَ فِي نَفْسِهِ، كقوله: ﴿وَلَا تَعَزِّمُوا عُقَدَةَ النَّكَّاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٥]^(٥).

وأصل السَّفِهَةِ: الخِفَّةُ، وهو ضدُّ رَزِينِ الحِلْمِ.

﴿وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾؛ أي: اخترناه واستخلصناه للرِّسَالَةِ والخُلَّةِ، وأصل الصَّفَاءِ: الخلوُّ من الشَّائِبِ.

﴿وَأَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ المَفْضَلُ: الذين يستوجبون صالحَ الجِزَاءِ وحُسْنَ الثَّوَابِ.

(١) «يسفه»: ليس في (ن).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١ / ٥٦).

(٣) فالفعل لازم، والمعنى عنده: إلا مَنْ سَفِهَ نَفْسًا، وقد ضَعَّفَ المصنّف هذا الوجه؛ لأن التَّمْيِيزَ لا يكون إلا نكرة. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١ / ٧٩)، و«غرائب التفسير» (١ / ١٧٧).

(٤) فالفعل متعدّد، و(نفسه) مفعولٌ به، وهذا القول إنما حكاه عن أهل التأويل، ولعله عنى أبا عبيدة، والظاهر أنه يميل إلى أنه منصوب بنزع الخافض. انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١ / ١٥٧).

(٥) فالفعل لازم، و(نفسه) منصوب بنزع الخافض. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١ / ٢١٠).

وقيل: ﴿مَنْ الصَّالِحِينَ﴾: لنفسه حين نجاها من الهلكة^(١).

وقيل: ﴿مَنْ الصَّالِحِينَ﴾: من الأنبياء^(٢).

(١٣١) - ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ﴾؛ أي: ولقد اصطفيناه حين قال له ربُّه: أسلم.

وقيل: ﴿إِذْ﴾ ظرف؛ لقوله: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ﴾^(٣).

ومعنى ﴿أَسْلِمَ﴾: أخلص دينك وعملك لله وعبده ووحده.

﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: انقذت وأخلصت لله؛ إذ هو مالك كل شيء

ومدبره.

القفال: لما امتحن بالكواكب والشمس والقمر، قال له عقيب الامتحان: أسلم.

قال: ويجوز أن يكون جعل الدلالة قولاً، كقوله: ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا

كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٥].

(١٣٢) - ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ

إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ﴾ قيل: ﴿بِهَا﴾: بالملة، وقيل: بالكلمة، وهي: ﴿أَسْلَمْتُ

لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

(١) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (١/ ١٩٣).

(٢) انظر: «غرائب التفسير» للمصنف (١/ ١٧٧).

(٣) ففي الآية تقديم وتأخير. انظر: «النكت والعيون» للماوردي (١/ ١٩٣).

وَقُرِيَ: ﴿وَأَوْصَى﴾^(١)، والإيضاء والتوصية بمعنى، والتشديدُ أبلغ، وأصله: الوصاية، وهي الاتصال.

«الحجّة»: كأنَّ الموصيَ وصلَ جبلَ أمرِه بالموصى إليه^(٢).

﴿وَيَعْقُوبُ﴾ الزَّجَاجُ: عطفٌ على ﴿إِبْرَاهِيمُ﴾؛ أي: وصَّى إبراهيمُ بنيه ويعقوبُ بنيه^(٣)، وزُوي عن يعقوبَ عليه السَّلام^(٤).

و(يعقوب)؛ أي: وصَّى بنيه وأسابطه^(٥).

الحسن^(٦): يجوز أن يكون استئنافاً؛ أي: يعقوبُ قال^(٧):

﴿يَبْنِي إِنْ أَلَّهَ أَصْطَفَى﴾: اختار^(٨) ﴿لَكُمْ الدِّينَ﴾: الملة الحنيفية.

وكسر ﴿إِنْ أَلَّهَ﴾ حيث كان الوصية قولاً.

(١) قرأ نافع وابن عامر: ﴿أَوْصَى﴾ بالألف مخففاً، وقرأ الباقون: ﴿وَوَصَّى﴾ بغير ألف مشدداً. انظر:

«السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٧١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧).

(٢) انظر: «الحجة للقراء السبعة» لأبي علي الفارسي (٢ / ٢٢٨).

(٣) لم أقف عليه عند الزجاج، وقد ذكر هذا الوجه الفراء في «معاني القرآن» له (١ / ٨٠)، والأخفش في «معاني القرآن» له (١ / ١٥٨).

(٤) وهو ما حكاه القرآن عنه في الآية التالية.

(٥) وهذا على قراءة من نصب (يعقوب)، وهم إسماعيل بن عبد الله المكي، والضرب، وعمرو بن فائد الأسواري، والمعنى على هذه القراءة: وصَّى إبراهيم بنيه ويعقوب وأسابطه، فقال: يا بني... انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١ / ٦٣٦).

(٦) كذا في النسخ الخطية، ولعل الصواب: أبو الحسن، وهو الأخفش.

(٧) وذكر هذا الوجه الأخفش في «معاني القرآن» (١ / ١٥٨).

(٨) «اختار»: من (ن).

﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ظاهره نهى عن الموت، والمعنى: دُوموا على الإسلام، ولا يكن حالكم عند الموت غير حال الإسلام.

(١٣٣) - ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ استفهام بمعنى الجحد؛ أي: لم تكونوا حضوراً فلم تدعوا أن إسرائيل أوصى بنيه باليهودية، وذلك أن اليهود قالت لرسول الله ﷺ: أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ يَعْقُوبَ يَوْمَ مَاتَ أَوْصَى بَنِيهِ بِالْيَهُودِيَّةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ^(١).
والشهداء: جمع شهيد.

﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾؛ أي: أسبابه.

﴿إِذْ قَالَ﴾ يجوز أن يكون بدلاً من الأول، ويجوز أن يكون ظرفاً لـ ﴿حَضَرَ﴾.

﴿لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾؛ أي: من بعد موتي.

﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ نزل العمّ منزلة الأب.

﴿إِلَهًا وَاحِدًا﴾: بدل من الأول، أو حال.

﴿وَنَحْنُ لَهُ﴾: لله^(٢) ﴿مُسْلِمُونَ﴾: منقادون الآن.

(١) ذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (١/ ١٤٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١٤٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٤) بلا سند.

(٢) «الله»: من (ن).

(١٣٤) - ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾: جماعة، والأمة: جماعة تؤم جهةً واحدةً.

﴿قَدْ خَلَتْ﴾: قد مضت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من معصية أو طاعة، فهم محاسبون

بها ومجازون عليها.

﴿وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ إن خيراً فخييراً، وإن شراً فشرّاً^(١).

﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لكل امرئ ما كسب، وعليه ما اكتسب.

القفال: ﴿قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾؛ أي: قد مضت على ما دانت به في عصرها،

﴿وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾: ما تدينون به الآن مما شرعه الله في عصركم؛ فإن الدين لله يشرع

منه ما يشاء، وينقل ما^(٢) يشاء إلى ما يشاء.

(١٣٥ - ١٣٦) - ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا

وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ

وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ

وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ ابن عباس: نزلت حين قالت اليهود: نبينا

موسى أفضل الأنبياء، وكتابنا التوراة أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان، وكفرت

(١) الأكثر والأحسن في مثل هذا أن يقال: إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرّاً، ولكن ما ذكره المصنف صحيح،

وهو كلام بعض العرب، وهو على تقدير فعل؛ أي: إن كان الذي عمل خيراً جزياً خيراً، وإن كان

شراً جزياً شراً. انظر: «الكتاب» لسيبويه (١/٢٥٨).

(٢) في (ن): «وينقل عن من».

بعيسى والإنجيل ومحمدٍ والقرآن، وقالت النَّصارى: نبيُّنا عيسى أفضلُ الأنبياء، وكتابنا الإنجيل أفضلُ الكتب، وديننا أفضلُ الأديان، وكفرت بموسى والتَّوراة ومحمدٍ والقرآن، وقال كلُّ واحدٍ من الفريقين للمؤمنين: كونوا على ديننا، فلا دينَ إلا ذلك^(١). والمعنى: قالت اليهود: كونوا هودًا، وقالت النَّصارى: كونوا نصارى، فأخبر عنهما معًا.

﴿هَتَدُوا﴾: تصيبوا الحقَّ.

﴿قُلْ بَلْ مَلَّةٌ إِبرَهْمَ﴾؛ أي: نتَّبِعُ، أو: اتَّبَعُوا ملَّةَ إبراهيم، وقيل: أهلَ ملَّةِ إبراهيم.

﴿حَنِيفًا﴾: مائلًا، من (حَنَفِ القدم)^(٢).

وقيل: مستقيمًا، وأصلُ الحَنَفِ: الاستقامة، فسُمِّي معوجُ القدمِ أَحَنَفَ تَفَاؤُلًا، وكانت العربُ في الجاهليَّة تُسَمِّي مَنْ اخْتَنَ وَحَجَّ وَاغْتَسَلَ مِنَ الْجَنَابَةِ حَنِيفًا^(٣).

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٤) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴿القرآن﴾ ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبرَهْمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾: أسباط^(٤) يعقوب، جمع سَبْطٍ، والسَّبْطُ: قومٌ يرجعون إلى أبٍ واحدٍ.

و(إلى) للانتهاء، والكتبُ متَّهيةٌ إليهم^(٥) ومنزلةٌ على الأنبياء^(٦)، فكان

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٨٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٤١).

(٢) حنف القدم: أن تُقبَل كلُّ واحدة من الإبهامين على صاحبها. انظر: «أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ١٣٩).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٥٨).

(٤) كُتِبَ فِي (ن) فَوْقَ «أَسْبَاطٍ»: «أَوْلَادٍ».

(٥) أي: الأسباط.

(٦) «ومنزلة على الأنبياء»: زيادة من (ن).

هاهنا بلفظ: (إلى) لقوله: ﴿قُولُوا آمَنَّا﴾، وكان في (آل عمران) ﴿عَلَيْنَا﴾؛
لقوله: ﴿قُلْ آمَنَّا﴾^(١).

﴿وَمَا أَوْقَىٰ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أَوْقَىٰ النَّبِيُّونَ﴾: كُرِّرَ ﴿أَوْقَىٰ﴾ هاهنا، ولم يُكْرَرْ
هناك^(٢)؛ لأنه تقدّم هناك ميثاق النبيين: ﴿لَمَّا آتَيْتُكُمْ﴾ [آل عمران: ٨١].

﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: من عند ربّهم.

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾: فنؤمّن ببعضٍ ونكفر ببعضٍ.

و﴿أَحَدٍ﴾ هاهنا للعموم؛ أي: لا نفرّق بينهم.

وقيل: بين أحدٍ منهم والآخر^(٣).

وقيل: معناه: لا نقول: إنهم متفرّقون في أصول الديانات.

وقيل: ﴿بَيْنَ﴾ هاهنا: الدّين، وهو كما تقول: شقّ عصا المسلمين؛ إذا فارق

جماعتهم^(٤).

﴿وَنَحْنُ لَهُمْ﴾: لأمره ﴿مُسْلِمُونَ﴾: منقادون، وقيل: لله مخلصون.

(١٣٧) - ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ

فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

(١) فالخطاب لِمَا كان للأمة في سورة (البقرة) ناسب استخدام (إلى)، ولَمَّا كان للنبي في سورة (آل

عمران) ناسب استخدام (على). وانظر: «البرهان» للمصنف (ص: ٧٩).

(٢) أي: في سورة (آل عمران).

(٣) «والآخر» من (و).

(٤) ذكره المصنّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٨١)، واستغربه.

﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾ قيل: الباء زائدة، والمعنى: فإن آمنوا إيمانًا مثل إيمانكم، ولم يفرقوا بين الله وأنبيائه.

وقيل: (مثل) زيادة؛ أي: فإن آمنوا بما آمنتكم.

وقيل: فإن آمنوا بالقرآن، والقرآن مثل التوراة^(١).

﴿فَقَدْ أَهْتَدُوا﴾؛ أي: فقد صاروا مهتدين.

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: أعرضوا عن هذه الجملة، ولم يقبلوها، ولم يؤمنوا كإيمانكم.

﴿فَأِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾: في مُبَايَنَةٍ وَخِلَافٍ.

﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾؛ أي: يكفيك كيدهم وعداوتهم، فأنجز سبحانه وعده،

فأمر نبيه بقتل بعضٍ وإجلاء بعضٍ وأخذ الجزية عن بعضٍ.

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقولونه ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يسرون.

(١٣٨) - ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾.

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ بدل من ﴿مَلَأَهُمُ اللَّهُ﴾، وقيل: نصب على الإغراء؛ أي: عليكم

دين الله.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾: دينًا، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الأصل

في تسمية الدين صبغةً من جهة عيسى بن مريم حين قصدي يحيى بن زكريا، فقال: جئتُك

لأصطبغ منك، وأغتسل في نهر الأردن، فلما خرج نزل عليه روح القدس^(٢).

(١) ذكره المصنّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٨١)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٨١)، وانظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ٦٥٥).

وكانت النَّصَارَى إِذَا وُلِدَ لِأَحَدِهِمْ ابْنٌ وَأَتَى عَلَيْهِ سَبْعَةُ أَيَّامٍ صَبَّغُوهُ فِي مَاءٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ: المَعْمُودِيُّ؛ لِيَطَهَّرُوهُ بِذَلِكَ، وَيَقُولُونَ: هَذَا طَهُورٌ مَكَانَ الخِتَانِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ قَالُوا: الْآنَ صَارَ نَصْرَانِيًّا حَقًّا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿صَبَّغَةَ اللهُ﴾^(١).

وروى القفال: فِي مَاءٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ: المَعْمُودِيَّةُ. قال: وَيَسْمُونَ ذَلِكَ الفَعْلَ: التَّعْمِيدَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْمِيهِ الصَّبْغَ، وَفِي الإِنجِيلِ بَزَعْمَهُمْ فِي ذِكْرِ يَحْيَى: الصَّبَاغُ. قال: وَفِي بَعْضِ تَرَاجِمِهِمُ: المَعْمَدَانِي. قال: وَوَقَعَتِ^(٢) العبارةُ عَنِ الدِّينِ بِلَفْظِ الصَّبْغَةِ لِخُرُوجِ الكَلَامِ مَخْرَجَ المَحَاجَّةِ فِي الصَّبْغِ وَالمَقَابِلَةِ، وَسَمِّيَ الدِّينُ صَبْغَةً لِبيانِ أثرِهِ عَلَى الإِنسانِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالمَطَهَّرِ وَالمَسْكِينَةِ وَالمَسْمُوتِ^(٣).

قال ابن الأنباري: العَرَبُ تَقُولُ: فُلَانٌ يَصْبِغُ فُلَانًا فِي الشَّرِّ؛ إِذَا أَدخَلَهُ فِيهِ، وَأَلْزَمَهُ إِيَّاهُ، كَمَا يَلْزِمُ الثَّوبَ الصَّبْغَ^(٤).

﴿وَمَنْ لَهُ عَيْدُونَ﴾: مَوْحِدُونَ مَطِيعُونَ.

(١٣٩) = ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلِنَا أَعْمَلُنَا وَأَكْمُرُكُمْ وَأَعْمَلُكُمْ وَمَنْحُنْ

لَهُ مُخْلِصُونَ﴾.

﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا﴾ ابن عباس: أَتُجَادِلُونَنَا^(٥).

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤ / ١٥٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (ن): «وقعت».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ١٨١ - ١٨٢).

(٤) انظر: «الزاهر» لابن الأنباري (١ / ٣٤١).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢ / ٦٠٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ٢٤٥).

مجاهدٌ: أتخاصموننا^(١).

﴿فِي اللَّهِ﴾؛ أي: في دين الله، وتدعون الزُّلْفَى عنده، وذلك أَنَّهُم قالوا: ديننا أفضل الأديان، ونحن أبناء أنبيائه.

﴿وَهُورُبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾: خالقنا ومدبرنا وخالقكم ومدبركم، والله عنّا جميعاً غنيٌّ.

﴿وَلَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْتُمْ﴾: يجازي كل إنسانٍ بعمله، وعلى الأعمالِ يقعُ الثوابُ والعقاب، لا على قِدَمِ الدِّينِ والانتساب.

﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾: لا نشركُ به غيره، ومنكم من عبدَ العجل، ومنكم من عبدَ المسيح، ومنكم من قال: نحن أبناء الله وأحباؤه، فظهر أنكم مُبطلون في الدعوى.

(١٤٠) - ﴿أَمْ يَقُولُونَ إِنَّا إِزْهَمَهُ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ استفهام توبيخٍ وتعجيبٍ.

﴿إِنَّا إِزْهَمَهُ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا﴾: على دين موسى ﴿أَوْ نَصَارَى﴾: على دين عيسى، وليس ذلك كما يقولون؛ إذ كانوا سابقين اليهودية والنصرانية، وما كانوا إلا على الدين الذي نحن عليه، فهكذا أخبرنا الله تعالى عنهم بقوله: ﴿مَا كَانَ إِزْهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ [آل عمران: ٦٧] الآية.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٠٧).

﴿قُلْ أَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ وقد علم منكم خلاف ما تقولون، وأخبرنا أنهم كانوا مسلمين.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ القفال وابن عيسى: أي: فلا أظلم من الله إن كتم الشهادة، ف(من) الأولى بمعنى: في، والثانية للتفضيل^(١).

وقيل: ومن أظلم منكم معاشر اليهود والنصارى إن كتمتم من الله شهادة عندكم، وفي كتابكم أنهم لم يكونوا هوداً ولا نصارى^(٢).

وقيل: ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ صفةٌ للشهادة عندكم، وتقديره: شهادة ثابتة أو كائنة أو جائية من الله، وهي صفةٌ محمّديَّةٌ ﷺ، وهذا الوجه أظهر^(٣).

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من تكذيب الرُّسلِ وكتمانِ الشهادة.

(١٤١) - ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا

يَعْمَلُونَ﴾.

(١) (من) الأولى هي الداخلة على (من)، والثانية هي الداخلة على لفظ الجلالة، والمعنى: إن من كتم شهادة الله فلن يعاقبه أحد عقاباً أشد من عقاب الله، ولكن جرى على هذا التقدير التعبير عن شدة العقاب بالظلم، وقد ذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (١ / ١٨٢)، ووصفه بالعجيب، وهو عنده ما فيه خلل.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ١٨٢)، واستغربه.

(٣) هذا أظهر الأقوال عند المصنّف، وقد خالف في هذا الموضوع الغالب على منهجه من تقديم الأقوال الراجحة على غيرها، فقدّم قولاً يرى ضعفه، وأتبعه بقول يعدُّه غريباً، لكنّه استدرك، وصرّح بترجيح آخر الأقوال، ولما صنّف «غرائب التفسير» عاد إلى الغالب من منهجه، فقدّم القول الظاهر، ثم ذكر الغريب، ثم العجيب. انظر: «غرائب التفسير» (١ / ١٨٢).

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

سبق تفسيرها، وكُرِّرت لتأكيد الأوَّل، وقيل: المرادُ بالأوَّل الأنبياءُ صلوات الله عليهم، والمرادُ بالثاني أسلافُ اليهود والنصارى.

وقيل: الأوَّل لنفي ما هو ثابتٌ من إقرار بني إسرائيل، والثاني لإثبات ما هو نفيٌ من كون إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب هودًا أو نصارى.

(١٤٢) - ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتُمْ عَنْ قِبَلِنَا أَلَمْ يَكُنْ لَنَا اللَّهُ الْمَشْرِقُ

وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾.

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ ﴾ عن البراء قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة،

فصلَّى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا، وكان يحبُّ أن يُوجَّهَ نحو الكعبة، وأنزل الله: ﴿ قَدْ زَرَى تَقَلُّبُ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ [البقرة: ١٤٤]، ونُسِختِ القِبلةُ الأولى، قالت السفهاء من الناس^(١).

ابن مسعود: هم اليهود^(٢)، الشَّدِّيُّ: هم المنافقون^(٣)، الحسن: هم المشركون^(٤)،

وقيل: هو عامٌّ فيهم، وهم الذين لا وزنَ لهم في عقولهم.

﴿ مَا وَلَّيْتُمْ ﴾: أي شيءٍ صرفهم؟ من قوله: ﴿ وَمَنْ يُؤَلِّمِهِمْ يَوْمَ يُدْعَرُونَ ﴾ [الأنفال: ١٦].

﴿ عَنْ قِبَلِنَا ﴾ والقِبلةُ: الجهةُ التي يستقبلها الإنسانُ في الصَّلَاةِ وغيرها، مشتقةٌ

من (المقابلة)؛ لأنَّ المصلِّي يقابلُها.

(١) رواه البخاري (٣٩٩)، ومسلم (٥٢٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦١٦ - ٦١٧) عن البراء وابن عباس رضي الله عنهم.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦١٧).

(٤) ذكره الواحدي في «البيسط» (٣/ ٣٦٧).

﴿أَلَيْ كَأَوْأَعَلَيْهَا﴾ يعنون: بيت المقدس.

قال المفضل: قالت كفّار قريشٍ بمكة: ما ولّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها - يعني: الكعبة^(١) - إلى قبلة اليهود؟ وقالوا: يوشك أن يدع دينه ويرجع إلى دين آبائه، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: إلى دينٍ مستقيمٍ يؤدّي بسالكه إلى مطلوبه.

الواقدي: صُرِفَت الْقِبْلَةُ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ لِلنَّصْفِ مِنْ رَجَبٍ عَلَى رَأْسِ سَبْعَةِ عَشَرَ شَهْرًا فِي صَلَاةِ الظُّهْرِ^(٢).

(١٤٣) - ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ﴾؛ أي: كما جعلت قبلكم خير القبيل جعلتكم خير الأمم. وقيل: كما جعلنا قبلكم متوسطةً بين المشرق والمغرب جعلناكم ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾: بين الغلو والتقصير.

(١) في (و): «يعنون: القبلة».

(٢) رواه عنه ابن سعد في «الطبقات» (١/١٨٦)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٣/٩٣)، وابن سيد الناس في «عيون الأثر» (١/٢٦٨)، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/١٢١) عن البراء بن عازب ومعمل بن يسار، وابن سيد الناس في «عيون الأثر» (١/٢٦٨) عن ابن إسحاق، وذكر الطبري في «تاريخه» (٢/٤١٦) عن الواقدي أنها في شعبان.

الرَّجَاجِ: ﴿وَسَطًا﴾: عدلاً، والاعتدالُ هو التَّوَسُّطُ^(١).

أبو عبيدة: الوسط: الخيار، من (واسطة العقد)^(٢)، ومن قوله سبحانه: ﴿قَالَ أَوْسَطُمْ﴾ [القلم: ٢٨]^(٣).

﴿لَنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ ابن عباس: يأتي كلُّ نبيٍّ مع أمته، فيسأل النبيُّ ﷺ: «هل بلغت؟» فيقول: «قد بلغت»، فتقول الأمة: ما بلغنا أحدٌ عنك شيئاً؛ يكذبون أنبياءهم، فيجاء بأمة محمد ﷺ فيصدقون الأنبياء، ثم يأتي محمدٌ ﷺ، فيصدق أمته، فهذا معنى قوله: ﴿لَنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾^(٤).

﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ ورؤي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إنَّ الأممَ السَّالفةَ تقولُ لهم: كيف تشهدون علينا، ولم تُشاهدونا؟ فتقول: أعلَمنا نبيُّ الله ﷺ بما أنزلَ عليه من كتابِ الله»^(٥).

والشَّهادةُ تكونُ بالمشاهدة، ومنها ما تكون بخبر الصادق كالشَّهادة على

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢١٩)، وذكر أيضاً معنى آخر، وهو الخير، وقد قيل في صفة النبي ﷺ: «إنه من أوسط قومه جنساً»؛ أي: من خيارها، والعربُ تصف الفاضل النسب بأنه من أوسط قومه. وقد بين الزجاج اتفاق معنيي الوسط فقال: «واللفظان مختلفان والمعنى واحد؛ لأن العدل خير والخير عدل».

(٢) هي الجوهرة التي في وسط العقد المنظوم، وهي أفضل ما نُظم منه. انظر: «البارع في اللغة» لأبي علي القالي (ص: ٦٧٥)، و«شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم» لنشوان بن سعيد الحميري (١١/ ٧١٥٩).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٥٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٦٠٣)، وروى البخاري أصله (٤٤٨٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٥) لا يصحُّ مرفوعاً. انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٦٣٤)، «النكت والعيون» للماوردي (١/ ١٩٩).

الشَّهَادَةَ، ومنها ما تَقَعُ بالاستفاضة كَالشَّهَادَةِ عَلَى الْأَنْسَابِ، ومنها ما تَقَعُ بِالذَّلَالَةِ كَالشَّهَادَةِ عَلَى الْأَمْلاكَ، وَكَتَعْدِيلِ الشَّاهِدِ وَجَرِّهِ.

وقيل: ﴿لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ﴾ تشهدونَ عَلَى النَّاسِ بِأَعْمَالِهِمُ الَّتِي خَالَفُوا الْحَقَّ فِيهَا.

الزَّجَاجُ: لِتَكُونُوا حِجَّةً عَلَى النَّاسِ فِيمَا تَشْهَدُونَ بِهِ، ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾: بَعْدَ التَّكْمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(١).

و(على) بمعنى: اللّام، كقوله: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصْبِ﴾ [المائدة: ٣]^(٢).

وقيل: ﴿شَهِيدًا﴾ لَكُمْ بِإِيمَانِكُمْ.

وقيل: حِجَّةٌ عَلَيْكُمْ^(٣).

وقيل: يَكُونُ فِي كُلِّ زَمَانٍ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ بِمَا شَاهَدُوا مِنْ أَعْمَالِ النَّاسِ فِي زَمَانِهِمْ، فَيُعْمَلُ بِشَهَادَاتِهِمْ، وَالرَّسُولُ شَهِيدٌ عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِ فَقَطْ.

﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ يَعْنِي: بَيْتَ الْمُقَدَّسِ.

وقيل: أَنْتَ عَلَيْهَا^(٤)؛ يَعْنِي: الْكَعْبَةَ.

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ فَيُثَبِّتُ عَلَى إِيْمَانِهِ ﴿مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ فَيَرْتَدُّ

عَنِ الدِّينِ.

وَالْعَقَبُ: مُؤَخَّرُ الْقَدَمِ.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٢٠).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٥٨٤)، و«تفسير السمرقندي» (٢/ ٤٧٢).

(٣) و(على) على أصل معناها على هذا القول، وليست بمعنى اللام.

(٤) انظر: «الصاحبي في فقه اللغة» لابن فارس (ص: ١٧٩)، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ١٧٩).

ومعنى ﴿لِنَعْلَمَ﴾ هاهنا وما أشبهه في القرآن: عِلْمُ المشاهدة، وهو الذي يُسْتَحَقُّ به الثواب والعقاب، وأما علمُ الغيب فلا يُسْتَحَقُّ به الثواب والعقاب.

وقيل: معناها: لنرى، وقيل: لِنَمِيْزَ، وقيل: ليعلم أوليائونا، كما يقال: أْجُوْعٌ في غير بطني وأعرى في غير ظهري^(١)، وقيل: نعملُ معاملةَ المختبرِ الذي كأنه لا يعلم. ﴿وإِنْ كَانَتْ﴾ هي المخففة من المثقلة^(٢)، ويلزم ما بعدها لام الفرق^(٣)؛ أي: وإن كانت القبلة ﴿لِكَبِيْرَةٍ﴾: لثقيلة، وقيل: التولية عن الكعبة، وقيل: عن بيت المقدس. ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ﴾؛ أي: عصمهم الله واهدوا بهديته.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾ عن عبد الله بن عباسٍ: أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، تُوفِّي إخواننا وهم يصلُّون إلى القبلة الأولى، وقد صرفك الله إلى قبلة إبراهيم، فكيف بإخواننا؟ فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾^(٤).

أي: صلواتكم إلى القبلة الأولى.

وقيل: إيمانكم بالقبلة الثانية، وإن شقَّ عليكم ذلك.

﴿إِنَّ اللَّهَ بِأَلْسِنِ لَرُءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أبو عبيدة: الرَّأْفَةُ: أشدُّ الرَّحْمَةِ^(٥).

والتَّكْرَارُ بمنزلة: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(٦).

(١) كلمة سُمِعَتْ عن العرب، ومعناها: جوع أهله وعياله. انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٦٤٢).

(٢) في (ن): «المحققة».

(٣) في (و): «اللام للفرق». ولام الفرق: للتفريق بين إن المخففة من الثقيلة وإن النافية.

(٤) رواه أبو داود (٤٦٨٠)، والترمذي (٢٩٦٤)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بسند صحيح،

ورواه البخاري (٤٤٨٦)، ومسلم (٥٢٥)، من حديث البراء رضي الله عنه.

(٥) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٥٩).

(٦) فهو يفيد التوكيد، وقد ذكر أبو عبيدة: أن فيه تقدبماً وتأخيراً؛ وذلك أن (رؤوف) أكد وأكثر مبالغة، =

(١٤٤) - ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ قيل: هو متقدِّمُ النزولِ على ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٢] كما سبق، وذكر المفسِّرون: أن رسول الله ﷺ قال لجبريل عليه السَّلام: «وددت أن الله صرفني عن قِبَلَةِ اليهودِ إلى غيرها»، وكان يريد الكعبة، فقال له جبريل: إنَّما أنا عبدٌ مثلك، فسأل ربَّك أن يحوِّلك عنها إلى قِبَلَةِ إبراهيم، ثم ارتفع جبريل، فجعل رسول الله ﷺ يديمُ النَّظَرَ إلى السَّمَاءِ رجاءً أن يأتيه جبريلُ بما سأل، فأُنزل اللهُ هذه (١) الآية (٢).

ومعنى: ﴿تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾: تحوُّله (٣) ﴿فِي السَّمَاءِ﴾؛ أي: إلى السَّمَاءِ، وقيل: في (٤) جوانب السَّمَاءِ.

﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ أي: فلنجعلنَّكَ تستقبلُ قِبْلَةً تحبُّها وتهواها طبعاً، وكانت الكعبة (٥) أحبَّ القِبْلَتَيْنِ إليه.

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ يا محمَّدُ ﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾؛ أي: قِصْدَهُ وَنَاحِيَتَهُ.

= فكان الأصل أن تأتي بعد (رحيم) لتؤكد لها، والله أعلم. انظر: «معجم الفروق اللغوية» (ص: ٢٤٦).

(١) «هذه»: ليس في (ن).

(٢) ذكره مقاتل في «تفسيره» (١ / ١٤٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٣)، وعزاه السيوطي

في «الدر المنثور» (١ / ٣٤٣) إلى أبي داود في «ناسخه».

(٣) في (ن): «تحويله».

(٤) في (ن): «إلى»، وفي هامشها: في نسخة: «في».

(٥) في (و): «القِبلة».

ثم عمّم الخطاب، فقال: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ﴾ من الأرض ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾: شطر المسجد الحرام، وهو الكعبة عند المعاينة، أو تحري جهتها عند فقد المعاينة. ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ لأن الله أعلمهم في الكتب الأولى أن قبلة محمد قبله إبراهيم عليهما السلام، ثم أوعده أهل الكتاب على كتمان ذلك ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفْلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

(١٤٥) - ﴿وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَيْنَ آتَجَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ الزجاج: أراد ذوي العناد منهم^(١).

الحسن: ﴿مَا تَبِعُوا﴾ بأجمعهم^(٢).

﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ هذا على المقابلة، وقيل^(٣): قطع لأطماع أهل الكتاب، وقيل: رفع لتجويز النسخ في القبلة، وقيل: ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ إذ ليس يمكن ذلك لاختلاف وجهتهم.

﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾؛ أي: لا اليهود تتبع النصارى، ولا النصارى تتبع اليهود.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٢٤).

(٢) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٤/ ١٠٨).

(٣) «وقيل» من (و).

﴿وَلَيْنِ أَتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ فيما يدعونك إليه من أمر القبلة وغيرها.
 ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أن قبلة الله الكعبة، وأن دين الله الإسلام.
 ﴿إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ غلظ الوعيد لحسم الأطماع.

وقيل: معناه: إذا كان حالك كذا، فكيف حال غيرك؟

واللام في ﴿وَلَيْنِ﴾ لام توطئة القسم، فيجاب بجواب القسم دون جواب الشرط، هذا مذهب سيويه. وقال الأخفش: ﴿وَلَيْنِ﴾ بمعنى (لو)، ويجاب بجواب (لو). والصواب قول سيويه^(١).

(١٤٦) - ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ

الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني: عبد الله بن سلام وأصحابه.

﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ يعني: محمدًا ﷺ ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾.

وقيل: الكناية^(٢) تعود إلى أمر القبلة، وقيل: إلى العلم، من قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا

جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾.

نزلت في مؤمني أهل الكتاب، قال عبد الله بن سلام: لأنا كنت أشد معرفة

برسول الله ﷺ مني بابني، فقال له عمر بن الخطاب: وكيف ذلك يا ابن سلام؟ قال:

(١) انظر: «الكتاب» لسيويه (٣/ ١٠٧ - ١٠٨)، و«معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٦١)، وللزجاج

(١/ ٢٢٣ - ٢٢٤).

(٢) يعني الضمير في كلمة ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾، وتُنسبُ تسمية الضمير بالكناية إلى الكوفيين. انظر: «معاني

القرآن» للفراء (١/ ١٩ و ٣٣٥)، و«ارتشاف الضرب» لأبي حيان (٢/ ٩١١).

لأنِّي أشهد أن محمداً رسول الله ﷺ حقاً يقيناً، وأنا لا أشهد بذلك على ابني؛ لأنِّي لا أدري ما أحدثت النساء، فقال عمر: وفقك الله يا ابن سلام^(١).

﴿وَإِنْ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يريد: الذين لم يُسلموا منهم ليكتمون الحقَّ حسداً و عناداً وهم يعلمون.

(١٤٧) - ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾.

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أن ذلك الحق من ربك ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: الشاكين.

قيل: الخطابُ للنبي ﷺ، والمرادُ به غيره^(٢).

وقيل^(٣): لا تشكَّنَّ في أن أهل الكتاب لا يعترفون بذلك، وليس ينهاه عن الشكِّ

في الله أو في أخباره.

(١٤٨) - ﴿وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا فَاسْتَبِقُوا الْحَيَاتِ آيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً

إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٤ / ١٩٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق الكلبي، وقد تقدم

الكلام على ضعف هذا الطريق، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٤).

(٢) ذكره الماتريدي في «تفسيره» (١ / ٥٩٠).

(٣) في (و): «الرَّجَاج» بدل «وقيل». ولم أقف على هذا في «معاني القرآن» للزجاج، ففيه (١ / ٢٢٥):

«أي: من الشاكين، والخطاب أيضاً عام؛ أي: فلا تكونوا من الشاكين»، وفيه أيضاً (١ / ٤٢٢): «أي:

من الشكاكين، والخطاب للنبي ﷺ خطابٌ للخلق».

﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ﴾ القفال: هذه الآية متصلة بقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَةَ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ١٤٥]. غيره: مستأنف.

والمعنى: لكل أهل ملة وجه؛ أي: قبله.

﴿هُوَ﴾ أي: الكل ﴿مَوْلِيَهَا﴾ أي: يولي تلك الجهة وجهه في الصلاة، فحذف المفعول.

وقيل: هو كناية عن الله تعالى، وتقديره: هو مولِّي الكل تلك الجهة^(١)، فحذف أحد المفعولين.

ومن قرأ: ﴿مَوْلَاهَا﴾^(٢) فهو كناية عن (الكل) لا غير؛ أي: الكل أمر بالتوجه إليها، وزينت له تلك الجهة، وحُببت إليه، فهو مولِّي تلك الجهة، وليس فيها على هذه القراءة حذف.

وقيل في^(٣) ﴿مَوْلَاهَا﴾؛ أي: أن من وليته فقد ولاك.

وقيل: ولكل قوم يا معشر المسلمين ناحية من الكعبة يتوجهون إليها يمينا وشمالا ووراء وقداما.

﴿فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾؛ أي: فالزموا أيها المسلمون وجهتكم، واستبقوا الخيرات بالتوجه إليها من جميع الجهات.

(١) في (و): «الجهة أي وجهه في الصلاة».

(٢) هي قراءة ابن عامر الشامي. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧).

(٣) في (و): «هو في».

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا﴾ من الأرض ﴿يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ يومَ القيامة، فيفصل بين المحقِّ والمبطل.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من ذلك ﴿قَدِيرٌ﴾.

(١٤٩) - ﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿.

﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾؛ أي: من البلاد ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ قال المفضل: قال النحويون: ﴿مِنْ﴾ هاهنا بمعنى: إلى؛ أي: وإلى حيث خرجت^(١).
﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾؛ أي: فإنه إيجابٌ من الله عليك، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

(١٥٠) - ﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾، وفي تكرار هذه الأوامر الثلاثة مع استوائها في الحكم أقوال:

(١) لم أقف على مَنْ ذهب إلى أن (من) بمعنى (إلى) في هذه الآية من النحويين، وهذا المذهب في غير الآية من مذاهب الكوفيين؛ فقد نقل أبو حيان الأندلسي في «ارتشاف الضرب» (٤ / ١٧٢٠)، و«التذيل والتكميل» (١١ / ١٣١) عنهم أن (من) تأتي لانتهاء الغاية، وأن البصريين أنكروا ورود هذا المعنى، وتأولوا ما استدلل به الكوفيون.

أحدها: أن الأولى لنسخ القبلة الأولى، والثانية: لاستواء الحكم في جميع الأمكنة، والثالثة: للدوام في جميع الأزمان.

وقيل: الأولى في مسجد المدينة، والثانية: خارج المسجد، والثالثة: خارج البلد.

وقيل: الخروج خروجان؛ أحدها: إلى مكان تُرى فيه الكعبة، والثاني: إلى مكان لا تُرى فيه الكعبة؛ أي: الحالتان في ذلك سواء.

وقيل: الخروج الأول متصل بالسبب، وهو: ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾، والثاني متصل بذكر العلة، وهو قوله: ﴿لِتَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾.

قال الشيخ: ويحتمل أن الأول لجميع الأحوال، والثاني لجميع الأمكنة، والثالث لجميع الأزمنة^(١).

﴿لِتَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾: لليهود ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾: كلامٌ يحتجُّون به، وذلك أن اليهود قالت: ما درى محمدٌ أين قبلته حتى هديناه^(٢).

وقيل: كانوا يقولون: إنَّ محمدًا يخالفنا في ديننا ويتبعُ قبلتنا^(٣).

وقيل: المراد بالناس: قريش؛ أي: يقولون: وافق اليهود مع قوله: إنِّي حنيفٌ أتبعُ ملَّةَ إبراهيم.

وقيل: هو تحذيرٌ عن مخالفة الكعبة في موضع ما؛ لئلا يقول مخالفيكم: لا يقين لكم، ولا تثبتون على دين.

(١) انظر: «البرهان» للمصنف (ص: ٧٩)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢ / ٤٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢ / ٦٥٨) عن ابن زيد.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢ / ٦٥٧) عن مجاهد.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ أَكْثَرُهُمْ عَلَى أَنَّ الاسْتِثْنَاءَ مَنْقُطَعٌ، وَهُوَ الَّذِي تَكُونُ (إِلَّا) فِيهِ بِمَنْزِلَةِ (لَكِن) ^(١)؛ أَي: لَكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا يَتَعَلَّقُونَ بِالشُّبْهَةِ، وَيَجْعَلُونَهَا مَكَانَ الْحِجَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا: قَدْ تَوَجَّهَ مُحَمَّدٌ إِلَى قِبَلَتِنَا، وَعَلِمَ أَنَّا أَهْدَى سَبِيلًا مِنْهُ.

وَقِيلَ: الاسْتِثْنَاءُ صَحِيحٌ، وَمَعْنَى الْحِجَّةِ: الِاحْتِجَاجُ؛ أَي: لئَلَّا يَكُونَ لِأَحَدٍ عَلَيْكُمْ احْتِجَاجٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ يَحَاجُّونَكُمْ بِالْبَاطِلِ.

أَبُو عُبَيْدَةَ: ﴿إِلَّا﴾ بِمَعْنَى: الْوَاوِ؛ أَي: وَلَا الَّذِينَ ظَلَمُوا ^(٢). قَالَ الشَّاعِرُ:

مَا بِالْمَدِينَةِ دَارٌ غَيْرٌ وَاحِدَةٍ دَارُ الْخَلِيفَةِ إِلَّا دَارُ مِرْوَانَ ^(٣)

أَي: إِلَّا دَارَ الْخَلِيفَةِ وَدَارَ مِرْوَانَ.

وَلَيْسَ هَذَا مَذْهَبَ الْبَصْرِيِّينَ وَلَا أَكْثَرَ الْكُوفِيِّينَ ^(٤).

وَأَجَازَ قَطْرَبَ أَنْ يَكُونَ ﴿الَّذِينَ﴾ فِي مَحَلِّ جَرٍّ بَدَلًا مِنَ الْكَافِ وَالْمِيمِ؛ أَي: إِلَّا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ^(٥)، وَهَذَا بَعِيدٌ لَفْظًا وَمَعْنَى.

(١) انظر: «المحتسب» لابن جني (١/ ١١٥).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٦٠)، وقد ذكره المصنّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٨٥)، واستغربه.

(٣) نسب البيت للفردق، وليس في ديوانه. انظر: «الكتاب» لسيبويه (٢/ ٣٤٠)، و«البصائر والذخائر» لأبي حيان التوحيدي (٤/ ٥٩).

(٤) وقد نقل الفراء هذا عن بعض النحويين، وقال: «إنه صواب في التفسير خطأ في العربية؛ لأن (إلا) تأتي بمعنى الواو بعد الاستثناء، كقولك: لي على فلان ألف إلا عشرة إلا مائة». انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٨٩)، وللزجاج (١/ ٢٢٦-٢٢٧)، و«الإنصاف في مسائل الخلاف» للأبنازي (١/ ٢١٦)، و«الجنى الداني» للمرازي (ص: ٥١٨).

(٥) ذكره الثعلبي والواحدي، وذكر الواحدي أنّ الأزهري قد اختار هذا المذهب، أما المصنّف فذكره في «غرائب التفسير» (١/ ١٨٥)، وعدّه من العجائب. وانظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٠٥)، =

﴿فَلَا تَحْشَوْهُمْ﴾؛ أي: محاجّتهم.

﴿وَأَحْشَوْنِي﴾ في ترك القبلة.

﴿وَلَأْتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ عطف على قوله: ﴿لِيَأْتِيَ كَوْنٌ﴾، والمعنى: تمت نعمتي

عليكم بهدايتي إياكم إلى قبلة إبراهيم.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ من الضلالة.

(١٥١) - ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ

وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ﴾ الكاف متصل بقوله: ﴿وَلَأْتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ... كَمَا

أَرْسَلْنَا﴾؛ أي: النعمة^(١) في أمر القبلة كالنعمة في أمر الرسالة.

وقيل: متصل بقوله: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾؛ أي: اذكروني ذكراً يوازي إنعامي عليكم

بإرسال رسولٍ هذه صفته^(٢).

﴿رَسُولًا مِنْكُمْ﴾؛ أي: من العرب.

﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ يقرأ عليكم القرآن، والتلاوة: ذكرُ الكلمة بعد الكلمة

على نظام.

﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾: يحملكم على ما تصيرون به أذكىء، وقيل: يشهد لكم

أنكم أذكىء.

= و«البيسط» للواحد (٣/ ٤١٤)، و«همع الهوامع» للسيوطي (٣/ ١٨١).

(١) في (و): «للنعمة».

(٢) ذكره المصنّف في «غرائب التفسير» (١/ ١٨٥).

﴿وَعَلِّمُكُمْ الْكِتَابَ﴾: القرآن.

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: مواضع القرآن، وقيل: الفقه، وقيل: السنة.

﴿وَعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ هو الذي لا سبيل إلى معرفته إلا بوحي.

(١٥٢) - ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكَرُكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾.

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكَرُكُمْ﴾ قد أكثر الأئمة في هذه المقابلة، ومحصول كلامهم يؤول^(١) إلى معنى واحد، وهو: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بما فرضت عليكم ذكره أو نذبتكم إلى ذكره، ﴿أَذْكَرُكُمْ﴾: أجازكم على ذلك، فسمّاه ذكراً على طريق المقابلة.

وقيل: ﴿أَذْكَرُكُمْ﴾: أثنى عليكم، فقد جاء في الخبر: أن الله تعالى قال في بعض الكتب: «أنا عند ظنّ عبدي بي فليظنّ بي ما شاء، وأنا معه إذا ذكرني، فمن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منه، ومن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، ومن أتاني مشياً أتته هرولة، ومن أتاني بقراب الأرض خطيئة أتته بملئها^(٢) مغفرة بعد ألا يشرك بي شيئاً^(٣)».

وجاء في الأخبار أيضاً: أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: قل للظلمة: لا تذكروني؛ فإنني أوجبت على نفسي أن أذكر من ذكرني، وإن ذكرني للظالمين أن ألعنهم^(٤).

(١) في (و): «يؤدي».

(٢) في (ن): «بمثلها».

(٣) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٢٥٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٤٨٣) عن ابن

عباس رضي الله عنهما، وفيه: «أوحى الله إلى داود».

﴿وَأَشْكُرُوا لِي﴾ على هذه النعمة، وعلى سائر النعم.
 ﴿وَلَا تَكْفُرُونَ﴾: ولا تكفروا نعمتي بالإعراض عن الشكر.

(١٥٣) - ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.
 ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾؛ فيه تunal كل فضيلة، وتجتنب^(١) كل رذيلة.
 ﴿وَالصَّلَاةِ﴾؛ فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر.
 ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ أي: بالنصر، ومن نصره الله أدرك من أعدائه مناه.

(١٥٤) - ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ءَامُوتُ بَلْ ءَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾.
 ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ﴾: نزلت في قتلى بدر من المسلمين، وكانوا أربعة عشر رجلاً؛ ثمانية من المهاجرين وستة من الأنصار، وذلك أن الناس كانوا يقولون للرجل يُقتل في سبيل الله: مات فلانٌ وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها، فأنزله الله هذه الآية^(٢).
 أي: لا تقولوا لمن يُقتل ﴿في سبيل الله﴾: دينه وطاعته وجهاد عدوه.
 ﴿ءَامُوتُ﴾ أي: هم أموات، ﴿بَلْ ءَحْيَاءٌ﴾ أي: هم أحياء في البرزخ قبل البعث يُرزقون، كقوله: ﴿بَلْ ءَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ﴿١٣٩﴾ ﴿فَرِحِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠].
 وذكر القفال وجوهاً آخر^(٣):

(١) في (و): «وتتجنب».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤ / ٢١٩)، والواحدي في «البيضا» (٣ / ٤٢٣).

(٣) ذكرها المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ١٨٦)، واستغريها.

أحدها: أي: سيحيون، فيثابون ويتنعمون في الجنة نعيمًا دائمًا.
والثاني: لا تقولوا: أمواتٌ في الدين كما يتوهمه المشركون، بل هم أحياءٌ في الدين، فارقوا الدنيا على هدى.
والثالث: نُهوا أن يقولوا للشهداء في سبيل الله: أمواتٌ، وأمروا أن يسموهم: شهداء.

والوجه هو الأول^(١)؛ لأنَّ المسلمين جميعًا متساوون في حياة الجنة، فلا يبقى لتخصيص الشهداء فائدة.

﴿وَلَكِنْ لَا تَسْعُرُونَ﴾: لا تعلمون ذلك.

«الحجة»: الشعور: الإحساس بالشيء، والمؤمنون يعلمون أن الشهداء أحياءٌ بإخبار الله إياهم ذلك^(٢)، ولكن لا يشعرون؛ لأنَّ حياة الشهيد ممَّا لا يُعلم حسًّا^(٣).

(١٥٥) - ﴿وَلَنَبَلِّتُكُمْ يَتِيًّا مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ﴾.

﴿وَلَنَبَلِّتُكُمْ﴾: نعاملكم معاملة المبتلي.

﴿يَتِيًّا مِّنَ الْخَوْفِ﴾: خوف العدو، و(من) تصلح أن تكون للتبعيض أو لتبيين

الجنس.

(١) وهو أنهم أحياء في البرزخ يرزقون، وقال المصنّف في «غرائب التفسير» (١/١٨٦): «واستبعد هذا قوم،

وليس فيه استبعاد؛ لأن حياتهم ورزقهم وفرحهم مع امتناع أجسامهم عن التصرف تشبه حال النائم».

(٢) «ذلك»: ليست في (و).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (١/٢٦٣ - ٢٦٤).

﴿وَالْجُوع﴾؛ أي^(١): بشيءٍ من الفقر^(٢) والقحط.

ولم يقل: (بأشياء من الخوف والجوع)؛ كيلا يُتوهم أنه أشياء من كل واحد.

﴿وَنَقَصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ﴾: خسران المال، وقيل: هو موت المواشي، وقيل: النسل

والضرع.

﴿وَالْأَنْفُسِ﴾: بالقتل والموت، وقيل: بالمرض، وقيل: بالشيب.

﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾: ثمرات الحرث والزرع، وقيل: موت الأولاد.

وذكر المفسرون عن الشافعي: ﴿مِنَ الْخَوْفِ﴾: خوف الله، ﴿وَالْجُوعِ﴾:

صوم رمضان، ﴿وَنَقَصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ﴾: بالزكاة، ﴿وَالْأَنْفُسِ﴾: بالموت والمرض،

﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾: موت الأولاد^(٣).

﴿وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ﴾ على هذه البلايا.

(١٥٦) - ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ﴾: مكروه، والمصيبة: اسم الفاعل، من (أصابته

شدة)؛ أي: لحقته، وهي الحالة الموجعة، ورُوي عن النبي ﷺ: «كُلُّ شَيْءٍ يُؤْذِي

المؤمنَ فهو مصيبة»^(٤).

(١) في (ن): «أو».

(٢) في (ن): «من الجوع والفقر».

(٣) انظر: «تفسير الشافعي» (١ / ٢٤٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤ / ٢٢٥)، والواحد في

«البيضا» (٣ / ٤٢٦).

(٤) رواه أبو داود في «المراسيل» (٤١٢) عن عمران بن قشير يرفعه، ولفظه: «كل ما ساء المؤمن فهو =

﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ ﴿١﴾ مِلْكًا وَعَبِيدًا يَتَصَرَّفُ فِيْنَا كَمَا يَشَاءُ.

﴿وَأِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ عند الموت، وقيل: عند البعث.

(١٥٧) - ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ قيل: هو واقعٌ موقعٌ مفعولٍ (وبشراً)؛ أي: وبشراً بأن عليهم صلوات.

ابن عباس: الصَّلَاةُ مِنَ اللَّهِ رَحْمَةٌ^(١)، وقيل: مغفرة، وقيل: ثناءٌ حسنٌ.

وَجُمِعَ^(٢)؛ أي: رحمةٌ بعد رحمةٍ، ومرةٌ بعد أخرى.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ إلى البعث، وقيل: إلى الاسترجاع، وقيل: هم

السَّالِكُونَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ.

وروي عن عمر أنه قال: نِعَمَ الْعِدْلَانِ، وَنِعَمَ الْعِلَاوَةِ^(٣).

= مصيبة»، ورواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٥٣) مرسلًا عن أبي إدريس الخولاني. ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٨٢٤) مرفوعًا من حديث أبي أمامة رضي الله عنه بلفظ: «ما أصاب المؤمن مما يكره فهو مصيبة»، وضعفه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٣٧٩)، ويشهد له ما رواه البخاري (٥٦٤١)، ومسلم (٢٥٧٣) من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما، ولفظه: «ما يصيب المؤمن من وصب، ولا نصب، ولا سقم، ولا حزن حتى ألهم بهم، إلا كفر به من سيئاته».

(١) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٧٢٥)، وابن أبي زمنين في «تفسيره» (٣/ ٤٠٥).

(٢) فقيل: صلوات من ربهم.

(٣) رواه الحاكم في «المستدرک» (٣٠٦٨)، والبيهقي في «سننه» (٧١٢٦)، وعلقه البخاري قبل حديث

(١٥٨) - ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾ روى عمر بن حبشي قال: سألت ابن عمر عن هذه الآية، فقال: انطلق إلى ابن عباس فسأله، فإنه أعلم من بقي بما أنزل^(١) على محمد عليه الصلاة والسلام، فأتيته فسألته، فقال: كان على الصفا صنم على صورة رجل يقال له: إساف، وعلى المروة صنم على صورة امرأة يقال لها: نائلة^(٢)، زعم أهل الكتاب أنهما زنيا في الكعبة، فمسخهما الله حجرين، فوضعا على الصفا والمروة؛ ليُعتبر بهما، فلما طالت المدّة عبدا من دون الله، وكان أهل الجاهليّة إذا طافوا بينهما مسحوا الصنمين^(٣)، فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام، كره المسلمون الطواف بينهما لأجل الصنمين، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾^(٤).

وعن عائشة قالت: أنزلت هذه الآية في ناسٍ من الأنصار كانوا إذا أهلوا أهلوا لمناة في الجاهليّة، ولا يحلُّ لهم أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما قدموا مع النبي ﷺ في الحجّ ذكروا ذلك، فأنزل الله الآية^(٥).

= والعِدْلُ: نصف الحمل على أحد شقي الدابة، والحملُ عدلان في جهتيها، والعلاوة: ما جعل بين العدلين. انظر: «مشارك الأنوار» للقاضي عياض (٢/ ٦٩) مادة: (ع د ل).

(١) في (و): «انزل».

(٢) في (ن): «امرأة تدعى نائلة».

(٣) في (ن): «الوثنين».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٧١٥) مختصراً، وذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٤٣)،

والواحد في «أسباب النزول» (ص: ٤٦).

(٥) روى نحوه البخاري (١٦٤٣)، ومسلم (١٢٧٧).

وهما جبلان بمكة.

والصِّفا: جمع صِفاة، وهي من الحجر ما صفا من مخالطة التراب والرَّمْل.

والمروة: الأبيض من الحجارة، وقيل: الشديد منها.

﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾: أعلام متعبّداته، جمعُ (شَعيرة)، وهي معلّمُ العبادة.

﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ﴾: قصد الكعبة للزيارة على شرائط مخصوصة.

﴿وَأَعْتَمَرَ﴾: زار الكعبة بشرائط غيرها معلومة، والاعتمارُ: زيارة المكان العامر.

المفضّل: ﴿أَعْتَمَرَ﴾: أقام بمكة، والعمرة: الإقامة^(١).

قطرب: العمرة: موضعُ العبادة، كالمسجدِ والبيعةِ والكنيسة^(٢).

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾: فلا إثم عليه، وهو جوابٌ لمن توهم أن فيه جناحًا، وأصله

من (جَنَحَ)؛ إذا مال.

﴿أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾ بالجبلين، وأصلُ الطَّوْفِ^(٣): الدَّوْرُ.

وقيل: معناه: أن لا يطوفَ بهما، وقد قرئَ به^(٤).

وقراءةٌ من قرأ بزيادة (لا)؛ فظاهره النفي، ويحتمل أن تكونَ (لا) زيادة، كقوله:

﴿ثَلَاثًا يَلْعَلُ﴾ [الحديد: ٢٩].

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٣٩) عن المفضل بن سلمة.

(٢) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٤/ ١٣٦) عن قطرب، وذكر أنه لغة عبد القيس.

(٣) في (و): «الطوف».

(٤) نُسبت هذه القراءة إلى علي بن أبي طالب وابن عباس وأنس وابن مسعود رضي الله عنهم وغيرهم،

وهي قراءة شاذة وقد خالفت الرسم. انظر: «المحتسب» لابن جني (١/ ١١٥)، و«تفسير الطبري»

(٢/ ٧٢٢-٧٢٣).

﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ حَيْرًا﴾: فَعَلَ غَيْرَ الْمُفْتَرَضِ، وَالتَّطَوُّعُ: التَّبَرُّزُ^(١) بِالنَّافِلَةِ، وَالطَّاعَةُ: مُوَافَقَةُ الْإِرَادَةِ، وَالْأَصْلُ الطَّوُّعُ^(٢)، وَهُوَ الْإِنْقِيَادُ.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ﴾: مُجَازٍ بِالْقَلِيلِ كَثِيرًا.

﴿عَلِيمٌ﴾ عَالِمٌ بِالْأَشْيَاءِ؛ صَغِيرًا وَكَبِيرًا.

(١٥٩) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي

الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ نَزَلَتْ فِي عُلَمَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي

كُتْمَانِهِمْ^(٣) آيَةَ الرَّجْمِ وَأَمَرَ مُحَمَّدٌ ﷺ^(٤).

ابن مسعود: هو عامٌّ، وقال: لولا آيةٌ من كتاب الله ما حدَّثتكم، وتلا هذه الآية^(٥).

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ يَعْلَمُهُ فَكْتَمَهُ أَلْجَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»^(٦).

(١) في النسخ الخطيَّة: «التَّبَرُّزُ»، ولا أعرف له وجهًا.

(٢) في (و): «وأصل المطوع».

(٣) في (و): «وكتمانهم».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤ / ٢٥٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٧)، وهو في «تفسير مقاتل بن سليمان» (١ / ١٥٢).

(٥) رواه البخاري (١١٨)، ومسلم (٢٤٩٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولم أقف عليه عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٦) رواه أبو داود (٣٦٥٨)، والترمذي (٢٦٤٩)، وابن ماجه (٢٦٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الترمذي: حديث حسن.

وَالْبَيِّنَاتُ الَّتِي كَتَمُوها: شَأْنُ^(١) مُحَمَّدٍ.

﴿وَأَلْهَدِي﴾: الذي يدلُّ على الرُّشد، ويدعو إلى طريقِ الحقِّ.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّكَ لِلنَّاسِ﴾: لأهل الكتاب ﴿فِي الْكِتَابِ﴾: الكتب المتقدِّمة.

وقيل: بيَّناه للمؤمنين في القرآن أن ذلك مذكورٌ في التَّوراة.

﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾: يبعدهم من رحمته وثوابه.

﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾: تتبرأ منهم الملائكةُ والجنُّ والإنس.

وقيل: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ﴾: يدعو عليهم باللَّعن، و﴿اللَّعْنُونَ﴾ الملائكةُ والمؤمنون،

كقوله: ﴿لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١].

مجاهدٌ: دوابُّ الأرضِ وهوامُّها، تقول: مُنِعْنَا القَطْرَ بمعاصي بني آدم^(٢).

وأجريت^(٣) مجرى الآدميين لوصفها بفعلهم.

ابن عباسٍ: كلُّ شيءٍ سوى الثَّقَلَيْنِ؛ الإنس والجنُّ^(٤).

ابن مسعود: إذا تلاعنَ الرَّجُلانِ رجعتِ اللَّعْنَةُ على المستحقِّ لها، فإن لم

يستحقَّ واحدٌ منهما، رجعتْ على اليهود الذين كتموا ما أنزلَ اللهُ^(٥).

(١) في (ن): «في شأن».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١٧)، والطبري في «تفسيره» (٢ / ٧٣٣ - ٧٣٥).

(٣) في (ن): «وأجريت».

(٤) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (١ / ٢٣٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٤ / ٢٥٧)، والواحدي في

«البيسط» (٣ / ٤٤٦).

(٥) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (١ / ٢٣٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٤ / ٢٥٩)، ورواه البيهقي

في «شعب الإيمان» (٥١٩٢) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن مسعود رضي الله عنه، وتقدَّم

الكلام على ضعف هذا الطريق.

(١٦٠) - ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ

الرَّحِيمُ﴾.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ عن الكتمان، ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ السَّريَّة، ﴿وَبَيَّنُّوا﴾ ما كتموا من

البشارة بمحمد عليه السلام، وقيل: وبَيَّنُّوا التَّوبَةَ.

﴿فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾: أقبَلُ توبَتَهُمْ.

﴿وَأَنَا التَّوَّابُ﴾: كثيرُ قبولِ التَّوبَةِ، وقيل: يتوبُ على عبده برحمته إذا تاب إليه

من ذنبه.

﴿الرَّحِيمُ﴾: الرَّاحِم.

(١٦١) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ

أَجْمَعِينَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ولم يتوبوا ولم يُصْلِحُوا ولم يبيِّنوا، ﴿وَمَا تَوَّاهُمْ كُفَّارٌ﴾ أي:

ماتوا كافرين.

﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أراد بـ﴿وَالنَّاسِ﴾: المؤمنين

لانْتفاعِهِم بِالْإِنْسَانِيَّةِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ فَكَالْإِنْعَامِ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا.

وقيل: يلعنهم المؤمنون والكافرون يوم القيامة، من قوله: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥]، وكقوله: ﴿كَلَّمَا

دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨].

(١٦٢) - ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: في اللعنة، وقيل: في النار.

﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾: فينقطع ساعة أو ينقص منه شيء.

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: لا يمهلون إذا أمروا بالعذاب للاعتذار.

القفال: لا يُنظَرُونَ لَمَا يَسْأَلُونَ اللَّهَ وَيَدْعُوهُ، من قوله: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾

[المؤمنون: ١٠٧]، وقوله: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤]، بل يُقَالُ لَهُمْ:

﴿أَخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُون﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

وقيل: لا يُقَطَّعُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ فَيُؤَخَّرُ إِلَىٰ وَقْتٍ آخَرَ.

(١٦٣) - ﴿وَاللَّهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿وَاللَّهُ وَاحِدٌ﴾؛ أي: معبودكم الذي يستحق عليكم أن تعبدوه.

﴿إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ الواحدُ يُؤَوَّلُ عَلَىٰ أَرْبَعَةِ أَوْجِهٍ:

أحدها: لا نظير له ولا مثل^(١)، يُراد به نفي التشبيه، قال الشاعر:

لكلِّ زمانٍ واحدٌ يُقتدى به وهذا زمانٌ أنت لا شكَّ واحدُه^(٢)

والثاني: قديمٌ مُنفردٌ لم يكن معه في الأزَلِ شيءٌ سواه.

والثالث: واحدٌ لا أبعاصَ له ولا أجزاءً.

(١) في (ن): «شبه».

(٢) البيت للبحثري، كما في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٦ / ٢٧)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي

والرابع: واحدٌ في استحقاقِ العبادةِ والإلهيةِ.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فاعرفوه واقصدوا عبادته دون مَنْ سواه.

و﴿هُوَ﴾ رفعٌ بدلٌ من ﴿إِلَهَ﴾ على المحلِّ، ولا يجوزُ فيه النَّصبُ هاهنا؛ لأنَّ البدلُ يدلُّ على أنَّ الاعتمادَ على الثاني، والمعنى في الآية على ذلك، والنَّصبُ يدلُّ على أنَّ الاعتمادَ على الأوَّلِ^(١).

﴿الرَّحْمَنُ﴾ لجميع خلقه.

﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين.

عن عطاء قال: لما نزلت هذه الآية بالمدينة قالت كفَّارُ قريشٍ بمكَّة: كيف يَسَعُ^(٢) النَّاسَ إِلَهُ واحدٌ، فأنزل الله:

(١٦٤) - ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ أَلْبُلِّ وَالنَّهَارِ وَاللَّيْلِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَنَصْرَفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٣).

وعن أبي الضُّحى قال: لما نزلت هذه الآية تعجَّبَ المشركون، وقالوا: إلهٌ واحدٌ! إن كان صادقاً فليأتنا بآيةٍ، فأنزل الله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٤).

قيل: (الخلق) هاهنا زيادة، والتقدير: إن في السماوات والأرض؛ لأنَّ الخلق

(١) انظر: «غرائب التفسير» للمصنف (١/١٨٨).

(٢) في (و): «يسمع».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/٢٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/١١٢٣).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/٢٦٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/٢٧٢).

إرادةُ تكوينِ الشّيءِ، والآياتُ في المشاهدِ من السّماواتِ والأرضِ، لا في إرادةِ الله. وقيل: (خَلَقُ الشّيءِ): هيئته، كما يُقال: هو حسنُ الخَلْقِ؛ أي: حسن الهيئة والأعضاء.

وقيل: (الخَلَق) بمعنى^(١): المخلوق، كقولهم: درهمٌ ضَرَبُ الأميرِ؛ أي: مضر وبه^(٢).

والمعنى: إنَّ في خَلْقِ السّماواتِ سقفاً مرفوعاً بلا عَمِدٍ، فيها نجومٌ سيّارات على مقدارٍ لا يختلفُ، ونجومٌ ثابتٌ لا تزول، وفيها الشَّمْسُ والقمرُ اللَّذَانِ لا تُحصى منافعهما بعدَ ما جُرَّبَ وَعُلِمَ صحّةُ ذلك من طبائعهما، والأرضِ قراراً للخليقة، وفيها من العجائبِ ما لا يأتي عليه العُدُّ والحصر.

﴿وَآخِلَافٍ أَلْيَلٍ وَالنَّهَارِ﴾: تعاقبهما، ومجيءُ الواحدِ بعدَ الآخر.

وقيل: ذهابُ أحدهما في غيرِ جهةِ الآخر.

﴿وَأَفْلَاكٍ أَلَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾: هي عند النُّحاة: جمع (فَلَكٍ)، من قوله: ﴿فِي أَفْلَاكٍ الْمَشْحُونِ﴾ [الشعراء: ١١٩]، وفَعْلٌ يُجْمَعُ على فَعْلٍ^(٣)، كما يُجْمَعُ عليه فَعْلٌ وفَعْلٌ نحو: أَسَدٍ وَأَسَدٍ، ووَزْدٍ ووَزْدٍ^(٤)، فالضَّمَّةُ في بناءِ الجمعِ غيرُ الضَّمَّةِ في بناءِ الواحدِ^(٥).

(١) «بمعنى»: ليس في (ن).

(٢) ذكر المصنف الأقوال الثلاثة مختصرة في «غرائب التفسير» (١/١٨٨).

(٣) أي: لفظ الواحد كلفظ الجمع، وهذا مذهب سيبويه والخليل.

(٤) يُقال: فرسٌ وِرْدٌ، وخيلٌ وِرْدٌ. والوَزْدُ من الخيلِ له لَوْنٌ يَضْرِبُ إلى صُفْرَةٍ حَسَنَةٍ، وهو بين الكُمَيْتِ والأشقر. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٤/١١٦) مادة: (ورد)، و«الصحاح» للجوهري (٢/٥٥٠).

(٥) انظر: «الكتاب» لسيبويه (٣/٥٧٧)، و«الخصائص» لابن جني (٢/١٠٢).

﴿بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ في تجاراتهم وأسفارهم.

﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾: من جانب السماء، وقيل: من السحاب، وجاء في

التفسير: أن السحاب جسمٌ يخلو من الماء، وإذا أراد الله أن يُمطرَ قومًا أمره أن يأخذ الماء من بحرٍ في السماء، وصار إلى المكان المقصود^(١) بالمطر.

﴿مِنْ مَاءٍ﴾: من مطرٍ ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: جعل حالة الإنبات حياةً

للأرض، وجعل حالة عدم الإنبات موتًا لها، والعربُ تسمي الأرض التي لا تُنبِتُ: مواتًا، وتسمي نباتها: حياةً.

وقيل: وُصِفَتِ الْأَرْضُ بالحياة لإخراجها ما هو سببُ حياة الحيوان.

وقيل: شبه خروج النبات منها^(٢) بخروج الأولاد من^(٣) الحيوان.

﴿وَبَثَّ﴾: فرَّق وأظهر، من قوله: ﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [الفارعة: ٤].

﴿فِيهَا﴾: في الأرض.

﴿مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾: هي اسمٌ لكل ما يدبُّ، من قوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا

عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، ولا تُطلَقُ على الإنسان إلا شتمًا.

﴿وَنَصْرَفِ الرِّيحِ﴾ قتادة: مجيئها بالرحمة مرةً وبالعذابٍ أخرى^(٤).

الجمهور: هبوبها جنوبًا وشمالًا ودُّبُورًا وصبًا^(٥).

(١) في (ن): «المخصوص»، وفي هامش (ن): في نسخة: «المقصود».

(٢) في (و): «في الأرض».

(٣) في (و): «في».

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨٢٩)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ١٢).

(٥) الصبا ريح مهبُّها من مطلع الشمس، وهي محمودة، والدبور مهبُّها من مغرب الشمس، وهي =

﴿وَالسَّحَابِ﴾: هو جسمٌ يملؤه الله ماءً، كما قلنا^(١).

وقيل: بخارٌ يرتفعُ من البحار والأرض، فيصيبُ الجبال فيستمسكُ، ويناله البردُ فيصير ماءً وينزلُ، وهذا لا يقدحُ في الشَّرْعِ والدِّينِ إن كان كما قيل.

﴿الْمُسْحَرِ﴾: المذللُ المُتقَادِ لِمَا أَرَادَ اللهُ.

﴿بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾؛ أي: في الهواء.

﴿لَايَتٍ﴾: لدلالاتٍ ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: لمن له^(٢) عقلٌ وتفكرٌ ونظرٌ وتدبُّرٌ.

(١٦٥ - ١٦٦) - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾.

﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾؛ أي: ومع هذا البرهان الشافي مِنَ النَّاسِ ﴿مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ

اللَّهِ﴾؛ يعني: مشركي العرب، وقيل: أهل الكتاب.

﴿أَنْدَادًا﴾: أصنامًا آلهةً يعبدونها، ويزعمون أنها تقربهم إلى الله زُلفى، جمع

نَدٍّ، وهو المِثْلُ المُنَاوِي^(٣)، هذا قولُ أكثر المفسرين.

= مذمومة، وقد قال ﷺ: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأَهْلِكْتُ عَادَ بِالدُّبُورِ». رواه البخاري (١٠٣٥)، ومسلم

(٩٠٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(١) من أن السَّحَابَ جسمٌ يخلو من الماء، وأنه يأخذ ماء المطر من بحر في السماء.

(٢) «له» من (ن).

(٣) في (ن): «المساوي».

السُّدِّيُّ: الرَّؤْسَاءُ الْمُطَاعُونَ^(١)، وهو كقوله^(٢): ﴿ أَخْذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١] الآية.

وقيل: المراد بالأنداد: الشياطين والجن.

﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ يحبُّون الأصنامَ كما يحبُّون الله.

وقيل: يحبُّونهم كحبِّ المؤمنين الله.

وقيل: كالحبِّ الذي يجبُ أن يكون لله.

وحبُّ المؤمنين الله: لزومُ طاعتهِ والثناءُ عليه سبحانه، وحبُّ الله المؤمن: ثناؤه سبحانه عليه وإثابته إياه، والحبُّ في غير هذا: مَيْلُ الطَّبَعِ إِلَى الشَّيْءِ، وأصله في اللُّغَةِ: اللُّزُومُ^(٣).

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾: للإِخْلَاصِ لَهُ، ولأنَّهم عَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ لَا الصَّنَمَ، والمعنى: أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ قُرَى بِالْيَاءِ^(٤) مُسْنَدًا إِلَى ﴿ الَّذِينَ ﴾^(٥)، والمفعول ﴿ أَنْ أَلْقَوْهُ لِلَّهِ ﴾، والمعنى: لو يعلم الذين كفروا ﴿ إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ ﴾: حين يرون العذاب في القيامة، أو يُريهم ربُّهم - فيمن قرأ ﴿ يُرُونَ ﴾ بالضم^(٦) - قدرة الله

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٧٦).

(٢) في (ن): «وقيل هي كقوله».

(٣) في (و): «من اللزوم».

(٤) قرأ الكوفيون، وأبو عمرو، وابن كثير بالياء. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٧٤)،

و«التيسير» للداني (ص: ٧٨).

(٥) فد(الذين) فاعل على هذه القراءة.

(٦) هي قراءة ابن عامر. انظر المرجعين السابقين.

على التعذيب وشدته؛ لعلموا مضرّة اتّخاذهم الأنداد^(١).

ويجوز أن يكون المفعول مقدّراً، والخبر^(٢) مُضمراً عاملاً في ﴿أَنَّ﴾، والتقدير:

لعلموا ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾.

ويُحتملُ أن الخبر محذوفٌ، والتقدير: لأنّ القوّة لله جميعاً^(٣).

وقرئ بالتاء^(٤) على خطاب النبي والمرادُ به غيره، و﴿الَّذِينَ﴾ المفعول، و﴿أَنَّ﴾

الْقُوَّةَ﴾ بدلٌ عن ﴿الْعَذَابِ﴾^(٥)، والخبر محذوفٌ.

ويجوز أن يكون (لأنّ القوّة)^(٦).

ويجوز أن يكون متعلّقاً بالجواب؛ أي: لرأيت أنّ القوّة لله.

(١) فالمحذوفُ على هذا التقدير هو جواب (لو) الذي قدّره المصنّف بقوله: «لعلموا مضرّة اتّخاذهم الأنداد».

(٢) كلمة (الخبر) جاءت هنا على معناها اللغوي، وليس الاصطلاحى؛ فقد استخدمها المصنّف في هذا الموضع وما بعده، ومراده بها جواب (لو)، وقد فعل الراغب مثل ذلك، واستخدم المصنّف كلمة (الخبر) في جواب (لولا) أيضاً. انظر: «مفردات القرآن» للراغب الأصفهاني (ص: ٧٥٦)، و«غرائب التفسير» (١/ ٤٤٤).

(٣) فالمصدر المؤول منصوب انتصاب المفعول لأجله على هذا القول. انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٨٩).

(٤) قرأ نافع وابن عامر بالتاء. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٨).

(٥) ذكر المصنّف هذا القول وضعّفه في «غرائب التفسير» (١/ ١٨٩).

(٦) فالمصدر المؤول منصوب انتصاب المفعول لأجله أيضاً.

و(رأيت)^(١) في القراءتين من رؤية العين، ويجوز أن تكون من العلم مع الياء^(٢).
 وقراءة مَنْ كَسَرَ ﴿إِنَّ الْقُوَّةَ﴾^(٣) على الاستئناف، وقيل: على الحكاية فيما
 حُذِفَ من الجواب؛ أي: لقالوا: إِنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾^(١٦٥) إِذْ تَبَرَّأَ؛ أي: شديد العذاب إِذْ تَبَرَّأَ، والمعنى: حين
 تَبَرَّأَ، وقيل: بدل من ﴿إِذْ يَرَوْنَ﴾، وَأَصْلُ التَّبَرُّؤِ: التَّزِيلُ وَالتَّبَاعِدُ بِالْعَدَاوَةِ.
 ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾: الْمَتَّبِعُونَ.

قتادة: هم رؤساء الضلالة من الإنس^(٤).

السُّدِّيُّ: من الجن^(٥).

وقيل: من الكل.

﴿مَنْ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾: من التابعين.

﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ﴾ السَّادَةُ وَالْأَتْبَاعُ.

﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ التَّقَطُّعُ: التَّبَاعِدُ بَعْدَ اتِّصَالٍ.

مجاهد: ﴿الْأَسْبَابُ﴾: الوصلات التي كانوا يتواصلون عليها^(٦).

(١) كذا في النسخ الخطية، ولعل المراد (يرى)، والله أعلم.

(٢) في (و): (بالياء).

(٣) هي قراءة أبي جعفر ويعقوب من العشرة. انظر: «النشر» لابن الجزري (٢ / ٢٢٤).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣ / ٢٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ٢٧٧).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٣ / ٢٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ٢٧٨).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٣ / ٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ٢٧٨).

ابن عباسٍ: الأرحامُ التي كانوا يتعاطفون عليها^(١).

وقيل: الأعمالُ التي كانوا يؤمّلونها.

(١٦٧) - ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُمْ كَمَا تَدْرِكُهُمْ نَارُ اللَّهِ أَعْمَلْنَا لَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُمْ كَمَا تَدْرِكُهُمْ نَارُ اللَّهِ أَعْمَلْنَا لَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُمْ كَمَا تَدْرِكُهُمْ نَارُ اللَّهِ أَعْمَلْنَا لَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ .

ونفصل منهم، ﴿ كَمَا تَدْرِكُهُمْ نَارُ اللَّهِ أَعْمَلْنَا لَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ .

﴿ كَذَلِكَ ﴾؛ أي: كما أراهم العذاب ﴿ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ .

وقيل: كتبرؤ بعضهم من بعضٍ ﴿ يُرِيهِمُ اللَّهُ ﴾، وذلك لانقطاع الرجاء من كلِّ

أحدٍ.

﴿ أَعْمَلْنَا لَهُمْ ﴾: معاصيهم؛ لِمَ فعلوها؟

وقيل: طاعتهم؛ لِمَ ضيعوها.

وقيل: ثواب الطاعات.

﴿ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ ﴾ الحسرة: التلُّهُفُ والنَّدَامَةُ على ما فات.

﴿ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ بل هم فيها دائمون.

(١٦٨) - ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلْالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ

لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ .

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٨)، والماوردي في «تفسيره» (١/ ٢١٩).

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوْا﴾ الكلبي: نزلت في ثقيفٍ وخزاعةٍ وعامر بن صعصعة حرّموا على أنفسهم من الحرث والأنعام، وحرّموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي^(١).
قوله: ﴿كُلُّوْا﴾ أمرٌ بإباحة.

﴿مَتَا فِي الْأَرْضِ﴾ (من) للتبعيض.

﴿حَلَالًا﴾: مرفوع الحظر عنه. ونصبه يجوز أن يكون حالاً، ويجوز أن يكون مفعولاً به.

﴿طَيِّبًا﴾: طاهرًا، وهو تأكيد؛ لأنّ ما أحله الله طيبٌ، وما حرّمه خبيثٌ، ويجوز أن يكون المراد^(٢): مُسْتَلَدًّا مُسْتَطَابًا.

وقيل: كلوا من وجهٍ يحلُّ لا من وجهٍ يحرم.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ ابن عباس: عمله^(٣).

الزجاج: طرقه التي يدعوكم إليها^(٤).

أبو عبيدة: هي محقراتُ الذنوب^(٥).

والخطوة: المصدر، والخطوة: ما بين قدمي الماشي^(٦).

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٨) من طريق الكلبي عن أبي صالح. وذكره دون نسبة مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (١ / ١٥٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٤ / ٢٨٠).

(٢) «المراد» من (ن).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣ / ٣٨).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١ / ٢٤١).

(٥) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٤ / ٢٨٤)، وفي «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١ / ٦٣): «هي

الخطى، واحدها: خطوة، ومعناها: أثر الشيطان».

(٦) فهو اسم.

والمعنى: لا تأتموا به.

﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ بعداوته مكاشفٌ بها.

وقيل: أبانه لأدم ونسله في زمان آدم.

(١٦٩) - ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ﴾: بالسيئات، قيل: هو الذي لا حدَّ فيه.

﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾: الفواحش، وهي التي فيها الحدُّ، وقيل: هي البخل، والفاحشُ:

كلُّ شيءٍ يجاوزُ القدر.

﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ من تحريم الحرث والأنعام.

(١٧٠) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَتْ

ءَابَاءَهُمْ لَیَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ لهؤلاء الذين حرّموا أشياء: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من الحلال

والحرام.

﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾: صادفناهم عليه^(١).

﴿أَوَلَوْ كَانَتْ ءَابَاءُهُمْ لَیَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾: لا يفقهون ولا يضبطون.

(١) انظر توضيح المصنّف لمناسبة لفظ (ألفينا) لهذه الآية، ومناسبة لفظ (وجدنا) للآية ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا

وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾ [لقمان: ٢١] في «غرائب التفسير» (١/ ١٩٠)، و«البرهان» (ص: ٨٠).

و﴿شَيْئًا﴾ يجوز أن يكون مفعولاً، ويجوز أن يكون مصدرًا^(١)؛ أي: لا يعقلون شيئاً من العقل.

﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى الله.

وفي الآية مضمراً تقديره: أيتبعونهم^(٢)... وهذا حثٌّ على النَّظَرِ ونهيٌّ عن التَّقْلِيدِ.

(١٧١) - ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ أي: في دعائك إياهم ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾؛ أي: كمثل النَّاعِقِ في دعائه الأغنام^(٣)، وهذا قول ابن عباس^(٤) والحسن^(٥) والفراء^(٦) والزَّجَّاج^(٧).

(١) أما الوجه الأول الذي ذكره المصنّف في إعراب ﴿شَيْئًا﴾، وهو المفعول به، فظاهر، وأما هذا الوجه، وهو أنه مصدر، فيحتاج إلى بيان، وذلك أن كلمة (شيء) دلّت على التقليل في هذا السياق، فصار المعنى: لا يعقلون عقلاً قليلاً؛ أي: لا يفهمون فهماً قليلاً، ثم ناب نعت المصدر عنه.

(٢) انظر: «تفسير الزمخشري» (١ / ٢١٣).

(٣) وقد أعاد المصنّف صياغة هذا القول في «غرائب التفسير» (١ / ١٩١) وعلّق عليه فقال: «مثل الذين كفروا معك يا محمد كمثل الناعق مع الغنم، فحذف من كل طرف ما يدل عليه الطرف الآخر، وله في القرآن نظائر، وهو أبلغ ما يكون من الكلام».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣ / ٤٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ٢٨٢).

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣ / ٤٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٤ / ٢٩٤).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١ / ١٣١).

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١ / ٢٤٢).

وقال ابن جرير: مثل الذين كفروا في دعائهم ألتهم كمثل النَّاعِقِ في دعائه الأغنام^(١).

وحكى علي بن عيسى عن ابن زيد: مثل الذين كفروا في دعائهم ألتهم كمثل النَّاعِقِ، ودعاؤه الصَّدى في الجبلِ وما أشبهه، يُخَيَّلُ إليه أَنَّهُ يُجَابُ، وليس وراء القول شيء^(٢).

وقيل: ومثل وَعَظِ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ نَعَقِ النَّاعِقِ ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دَعَاءَ وَنِدَاءَ﴾.

قال الفراء وأبو عبيدة: وضع النَّاعِقُ موضعَ المنعوقِ به، وأنشد:

كَانَتْ فَرِيضَةً مَا تَقُولُ كَمَا كَانَ الزَّيْنَاءُ فَرِيضَةَ الرَّجْمِ^(٣)

أي: كما كان الرَّجْمُ فَرِيضَةَ الزَّيْنَاءِ^(٤).

والنَّعَقُ: صياحُ الرَّاعي وزجرُه الغنمَ، والنَّدَاءُ: طلبُ الجوابِ^(٥) بأداةٍ مدَّةٍ الصَّوتِ، والدُّعَاءُ: الطَّلْبُ لِفِعْلٍ مِنَ المَدْعُوِّ، والسَّمْعُ: الإدراكُ لِلصَّوتِ.

﴿صُمُّ﴾؛ أي: هم صُمُّ ﴿بِكُمْ عُمَى﴾؛ أي: عن الحقِّ، ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾؛ أي: هم

كالأنعامِ في قَلَّةِ الانتفاعِ بما يرون من الحجةِ ويسمعون.

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٤٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٩) عن ابن زيد، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ١٩١) عن علي بن عيسى، واستغربه.

(٣) البيت للناطقة الجعدي. انظر: «ديوانه» (ص: ١٦٩)، و«المنتخب من كلام العرب» لكراع النمل (١/ ٦٢٨).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٩٩)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٦٤)، وقد عدَّ المصنّف هذا القول من العجيب الذي فيه خلل ونظر. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ١٩١).

(٥) في (و): «الطلب للجواب».

(١٧٢) - ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كَلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ .

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كَلُوا مِن طَيِّبَاتِ﴾ : حالات ﴿مَارَزَقْنَاكُمْ﴾ .

وقيل: من المستلذَّ المُستطابِ كما سبق.

ولفظ ﴿كَلُوا﴾ للإباحة في المستلذَّ المستطاب، وللفرض في الحلال؛ إذ لا يجوزُ لأحدٍ أن يترك ذلك حتى يموت مع الإمكان.

﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ على ما رزقكم، وأنعمَ به عليكم من الطَّيِّبات.

﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ قيل: معناه (إذ)، وفيه ضعف^(١).

وقيل: معناه: إن كانت العبادة لله واجبةً عليكم بأنَّه إلهكم، فالشُّكْرُ له واجبٌ عليكم بأنَّه محسنٌ إليكم.

(١٧٣) - ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنَ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ .

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ : ﴿إِنَّمَا﴾ تأتي في كلام العرب لإثبات المذكور

ونفي ما سواه.

والتَّحْرِيمُ: المنعُ في اللُّغة، وقيل: التَّحْرِيمُ يقع على التَّصَرُّفِ دون العين^(٢).

والمَيْتَةُ: ما فارقه الرُّوحُ من غير ذكَاةٍ حصلت فيه، وَخُصَّ الجِرادُ والسَّمَكُ

بالحديث^(٣).

(١) انظر: «مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٩٤).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ٢٤١).

(٣) يعني ما رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥٧٢٣)، وابن ماجه (٣٢١٨) من حديث ابن عمر رضي الله =

﴿وَالذَّمَّ﴾ يريد: الجاري منه، كقوله في الأخرى: ﴿أَوْدَمَا مَسْفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥].

﴿وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ﴾ يريد: الخنزير بجميع أعضائه^(١).

﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ﴾؛ أي: ذُكِرَ عليه غيرُ اسمِ الله، هذا قولُ الجمهور.

قتادة ومجاهدٌ: ما ذُبِحَ لغيرِ الله^(٢).

وأصلُ الإهلال: رفعُ الصَّوتِ.

﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ﴾: ألجئٌ بمجاعةٍ عند الجمهور^(٣).

مجاهدٌ: أكرهه^(٤).

﴿غَيْرِ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ الحسن وفتادة ومجاهدٌ والرَّبِيعُ: ﴿غَيْرِ بَاغٍ﴾ اللَّذَّةُ ﴿وَلَا

عَادٍ﴾ سَدَّ الْجَوْعَةَ^(٥).

الزَّجَاجُ: ﴿غَيْرِ بَاغٍ﴾ في الإفراطِ ﴿وَلَا عَادٍ﴾ في التَّقْصِيرِ^(٦).

مجاهدٌ - بخلافٍ - وسعيدٌ: ﴿غَيْرِ بَاغٍ﴾ على الإمامِ ﴿وَلَا عَادٍ﴾ بالمعصية^(٧).

= عنهما قال: «أحلت لنا ميتتان: الحوت، والجراد»، وقد نُكِّمَ على هذا الحديث. انظر: «التلخيص

الحيبر» لابن حجر (١/ ١٦٠). ٢٤١

(١) في (ن): «أجزائه».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥٥) عن فتادة، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٦) عن مجاهد

وفتادة.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٥٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٨٣).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٨).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٠ - ٦١) عن الأربعة.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٤٣).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٩).

والمُبيحُ هو خوفُ الموتِ مع عدم الحلال، ولو جُعِلَ الخروجُ بالبغْيِ والعدوانِ مانعًا، لحلَّ له بالخروجِ وإن لم يضطرَّ.

﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾؛ أي: فأكل، فلا إثمَ عليه في الأكل.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ لمن أكل ﴿رَجِيمٌ﴾ حيث رخص.

(١٧٤) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْرُونَ بِهِ مِمَّا قَلِيلًا

أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾ الكلبِيُّ عن أبي صالحٍ عن ابن عباسٍ: إنها نزلت في رؤساءِ

اليهودِ وعلمائهم وتغييرهم نعتَ النبيِّ، وأخذهم عن ذلك الرُّشاشِ^(١).

وقوله: ﴿يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ﴾ في صفةِ محمَّدٍ عليه السَّلامِ ونعتهِ،

كتموه عن المشركين وعن سفلتهم.

الحسن: كتموا أحكامَ التَّوراةِ^(٢).

والكتمانُ يقعُ على المعنى وعلى اللَّفظِ.

﴿وَيَشْرُونَ﴾ ويسبطلون ﴿بِهِ مِمَّا قَلِيلًا﴾: عوضًا، وقيل: ذا ثمنٍ، وقد سبق.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣١٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٩).

الرُّشوةُ معروفةٌ، ويقال فيها: رُشوةٌ، وتُجمعُ على: رُشاشٍ، ورشاشٍ. انظر: «معاني القرآن» للأخفش

(٢/ ٥٢٦)، و«إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٩١).

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٨٥)

﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾ قيل: الأكل بالبطن حيث يُستعمل لغير التناول، وقيل: ليدل على أن النار تدخل أجوافهم.

﴿إِلَّا النَّارَ﴾ سمّاه ناراً؛ لأنّ مأل آكله إليها، كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ

الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ [النساء: ١٠] الآية.

وقيل: يصير عين ذلك ناراً يوم القيامة.

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ كلاماً يسرهم، وقيل: يأمر الملائكة بأن يكلموهم، وقيل: هو كناية عن الغضب، كما يقال: فلان لا يكلم فلاناً.

الزجاج: لا يُسمِعُهُم كلامه، والأبرار يُسمعونه^(١).

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: لا يثني عليهم، من (تزكية العدل).

وقيل: لا يطهرهم، ولا يخلّصهم من النار.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم موجع.

(١٧٥) - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا

أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾: تركوا الهداية

والمغفرة، وأخذوا الضلالة والعذاب.

﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ ابن عباس^(٢).....

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٤٥).

(٢) كذا في النسخ الخطية، وقد ذكر ذلك بعض المفسرين عن ابن عباس. انظر: «الهداية إلى بلوغ

النهاية» لمكي بن أبي طالب (١/ ٥٥٥)، و«تفسير السمعاني» (١/ ١٧١). ولعل الصواب: «ابن

عياش» كما في «تفسير الطبري» (٣/ ٦٩)، والله أعلم.

وَالسُّدِّيُّ: ﴿مَا﴾ للاستفهام^(١).

الحسن وقتادة ومجاهد: للتعجب^(٢).

الكسائي والمبرد: تويخ لهم وتعجب لنا^(٣).

والمعنى عن الحسن وقتادة: ما أجرأهم على النار!^(٤)

مجاهد: ما عملهم بأعمال أهل النار!^(٥)

الزجاج: ما أبقاهم على النار^(٦).

الفراء: ما أصبرهم على النار؛ أي: ما حبسهم عليها^(٧).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣ / ٦٩ - ٧٠) عن السدي وعطاء وأبي بكر بن عياش وابن زيد، وهو

اختيار أبي عبيدة. انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١ / ٦٤)، و«غريب القرآن» (ص: ٧٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣ / ٦٩ - ٧٠)، وانظر: «السيط» للواحدي (٣ / ٥٠٩).

(٣) انظر: «المقتضب» للمبرد (٤ / ١٨٣)، ونقل الفراء في «معاني القرآن» (١ / ١٠٣) عن الكسائي أنه

بمعنى: فما أجرأهم! وهو تويخ وتعجب كما ذكر المصنّف، وأشار الزجاج إلى نحوه أيضاً. انظر:

«معاني القرآن» له (٥ / ٢٨٥).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥٩) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٣ / ٦٨) عن قتادة

والحسن وغيرهما.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٣ / ٦٩)، واستحسن هذا الوجه ابن قتيبة. انظر: «غريب القرآن»

(ص: ٧٠).

(٦) ذكر الزجاج وجه الاستفهام والتعجب، وحمل التعجب على المعنى الذي ذكره المصنّف، وشبهه

بقولهم: ما أصبر فلاناً على الحبس؛ أي: ما أبقاه فيه. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١ / ٢٤٥)

و(٢ / ٣٩٢) و(٥ / ٢٨٥).

(٧) أجاز الفراء أن تكون (ما) للاستفهام، وأجاز أن تكون للتعجب بمعنى فما أجرأهم، ونقله عن

الكسائي، وكلامه يفيد أن المراد بالنار حقيقتها. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١ / ١٠٣).

وقيل: على عملٍ يُؤدِّي إليها^(١).

(١٧٦) - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ

بَعِيدٍ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾: إشارة إلى ما أعدّه لأهل الكتاب على كتمانهم.

﴿بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ فكتّموه، فحذف؛ لأنَّ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾

يدلُّ عليه.

وقيل: ﴿نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ فاختلّفوا فيه؛ فحذف؛ لدلالة ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ

اخْتَلَفُوا﴾ عليه.

ف﴿الْكِتَابَ﴾: التّوراة^(٢).

وقيل: ﴿نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ فكفروا به؛ يعني: القرآن.

و﴿ذَلِكَ﴾ مبتدأ، و﴿بِأَنَّ اللَّهَ﴾ خبره.

الزّجاج: ذلك الأمر، أو الأمر ذلك^(٣)، بدلالة أنَّ ﴿اللَّهُ نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾؛ يعني:

القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾.

وقيل: تقديره: ذلك الكتمان والجرأة على النّار بأنَّ الله نزل الكتاب - أي:

القرآن - بالحقّ، وأخبر فيه أنّهم لا يؤمنون؛ يعني: قوله: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾

[يس: ١٠] وغيرها من الآي.

(١) ذكر هذا الوجه الزجاج. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٩٢).

(٢) قوله: «فحذف لأنَّ الذين يكتمون يدل عليه... عليه فالكتاب التوراة»: من (ن).

(٣) ف(ذلك) مبتدأ أو خبر. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٤٦).

﴿وَأَنَّ الَّذِينَ اٰخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ قيل: هو اختلاف اليهود والنصارى في كتابيهما.
وقيل: أتوا بخلاف ما أنزل الله.

وقيل: اختلف اليهود والنصارى والكفار في القرآن؛ فقالوا: سحر، وكلامٌ
عُلِّمَهُ، وكلامٌ تَقَوَّلَهُ.

وقيل: معنى (اختلفوا فيه) هاهنا معنى: خَلَفُوا فِيهِ^(١)، من قوله: ﴿فَخَلَفَ
مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [الأعراف: ١٦٩]^(٢).

﴿فِي شِقَاقٍ﴾: خلافٍ.

﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحق، وقيل: ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الألفة.

(١٧٧) - ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ
بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

﴿لَيْسَ الْبِرُّ﴾ قال قتادة: ذكر لنا أن رجلاً سأل نبيَّ الله عن البرِّ، فأنزل الله هذه
الآية، قال: وقد كان الرَّجُلُ قَبْلَ الفرائضِ إِذَا شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
ورسوله، ثُمَّ مات على ذلك وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ^(٣).

(١) «فيه»: من (ن).

(٢) ذكر هذا المعنى الراغب الأصفهاني في «تفسيره» (١/ ٣٧٥).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٧٦).

والبرُّ هاهنا: الإيمان.

﴿أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ لِلصَّلَاةِ، وَالْمَعْنَى: لَا تَقَعِ الْقُرْبَةُ إِلَى اللَّهِ بِاسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ بِالصَّلَاةِ وَحَدَّهَا، بَلْ بِأُمُورٍ أُخْرَى مَعَهَا قَدْ أَمَرَ اللَّهُ عِبَادَهُ بِهَا، ثُمَّ بَيَّنَّ. وَقِيلَ: إِنَّهُ إِشَارَةٌ إِلَى أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الْمُتَكَلِّمِينَ فِي أَمْرِ الْقِبْلَةِ مَعَ اخْتِلَافِهِمْ فِيهَا، وَاسْتِقْبَالِ الْيَهُودِ الْمَغْرِبَ، وَالنَّصَارَى الْمَشْرِقَ، وَتَفْرِيقَهُمْ بَيْنَ أَنْبِيَائِهِ وَكُتُبِهِ، وَمَعَادَاتِهِمْ لِمَلَائِكَتِهِ، وَكُتْمَانِهِمُ الْحَقَّ، وَبِخْلِهِمْ بِحُقُوقِ الْفُقَرَاءِ، وَالْمَعْنَى: لَسْتُمْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ بِالْأَبْرَارِ وَإِنْ كُنْتُمْ تَصَلُّونَ عِنْدَ أَنْفُسِكُمْ إِلَى قِبْلَةٍ، بَلِ الْأَبْرَارُ هُمُ الْمُسْلِمُونَ الْمُؤْمِنُونَ، ثُمَّ وَصَفَهُمْ فَقَالَ:

﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ وَالتَّقْدِيرُ: وَلَكِنَّ ذَا الْبِرِّ، أَوْ: وَلَكِنَّ الْبِرَّ بَرٌّ مَنْ آمَنَ.

وَيَجُوزُ أَيْضًا أَنْ يُقَامَ الْمَصْدَرُ مَقَامَ الْفَاعِلِ، كَقَوْلِهِ:

فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ^(١)

﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾: صَدَقَهُ.

﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يَعْنِي: يَوْمَ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَالْعِقَابِ وَالثَّوَابِ.

﴿وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ﴾ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلْجِنْسِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ؛

فَإِنَّ الْإِيمَانَ بِهِ إِيمَانٌ بِجَمِيعِ الْكُتُبِ.

﴿وَالنَّبِيِّنَ﴾: جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ.

وَالْإِيمَانُ بِهَذِهِ الْخَمْسَةِ إِيمَانٌ بِمَا لَزِمَ الْعَبْدَ مِنَ الْمَعَارِفِ كُلِّهَا.

(١) عجز بيت للخنساء تصفُ ناقةً ترتع، وصدرة:

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إِذَا اذْكَرَتْ

انظر: «ديوان الخنساء» (ص: ٣٨٣)، و«البيان والتبيين» للجاحظ (٣/ ١٣٧).

﴿وَعَاتَى أَلْمَالِ عَلَى حُبِّهِ﴾ قيل: على حبِّ المال؛ لقوله ﷺ: «أفضل الصدقة أن تتصدق وأنت صحيحٌ شحيحٌ، تخشى الفقرَ وتأملُ الغنى، ولا تُمهِّلُ حتى إذا بلغتِ الحناجرَ قلتَ: لفلانٍ كذا، ولفلانٍ كذا»^(١).

وقيل: على حبِّ الله.

وقيل: على حبِّ الإيتاء، ودلَّ على المصدرِ فعله.

﴿ذَوِي الْقُرْبَى﴾: ذوي رحمٍ قريبةٍ.

﴿وَالْيَتَامَى﴾: جمع يتيمٍ ویتيمَةٍ.

﴿وَالْمَسْكِينِ﴾: جمع مسكينٍ، وهو الذي أسكنه الفقرُ عن التصرف.

﴿وَأَبْنَاءَ السَّبِيلِ﴾: المنقطع به والمجتاز، ووحد لأنَّ الابن هنا^(٢) مجازٌ، كابن

الماء^(٣) وغيره.

﴿وَالسَّائِلِينَ﴾: المحتاجين.

﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾؛ أي: في عتق الرقاب، وإعانة المكاتب.

﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ المفروضة.

﴿وَعَاتَى الزَّكَاةَ﴾ قيل: هو تأكيدٌ للأوَّل.

وقيل: المرادُ بالأوَّل النوافل، وقيل: الأوَّل فيمن لزمك الإنفاق عليه من

قرايتك^(٤).

(١) رواه البخاري (١٤١٩)، ومسلم (١٠٣٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في (ن): «ها هنا».

(٣) يقال لطير الماء كلها. انظر: «المخصص» لابن سيده (٢/٣٣٩).

(٤) في (ن): «من ذوي قرايتك».

﴿وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ مع الله وفيما بينهم.

﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ﴾: الفقر، اسمٌ لا وصفٌ.

﴿وَالضَّرَّاءَ﴾: المرض.

﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾: وقت القتال.

قيل: الصَّوْمُ والحجُّ داخلان في الصَّبْرِ^(١)، فاشتملت الآية على جميع الواجبات.

وقوله: ﴿وَالْمُؤْتُونَ﴾ رُفِعَ بالعطف على خبر ﴿وَلَكِنَّ﴾، وقيل: رُفِعَ بالابتداء

وخبره مضمَّرٌ، وتقديره: والمؤفون بعهدهم أيضًا أبرارٌ.

﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ قيل: نُصِبَ على المدح^(٢)، وقيل: بالعطف على ﴿ذَوِي

الْقُرْبَى﴾^(٣)، وزيفه أبو علي^(٤)؛ لأنَّه لا يُحال بين الصَّلَاة وبين المعطوف على الصَّلَاة

بأجنبيِّ منها، ﴿وَالْمُؤْتُونَ﴾ أجنبيٌّ منها إلا على الوجه الضَّعيف^(٥).

(١) في (و): «الصوم».

(٢) «أبرار والصابرين قيل هو نصب على المدح»: من (ن).

(٣) نقله المصنف عن الزجاج واستغربه. انظر: «غرائب التفسير» (١/١٩٥).

(٤) انظر: «الحجة» لأبي علي (١٣٤ - ١٣٥). وقد نقل الواحدي في «البيسط» (٣/٥٢٦) والرازي

في «التفسير الكبير» (٥/٢٢٠)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٢/١٤٠) عن أبي علي الفارسي أنَّه يستحسن في هذه الأوصاف التي تُعطف وتُذكر للرفع من شأن موصوفها ومدحهم - أو النقص منهم وذمهم - أن يُخالف بإعرابها، ولا تُجعل كلها جاريةً على موصوفها؛ لأن المدح والذم يكون عندئذٍ بجمل، لا بجملته واحدة.

(٥) من قوله: «لأنه لا يحال» إلى قوله: «الضعيف»: ليس في (ن)، لكن في هامشها: «قال: إنما

زيفه أبو علي لأنَّ (من) موصولة، ولا يجوز أن يُحال بين الموصول والعطف عليه بأجنبي نحو

﴿وَالْمُؤْتُونَ﴾ الآية».

ويجوز أن يكون عطفًا على اسم ﴿وَلَكِنَّ﴾، كما أن ﴿وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ رُفِعَ بالعطف على الخبر.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في إيمانهم.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ الكفر ودواعيه.

(١٧٨) - ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبِ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ

وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَبْيَعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ مِّنْ أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَهَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ﴾ قال الشعبي: كان بين حيين من أحياء

العرب قتال، وكان لأحد الحيين طولٌ على الآخر، فقالوا: نقتل بالعبد منا الحر منكم وبالمراة الرجل، فأنزل الله هذه الآية^(١).

حتى روي أن بعض غني^(٢) قتل شاس بن زهير، فجمع عليهم أبوه زهير بن

جذيمة^(٣)، فقالوا له أو بعض من يذب عنهم: ماذا يرضيك^(٤) في قتل شاس؟ فقال: إحدى

ثلاث لا يرضيني غيرهن، قالوا: ما هي؟ قال: تُحْيُون لي شاساً^(٥)، أو تملؤون داري

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٩٥)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٩) عن

الشعبي، وذكره أبو عبيد دون نسبة في «غريب الحديث» (٢/ ٢٥٠).

(٢) غني: حي من غطفان. انظر: «الصحاح» للجوهري مادة: (غ ن ي).

(٣) كذا في النسخ الخطية، والصواب: «زهير بن جذيمة»، كما في مصادر التخريج.

(٤) في (ن): «نرضيك سل».

(٥) في (و): «تُحْيُونه لي».

من نجوم السماء، أو تدفعون إليَّ غنيًّا بأسرها فأقتلها، ثم لا أرى أنني أخذت عوضًا^(١).

ومعنى ﴿كُتِبَ﴾ فرض، من قولهم: الصلاة المكتوبة.

وقيل: كتب في اللوح المحفوظ.

وقيل: هذا لفظ مؤكَّد من وجهين:

أحدهما: ﴿كُتِبَ﴾، وهو الوجوب.

والثاني: ﴿عَلَيْكُمْ﴾، وهو يفيد الوجوب أيضًا.

و﴿الْقِصَاصُ﴾: الأخذ من الجاني مثل ما جنى، من (قص الأثر)؛ وهو تلوُّ الأثر.

﴿فِي الْقَتْلِ﴾: جمع قتيل.

والمعنى: كتب عليكم القصاص إن اختار الأولياء القصاص، وقيل: فرض ترك مجاوزة ما حد لكم إلى التعدي.

﴿الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ﴾؛ أي: الحرُّ يقتل بسبب قتله الحرَّ.

والحرُّ: خلاف العبد، وأصله: الخيار من كل شيء.

﴿وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى﴾ وأما الذكْرُ بالأنثى والآنثى بالذكْر، فهو مذكورٌ

في قوله: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا﴾ [الإسراء: ٣٣].

﴿فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ﴾ هذا مما خفف الله على هذه الأمة؛ فإنَّ حكمه في اليهود

حتمُّ القصاص، وفي النَّصارى حتمُّ الدِّية، وحكمه في هذه الأمة القصاص، أو العفو

والدِّية، أو العفو^(٢).

(١) ذكره الشافعي في «الأم» (٩ / ٦)، والبلاذري في «أنساب الأشراف» (١٣ / ١١٥).

(٢) نقل أبو حيان كلام المصنّف، ونسبه إلى علماء التفسير. انظر: «البحر المحيط» (٢ / ١٤٨).

ومعنى ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ﴾؛ أي: تُرِكَ^(١)، وقيل: تُفُضِلَ عليه ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾؛ أي: المقتول^(٢)، وقيل: من الولي؛ فالهاءُ تعودُ إلى القاتل، الحسن: أخي المقتول^(٣).

وقيل: هو من (عفا)؛ إذا سهّل.

وقيل: من (عفا)؛ إذا كثر.

والأخ يجوز أن يكون العافي، ويجوز أن يكون المعفو عنه، ويجوز أن يكون القتيل.

﴿شَيْءٌ﴾؛ أي: الدّم.

وقيل: شيءٌ من الدّم، وهو أن يعفو بعضُ الأولياء.

﴿فَاتَّبَعُوا بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ ابن عباسٍ ومجاهدٌ والحسن وقتادة والزّجاج: على العافي اتّباعٌ بالمعروف، وعلى المعفو عنه الأداءُ بالإحسان^(٤).

(١) يرى بعض اللغويين أنّ أصل معنى العفو هو الترك؛ لذلك قدّمه المصنّف، وقد أنكر الزمخشري هذا المعنى. انظر: «معجم الفروق اللغوية» (ص: ٣١٠)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٢٢٢).

(٢) ذهب إلى هذا المعنى الأزهري، فقال: «أي: مَنْ أُحِلَّ له أخذ الدية بدل أخيه المقتول عفواً من الله وفضلاً مع اختياره، فليطالب بالمعروف، و(من) في قوله: ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ معناها البدل، والعرب تقول: عرضت له من حقّه ثوباً؛ أي: أعطيته بدل حقه ثوباً». انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٣/ ١٤٤) مادة: (ع ف و).

(٣) ذكر ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٩٤) عن الحسن أنّ العفو في أن يقبل الدية في العمد.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، و(١٦٥) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٠٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٩٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما وذكره عن جابر بن زيد والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدي وعطاء الخراساني.

وقيل^(١): كلاهما على المعفو عنه.

والإتباع بالمعروف: أن يقضيها برفق، والأداء بالإحسان: أن لا يذهب بشيء

منه.

وقوله: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: على ما أوجبه الله، وقيل: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: ما تتعارفه

العرب بينها من دية القتلى.

﴿ذَلِكَ﴾؛ أي: الخيار ﴿تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾.

﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ﴾؛ أي: بعد أخذ الدية فقتل، وقيل: بعد العفو، وقيل:

بعد بيان الله هذه الأحكام، فقتل غير القاتل، ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ عكرمة وسعيد بن

جبير: هو أن يقتل قصاصاً^(٢).

ابن جريج: يقتله الإمام عقوبة لا عفو فيه^(٣).

الحسن: استرجاع الدية منه^(٤).

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا أعافي رجلاً قتل بعد أخذ الدية»^(٥).

(١) «وقيل»: من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١١٧) عن الضحاك وسعيد بن جبير وعكرمة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١١٨) عن ابن جريج يرفعه من طريقين. ثم ضعف الطبري هذا القول؛ لأنه مخالف لكتاب الله والإجماع.

(٤) أي: ولا يقتل. رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٨٠٦٦)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ١١٩).

(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٤٩١١)، وأبو داود (٤٥٠٧)، من حديث جابر بن عبد الله

رضي الله عنهما، وفيه انقطاع.

(١٧٩) - ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ﴾؛ أي: في شرع القصاص ﴿حَيَوةٌ﴾؛ لأنَّ القتالَ إذا أُفِيدَ منه ارتدَعَ مَنْ هَمَّ بِقَتْلِ، فيكون فيه حياته وحياة مَنْ هَمَّ بِقَتْلِهِ.

وقال ابن (١) الجوزاء: أراد بالقصاص: قصص القرآن^(٢)، وزيفه المفسرون.

﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾: يا ذوي العقول. ولُبُّ كُلِّ شَيْءٍ: خالصُه.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: لكي تتقوا القصاص، فتكفوا عن القتل.

وقيل: لتتقوا القتلَ حذرًا من القصاص.

(١٨٠ - ١٨١) - ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ

لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ الزَّجَاجُ: فُرْصٌ، و﴿الْوَصِيَّةُ﴾ تَرْفَعُ بِهِ^(٣).

(١) كذا في النسخ الخطية، وصوابه: أبو الجوزاء. انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (١ / ٢٩٧)، و«غرائب

التفسير» (١ / ١٩٦)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢ / ١٥٤).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ٢٩٧)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤ / ٣٧١)، وذكر

المصنف وغيره أنَّ أبا الجوزاء أوس بن عبد الله الربيعي قرأ: (ولكم في القصاص)، وعدَّ من العجيب

قول مَنْ حمل هذه القراءة على قصص القرآن. انظر: «غرائب التفسير» (١ / ١٩٦)، و«المختصر في

شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١٩)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢ / ١٥٤).

(٣) يعني: أن (الوصية) نائب فاعل لـ(كتب)، وقد ذكر الزجاج هذا القول والذي يليه أيضاً. انظر:

«معاني القرآن» للزجاج (١ / ٢٤٩ - ٢٥٠).

الفراء: معنى ﴿كُتِبَ﴾: قيل لكم: عليكم الوصية للوالدين^(١)، فتكون جملةً محكمةً محلّها رفع^(٢).

﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾؛ أي: أسبابه.

وقيل: هو أن يقول في صحته: إذا متُّ فافعلوا كذا وكذا.

﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾: مالا.

الزُّهريُّ: قليلاً أو كثيراً^(٣).

غيره: ألف درهمٍ.

وعن عليّ رضي الله عنه أنه استقلَّ سبعمئة درهمٍ، فقال: إنما قال الله: ﴿إِنْ

تَرَكَ خَيْرًا﴾^(٤).

﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالعدل.

﴿حَقًّا﴾ أي: حَقُّ ذلك حقًّا ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾: الذين يتَّقون الشُّركَ مخافةَ الله.

(١) ذكر الفراء قولين؛ أحدهما: مثل قول الزجاج الذي قدّمه المصنّف، والثاني: أن ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ﴾

بمعنى: قيل لكم، و(الوصية) ترتفع باللام في (لوالدين)؛ فهي عنده جملة محكمة، و(الوصية) فيها

مبتدأ، لكنه مرفوع بالخبر على رأي الكوفيين، وقد ذكر المصنّف في «غرائب التفسير» أن هذا أحد

قولي الفراء. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١١٠)، و«غرائب التفسير» (١/ ١٩٦).

(٢) لأنها محكمة بمبني للمجهول، فتقع نائب فاعل على رأي الواحدي والمصنّف. انظر: «البيسط»

للواحد (٣/ ٥٤٥).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧١)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ١٣٨)، وصبّوه.

(٤) رواه عبد الرزاق في «مصنّفه» (١٦٣٥١)، والدارمي في «سننه» (٣٢٣١)، والطبري في «تفسيره»

(٣/ ١٣٧).

والحضور: وجود الشيء بحيث يمكن أن يُدرك.^(١)

والوصية: العقد على ما يُراد من الأفعال في مستأنف الأوقات.

واختلفوا في نسخها؛ فعن ابن عباس: نسخها قوله: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ

أَوْلَادَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء: ٧] الآية^(٢).

ومن جَوَزَ نسخ القرآن بالسنة قال: نسخها قوله عليه السلام: «لا وصية

لوarith»^(٣).

مجاهد: نسخها ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ [النساء: ١١]^(٤).

الحسن: نُسخَت الوصية للوالدين، وثبتت للأقربين الذين لا يرثون^(٥).

الشعبي: الوصية للوالدين والأقربين على النَّدب، لا على الحتم^(٦).

(١) «يمكن أن» من (ن).

(٢) رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٤٢٣)، والطبري في «تفسيره» (٣ / ١٣١)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢ / ٥٧٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ٢٩٩)، وروى البخاري في «صحيحه» (٢٧٤٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان المال للولد، وكانت الوصية للوالدين، فنسخ الله من ذلك ما أحب، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس، وجعل للمرأة الثمن والرابع، وللزوج الشطر والرابع».

(٣) انظر: «الفصول في الأصول» للجصاص (١ / ١٧٤)، و«الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ٨٨)، والإحكام لابن حزم (٤ / ٩٢).

والحديث رواه أبو داود (٢٨٧٠)، والترمذي (٢١٢٠)، وابن ماجه (٢٧١٣)، من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه. وقال الترمذي: «حديث حسن».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣ / ١٣٣).

(٥) رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٤٢٥)، والطبري في «تفسيره» (٣ / ١٢٩).

(٦) ذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٨٨)، وابن الجوزي في «نواسخ القرآن» (ص: ٥٨).

الضَّحَّاكُ وَطَاوُسٌ: الوصية للوالدين والأقربين واجبةً بنص القرآن إذا كانوا لا يرثون^(١).

وقال صاحب النظم^(٢): لفظ (الأقربين) لا يقع إلا على من يرث، واستدلَّ بقوله سبحانه: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء: ٧] الآية، ثم قال بعد هذا: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾ [النساء: ٨] يعني: ذوي القربات الذين لا ميراث لهم، فسماهم باسم غير (الأقربين)^(٣).
قوله:

﴿فَمَنْ بَدَلَهُ﴾؛ أي: الوصية، فذكرَ حملاً على الإيضاء.
﴿بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا أَتَمَّهُ﴾؛ أي: إثم التبديل ﴿عَلَى الَّذِينَ يَبْدُلُونَهُ﴾ من وليٍّ أو قاضٍ، إذا لم يكن الموصي مضاراً، وبراً الموصي من ذلك.
﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لما يقوله الموصي في الإيضاء.
﴿عَلِيمٌ﴾ بنيتها، وقيل: عليهم بما يفعله الوصي.

(١) ذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٨٨).

(٢) هو الحسين بن يحيى الجرجاني، وقد تقدم التعريف به.

(٣) لم أقف على هذا القول، ولكن هذا التفريق يحتاج إلى تأمل، فقد قال الإمام الشافعي: «فلما كان الأقربون ورثةً وغير ورثةٍ، أبطلنا الوصية للورثة من الأقربين بالنص والقياس والخبر «ألا لا وصية لوارث»، وأجزنا الوصية للأقربين ولغير الورثة»، وقال قتادة: في قوله: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠]: «نسخ الوالدان منها، وترك الأقربون ممن لا يرث»، وذكر الثعلبي قولاً يخص الأقربين فيه بذوي الميراث في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾. انظر: «الأم» (٤/ ١١٨)، و«تفسير الطبري» (٣/ ١٢٨)، و«تفسير الثعلبي» (١٠/ ٢٨٢)، و«المحلى» لابن حزم (٨/ ٣٥٣).

(١٨٢) - ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ

رَحِيمٌ﴾.

﴿فَمَنْ خَافَ﴾ أي: علم، ويأتي الخوف بمعنى: العلم^(١)، قال أبو محجن^(٢):

ولا تَدْفِنَنِي بِالْفَلَاةِ فَإِنِّي أَخَافُ إِذَا مَا مِتُّ أَنْ لَا أَذُوقَهَا^(٣)

﴿مِنْ مَوْصٍ﴾ قرئ بالوجهين^(٤)؛ فَحِجَّةُ التَّخْفِيفِ: ﴿يُوصِيكَ اللَّهُ﴾ [النساء: ١١]،

وَحِجَّةُ التَّشْدِيدِ: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ [يس: ٥٠].

﴿جَنَفًا﴾: ميلاً، والجَنَفُ: الميل عن الحقِّ، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ قيل: الجَنَفُ ما كان

خطأً، والإِثْمُ ما كان عمداً، وهو: أن يوصي للأجانب ويترك أولي القربى، أو يوصي بأكثر من الثلث.

﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ ابن عباس وغيره: بين الموصى لهم وبين^(٥) الورثة، ولم يتقدم

ذكرهم لكنَّ التَّوَصِيَةَ أو الإِصْءَاءَ يدلُّ عليه^(٦).

مجاهدٌ: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا﴾ [البقرة: ١٨٢] في حياته حالة إصْءَاءِهِ،

﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: حمل الموصي على ما هو الصَّلاح^(٧).

(١) ذهب الفراء إلى أنَّ الخوف يأتي بمعنى العلم وبمعنى الظنِّ أيضاً، ونقله عن العرب. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/١٤٦ و ٢٦٥).

(٢) في (ن): «قال الشاعر».

(٣) انظر: «ديوان أبي محجن الثقفي» (ص: ٤٨)، و«تفسير الثعلبي» (٤/٣٨٦).

(٤) قرأ حمزة والكسائي بتشديد الصاد، وقرأ الباقون بالتخفيف. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٩).

(٥) «وبين»: ليس في (و).

(٦) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٣/١٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/٣٠٣).

(٧) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٣/١٤٢)، وذكره الماوردي في «تفسيره» (١/٢٣٣).

﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾؛ أي: ليس بمبدلٍ آثمٍ، والهَاءُ كنايةٌ عن الموصي، وقيل: عن

المصلح.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ للمصلح؛ أي: ليس ذلك بإثمٍ.

﴿رَجِيمٌ﴾ حيث رخص.

(١٨٣) - ﴿يَتَّيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن

قَبْلِكُمْ لِمَلَّكُمْ تَنَفُّونَ﴾.

﴿يَتَّيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾: فرضٌ وأوجب.

و﴿الصِّيَامُ﴾: مصدر: صام يصوم صوماً وصياماً، والصِّيَامُ في الشرع: إمساكٌ

عن الطَّعامِ والشَّرَابِ والنَّكَاحِ من وقت طلوع الفجر إلى وقت غروب الشَّمْسِ مع

النِّيَّةِ.

﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾؛ أي: كتابةً كما كُتِبَ، فهو صفةٌ مصدرٍ

محذوفٍ، ويجوزُ أن يكونَ حالاً عن الصِّيَامِ.

والمشابهةُ بينهما^(١) من حيث إنَّ كلَّ واحدٍ صومٌ أيَّامٍ.

الحسن والشَّعبي: كتب عليكم صوم رمضان كما كتب عليهم صوم رمضان،

ثم حَوَّلُوا وزادوا^(٢).

(١) أي: بين الصيام المكتوب علينا، والصيام الذي كُتِبَ على الذين من قبلنا.

(٢) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٥٣) عن الشعبي، وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره»

(١/ ٣٠٥) عن الحسن.

الرَّبِيعِ وَالسُّدِّي: مِنَ الْعَتَمَةِ إِلَى الْعَتَمَةِ؛ لَا يَحِلُّ أَكْلٌ وَلَا شَرْبٌ وَلَا نِكَاحٌ بَعْدَ النَّوْمِ، ثُمَّ نُسِخَ^(١).

﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ الْحَسَنُ وَالشَّعْبِيُّ: هُمُ النَّصَارَى^(٢).

مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ: أَهْلُ الْكِتَابِ^(٣).

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾؛ أَي: لِتَتَّقُوا الْمَعَاصِيَ بِالصِّيَامِ.

السُّدِّي: لِتَتَّقُوا مَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ^(٤).

وَقِيلَ: لِتَدْخُلُوا فِي زَمْرَةِ الْمُتَّقِينَ.

(١٨٤) - ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ

أُخْرٍ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ. وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ نُصِبَتْ بِـ ﴿كُتِبَ﴾^(٥)، وَيَجُوزُ أَنْ تُنْصَبَ بِـ (الصِّيَامِ) إِذَا

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٥٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٥٣ - ١٥٤) عن الشعبي والسدي.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٥٥) عن مجاهد، وروى عن قتادة أنه كان على الناس كلهم.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٥٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٠٥).

(٥) على أنه مفعول به على السعة، وهو مذهب الفراء والأخفش، وقد عدّه أبو حيان خطأ. انظر: «معاني

القرآن» للفراء (١/ ١١٢)، وللأخفش (١/ ١٦٩)، و«غرائب التفسير» (١/ ١٩٧)، و«البحر

المحيط» (٢/ ١٨١)، و«ارتشاف الضرب» له (٣/ ١٤٠١).

جُعِلَتْ ﴿كَمَا﴾ حَالًا، فَإِنْ جُعِلَتْ مُصَدَّرًا فَلَا^(١)، وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَتَعَلَّقَ بِ﴿تَتَّقُونَ﴾؛
أَي: تَتَّقُونَ الْأَكْلَ وَالشُّرْبَ وَالنِّكَاحَ أَيَّامًا^(٢).

وَمَعْنَى ﴿مَعْدُودَاتٍ﴾: قَلَائِلٌ، وَهِيَ ثَلَاثُونَ يَوْمًا أَوْ تِسْعَةٌ وَعِشْرُونَ يَوْمًا.
وَقِيلَ: مَعِينَاتٍ، وَهِيَ شَهْرُ رَمَضَانَ.

﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا﴾؛ أَي: مَرَضًا يُخَافُ مِنَ الصَّوْمِ زِيَادَةً^(٣) الْعَلَّةِ.
﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾؛ أَي: سَفَرٍ يُرْخِصُ لَهُ الْقَصْرُ فِيهِ، وَهُوَ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَمَا فَوْقَهَا.
﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ تَقْدِيرُهُ: فَأَفْطَرَ^(٤)؛ لِأَنَّ^(٥) الْإِفْطَارَ رِخْصَةٌ، وَالصَّوْمُ
أَفْضَلُ.

(١) لِأَنَّكَ إِنْ جَعَلْتَهُ مُصَدَّرًا حِيلَ بَيْنَ الْمَصْدَرِ وَالْمَعْمُولِ بِأَجْنَبِيٍّ، فَلَا يَعْمَلُ فِيهِ، وَإِنْ جَعَلْتَهُ حَالًا لَمْ
يَمْتَنِعْ عَمَلُهُ، وَاتْتِصَابُهُ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ، وَاسْتِجَادَ هَذَا الْوَجْهَ الزَّجَاجِ، وَاخْتَارَهُ الزَّمْخَشَرِيُّ، وَضَعَفَهُ
أَبُو حِيَانَ أَيْضًا، وَذَهَبَ الْعَكْبَرِيُّ وَأَبُو حِيَانَ إِلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ لِفِعْلِ مَحْذُوفٍ؛ أَي: صَوَّمُوا أَيَّامًا،
وَإِلَى هَذَا مَالُ أَكْثَرِ الْمُعَرِّبِينَ. انظُر: «مَعَانِي الْقُرْآنِ» لِلزَّجَاجِ (١/٢٥٢)، وَ«غَرَائِبُ التَّفْسِيرِ»
(١/١٩٧)، وَ«الْكَشَافُ» لِلزَّمْخَشَرِيِّ (١/٢٢٥)، وَ«التَّبْيَانُ» لِلْعَكْبَرِيِّ (١/١٤٩)، وَ«الْبَحْرُ
الْمَحِيْطُ» (٢/١٨١).

(٢) لَمْ أَقِفْ عَلَى أَحَدٍ ذَكَرَ هَذَا الْوَجْهَ مِمَّنْ تَقَدَّمَ عَلَى الْمُصَنِّفِ، وَقَدْ أَهْمَلَهُ الْمُعَرِّبُونَ بَعْدَهُ، وَهُوَ وَجْهٌ
وَجِيهٌ عِنْدَ التَّمَثُّلِ، وَإِنَّمَا يُوْهَمُ ضَعْفُهُ أَنَّ التَّقْوَى لَا يَنْبَغِي أَنْ تَتَّقِيَ بِظَرْفٍ أَوْ أَيَّامٍ، لَكِنَّ الْمُصَنِّفَ
تَنَبَّهَ إِلَى هَذَا، وَبَيَّنَّ أَنَّ هَذَا الْوَجْهَ عَلَى مَعْنَى اتِّقَاءِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، لَا عَلَى مَعْنَى التَّقْوَى الْمَعْهُودِ.
انظُر: «إِعْرَابُ الْقُرْآنِ» لِلنَّحَّاسِ (١/٩٤)، وَ«الْحِجَّةُ» لِأَبِي عَلِيٍّ (١/٢٢)، وَ«التَّبْيَانُ» لِلْعَكْبَرِيِّ
(١/١٤٩)، وَ«الدَّرُ الْمَصُونُ» لِلْسَّمِينِ الْحَلْبِيِّ (٢/٢٦٩).

(٣) «زِيَادَةٌ» مِنْ (ن).

(٤) وَهَذَا مِنْ بَابِ الْاِكْتِفَاءِ بِالْمُسَبَّبِ مِنَ السَّبَبِ، كَمَا يَسْمِيهِ ابْنُ جَنِيٍّ. انظُر: «الْخِصَائِصُ» (٣/١٧٦ - ١٧٧).

(٥) فِي (و): «فَأَنَّ».

﴿فَعِدَّةٌ﴾؛ أي: فعلية عدّة بعدد ما أفطرَ فيها؛ إن شاء تابع، وإن شاء فرّق.
 ﴿مِنْ آيَاتٍ أُخْرَ﴾ سوى مرضه وسفره. و(أخر): لا ينصرفُ للوصفِ والعدلِ عن
 الألفِ واللام^(١).

﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ أي: يكون لهم به طاقة، وهي القوّة، والهَاءُ تعودُ إلى
 الصَّومِ.

ابن عباس^(٢) والشَّعْبِيُّ: هذا في جميع النَّاسِ؛ لأنَّ أوَّلَ ما وجبَ وجبَ بصفة
 الخيارِ ولزومِ الفداء، ثمَّ نُسِخَ بما يليه^(٣).

الحسن وعطاء: أراد الحاملَ والمرضعَ والشَّيخَ الكبيرَ، فنُسِخَ الحاملُ
 والمرضعُ، وبقِيَ الشَّيخَ الكبيرَ^(٤).

السُّدِّيُّ: وعلى الذين كانوا يطيقونه، فعجزوا عنه^(٥).

وقيل: وعلى الذين لا يطيقونه، فأضمرَ (لا)^(٦).

(١) انظر: «شرح الكافية» للرضي (١١٦/١)، و«شرح شذور الذهب» لابن هشام (ص: ٥٨٩).

(٢) في (و): «عيسى».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٠٧) عن ابن عباس
 رضي الله عنهما، ورواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٦٧) عن الشعبي.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٦٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، و(٣/ ١٧٧) عن عطاء،
 ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٠٨) عن الحسن وقتادة.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٦٩).

(٦) وهذا على قراءة تُسبِت لابن عباس ومجاهد وعكرمة؛ أنهم كانوا يقرؤون (يطوِّقونه). انظر: «تفسير

عبد الرزاق» (١/ ٣٠٩)، و«المحلِّي» لابن حزم (٤/ ٤١٣).

﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾: هي مُدٌّ من طعام^(١) لكلِّ يومٍ، يتصدَّقُ به على مسكينٍ.
و﴿طَعَامٌ﴾ بدلٌ من الفدية، ومن أضافَ جعله كقولهم: غرامةٌ درهمٍ، ومن جمع (المساكين) فليجمع ﴿الَّذِينَ﴾^(٢).

وقيل: الهاءُ في ﴿يُطِيقُونَهُ﴾ تعود إلى الفداء، وفيه بُعدٌ.

﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾؛ أي: فمن تطوَّعَ، فأطعمَ أكثرَ^(٣) من مسكينٍ واحدٍ؛ أي: زاد على ما يلزمه، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾؛ أي: أنفع له؛ لأنه أعظم لثوابه.

﴿وَأَنْ تَصُومُوا﴾ في المرض والسفر أفضل لأجرِكُم وأعظم لثوابِكُم.

وقيل: هذا يرجعُ إلى أوَّل الآية؛ أي: كتب عليكم الصيام وأن تصوموا ﴿خَيْرٌ

لَكُمْ﴾.

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: مميزين، وقيل: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنَّ المشقة فيه أكثر.

(١٨٥) - ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ

الهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

(١) «طعام»: ليس في (و).

(٢) قرأ نافع وابن عامر: ﴿فدية طعام مساكين﴾ بالإضافة والجمع، وقرأ الباقون بالتثنية والإفراد.

انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٧٦).

(٣) «أكثر»: ليس في (و).

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ أي: تلك الأيام شهر رمضان^(١).

ويجوز أن يكون بدلاً من الصَّوم، وتقديره: كُتِبَ عليكم شهر رمضان؛ أي: صيامه^(٢).

ويجوز أن يكون مبتدأ، وخبره: ﴿الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾.

(و) (رمضان) مشتق من (الرَّمَض)، وهو شدة وَقَعِ الشَّمْسُ على الرَّمْلِ وغيره؛ لأنَّهُمْ سَمَّوْا الشُّهُورَ بِالْأَزْمَةِ التي فيها، فوافقَ رمضانُ أَيَّامَ رَمَضِ الحَرِّ، ويُجمَعُ على (رمضانات).

وذكر الثعلبيُّ أنه اسمٌ من أسماء الله تعالى، قال: ورُوي عن أنسٍ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقولوا: رمضان، انسبوه كما نسبه الله في القرآنِ فقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾»^(٣).

(١) فهو خبر لمبتدأ محذوف.

(٢) أي: كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤ / ٤٤١)، والحديث رواه الثعلبي عن أنس رضي الله عنه، وقد رُوي نحوه عن أبي هريرة وابن عمر وعائشة رضي الله عنهم، لكن لا يُفْرَحُ بهذه الروايات؛ فكلها ضعيفة؛ فقد رواه ابن عدي في «الكامل» (٨ / ٣١٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤ / ٧٩٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ورواه تمام في «فوائده» (٢٤١)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ورواه ابن النجار كما في «اللائل المصنوعة» للسيوطي (٢ / ٩٨) عن عائشة رضي الله عنها. وقد قال الإمام النووي في «المجموع» (٦ / ٢٤٧): «ويقال: رمضان وشهر رمضان، هذا هو الصحيح الذي ذهب إليه البخاري والمحققون... وقولهم: إنه من أسماء الله تعالى ليس بصحيح، ولم يصح فيه شيء، وأسماء الله تعالى توقيفية، لا تُطلق إلا بدليل صحيح، ولو ثبت أنه اسم لم يلزم منه كراهة، وقد ثبتت أحاديث كثيرة في «الصحيحين» في تسميته (رمضان) من غير (شهر) في كلام رسول الله ﷺ».

﴿الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ أي: ابتدئ إنزال القرآن في شهر رمضان.
ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن: أنزل كله في ليلة القدر إلى السماء الدنيا،
ثم أنزل على النبي ﷺ نجومًا^(١).

وقيل: كان ينزل كل^(٢) ليلة قدر ما يحتاج إليه إلى مثلها من القابل.
وقيل: قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ بُرُكٍّ﴾ [الدخان: ٣] يراد بها ليلة القدر، كقوله:
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، وليلة القدر في شهر رمضان؛ لقوله: ﴿شَهْرُ
رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾.

القفال: ﴿أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾؛ أي: في إيجابه وإلزام صومه^(٣).
وقيل: في شأنه ومنزلته، كما تقول: نزل في عليّ سورة ﴿هَلْ أَتَى﴾^(٤).

﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ في أصول إيمانهم.

﴿وَيَبِّئْتِ﴾: شرائع ﴿مَنْ أَلْهَدَى﴾: الحلال والحرام.

﴿وَالْفُرْقَانِ﴾؛ أي: بين الحق والباطل.

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٧٩٣٥)، والطبري في «تفسيره» (٣ / ١٩٠)، والحاكم في «المستدرک» (٢٨٧٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه سعيد بن منصور في «سننه - التفسير» (٧٩)، والدولابي في «الكنى والأسماء» (٦٤٣) عن سعيد بن جبير، وانظر قول الحسن في «تفسير الثعلبي» (١٢ / ١٩٠).

(٢) «كل» من (ن).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ١٩٨) واستغربه، وذكره أبو العباس البسيلي في «التقييد الكبير» (ص: ٤٤٤)، وعده تكلفاً لا داعي له.

(٤) روى ذلك الثعلبي في «تفسيره» (٢٨ / ٢٢٤ - ٢٢٧) في حديث طويل لا يصح، وانظر: «تفسير

السمعاني» (٦ / ١١٦)، و«مفتاح الغيب» للرازي (١٢ / ٣٨٦).

﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ﴾ أدركه وحضر وهو من أهل الخطاب.
 ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ حتماً، ونسخ الخيار، والهاء تعودُ إلى الشهر، وجعله مفعولاً به^(١).
 وقيل: فليصم فيه، فحذف الجار^(٢).
 ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ ثم أعاد ذكر المريض
 والمسافر ليُعلم أنَّهما على ما كانا عليه من الخيار المذكور في الآية الأولى.
 وقيل: إنما أعاد لأن الآية الأولى نزلت على أن المريض والمسافر بالخيار
 بين^(٣) الصوم والفداء، وفي هذه الآية مخير بين الصوم والإفطار والقضاء.
 ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ حيث رخص للمريض والمسافر في الإفطار.
 ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ تأكيد للأول.
 وقيل: ﴿الْيُسْرَ﴾: الخير والصلاح كـ(اليسرى)، و﴿الْعُسْرَ﴾: الشدة والشَّرُّ
 كـ(العسرى).

﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ لتتموا العدة في قضاء ما أفطرتم، ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ
 عَلَى مَا هَدَيْتَكُمْ﴾ شكراً على ما رخص لكم وأرشدكم إليه.

(١) وهو ما يُعرف بالمفعول على السعة. انظر: «الكامل» للمبرد (١/٣٣)، و«غرائب التفسير»
 (١/١٩٧)، و«الكشاف» للزمخشري (١/٢٢٥)، و«التبيان» للعكبري (١/١٥٢)، و«اللباب» له
 أيضاً (١/٢٧٤)، و«المقاصد الشافية» للشاطبي (٣/١٢٧).

(٢) فانصب انتصاب المفعول، وهو ما يُسمى النصب بنزع الخافض، وهو منبني على أن كلمة (الشهر)
 في قوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ﴾ مفعول فيه أيضاً، وهذا هو الوجه الذي كان أبو علي الفارسي يراه،
 واعتمده المصنّف والزمخشري. انظر: «الحجة» لأبي علي (١/٣٤)، و«الخصائص» لابن جني
 (٢/٣٧٥)، و«غرائب التفسير» (١/١٩٨)، و«الكشاف» للزمخشري (١/٢٢٨).

(٣) في (و): «في».

وقيل: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ عددَ أَيامِ الشَّهر؛ لقوله: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾،
 ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَنَكُمْ﴾؛ يعني: ليلة العيدِ وِغداًته.
 ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾؛ أي: تشكرونَ على ما هداكم إليه.
 وقيل: على الرُّخصة.

ودخل الواو عطفًا على المعنى؛ أي: رخصَ ليسهلَ لكم ولتكملوا.
 وقيل: الواو لعطفِ جملةٍ على جملةٍ، والتقدير: ولتكملوا العِدَّةَ ولتكبِّروا الله.
 ﴿عَلَى مَا هَدَنَكُمْ﴾: فرضَ عليكم، أو^(١) رخصَ لكم.

(١٨٦) - ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ
 فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.
 ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ الضَّحَّاك: قال: سألَ رجلٌ رسولَ الله ﷺ فقال:
 أقرِيبٌ ربُّنا فنُناجيه أم بعيدٌ فنُناديه؟ فأنزلَ اللهُ هذه الآية^(٢).
 وعن الكلبيِّ عن أبي صالح: نزلت في اليهودِ حين قالوا: يا رسولَ اللهِ، كيف
 يكونُ ربُّنا قريبًا يُجيبُ دعاءنا كما زعمتَ، وأنت تخبرنا أن بيننا وبينه سبعَ سماواتٍ،
 بينَ كلِّ سماءٍ وسماءٍ مسيرةٌ خمسُمئةَ عامٍ^(٣)؟

(١) في (و): «أي».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٥١٢) عن الضحَّاك. ورواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٢٣)، وابن
 أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣١٤)، والدارقطني في «المؤتلف والمختلف» (٣/ ١٤٣٥)، وأبو
 الشيخ في «العظمة» (٣/ ٥٣٥)، عن الصلب بن حكيم عن أبيه عن جده. وانظر: حاشية الشيخ
 أحمد شاكر على «تفسير الطبري» (٣/ ٤٨٠).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٥١١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ١٤٥).

مجاهد: لما نزلت: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] قيل: إلى أين ندعوه؟ فنزلت هذه الآية^(١).

الحسن: سألت الصحابة: أين ربنا؟ فأنزل الله هذه^(٢) الآية^(٣).

قوله: ﴿عِبَادِي﴾ الضحاك: المؤمنون، الكلبي: اليهود، مجاهد والحسن: الصحابة^(٤)، والأحسن أن يجعل عاماً^(٥).

﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ معناه: لا يخفى عليّ شيء من أقوالهم وأفعالهم^(٦) وظواهرهم وبيواطنهم.

وقيل: بالرحمة والثواب من قوله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

وليس المراد من القرب قرب المكان، تعالى الله عنه؛ لأن العباد في أمكنة متباعدة، فيوجب قربهم من واحد بعده من آخر، ويوجب الأجزاء^(٧) وكثرتها، والله سبحانه منزّه عن هذا^(٨).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٢٥)، وفيه: «فنزلت: ﴿فَأَيُّنَا تُولُوا فَمَنْ وَجَّهَ اللَّهُ إِلَيْكَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْكُمْ﴾»، وانظر: «النكت والعيون» للماوردي (١/ ٢٤٢).

(٢) في (ن): «فنزلت هذه».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٦)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٢٣).

(٤) سلف تخريج هذه الأقوال في سبب نزول الآية.

(٥) يلاحظ أن المصنّف نقل أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين، ولكنه رأى فيها تخصيصاً لعموم اللفظ القرآني، فحاد عن هذه الأقوال، واستحسن التمسك بعموم النص، وهذا منهج متبع عنده.

(٦) «وأفعالهم»: ليست في (و).

(٧) في (ن): «ويوجب كونه من الأجزاء».

(٨) ما جاء في الكتاب والسنة من قربهم ومعيتهم فإنه ينبغي تنزيهه سبحانه وتعالى عن مشابهة المخلوقين؛ =

﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾: أَسْتَجِيبُ لَكُمْ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿أَدْعُوْنِي أَسْتَجِيبْ لَكُمْ﴾^(١)، وَذَلِكَ إِذَا دَعَاهُ وَقَالَ: إِنْ كَانَ لِي الْخَيْرُ فِيمَا سَأَلْتُكَ.

وَقِيلَ: ﴿أَجِيبْ﴾ إِنْ شِئْتَ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾ [الأنعام: ٤١].

وَقِيلَ: مَعْنَى ﴿أَجِيبْ﴾: أَسْتَقْبَلُ ﴿دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾: عِبَادَةُ الْعَابِدِ، مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الدَّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»^(٢).

وَقِيلَ: ﴿أَجِيبْ﴾: أَسْمَعُ، كَمَا تَقُولُ: أَسْمَعُ بِمَعْنَى: أَجِيبُ، مِنْ قَوْلِهِمْ: (سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ)؛ أَي: أَجَابَ.

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلِيُؤْمِنُوا بِي﴾ إِذَا دَعَوْتُمْ إِلَى طَاعَتِي، وَقِيلَ: دَوْمُوا عَلَيْهَا. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾: لِيَرْشُدُوا وَيَدْخُلُوا جَنَّتِي.

(١٨٧) - ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَشِّرْهُنَّ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْآيِلِ وَلَا تُبَشِّرْهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدَاتِ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

= فَإِنَّهُ سَبَّحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ.

(١) «مِنْ قَوْلِهِ أَدْعُوْنِي أَسْتَجِيبُ لَكُمْ»: لَيْسَ فِي (و).

(٢) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (١٤٧٩)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٩٦٩)، وَابْنُ مَاجَةَ (٣٨٢٨)، مِنْ حَدِيثِ النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

﴿أَجَلَ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ﴾ البراء بن عازب قال: كان المسلمون إذا أفطروا يأكلون ويشربون ويمسئون النساء ما لم يناموا، فإذا ناموا لم يفعلوا شيئاً من ذلك إلى مثلها، وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً، فأتى أهله عند الإفطار، فانطلقت امرأته تطلب شيئاً، فغلبته عينه فنام، فلما انتصف النهار من غدٍ غشي عليه^(١).

قال: وأتى عمرُ امرأته وقد نامت، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فنزل: ﴿أَجَلَ لَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾، وفرح المسلمون بذلك، فصارت الآية ناسخةً لآية^(٢): ﴿كَمَا كُتِبَ﴾ على الوجه الذي سبق^(٣).

﴿لَيْلَةَ الصِّيَامِ﴾: هي كل ليلة يصبح الرجل في غداها صائماً.

﴿الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ يعني: الإفشاء إليهن بالجماع وغيره، والرَّفَثُ: الجماع، والرَّفَثُ أيضاً: ذَكَرُ الجماع والتَّعْرِضُ به، وقيل: الأصل فيه فُحْشُ القول.

﴿هُنَّ لِبَاسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسُ لَهُنَّ﴾ نزلهن منزلة اللباس لما بين الزوجين من

الاستمتاع والتضام، قال الشاعر:

(١) رواه البخاري (١٩١٥).

(٢) في (و): «لذلك».

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ من حديث البراء رضي الله عنه، وقد رواه البخاري (٤٥٠٨) بغير تسمية لعمر رضي الله عنه، ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٢١٢٤)، والحاكم في «المستدرک» (٣٠٨٥) عن ابن أبي ليلى عن معاذ، وصححه، ووافقه الذهبي. ورواه أبو داود (٥٠٦)، من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى رحمه الله ضمن حديث الأذان. ورواه الإمام أحمد في «المسند» (١٥٧٩٥) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه.

إِذَا مَا الضَّجِيعُ تُنَى جِيدَهَا^(١) تَنَّتْ^(٢) فَكَانَتْ عَلَيْهِ لِيَاسًا^(٣)
﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾: تخونونها بالمعاصي، والخيانة:
انتقاص الحق على جهة المساترة.

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: فحفف عنكم، ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ ما كان منكم من^(٤) قبل.
﴿فَأَلْفَنَّا بَشِيرُوهُنَّ﴾: جامعوهن في ليالي الصَّوم، والمباشرة: إصااق البشرة
بالبشرة.

﴿وَأَبْتَغُوا﴾: واطلبوا ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ الحسن: الولد^(٥).
قتادة: الحلال الذي في الكتاب - وهو القرآن - من تحليل النساء ليلة الصيام^(٦).
وعن ابن عباس: ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: ليلة القدر^(٧).
وقيل: معنى: ﴿وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ معنى قوله: ﴿فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ
اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. وقيل: معناه: ﴿وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ من الأزواج وملك
اليمين؛ أي: لا تبتغوا غيرهن.
﴿وَكُلُوا وَأَشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ﴾: يظهر لكم.

(١) في (ن): «عطفها».

(٢) في (ن): «تداعت»، وكلاهما رواية في البيت.

(٣) البيت للناطقة الجعدي. انظر: «ديوانه» (ص: ٨١)، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة (١/ ٢٨٧)،
و«تفسير الطبري» (٣/ ٢٣١).

(٤) «من»: ليس في (ن).

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٨)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٤٥).

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٩)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٤٧).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣١٧).

﴿الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ﴾ يعني: الفجر الثاني.

﴿مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾؛ أي: مما كان في مكانه من الظلام.

الزَّجَّاج: هما فجران؛ أحدهما: يبدو أسود معترضاً، وهو الخيط الأسود، والثاني: الأبيض الذي يطلعُ ساطعاً يملأ الأفق^(١).

وقيل: النهار من الليل، وجعل ذلك خيطاً؛ لأنه أوَّل ما يظهرُ يكونُ دقيقاً كالخيط، ثم ينتشرُ في الأفق.

قوله: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ بيانُ أنَّ الخيطين من الفجر، لا من غيرهما.

وعن سهل بن سعد: أنه نزل ﴿الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ ولم ينزل: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾، فكان رجالٌ إذا أرادوا الصَّومَ ربطَ أحدهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود، فلا يزالُ يأكل ويشرب حتى يتبينَ له رئيُّهما، فأنزل الله: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾^(٢).

وعن عدي^(٣) بن حاتمٍ قال: قلتُ للنبيِّ ﷺ وضعتُ تحت رأسي خيطاً، فلم يتبينَ لي شيءٌ، فقال لي: «إِنَّكَ إِذَا لَعْرِضُ الْوَسَادِ، إِنَّمَا ذَلِكَ النَّهَارُ مِنَ اللَّيْلِ»^(٤).

﴿تُمْرَأَتُمَا الصَّيَامِ إِلَى الْبَيْتِ﴾؛ أي: ولا رخصةَ لكم في شيءٍ آخر، والإتمامُ يصلحُ لا ابتداءً الأمر، ويصلحُ لما بعد الدخول^(٥).

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٥٧).

(٢) رواه البخاري (١٩١٧)، ومسلم (١٠٩١).

(٣) في (و): «علي».

(٤) رواه البخاري (٤٥١٠)، ومسلم (١٠٩٠).

(٥) في (و): «بعد الأمر».

﴿وَلَا تَبْسُرُوهُنَّ﴾ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ ﴿١﴾: لا تجمعو النساء^(١) في ليالي الصوم وأنتم عاكفون في المساجد؛ فإن الجماع يفسد الاعتكاف.

والاعتكاف: لزوم عبادة الله في مسجد^(٢) تقام فيه الجماعة مع الصوم.

﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى ما تقدم من الأحكام.

﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ جمع حد، وهو اسم لكل ما أمر الله به أو نهى عنه، مشتق من (الحد)، وهو المنع.

﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾؛ أي: لا تقربوا المنهيات منها بفعلها، وقيل: لا تقربوها بالمخالفة والتغيير.

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ﴾؛ أي: يبين ما يتعبد به الخلق^(٣) تبييناً مثل هذا.

﴿ءَايَاتِهِ﴾: أحكامه وشرائعه.

﴿لِلنَّاسِ﴾: للخلق.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: لكي يتقوا المحارم والمحظورات.

(١٨٨) - ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا

مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ مقاتل بن حيان: نزلت في امرئ القيس بن

(١) في (و): «تجمعوهن».

(٢) في (و): «موضع».

(٣) في (و): «الحق منه».

عابس الكندي وعبدان بن أشوع، اختصما إلى رسول الله ﷺ في أرض، وكان امرؤ القيس المطلوب وعبدان الطالب، فأنزل الله هذه الآية، فحكّمه عبدان في أرضه ولم يخاصمه^(١).

قوله: ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ أي: بغير الحق، وبغير الوجه الذي أباحه الله؛ أي: بسبب باطل يتعلّقون به.

﴿وَتُدَلُّوا بِهَا﴾ الزّجاج: بالحجّة^(٢).

غيره: بالأموال.

﴿إِلَى الْحُكَّامِ﴾؛ أي: ترفعوا أمرها إلى القضاة، فتختصموا فيها عندهم.

والإدلاء: من (إدلاء الدلو)، وهو إلقاؤها في البئر يستسقى بها.

وقيل: هو إذا ائتمنكم ربُّ الحق، ولا تكون له بينة، وأنكرتم^(٣) وحلفتم عند الحاكم^(٤).

وقيل: لا تدلوا بها إلى الحكّام؛ أي: لا ترشوا بها إلى الحاكم.

وقيل: هو أن تأكل مال أخيك بشهادة الزور، وتدلوا بها إلى الحكّام، فتقيموا بينة غير عادلة، فيحكم القاضي بالظاهر، وحكم القاضي في باب الأموال لا يحل حراماً، ولا يحرم حلالاً.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥ / ٧) عن مقاتل بن حيان وابن السائب، وذكره مقاتل بن سليمان في

«تفسيره» (٢ / ٤٨٦)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ٣٢١) عن سعيد بن جبير أيضاً.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١ / ٢٥٨).

(٣) في (و): «فإن أنكرتم».

(٤) «عند الحاكم»: ليس في (ن).

﴿وَتَدْلُوا﴾ يجوزُ أن تكونَ جزءًا، ويجوزُ أن تكونَ نصبًا^(١).

﴿لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا﴾: طائفةٌ ﴿مِنَ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ﴾: بالحرام، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

أنَّكم مُبْطِلُونَ.

(١٨٩) - ﴿سَأَلْنَاكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجُّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ

تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿سَأَلْنَاكَ عَنِ الْأَهْلَةِ﴾ سأل معاذُ بنَ جبلٍ وثعلبةُ بنَ غنمةَ الأنصاريين^(٢) قالوا:

يا رسولَ الله، إن اليهودَ تغشانا ويكثرونَ مسألتنا عن الأهلَّة، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ^(٣).

والمعنى: يسألونكَ عن الحكمةِ في زيادةِ الهلالِ ونقصانِ القمرِ.

والأهلَّة: جمع هلالٍ، والهلالُ: الطالعُ في أوَّلِ كلِّ شهرٍ، ثم^(٤) يزيدُ نورُهُ حتى

يصيرَ قمرًا^(٥)، مشتقٌّ من (الإهلال)؛ وهو رفعُ الصَّوتِ عند رؤيته.

﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ في محلِّ ديونهم، وعدةِ نسائهم، وحملِ حواملهم،

وأجرةِ أجراءهم.

(١) وجه الجزم العطف على الفعل المجزوم (لا تأكلوا)، ووجه النصب أن الواو في (وتدلوا) للمعية،

وإشكال هذا الوجه من جهة المعنى ظاهر. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١ / ٩٨).

(٢) «الأنصاريين»: ليس في (و).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧ / ٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٥٣).

(٤) في (و): «ثم يزيد».

(٥) واسم القمر: الزيرقان، واسم دارته: الهالمة، واسم ضوءه: الفخت، واسم ظله: السمير. انظر: «غرائب

التفسير» (١ / ٢٠٢).

وَجُمِعَ لِتَجَدُّدِهِ فِي (١) كُلِّ شَهْرٍ.

والمِيقَاتُ: مُتَهَيِّ الوَقْتِ.

﴿وَالْحَجَّ﴾: القَصْدُ إِلَى البَيْتِ بِالعَمَلِ المَشْرُوعِ.

﴿وَلَيْسَ الْبُرْيَانُ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ قال المفسِّرون: كان النَّاسُ فِي الجاهليَّةِ وفي أوَّلِ الإسلامِ إذا أَحْرَمَ واحدٌ منهم بالحجِّ أو العمرة، لم يدخل حائطاً ولا بيتاً ولا داراً من بابه، فإن كان من أهل المَدَرِ نَقَبَ نَقَباً فِي ظَهْرِ بَيْتِهِ؛ منه يدخلُ ويخرج، أو يتخذُ سُلَمًا فيصعدُ فِيهِ، وإن كان من أهلِ الوَبْرِ خرجَ من (٢) خَلْفِ الخِيمةِ والفُسْطاطِ، ولا يدخلُ من البابِ ولا يخرجُ منه حتَّى يحلَّ من إحرامِهِ، ويرون ذلك بَرًّا، إِلَّا أن يَكُونَ مِنَ الحُمْسِ؛ وهم قريشٌ وكِنَانَةٌ وخُزَاعَةٌ وثَقِيفٌ وجُشَمٌ وبنو عامرِ بنِ صَعْصَعَةَ وبنو نَضْرِ بنِ معاويةَ، سَمُّوا حُمْسًا؛ لِتَشَدُّدِهِمْ فِي دينِهِمْ.

قالوا: فدخل رسول الله ﷺ ذاتَ يوم بيتاً لبعض الأنصار، فدخل رجلٌ من الأنصار على أثرِهِ من البابِ وهو محرِّمٌ، فأنكروا عليه، فقال له رسول الله ﷺ: «لِمَ دَخَلْتَ مِنَ البَابِ وَأَنْتَ مُحْرِمٌ؟» قال: رأيتُكَ دَخَلْتَ فدخلتُ على أَثْرِكَ، فقال رسول الله ﷺ: «إِنِّي أَحْمَسُ (٣)» قال الرَّجُلُ: إِنْ كُنْتَ أَحْمَسَ فَأَنَا أَحْمَسُ (٤)، ديننا واحدٌ، رضيتُ بهديكَ وَسَميتُكَ ودينُكَ، فأنزل اللهُ هذه الآيةَ (٥).

(١) فِي (ن): «مع».

(٢) «من»: ليس فِي (ن).

(٣) فِي (و): «أحمسي».

(٤) فِي (و): «أحمسيًا فأنا أحمسي».

(٥) رواه الطبري فِي «تفسيره» (٣/ ٢٨٨) عن الربيع، وانظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ١٦٧)،

و«تفسير عبد الرزاق» (١/ ٣١٣)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ١١٦)، و«البيسط» للواحدى =

جابرٌ: كان الرجلُ قطبةَ بنِ عامرِ الأنصاري^(١).

﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى﴾ محارمَ الله.

﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾: جمعُ بابٍ، وهو الممرُّ الذي يُدخَلُ منه على

العادات الجارية.

وقيل: إنَّما هو مثلُ ضربِهِ اللهُ؛ أي: اتتوا البرَّ من وجهه.

وقيل: إنَّ قريشًا وأحيانًا معها من العرب كانوا إذا خرَجَ واحدٌ منهم إلى سفرٍ بحاجةٍ، ثم رجع قبل أن يبلغها لم يدخل من باب بيته إلى الحولِ من يوم رجع، ولكن يدخل من ظهره أو ينقب نقبًا، وكانوا يفعلون ذلك طيرةً، فنهاهم اللهُ، وقال سبحانه: ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾^(٢).

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما أمركم به ونهاكم عنه.

﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾؛ أي: لتفوزوا بالنعيم والثوابِ الجزيل.

(١٩٠) - ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

الْمُعْتَدِينَ﴾.

= (٣/ ٦١٨)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/ ٤٥٧).

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» (١٧٧٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٥٤)، قال ابن حجر في «فتح الباري» (٣/ ٦٢١): «أخرجه ابن خزيمة والحاكم... وهذا الإسناد وإن كان على شرط مسلم لكن اختلف في وصله على الأعمش عن أبي سفيان؛ فرواه عبدُ بن حميد عنه، فلم يذكر جابرًا».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٠٣)، واستغربه.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ الكلبِيُّ عن أبي صالحٍ عن ابن عباسٍ: نزلت هذه الآية في صلحِ الحُدَيْبِيَّةِ، وذلك أنَّ رسولَ الله ﷺ لَمَّا صُدَّ عن البيتِ هو وأصحابُه نَحروا الهديَ بالحُدَيْبِيَّةِ، ثم صلحَه المشركون على أن يرجعَ عامَه القابلَ على أن يُخلوا له مكَّةَ ثلاثةَ أَيَّامٍ؛ فيطوفَ بالبيتِ ويفعلَ ما يشاء، فصالَحهم رسولُ الله ﷺ، فلمَّا كان العامُ المقبلُ تَجَهَّزَ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه لعمرةِ القضاء، وخافوا أن لا تفيَ لهم قريشٌ بذلك، وأن يصدُّوهم عن المسجدِ الحرامِ ويقاتلوهم، وكرهَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ قتالهم في الشَّهرِ الحرامِ في الحَرَمِ، فأنزَلَ اللهُ: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾؛ يعني: قريشاً^(١).

الحسن والرَّبيع وابن زيد: هي منسوخةٌ، نسختها: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]^(٢).
ابن عباسٍ: هي محكمةٌ^(٣).

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؛ أي: تقرباً إلى الله، وطلباً لمرضاته.

﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ فتقاتلوا على غير دينِ الله.

وقيل: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ فتقاتلوا من لا يقاتلكم.

وقيل: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ فتركوا القتالَ.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾: المتجاوزين، والاعتداء: تجاوزُ الصَّلاحِ

إلى الفساد.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥ / ٣٤)، والواحدي في «البيسط» (٣ / ٦٢٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣ / ٢٨٩ - ٢٩٠) عن الربيع وابن زيد، وذكره الثعلبي في «تفسيره»

(٥ / ٧) عن الحسن.

(٣) هذا معنى ما رواه الطبري في «تفسيره» (٣ / ٢٩١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١ / ٣٢٥).

(١٩١) - ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَفِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا

تُقْتَلُوا عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُوا فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكٰفِرِينَ﴾.

﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَفِفْتُمُوهُمْ﴾: ظفرتم بهم.

﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ﴾؛ يعني: مكة، وعدهم الله فتح مكة بهذه الآية، فأنجز

وعده.

وقيل: ﴿مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ﴾؛ أي: لسبب إخراجهم إياكم.

﴿وَالْفِتْنَةُ﴾: الكفر، وقيل: الفتنة هاهنا^(١): تعذيبهم نفرًا من المؤمنين بمكة

للارتداد.

﴿أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ في الحرم.

﴿وَلَا تُقْتَلُوا عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُوا فِيهِ﴾؛ أي: لا تبدو وهم يقتل أو قتال في

الحرم.

﴿فَإِنْ قَتَلْتُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكٰفِرِينَ﴾ من قرأ بالألف فوجهه ظاهر، ومن قرأ

بغير الألف أراد حتى يقتلوا بعضكم^(٢).

(١٩٢ - ١٩٣) - ﴿فَإِنْ أَنهَؤُافِإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١١٣) ﴿وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ لِلدِّينِ

لِلَّهِ فَإِنْ أَنهَؤُافِإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

(١) في (و): «والفتنة أشدها هنا».

(٢) قرأ حمزة والكسائي «ولا تقتلواهم»، «حتى يقتلواهم»، «فإن قتلواهم» بغير ألف، والباقون

بالألف. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٧٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠).

﴿فَإِنْ أَنْهَوْا﴾ عن كفرهم، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؛ أي: لهم.

﴿وَقَبَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾؛ أي: كفر.

﴿وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ﴾ فلا يُعَبَّدُ معه غيره، قيل: أراد به أهل مكة خاصة، وقال في

الأنفال: ﴿الَّذِينَ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]؛ لأنه أمر فيها بقتال الكفار كافة^(١).

﴿فَإِنْ أَنْهَوْا﴾ عن الكفر، ﴿فَلَا عُدْوَانَ﴾؛ أي: جزاء العدوان، وسمّاه (عدواناً)

على الازدواج، كما سبق^(٢).

﴿إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾: الكافرين.

وقيل: هذه ناسخة للأولى مرخصة للقتال في الحرم.

وقيل: بل هي مُحْكَمَةٌ كما كانت.

(١٩٤) - ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ

مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ قال قتادة: أقبل نبي الله عليه السلام وأصحابه في ذي

القعدة، حتى إذا كانوا بالحُدَيْبِيَّةِ صدَّهم المشركون، فلما كان العام المقبل دخلوا

مكة، فاعتَمَرُوا في ذي القعدة، ونَحَرُوا الهدي بمنى، وأقاموا بها ثلاثة أيام^(٣)، وكان

(١) لم أقف على مَنْ ذكر هذا قبل المصنف، وقد ذكره في «غرائب التفسير» (١/ ٢٠٤)، و«البرهان»

(ص: ٨٤).

(٢) في قوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾، وقد سمَّاه هناك مزوجة، وانظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة

(ص: ١٧١)، و«الحجة» لأبي علي الفارسي (١/ ٣١٥-٣١٦)، و«غرائب التفسير» (١/ ٢٠٤).

(٣) في (ن): «ثلاث ليال».

المشركون قد فخرُوا عليه حين رُدُّوه يوم الحُدَيْبِيَّةِ، فأَقَصَّهُ اللهُ منهم، وأنزل: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ﴾ الآية^(١)؛ أي: الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ عَلَى جِهَةِ التَّعْوِضِ لِمَا فَاتَ فِي السَّنَةِ الْأُولَى.

وقيل: قَتَلَ الشَّهْرِ الْحَرَامِ^(٢) بِقِتَالِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ، فَ﴿الشَّهْرُ﴾ مَبْتَدَأٌ، وَ﴿بِالشَّهْرِ﴾ خَبْرُهُ.

والمعنى: للمسلمين أن ينتهكوا حُرْمَةَ الشَّهْرِ الْحَرَامِ بِسَبَبِ انْتِهَاكِ الْكَافِرِينَ لَهَا أَوَّلًا.

﴿وَالْحُرْمَتُ قِصَاصٌ﴾؛ أي: وتركُ الحُرْمَاتِ قِصَاصٌ؛ أي: تُرْفَضُ الحُرْمَةُ بِرَفْضِ الْكُفَّارِ لَهَا؛ لِأَنَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يُغَيِّرُوا [على]^(٣) النَّبِيَّ ﷺ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، فَيُقَاتِلُوهُ^(٤).

وَالْأَشْهُرُ الْحُرْمُ أَرْبَعَةٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمَحْرَمُ، وَرَجَبٌ.

وَالْمَرَادُ بِهِ هَاهُنَا: ذُو الْقَعْدَةِ، وَسَمِّيَ «ذُو الْقَعْدَةِ» لِتَعْوِذِهِمْ فِيهِ عَنِ الْقِتَالِ^(٥).

وَجَمَعَ (الْحُرْمَاتِ) لِأَنَّهَا حُرْمَةُ الشَّهْرِ، وَحُرْمَةُ الْبَلَدِ، وَحُرْمَةُ الْإِحْرَامِ.

وقيل: لعمومها في جميع الحرمات.

﴿فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ بِقِتَالٍ أَوْ قِتَالٍ.

﴿فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: قابلوهم بمثله صورةً ومقدارًا.

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٠)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٣٠٦).

(٢) «الحرام»: ليس في (و).

(٣) زيادة يقتضيهما السياق.

(٤) في (و): «فيقابلوا»، وفي (ن): «فيقابلوه»، والمثبت هو الصواب، والله أعلم.

(٥) انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (٢/ ٦٦٢) مادة (ق ع د).

﴿وَأَنْفُوا اللَّهَ﴾ في مجاوزة ما حُدَّ لكم.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بالنَّصْرِ والمَغْفِرَةِ.

(١٩٥) - ﴿وَأَنْفُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَأَنْفُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: الطَّرِيقِ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ؛ أَي: تَعَاوَنُوا عَلَى مَجَاهِدَةِ الْكُفَّارِ بِالْمَالِ وَالْعُدَّةِ وَالسَّلَاحِ.

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ ابن عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَمَجَاهِدٌ وَالضَّحَّاكُ: بِالْإِمْتِنَاعِ مِنَ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ^(١).

البراء بن عازب: بارتكاب^(٢) المعاصي؛ لليأس من المغفرة^(٣).

وقيل: بتقحم الحرب من غير نكاية في العدو.

أبو علي^(٤): بالإسراف في الإنفاق الذي يأتي على النفس.

والإلقاء: تصيير الشيء إلى جهة السفلى^(٥).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٣١٣ - ٣١٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة والحسن والضحاك.

(٢) في (و): «لارتكاب».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٣١٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٣٢).

(٤) «أبو علي» من (ن).

(٥) ذكر الواحدي في «البيسط» (٣/ ٦٣٢) عن أبي علي قوله: «المعنى: لا تقربوا مما يهلككم؛ لأن من ألقى يده إلى الشيء فقد قرب منه، وهذا مبالغة في الزجر وتأکید؛ لأن النهي إذا وقع عن مشاركته ومقاربتة فمباشرة أولى بالانتهاء، وكان المعنى: لا تقربوا من ترك الإنفاق في سبيل الله».

والباء يُحتمَلُ أن تكون زيادة^(١)، ويُحتمَلُ أن يكون^(٢) التقدير: ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم^(٣).

والتَّهْلُكَةُ على هذا: كلُّ شيءٍ تصيرُ عاقبته إلى الهلاك، والهلاكُ: مصيرٌ^(٤) الشَّيءِ بحيثُ لا يُدرى أينَ هو.

﴿وَأَحْسِنُوا﴾ بالإفصالِ على المحتاج.

وقيل: أحسنوا الظنَّ بالله في الإخلاف.

وقيل: في^(٥) قبولِ توبتكم.

وقيل: أحسنوا أداء^(٦) ما فرضَ اللهُ عليكم؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

(١٩٦) - ﴿وَاتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِفُوا بِهِ وَسَكَرَ حَتَّىٰ

يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعًا إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿وَاتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ مجاهدٌ: هو بلوغُ آخرِ أعمالِهما بعد الدخولِ فيهما^(٧).

(١) في (ن): «زائدة»، انظر: «الحجة للقراء السبعة» لأبي علي الفارسي (٥٥ / ٥).

(٢) «يكون»: ليس في (ن).

(٣) أي: أن الباء غير زائدة، ولكن المفعول محذوف. انظر: «النكت والعيون» للماوردي (١ / ٢٥٣)، و«الكشاف» للزمخشري (١ / ٢٣٧).

(٤) في (و): «تصيير».

(٥) «في» من (ن).

(٦) في (و): «بأداء».

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٣ / ٣٢٧).

عطاءً والسُّدِّيُّ: أتمُّوهما؛ لأنَّهما واجبان^(١).

وعن عليٍّ وابن مسعودٍ رضي الله عنهما: إتمامُهما أن تُحرِمَ من دُويرةِ أهليكَ^(٢).

وقيل: إتمامُهما أن تكونَ النِّفَقَةُ من حلِّهما.

والإتمامُ يُستعملُ قبلَ الشُّروعِ في الشَّيءِ وبعدَ الشُّروعِ فيه.

والحُجُّ: قصدُ البيتِ بالأعمالِ المشروعةِ فرضاً وسنةً، وفرضُ الحجِّ ثلاثٌ:

الإحرامُ، والوقوفُ بعرفة، وطوافُ الزَّيَّارة، وما سواها سنةً، ويفسدهُ الجِماعُ.

والعمرةُ: زيارةُ البيتِ، وإتمامُها بالإحرامِ والطَّوافِ والسَّعيِّ وحلقِ الرَّأسِ،

وهي سنةٌ عندنا^(٣)، وليس بفرضٍ؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ﴾ [آل

عمران: ٩٧].

﴿إِنِ أَحْصَرْتُمْ﴾؛ أي: منعكم خوفٌ عدوٌّ أو مرضٌ، فامتنعتم لذلك.

وقيل: وإن منعكم قاهرٌ حابسٌ، وهذا يقتضي (حَصْرْتُمْ)، لا (أَحْصَرْتُمْ).

﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾: شاةٌ أو بدنةٌ أو بقرةٌ، جمعُ هَدْيَةٍ، واشتقاقه من (اهْتَدَيْتُ

إلى بيت الله)، وقيل: من (هَدَيْتُ إِلَى الطَّرِيقِ).

(١) ذهب عطاء إلى أن العمرة واجبة. انظر: «الأم» للشافعي (٢/ ١٤٥)، و«تفسير عبد الرزاق» (١/ ٣١٦).

وذهب السدي إلى ذلك أيضاً فقال: «أقيموا الحج والعمرة». انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٣٣٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٣٢٩) عن علي رضي الله عنه، وذكره الزجاج في «معاني القرآن»

(١/ ٢٦٦)، والواحد في «البيسط» (٤/ ٥) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) ذهب إلى ذلك مالك وأصحاب الرأي وأبو ثور، ورُوي عن النخعي وابن مسعود، بينما ذهب

إلى وجوبها الشافعي وأحمد والثوري وإسحاق وأبو عبيد، ورُوي عن عمر وابن عباس وابن عمر

وجابر، وعطاء وابن المسيب وسعيد بن جبيرة والحسن البصري وابن سيرين والشعبي وغيرهم.

انظر: «الإشراف» لابن المنذر (٣/ ٣٧٦).

﴿وَلَا تَحِقُّوا رُءُوسَكُمْ﴾؛ أي: لا تأخذوا من شعر رؤوسكم بالمواسي.
 ﴿حَتَّىٰ بَلَغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ ابن عباس وابن مسعود والحسن وعطاء: محلُّ الحرم،
 فإذا ذُبِحَ يومَ النَّحرِ أحلَّ^(١).

وقيل: محلُّه الموضع الذي صُدَّ فيه، فإنَّ النَّبيَّ ﷺ ذَبَحَ بِالْحُدَيْبِيَّةِ.

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ﴾ يعني: يؤذيه القمل.

﴿فَفِدْيَةٌ﴾؛ أي: فحلَّق، فعليه فدية.

﴿مِّن صِيَامٍ﴾؛ أي: صيام ثلاثة أيَّام عند الجماعة.

الحسن وعكرمة: صيام عشرة أيَّام^(٢).

﴿أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾: إطعام ستَّة مساكين لكلِّ مسكين نصف صاع.

وأجمع المفسِّرون على أنَّها نزلت في كعب بن عُجرة، قال كعب: خرجنا مع رسول الله ﷺ مُحْرَمِينَ، فوقع القملُ في رأسي ولحيتي وشاربي حتى وقع في حاجبي، فذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «ما كنتُ أرى بلَغَ منك هذا، ادعُ الحَالِقَ»، فجاء الحَالِقُ فحلَّق رأسي، فقال: «هل^(٣) تجد نسيكَةً؟» فقلتُ: لا، وهي شاةٌ، قال: «فصم ثلاثة أيَّام، أو اطعم ثلاثة أصع^(٤) بين ستَّة مساكين»، فقال: فَأَنْزَلَتْ فِيَّ خَاصَّةً، وهي للنَّاسِ عَامَّةً^(٥).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٣٦٥-٣٦٦) عن ابن عباس وابن مسعود، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٣٧) عن عطاء.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٣٩٤-٣٩٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٣٨)،

(٣) «هل» ليس في (و).

(٤) في (و): «أصوع».

(٥) رواه البخاري (٤٥١٧)، ومسلم (١٢٠١)، وقد أخرج هذا اللفظ سعيد بن منصور في «سننه» - =

﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾؛ أي: إذا زال الإحصارٌ وحصل الأمنُ^(١)، ﴿فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ﴾ وهو أن يُحرمَ بالعمرة، فإذا وافى البيتَ سعى وطافَ به وحلقَ أو قصرَ، فإذا فعلَ هذا^(٢) حلَّ، فيتمتع^(٣) بما كان يعملُه الحلالُ إلى أن يحرمَ بالحجِّ. والتَّمَنُّعُ: إطالةُ الانتفاعِ، من قول العرب: (مَنَّعَ النَّهَارُ)^(٤).

فعلى المستمتعِ^(٥) شاةٌ أو بدنةٌ أو بقرةٌ، ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾؛ أي: مَنْ لم يجد الهدْيَ فعليه صيامُ ﴿ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾؛ أي: في أَيَّامِ حَجَّتِهِ^(٦) إذا كان محرماً، قيل: في العشر، وقيل: أَيَّامَ التَّشْرِيقِ.

﴿وَسَبْعَةٍ﴾ أَيَّامٍ ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ﴾: إذا عادَ إلى وطنه. ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ الفائدةُ في هذا الجمعِ - مع أن أحداً لا يجهلُ أن^(٧) ثلاثةٌ وسبعةٌ عشرةٌ - كثيرةٌ.

الرَّجَاجُ: لإزالةِ التَّوَهُمِ أنَّ الغرضَ أحدهما، كقولِه: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَنِّي وَتِلْكَتِ وَرُئِيعَ﴾ [النساء: ٣]^(٨).

= التفسير (٢٨٩).

(١) في (و): «المنع».

(٢) في (ن): «هذه».

(٣) في (و): «هذا فتمتع».

(٤) أي: طال وارتفع. انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (١/٥٩٧)، و«الصحاح» للجوهري

(٣/١٢٨٢) مادة (م ت ع).

(٥) في (ن): «التمتع».

(٦) في (و): «الحج وهو».

(٧) «أن»: ليس في (و).

(٨) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/٢٦٨).

القفال: ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ عن الهدي، ولو قال: (تلك) التيس.
المفضل: إنه لما فصل بينهما بإفطارٍ قيّد فقال: إنها كالمتمصلة^(١).
المبرد: هو تأكيدٌ بإعادة الذكرٍ مجملاً بعد التفصيل^(٢)، ومثله قول الشاعر:
ثلاثٌ واثنتانٍ فهنَّ خمسٌ وسادسةٌ تميلُ إلى شمام^(٣)
أبو مسلم^(٤): هو بمنزلة قوله: فصيام عشرة أيام؛ ثلاثة في الحج، وسبعة إذا
رجعتم.

قال: ويحتمل أنه لإزالة توهم أن السبعة مع الثلاثة، كقوله: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا
فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ [فصلت: ١٠]؛ أي: مع اليومين اللذين تقدما في قوله: ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي
يَوْمَيْنٍ﴾ [فصلت: ٩].

ويحتمل لإزالة توهم أن السبعة من الكثرة لا من العدد؛ فإنه قد روى أبو عمرو^(٥)
وابن الأعرابي عن العرب: سبَّعَ اللهُ لك الأجر؛ أي: أكثر لك، أراد التضعيف^(٦)،
ولهذا جاء في الأخبار: فله سبع، وله سبعون، وله سبعمئة.

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٢/ ٢٦٨).

(٢) نقل مكِّي بن أبي طالب عن المبرد أنه قال: «إنما قيل: ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ﴾ لأنه يجوز أن يظن السامع أن ثم
شيئاً آخر بعد السبعة، فأزال اللبس». انظر: «الهداية إلى بلوغ النهاية» (١/ ٦٥٦).

(٣) البيت للفرزدق. انظر: «ديوانه» (٢/ ٨٣٥)، و«الغريبين» للهرودي (٤/ ١٢٧٧).

(٤) محمد بن علي بن محمد بن الحسين بن مهريزد، أبو مسلم الأصبهاني، كان عارفاً بالتفسير، والنحو،
والأدب، غالباً في مذهب الاعتزال، صنَّفَ التفسير في عشرين مجلداً، مات في جمادى الآخرة
سنة (٤٥٩هـ). انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (١٠/ ١١٥)، و«معجم المفسرين» للسيوطي
(ص: ٩٩)، و«طبقات المفسرين» للداودي (٢/ ٢١٣).

(٥) في (ن): «عمر»، وقد ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٢/ ٢٦٩) عن أبي عمرو بن العلاء.

(٦) انظر: «الغريبين» لأبي عبيد (٣/ ٨٥٨)، ونقله المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٠٦).

وقال الأزهري في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾: فهو جمعُ السَّبْعِ الذي يُستعملُ للكثرة، ألا ترى أنه لو زاد على السَّبْعين لم يُغْفَرْ لهم^(١).
 ﴿ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾؛ أي: ذلك الفرض ليس إلا للغرباء^(٢)، وليس لحاضري المسجد الحرام، وهو مكة^(٣)، وقيل: الحرم كله.

﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ فيما يأمركم به وينهاكم عنه.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن خالفه.

(١٩٧) - ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾.

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ﴾: «الحجّة»: تقديره: أشهر الحج أشهر معلومات^(٤)، أو الحجُّ حجُّ أشهر معلومات^(٥)، لا ما كان تفعله النساء من التأخير^(٦).

قال: ويجوز أن يجعل الشهر حجاً على الاتساع؛ لوقوعه فيها^(٧)، كما قالت

الخنساء:

(١) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٧٠ / ٢) مادة: (س ب ع).

(٢) في (و): «ليس للفقراء».

(٣) في (و): «بمكة».

(٤) «أشهر معلومات»: ليس في (ن).

(٥) فحذف المضاف من المبتدأ.

(٦) فحذف المضاف من الخبر.

(٧) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (١ / ٢٣ - ٢٤) و(٢ / ٢٧٩).

تَرْتَعُ مَا عَقَلْتَ حَتَّى إِذَا ادَّكَّرْتُ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ^(١)
 و﴿أَشْهُرٌ﴾: جمع شهرٍ؛ وهي شَوَّالٌ وذو القعدةِ وتسعٌ من ذي الحجةِ، جُمِعَ
 لوجود شهرين^(٢) وبعضٍ من الثالث.
 ﴿مَعْلُومَةٌ﴾: مَوْقَّتَةٌ.

﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾ بالعزم والإحرام والتلبية.
 ﴿فَلَا رَفْثٌ﴾ ابن عباسٍ رضي الله عنهما: التَّعْرِيفُ بِذِكْرِ الْجَمَاعِ^(٣).
 ابن مسعود وابن عمر والحسن: الرَّفْثُ: الْجَمَاعُ^(٤).
 ﴿وَلَا فُسُوقٌ﴾ ابن عباس^(٥) وسعيد بن جبيرة والحسن: المعاصي^(٦)، من قوله:
 ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ابن زيد: هو الذَّبْحُ^(٧)، من قوله: ﴿أَوْفُسًا أَهْلًا لِعَنَى اللَّهِ بِهِ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

(١) انظر: «ديوان الخنساء» (ص: ٧٨)، و«الكتاب» لسيبويه (١/ ٣٣٦). ووجه الشاهد فيه أنها جعلت الناقه هي الإدبار والإقبال لكثرة هذا منها توسعاً.

(٢) في (ن): «الشهرين».

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٣٢٢٥)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٥٨).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٦٥) عن ابن مسعود رضي الله عنه. ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٣٢٣٧)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٥٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما. ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٣٢٣١)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٦٥) عن الحسن.

(٥) «رضي الله عنهما التعريف بذكر الجماع، ابن مسعود وابن عمر والحسن الرفث الجماع، ﴿وَلَا فُسُوقٌ﴾ ابن عباس» من (ن).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٧٠ - ٤٧١) عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وسعيد ابن جبيرة.

(٧) يعني بالذبح: الذبح للأنصاب، كما في الآية. رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٧٥).

الصَّحَاكُ: التَّنَابُزُ^(١)، من قوله: ﴿بَسَّ الْأَيْتُمُ الْفُسُوقُ﴾ [الحجرات: ١١].

أبو عبيدة: لا لَعُوَ^(٢)، من قولِ العجاج:

عَنِ اللَّغَا وَرَفَثِ التَّكْلُمِ^(٣)

﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ أبو عبيدة: له تأويلان:

أحدهما: أَنَّهُ لَشَكٌّ فِي أَنَّ فَرَضَ الْحَجِّ قَدْ تَقَرَّرَ فِي ذِي الْحِجَّةِ، وَبَطَلَ مَا كَانَ تَفْعَلُهُ النِّسَاءُ مِنَ التَّأْخِيرِ.

والثاني: لَا تَجَادُلُ صَاحِبَكَ وَلَا تُمَارِهِ^(٤).

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ﴾ فيجازيكم عليه.

﴿وَتَكَزَّوْذُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى﴾ ابن عباسٍ قال: كَانَ أَهْلُ الْيَمَنِ يَحْجُونَ وَلَا يَتَزَوَّدُونَ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ الْمَتَوَكِّلُونَ، فَإِذَا قَدَمُوا مَكَّةَ سَأَلُوا النَّاسَ^(٥).

قال المفسِّرون: النَّقْوَى هَاهُنَا: الْكَعْكُ وَالزَّيْتُ وَالسَّوِيقُ^(٦).

الْقَفَالُ: ادَّخَرُوا لِأَنْفُسِكُمُ الْخَيْرَ بِنَقْوَى اللَّهِ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٧٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٤٧).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٧٠).

(٣) انظر: «ديوان العجاج» (ص: ٥٩)، و«أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ٥٢٧)، وصدرة:

وَرَبِّ أَشْرَابِ حَجِيجِ كُظْمٍ

(٤) يوهم صنيع المصنِّف أَنَّهُ أَخَذَ ذَلِكَ عَنْ كِتَابِ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ أَخَذَهُ عَنِ «الْحِجَّةِ» لِأَبِي عَلِيٍّ.

انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٧٠)، و«الحجة» لأبي علي (٢/ ٢٨٩).

(٥) رواه البخاري (١٥٢٣).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٩٤ - ٤٩٩) عن ابن عمر وسعيد بن جبير والشعبي.

وقيل: تقديره: وتزودوا التقوى؛ فإنها خير زادٍ.

﴿وَأَتَّقُونَ﴾: امتنعوا من عقابي واحذروا خلافي.

﴿يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: يا ذوي العقول.

(١٩٨) - ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ابن عباس وابن عمر: نزلت في التجار والجمالين؛ وكانوا يتقون البيع والتجارة في الحج، ويقولون: هذه أيام ذكر الله؛ فأنزل الله هذه الآية^(١).

والمعنى: لا جناح عليكم أن تبغوا فضلاً من ربكم بالتجارة والكراء.

﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ﴾: دفعتم ﴿مِنْ عَرَفَاتٍ﴾ إلى منى بالتلبية، مشتق من (الفيض).

﴿فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ هو المزدلفة، والذكر: الدعاء والتضرع والثناء.

وقيل: الذكر هاهنا: الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء بالمزدلفة، وليس يجب^(٢) هناك ذكر غيرها.

﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ﴾؛ أي: اشكروه شكرًا يوازي هدايته إليكم.

(١) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٠٤ - ٥٠٥).

(٢) «يجب» من (ن).

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾: وقد كنتم من قبل هُداة.
 ﴿لِمَنِ الضَّالِّينَ﴾؛ أي: عن الرِّشَاد.

(١٩٩) - ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ عائشة قالت: كانت العربُ تفيضُ من عرفاتٍ، وقريشُ ومن دانَ بدينها تفيضُ من جَمْعٍ، فأنزلَ اللهُ: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾^(١)؛ أي: سائر الناس.

وقيل: المراد به إبراهيمُ عليه السَّلام.

وعن الحسنِ: ﴿النَّاسِ﴾ بالكسر^(٢)، وأراد به: آدمَ عليه السَّلام.

﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ لِمَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِكُمْ.

وقيل: ممَّا جرى^(٣) من خللٍ أو تقصيرٍ في أعمالِ الحجِّ؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

(١) رواه البخاري (٤٥٢٠)، ومسلم (١٢١٩).

(٢) ذكر هذه القراءة الشاذة ابن خالويه في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٢٠) و«إعراب ثلاثين سورة» (ص: ٢٣٨) عن سعيد بن جبير، وذكرها اليشكري في «الكامل في القراءات» (ص: ٥٠٢) عن القورسي عن أبي جعفر، وقد قرأ أبو المتوكل، وأبو نهيك، ومورق العجلي: (الناسي) باثبات الياء، ورويت عن سعيد بن جبير. انظر: «المحتسب» لابن جني (١/١١٩)، و«معاني القرآن» للنحاس (١/١٤١)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (١/١٦٧)، و«البحر المحيط» (١/١١٩).

(٣) «مما جرى»: ليس في (ن).

(٢٠٠) - ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ﴾: أتممتُم الحجَّ والعمرة كما أمرتُم.

المفضل: القضاء هاهنا: بمعنى تأدية الواجب في المناسك.

وقيل: إذا شرعتم في مناسِككم.

والمناسك: العبادات.

مجاهد: ذبائحكم^(١).

﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ مجاهد: كان أهل الجاهلية إذا اجتمعوا بالموسم ذكروا فعل آبائهم في الجاهلية وأيامهم وأنسابهم فتفاخروا؛ فأنزل الله: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾^(٢).

﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾؛ أي: أكثر، وقيل: أرفع به صوتًا.

الحسن: كانت الأعراب إذا تحدّثوا أو تكلموا قالوا: وأبيك لقد كان كذا، وأبيك لم يكن كذا^(٣).

عطاء: اذكروه بالاستغفار كذكر الصبي لأبيه إذا قال: يا أباه^(٤)؛ يريد: بالتضرع والاستكانة.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٥٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٣٦).

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٦٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ١٦٧).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٣٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٥٦).

وَيُحْتَمَلُ أَنَّ مَعْنَى ﴿كَذَكَرْكُمْ آبَاءَكُمْ﴾: وَحُدُوهُ وَلَا تَشْرِكُوا مَعَهُ كَمَا تَسْتَنْكِفُونَ إِذَا نُسِبْتُمْ إِلَى غَيْرِ أَبِي^(١) وَاحِدٍ، وَعَلَى هَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ قَطْعُ مَجَازٍ تَسْتَعْمَلُهُ الْعَرَبُ فِي الْوَالِدِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: الْأَبْوَانُ وَالْوَالِدَانُ؛ أَي: وَحُدُوهُ وَلَا تَشْرِكُوا مَعَهُ؛ لَا حَقِيقَةً وَلَا مَجَازًا^(٢).

وَقِيلَ: كَذَكَرِ الصَّبِيِّ أَبَاهُ حِينَ يَفْتَحُ فَاهُ.

وَقِيلَ: اغْضَبُوا لَهُ كَغَضَبِكُمْ لِأَبَائِكُمْ^(٣).

وَقِيلَ: كَذَكَرِ آبَائِكُمْ إِيَّاكُمْ^(٤)؛ عَلَى الْقَلْبِ.

﴿فَمَنْ الْكَاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾؛ أَي: مِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَسْأَلُ اللَّهَ إِلَّا دُنْيَاهُ؛ لِكُفْرِهِ بِالْآخِرَةِ، فَلَا نَصِيبَ لِهَذَا فِي ثَوَابِ الْعُقْبَى.

وَالْخَلَاقُ: النَّصِيبُ التَّامُ.

الْحَسَنُ: الْخَلَاقُ: الدِّينُ^(٥).

وَقِيلَ: مَنْ كَانَ غَرَضُهُ بِالْحَجِّ الدُّنْيَا، فَلَيْسَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ.

(١) «أب» مِنْ (ن).

(٢) ذَكَرَهُ الْمَصْنُفُ فِي «غُرَائِبِ التَّفْسِيرِ» (١ / ٢٠٨)، وَعَدَّهُ مِنَ الْعَجَائِبِ.

(٣) ذَكَرَهُ الْمَصْنُفُ فِي «غُرَائِبِ التَّفْسِيرِ» (١ / ٢٠٨)، وَاسْتَعْرَبَهُ.

(٤) فِي (و): «كَذَكَرْكُمْ آبَاءَكُمْ».

(٥) رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٢ / ٣٦٦)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١ / ١٩٥).

(٢٠١ - ٢٠٢) - ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ .

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ وَمَنْ أَرَادَهُمَا جَمِيعًا بِأَنْ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوتِيَ مِنْهُمَا وَوُقِيَ عَذَابَ النَّارِ .

﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا ﴾ ترجع إلى الفريق الثاني الذين سألوا الدنيا والآخرة .
وقيل: تعود إلى الفريقين؛ أي: لكل هؤلاء نصيب من عمله .

﴿ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ يُوصِلُ إِلَى كُلِّ عَامِلٍ ^(١) جِزَاءَ عَمَلِهِ مِنْ غَيْرِ مَعَانَاةٍ لِإِحْصَائِهِ .

(٢٠٣) - ﴿ وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ .

﴿ وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴾ أجمع المفسرون على أَنَّ الأَيَّامَ المعدودات أَيَّامُ التَّشْرِيقِ .

والمرادُ بالذِّكْرِ هَاهُنَا: التَّكْبِيرُ أَدْبَارَ الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ فِي الْجَمَاعَةِ، وَلَفْظُهُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ ^(٢)، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ الْحَمْدُ ^(٣) .

(١) في (ن): «فريق»، ولكن في هامشها: «في نسخة: عامل» .

(٢) «الله أكبر» ذكرت مرتين في (ن) .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥٦٣٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً، ورواه الدارقطني

في «سننه» (١٧٣٧) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعاً، والبيهقي في «الدعوات الكبير»

(٢/ ١٦٥) وضعفه، ورُوي نحوه عن عدد من الصحابة والتابعين .

ووقته بعد الفراغ من الصلاة غداة عرفة إلى ما بعد صلاة^(١) العصر من يوم النحر، وهذا قول ابن مسعودٍ وعلقمة^(٢).

وذهب عمرٌ وعليٌّ رضي الله عنه وابن عباسٍ: إلى أنه يُقَطَّعُ بعد صلاة العصر من آخرِ أيام التَّشْرِيقِ^(٣).

﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ هذا للحاجِّ خاصَّةً، والأوَّلُ عامٌّ.

والمعنى: مَنْ نَفَرَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾ فلم^(٤) ينفر، ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾؛ أي: كلاهما مغفورٌ لهما مبرورٌ حجَّهما؛ لقوله ﷺ: «مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ خَرَجَ مِنْ ذَنْبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»^(٥).

وقيل: ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾: على المتعجِّل لتعجُّله، ولا على المتأخِّر لتأخُّره؛ أي: هما سواء.

وقيل: ذَكَرَ الْأَوَّلُ لِلتَّرْخُصِ، وَذَكَرَ الثَّانِي لِلزَّادِجِ.

وقيل: فلا إثم على المتعجِّل لتعجُّله، ولا على المتأخِّر؛ إذ بَرَّ حُجَّهُ.

(١) في (ن): «صلاة العصر».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥٦٣٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣٠٦ / ٩)، والحاكم في «المستدرک» (١١١٥) عن ابن مسعود رضي الله عنه. ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥٦٤٩) عن علقمة.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥٦٣١) عن علي رضي الله عنه. ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥٦٣٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وانظر هذه الأقوال وغيرها في «المبسوط» للسرخسي (٤٣ / ٢)، و«المجموع» للنووي (٤٤ / ٥).

(٤) في (ن): «فلا».

(٥) رواه البخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقيل: فلا إثم على المتعجل لتعجله، ولا على المتأخر^(١)؛ لتركه الرخصة.

﴿لَمِنَ اتَّقَى﴾ قيل: هذه اللام متصلة بقوله: فلا إثم عليه لمن اتقى^(٢).

وقيل: هذا الذي ذُكر^(٣) لمن اتقى.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في جميع أموره^(٤).

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ حين يبعثكم من قبوركم.

(٢٠٤) - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُ قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ

وَهُوَ اللَّذِ الْخِصَامِ﴾.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُ﴾ قال السُّدِّيُّ: نزلت في الأحنس بن شريق الثقفي،

وهو حليف بني زهرة، أقبل إلى النبي ﷺ فأظهر الإسلام، وأعجب النبي ﷺ ذلك منه،

وقال: إنما جئت أريد الإسلام والله يعلم أنني لصادق، وذلك قوله: ﴿وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي

قَلْبِهِ﴾، وخرج من عند النبي ﷺ، فمرَّ بزرع لقوم من المسلمين وحُمُرٍ، فأحرق الزرع

وعقر الحُمُرَ، فأنزل الله فيه: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٠٥]^(٥).

وقيل: كان مع المشركين يوم بدرٍ، فلما نزلوا جحفة قال لبني زهرة^(٦): إنَّ

(١) «إذ بر حجه وقيل فلا إثم على المتعجل لتعجله ولا على المتأخر» من (ن).

(٢) فهي متعلقة بمن تأخر فقط.

(٣) من رفع الإثم عن المتعجل والمتأخر.

(٤) كذا في النسخ الخطية، ولو كانت (في جميع أوامره) أو (في جميع أموركم) لزال الإشكال.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٧٢) بتمامه، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٦٤) مختصراً.

(٦) «لبني زهرة» من (ن).

محمَّدًا ابنُ أختِكُم وابنُ عمِّكُم فكفُّوا عنه؛ فإنَّ يكُ صادقًا كنتم أسعدَ النَّاسِ به، وإنَّ يكُ كاذبًا كفتكم إيَّاه ذُوبَانُ العَرَبِ^(١) - ويُروى: أوباشُ العَرَبِ - قالوا: نِعَمَ الرَّأْيُ ما رأيتَ، وما يزالُ لك العقلُ الأصيلُ، فانصرف وانصرفوا معه، وسُمِّيَ الأَخْسَسُ، وكان اسمُه أَيْبًا؛ لقوله لهم: إذا نُودي بالرحيلِ فإنِّي أخسُّ بكم فاتَّبِعُوني، ففعل وفعلوا، فلَمَّا أُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ أعجبه ذلك، ثم إنَّه في رجوعه إلى مكَّةَ أحرَقَ صُبْرَةَ تمرٍ لمسلمٍ وقتلَ فرسَ آخر^(٢).

وقوله: ﴿يُعْجِبُكَ﴾ الإعجابُ: الشُّرُورُ بما امتنع^(٣) لشِدَّةِ العَجَبِ به.
 ﴿قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يجوزُ أن يتعلَّقَ (في) بالقول؛ أي: قوله في الأمور التي تقعُ من أسبابِ الدُّنيا، ويجوزُ أن يتعلَّقَ بالإعجاب؛ أي: يعجبُك في الحياةِ الدُّنيا. والحياةُ: ما يتميِّزُ به مَنْ يصحُّ إدراكُه ممَّن لا يصحُّ.
 ﴿وَيُسْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ أي: ويستشهد اللهُ، وهو قوله للنبيِّ ﷺ: إنِّي لك صادقٌ، وإنِّي لك محبٌّ.

﴿وَهُوَ أَلْدُّ الْخِصَاوِ﴾: شديدٌ، مشتقٌّ من (لديدي الوادي)^(٤).

و﴿الْخِصَاوِ﴾: جمع (خَصَمٍ) عند أكثرهم^(٥).

المبرِّد: هو مصدر (خاصَمَ)^(٦).

(١) هم الخبيثاء المتلصِّصون. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ١١٣).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥ / ٢٧٠)، والواحدي في «البيسط» (٤ / ٧٤).

(٣) في (و): «أمتع».

(٤) لديدي الوادي: جانباه؛ لأنه كلما أخذت عليه جانباً من الحجَّة أخذ في جانب آخر. انظر: «مشارك

الأنوار» للقااضي عياض (١ / ٣٥٦).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١ / ٢٧٧).

(٦) فسَّر المبرِّد (الألد) بأنه شديد الخصومة، واستشهد بالآية، ففهم من صنيعه ما حكاه المصنِّف. =

(٢٠٥) - ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾.

﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾: أَعْرَضَ، وَالتَّوَلَّى: الزَّوَالَ عَنِ الشَّيْءِ إِلَى خِلَافِ جِهَتِهِ.

﴿سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ بِالْكَفْرِ.

﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ﴾ وَهِيَ الْأَرْضُ فِيهَا النَّبَاتُ.

﴿وَالنَّسْلَ﴾: نَسْلَ الدَّوَابِّ.

وقيل: ﴿الْحَرْثَ﴾: الرَّجُلُ^(١)، ﴿وَالنَّسْلَ﴾: الْوَلَدُ، مَشْتَقٌّ مِنْ (نَسَلَ الشَّعْرُ)؛ إِذَا

خَرَجَ فَسَقَطَ.

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾.

(٢٠٦) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ﴾ لِلْأَخْنَسِ: ﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾ فِي الْإِفْسَادِ وَالْإِهْلَاكِ، ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ﴾:

الْأَنْفَةُ وَالْحَمِيَّةُ.

الزَّجَّاجُ: حَمَلَهُ كِبْرُهُ عَلَى الْارْتِدَادِ وَالْكَفْرِ^(٢).

﴿بِالْإِثْمِ﴾ وَالْإِثْمُ هَاهُنَا: الْكَفْرُ.

الحسن: ومعنى الباء؛ أي: أخذته العزّة من أجل الإثم الذي في قلبه^(٣).

= انظر: «الكامل» للمبرد (٤٤ / ٣) و(٤ / ٣٦).

(١) وقيل: الحرث هنا: النساء. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١ / ٢٧٧).

(٢) لم أقف على كلام للزجاج في هذه الآية.

(٣) فالباء للسببية. انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٢ / ٣٣٢).

ابن عيسى: أي: دعتَه العزّة إلى الإثم، كما تقول: دعوتُ فلانًا بأن يفعل كذا؛ أي: دعوته إليه^(١).

﴿فَحَسَبُهُ جَهَنَّمُ﴾؛ أي: فيها كفايةٌ من جزاءِ كفره وسوءِ عمله.

وجهنّم: اسمٌ للنار^(٢)، وقيل: للدرك^(٣) الأسفل.

وقيل: أصله من (الجهّم)، وهو الغلظةُ والكرَاهةُ، وزيدٌ فيها النونان.

وقيل: أصلها أعجميٌّ، وهو في الأصل: كَهَنَام^(٤)، وهو محبسٌ من جعلٍ فيه، سقطَ اسمه من الدنيا.

صاحب «المجمل»: جهنّم: مشتقةٌ من قول العرب: بئرٌ جهنّام؛ أي: بعيدةُ القعر^(٥).

﴿وَلَيْسَ الْمَهَادُ﴾: المفرش؛ جهنّم.

(٢٠٧) - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ﴾ أكثر المفسرين على أنها نزلت في صهيبي

ابن سنانٍ الرومي^(٦).

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١ / ٢٦٦) دون نسبة.

(٢) في (و): «النار».

(٣) في (و): «الدرك».

(٤) كذا ضبطت في (ن)، وكذا ضبطها من جعل أصلها فارسية، ومن جعل أصلها عبرية ضبطها كِهَنَام.

انظر: «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٢ / ٢٧٢).

(٥) انظر: «مجمّل اللغة» لابن فارس (ص: ٢٠٨).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٣ / ٥٩١)، والحاكم في «المستدرک» (٥٧٠٠) عن عكرمة، وذكره =

وقيل: كان عربيَّ النَّسَبِ من ولد النَّمِرِ بن قَاسِطٍ من^(١) ربيعة، سُبِي صَغِيرًا، وصار^(٢) إلى الرُّومِ، ولذلك سُمِّيَ صُهَيْبًا الرُّومِيَّ، ثم اشتراه يزيد بن جدعان بالشَّام^(٣).

قال سعيد بن المسيَّب: أقبل صُهَيْبٌ مهاجرًا نحو النَّبِيِّ ﷺ، فَاتَّبَعَهُ نَفَرٌ من قريشٍ من المشركين، فنزل عن راحلته، ونثر ما في كنانته، وأخذ قوسه، ثم قال: يا معشرَ قريشٍ، لقد علمتم إنِّي لأرماكم رجلاً، وإيَّم الله، لا تصلون إليَّ حتى أرميَ ما في كنانتي، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيءٌ، ثم افعلوا ما شئتم، فقالوا: دلِّنا على بيتك ومالك بمكَّة ونخلِّي عنك، وعاهدوه إن دلَّهم أن يدعوه، ففعل، فلمَّا قدمَ على^(٤) النَّبِيِّ ﷺ قال: «ربحَ البيعُ أبا يحيى، ربحَ البيعُ أبا يحيى»، فأنزَلَ اللهُ هذه الآية^(٥).

وروى غيره: أن قريشًا كانوا يعدُّونَه، ففدى نفسه بجميع ماله، وخرج إلى المدينة^(٦).

= السمرقندي في «تفسيره» (١ / ١٣٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢ / ١٢٥) عن ابن المسيب وعطاء، وانظر: «الدر المثور» للسيوطي (١ / ٥٧٥ - ٥٧٧).

(١) في (و): «بن».

(٢) في (و): «أو سار».

(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣ / ٢٢٦)، و«الاستيعاب» لابن عبد البر (٢ / ٧٢٧)، و«الإصابة» لابن حجر (٣ / ٣٦٤).

(٤) في (و): «إلى».

(٥) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣ / ٢٢٨)، وابن شبة في «تاريخ المدينة» (٢ / ٤٧٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٢٩٦)، والحاكم في «المستدرک» (٥٧٠٦) وصحَّحه، ووافقه الذهبي.

(٦) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٣ / ٥٩٢) عن الربيع.

وعن عليّ وابن عباسٍ وابن عمر رضي الله عنهم: أنه كان رجلاً أمرَ بالمعروف ونهى عن المنكر فقتل^(١).

ومعنى ﴿يَشْرِي﴾: يشتري نفسه بماله^(٢).

وقيل: ﴿يَشْرِي﴾: يبيع؛ أي: يبيع شهواتِ نفسه.

﴿أَبْتِغَاءً﴾؛ أي: لا بتغاء، وهو الطلُّبُ.

﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾: رضا الله عنه، وهو موافقةُ الإرادةِ.

﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعَبَادِ﴾ أي: رحيمٌ، والرَّأْفَةُ: أشدُّ الرَّحْمَةِ.

(٢٠٨) - ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ

الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَآفَّةً﴾ ابن عباسٍ: نزلت في عبد الله

ابن سلامٍ وأصحابه، وذلك أنهم بعد إسلامهم كرهوا الحمانَ الإبلَ وألبانها، وعظّموا السَّبْتَ، وقاموا بشرائحِ الإسلامِ وشرائحِ موسى، وقالوا: إنا نقوى على هذا وهذا^(٣).

الحسن: نزلت في المسلمين، ومعنى ﴿أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ﴾: دوموا على الإسلام^(٤).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٨٨) و(٣/ ٥٩٣ - ٥٩٤) عن عمر وعليّ وابن عباس رضي الله عنهم، وذكره الثعلبي عنهم في «تفسيره» (٥/ ٣٠٦ - ٣٠٧).

(٢) في (ن): «بجميع ماله».

(٣) روى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٩٤٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروى نحوه

الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٩٩) عن عكرمة.

(٤) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٩٦) عن الربيع، ولفظه: «ادخلوا في الطاعة»، وذكره

الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٧٤) عن مجاهد وقتادة.

وقيل: خطابٌ لليهود؛ والمعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى ادخلوا في الإسلام كافةً.

وَالسَّلَامُ بِالْفَتْحِ: الإسلامُ، وبالكسر: الصُّلْحُ^(١)، على تقدير: اطلبوا الصُّلْحَ بالدخولِ في الإسلام.

﴿كَافَّةً﴾: جميعاً، حالٌ عن المخاطبين، وقيل: حالٌ عن ﴿الْيَسْمِ﴾؛ أي: في جميع شرائعه.

والكفُّ: المنعُ، وقيل: الجمعُ.

و(كافّة) مصدرٌ؛ كالتَّطَاغِيَةِ والكاذِبَةِ والخاطِئَةِ^(٢).

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: لا تُطِيعوه.

﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: ظاهرُ العداوةِ لما يدعوكم إليه.

وقيل: أبانها لأدم.

(٢٠٩) - ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ﴾.

﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾: تنحَّيْتُمْ عن القصد.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾: محمَّدٌ والقرآنُ.

(١) قرأ نافع وابن كثير والكسائي بالفتح، والباقون بالكسر. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٣٦)، وللزجاج (٢/ ٤٤٦).

وقيل: المواعظ الواضحة والآيات اللائحة.

﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ تهديدٌ للعلماء؛ فإنَّ ذنبهم أعظم من ذنب الجهلاء.

(٢١٠) - ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ وَفُضِيَ

الْأَمْرُ وَاللَّهُ تَرْجِعُ الْأُمُورَ﴾.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾؛ أي: ما ينتظرُ التَّاركون الدُّخولَ في السُّلم؟

والنَّظرُ على وجهين:

تقليبُ العينِ نحو المرئيِّ، ويُعدَّى به (إلى) (١).

والثاني: بمعنى التَّوقُّعِ والانتظارِ، وهو المرادُ في الآية.

﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ﴾ مذهبُ السَّلفِ فيه وفي

أمثاله لزومُ القولِ باللفظِ دونَ اعتقادِ ما يوجبُ تشبيهاً لله سبحانه، وقالوا: يأتي الله إتياناً لا نُقْلَةً (٢) فيه ولا زوالاً.

وقيل: يأتي أمرٌ (٣) الله والأهوالُ الشَّديدةُ التي توعدَّهم بها.

وقيل: (في) هاهنا بمعنى الباء؛ أي: يأتيهم بظُللٍ (٤).

الزَّجاج: أي: يأتيهم بما وعدَّهم من الثَّوابِ والعقاب (٥).

(١) «ويعدى بإلى» من (ن).

(٢) النُّقْلَةُ: الاسم من الانتقال. انظر: «معجم ديوان الأدب» للفارابي (١/١٧٣).

(٣) «أمر» من (ن).

(٤) انظر: «الدر المصون» للسمين الحلبي (٢/٣٦٣).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/٢٨٠).

ابن جرير: يأتيهم الله لمحاسبتهم على الغمام على عرشه، يحمله ثمانية من الملائكة^(١).

﴿وَأَلْمَلَيْكَتُهُ عَطْفٌ عَلَى الْفَاعِلِ﴾^(٢).

﴿وَقَضَى الْأَمْرُ﴾ الزَّجَاجُ: أي: وصل إلى كلُّ مُسْتَحَقِّهِ^(٣).

وظُلٌّ: جمع ظُلَّةٍ؛ وهي كلُّ ما أظلك.

والغمام: السحاب الأبيض.

﴿وَاللَّهُ تَرْجِعُ الْأُمُورَ﴾ قرئ بالوجهين^(٤)، ومعناها واحد.

(٢١١) - ﴿سَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ

فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿سَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾؛ أي: رؤساءهم، وقيل: علماءهم، وقيل: عامتهم.

﴿كَمَا آتَيْنَهُمْ﴾: جنناهم بها ﴿مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ نحو فَلَاقِ الْبَحْرِ، وتظليل الغمام،

وإنزال المنِّ والسَّلْوَى، وغيرها، فبدَّلوا بخلافهم على موسى حين عبدوا العجل.

وقيل: فبدَّلوا بكتمانٍ أمرٍ مُحَمَّدٍ ﷺ.

(١) لم أقف على هذه العبارة لابن جرير في «تفسيره» وما بين يدي من كتبه، وقد نقلها أبو حيان عنه في «البحر المحيط» (٢/ ٣٤٤).

(٢) وهو لفظ الجلالة.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٨٠).

(٤) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ﴿تَرْجِعُ الْأُمُورَ﴾ بفتح التاء وكسر الجيم حيث وقع، والباقون بضم

التاء وفتح الجيم. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨١)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠).

﴿وَمَنْ يَبْدِلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾؛ أي: له.

وقيل^(١): لمن استحقَّه، فدخل فيه المذكورون.

والسُّؤال: طلبُ الجواب، والمرادُ به هاهنا: التَّقرُّعُ والتَّبكيُّتُ، وفيه لغتان: سألَ يسألُ؛ كهَابَ يَهَابُ، وسألَ يسألُ؛ كقرَأَ يقرَأُ.

و﴿سَلَّ﴾: يُحتمَلُ^(٢) أن يكونَ من الأوَّلِ كهَبَ، ويُحتمَلُ أن يكونَ من الثاني؛ نُقِلَ^(٣) حركةُ الهمزة إلى السِّينِ، فسقطتِ الهمزتان.

وهو يتعدَّى^(٤) إلى مفعولين كَأعطيتُ^(٥)؛ قال:

سألتاني الطَّلَاقَ أن رأَتاني قَلَّ مالي، قد جِئْمانِي بِنُكْرٍ^(٦)

ويجوزُ الاقتصارُ^(٧)، كقوله: ﴿وَسأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ﴾.

ويُعدَّى بالباء: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ﴾ [المعارج: ١]، ويُعدَّى بـ(عن)^(٨): ﴿وَسأَلَهُمْ

عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

(١) في (ن) زيادة: «شديد».

(٢) في (ن): «محتمل».

(٣) في (و): «فنقل».

(٤) في (و): «متعد».

(٥) وهو بمعنى الطلب في هذه الحالة، كما ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٠٩).

(٦) البيت مختلف في نسبه؛ فهو لزيد بن عمرو بن نفيل في «الكتاب» لسيبويه (٢/ ١٥٥)،

و(٣/ ٥٥٥)، و«الأصول» لابن السراج (١/ ٢٥١)، و«خزانة الأدب» للبيгдаدي (٦/ ٤١٠)،

وهو لابنه سعيد بن زيد رضي الله عنه في «البخلاء» للجاحظ (ص: ٢٤٠).

(٧) أي: على أحد مفعولي سأل، وقد زيد في (و): «على أحدهما».

(٨) وهو بمعنى البحث عن الشيء في هذه الحالة، كما ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٠٩).

وقد يقعُ موقعَ المفعولِ الثاني استفهامٌ؛ نحو: ﴿سَلِّبِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمُ﴾ [البقرة: ٢١١].

وقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧]، فالجملةُ بدلٌ عن المجرور^(١).

(٢١٢) - ﴿زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

﴿زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ الحسن: زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ ذَلِكَ^(٢).

وقيل: زَيْنَ شُرَكَاءَهُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ.

وقيل: زَيْنَ اللَّهُ ذَلِكَ بِخَلْقِ الشَّهَوَاتِ.

﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني: بكتمانِ الكفرِ وإظهارِ الإيمانِ.

وقيل: سَخَرِيَّتَهُمْ بَضْعَفَةٍ^(٣) الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَمْ يَنَالُوا حِطًّا مِنَ الدُّنْيَا.

﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بالمنزلةِ والمنزلِ، ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ

حِسَابٍ﴾.

قوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يجوزُ أن يعودَ إلى الله؛ أي: يُعْطَى وَلَا يَنْقُصُ مَا عِنْدَهُ.

الصَّحَاكُ: أي: لَا يَحَاسِبُ نَفْسَهُ بِمَا يُعْطَى الْعِبَادَ^(٤).

(١) فليست مما وقع فيه الاستفهام موقع المفعول الثاني لـ (يسأل).

(٢) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٢/ ١٠٦)، والماوردي في «النكت والعيون»

(١/ ٢٧٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ١٧٦).

(٣) في (و): «بضعف».

(٤) ذكره الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٢٠) بلا نسبة.

ويجوز أن يعود إلى العبد؛ أي: يعطيه فلا يحاسبه عليه في الدنيا والآخرة، من قوله: ﴿بُرُزُقُونَ فِيهَا بغيرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٤٠].

ويجوز أن يعود إلى العطاء؛ أي: رزقًا كثيرًا دائمًا لا ينقطع.

وقيل: معناه بغير كفاية، بل فوقها^(١).

وقيل: من حيث لا يحتسب^(٢).

(٢١٣) - ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً﴾؛ أي: كان الناس على عهد آدم، وقيل: على عهد نوح، وقيل: حين^(٣) أخرجوا من ظهر آدم، وقيل: بعد موسى، وقيل: بعد^(٤) إبراهيم.

﴿وَاحِدَةً﴾؛ أي: مجتمعين على الحق ودين الإسلام.

وقيل: على غير دين مشروع ولا ملة موسومة، وإن شدد منهم قوم كأصحاب الكهف كانوا مستورين.

والأمة: القوم المجتمعون على الشيء يقتدي بعضهم ببعض، مشتقة من (الاتمام).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢١١)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢١١)، وعدّه من العجائب.

(٣) «حين»: ليس في (و).

(٤) «قبل بعد» من (ن).

وقيل: الأُمَّة: الدِّينُ^(١)، قال:

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً وهل يَأْتَمَنُ ذُو أُمَّةٍ وَهُوَ طَائِعٌ^(٢)

فيكون التَّقدير: كان النَّاسُ ذَوِي أُمَّةٍ وَاحِدَةٍ.

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ﴾ وفي مصحف ابن مسعود: (فاختلفوا، فبعث الله النَّبِيِّنَ)^(٣).

﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾؛ أي: لتعريفِ الحقِّ، وردَّ مَنْ عَدَلَ عَنْهُ إِلَيْهِ، وتبشيرِ

المطيعِ منهم بِالْجَنَّةِ، وإنذارِ مَنْ عصَى بِالنَّارِ.

﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾: اللَّامُ لِلْجِنْسِ.

﴿يَا حَقَّ﴾: بَتِّيَانِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ.

﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾؛ أي: ليكونَ الْكِتَابُ حَكْمًا بَاقِيًا بَيْنَ

أَظْهَرِهِمْ، يُرْجَعُ إِلَى مَضْمُونِهِ فِي مَا أَشْكَلَ مِنْ أُمُورِ دِينِهِمْ، وليتلوه^(٤) أَعْقَابُهُمْ^(٥)،
وَمَنْ تَنَأَى عَنْهُمْ دَارُهُمْ.

وقيل: لِيَحْكُمَ اللَّهُ.

وقرىء: ﴿لِيُحْكَمْ﴾^(٦).

(١) انظر: «الأضداد» للأبباري (ص: ٦).

(٢) البيت للناطقة الديباني. انظر: «ديوانه» (ص: ٥١)، و«العين» (٨ / ٤٢٨) مادة: (أم م).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٣ / ٦٢٥)، و«تفسير الثعلبي» (٥ / ٣٦٩)، و«البيسيط» للواحدي

(٤ / ١١١)، وذكر ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢ / ٣٧٦) أنها قراءة أبي بن كعب أيضاً.

(٤) «وليتلوه» من (ن).

(٥) أي: ليتلو الأولادُ الْكِتَابَ بعد الآباء الذين نزل بينهم.

(٦) هي قراءة أبي جعفر من العشرة. انظر: «النشر» لابن الجزري (٢ / ٢٢٧).

﴿وَمَا اٰخْتَلَفَ فِيْهِ﴾؛ أي: في الحقِّ، وقيل: في الكتاب، وقيل: في محمَّد عليه السَّلَام.

﴿اِلَّا الَّذِيْنَ اٰوْتُوْهُ﴾؛ أي: الحقِّ، وقيل: الكتاب.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ اَلْبَيِّنَاتُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: اختلفوا بعياً وحسداً وطلباً للرئاسة

وميلًا إلى الدنيا.

واختلافهم تكفيرٌ بعضهم بعضاً، وقيل: تحريفهم وتغييرهم الأحكام.

﴿فَهَدَى اللّٰهُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لِمَا اٰخْتَلَفُوْا فِيْهِ﴾؛ أي: اختلف غيرهم، ويحتمل أن يكون

هم وغيرهم، فكان هناك مطلوبٌ مختلفٌ^(١) في عينه، ففاز بالهدى منهم من آمن.

وقيل: فهدى الله الذين آمنوا بمحمَّد لما اختلف فيه من قبلهم.

قال الأخفش: أي: فهدى الله الذين آمنوا للحقِّ ممَّا^(٢) اختلفوا^(٣).

﴿مِنْ اَلْحَقِّ﴾: الصَّواب، وقيل: الإسلام، و(من) فيه لبيان الجنس.

﴿بِاٰذِنِهِ﴾ بأمر الله.

الزَّجَّاج: بعلمه؛ أي: بأن أعلمهم ما اهدوا به للحقِّ^(٤).

﴿وَاللّٰهُ يَهْدِيْ مَنْ يَّشَاءُ اِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ﴾؛ أي: يوفِّق من استحقَّ التوفيق.

(١) في (ن): «مطلوباً مختلفاً».

(٢) في (و): «آمنوا لما».

(٣) نسب الواحدي هذه العبارة للفراء، وهي أقرب إلى كلامه من كلام الأخفش. انظر: «معاني

القرآن» للفراء (١ / ١٣١)، وللأخفش (١ / ١٧٠)، وفيه: «والمعنى: عرّفهم الاختلاف حتى

تركوه»، و«البسيط» للواحدى (٤ / ١١٤).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١ / ٢٨٥).

(٢١٤) - ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَإِنَّا نَصُرُ اللَّهَ قَرِيبٌ ﴾ .

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا ﴾ قال قتادة والسُّدِّيُّ: نزلت هذه الآية في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهدِ والمشقةِ والشدةِ والخوفِ^(١) والبردِ وضيقِ العيشِ وأنواعِ الأذى، فكان كما قال: ﴿ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ [الأحزاب: ١٠]^(٢).

قال عطاء: لَمَّا دخل رسولُ الله ﷺ وأصحابُه المدينةَ اشتدَّ الضُّرُّ عليهم؛ لأنَّهم خرجوا بلا مالٍ، وتركوا أموالهم وديارهم في أيدي المشركين، فأنزل الله تطييباً لقلوبهم: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ ﴾ الآية^(٣)؛ أي: أحسبتم؟

وقيل: بل أحسبتم أن تدخلوا ﴿ الْجَنَّةَ ﴾؟^(٤)

﴿ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ ﴾؛ أي: ولم يأتكم.

والفرقُ بينهما: أنَّ (لم) للنفي، و(لَمَّا) للنفي مع التَّوَقُّعِ؛ قال:

أَرَفَ التَّرْحُلُ غَيْرَ أَنْ رِكَابَنَا لَمَّا تَزَلُ بِرِحَالِنَا^(٥) وَكَأَنَّ قَدِ^(٦)

ويجوز الوقف على (لَمَّا) دون (لم)^(٧).

(١) «والخوف»: ليس في (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣ / ٦٣٧).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢ / ١٣٥).

(٤) انظر: «ارتشاف الضرب» لأبي حيان (٤ / ١٩٧٨)، و«الجنى الداني» للمراي (ص: ٢٠٥).

(٥) في (ن): «برحالها».

(٦) البيت للناطقة الذيباني. انظر: «ديوانه» (ص: ٩٤)، و«شرح الكتاب» للسيراقي (١ / ١٤٢).

(٧) انظر: «الجنى الداني» للمراي (ص: ٢٦٨).

﴿مَثَلُ الَّذِينَ﴾: مثل ومثل لغتان^(١).

أي: لم تنزل بكم شدائد مثل ما نزل بالذين ﴿خَلَوْا﴾: مضوا ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾.

ثم ذكر ما نزل بهم فقال: ﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ﴾: البؤس، ﴿وَالضَّرَاءُ﴾: الضر.

﴿وَزُلْزِلُوا﴾: وحركوا، وأوذوا بأنواع البلاء.

وأصل الكلمة عند الكوفيين من (زَلَّ)، و(زلزل) مبالغة؛ كصَلَّ وصلَّصَلَّ،

وَكَبَّ وكَبَّكَ، وعند البصريين: هو مضاعف الرباعي^(٢).

وقيل: معناه: جاءهم الشدائد من قبل أعدائهم.

﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ﴾ قال القتيبي^(٣): استبطؤوا النصر^(٤).

وقيل: الاستبطؤ من القوم، والإجابة من الرسول، وتقديره: حتى يقول الذين

آمنوا معه: متى نصر الله، ويقول الرسول: ﴿أَلَا إِنَّ نَصَرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾^(٥).

وقيل تقديره: متى نصر الله؟ فأجابهم الله، وقال: ﴿أَلَا إِنَّ نَصَرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾.

(١) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٢/ ٣٦٣)، و«أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ٥٣٣).

(٢) انظر: «الشافية» لابن الحاجب (١/ ٧٥)، و«شرح الشافية» للرضي (١/ ٦٢).

(٣) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ). انظر: «الأنساب» للسمعاني

(١٠/ ٣٤٠).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١١)، وقال: «وفيه بُعد؛ لأن الأنبياء عليهم السلام

واثقون بوعد الله، منتظرون لأمر الله»، وقد ذهب إلى هذا الزجاج، أما القتيبي، فلم أقف على كلام له

في الآية، لكنه ذهب إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا

جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾. انظر: «مشكل القرآن» له (ص: ٢٣٤).

(٥) ذكره ابن فارس في «الصاحبي في فقه اللغة» (ص: ١٨٨).

وقيل: تَمَّ الكلامُ عند قوله: ﴿مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾، ثم قال الله^(١) لنبِيِّه مُحَمَّدٍ عليه السلام: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾^(٢).

وقيل: هي من جُملة كلامهم.

وقيل: لم يكن منهم استبطاءٌ، بل كان استعلامًا لوقت النُصرة، فأجابهم الله بقوله: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾.

مَنْ نَصَبَ (يقول) فياضمار (أن)، وَمَنْ رَفَعَ فعلى حكاية الحال^(٣).

(٢١٥) - ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ ابن عباس: نزلت في عمرو بن الجموح الأنصاري، وكان شيخًا كبيرًا، وعنده مالٌ كثيرٌ، فقال: يا رسول الله، بماذا نتصدقُ؟ وعلى مَنْ ننفقُ؟ فنزلت: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾^(٤).

ابن عباس^(٥): كانوا لما أمروا بالإنفاقِ سألوا عن مصرفه^(٦)، فقال:

﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾: من مالٍ.

(١) اسم الجلالة «الله» من (ن).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١١)، واستغربه.

(٣) قرأ نافع بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨١)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠).

(٤) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٦٧).

(٥) «ابن عباس» من (ن).

(٦) روى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٨١).

وقيل: من شيء يُتَقَرَّبُ به إلى الله.

﴿فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ الحسن: أراد به التَّطَوُّعَ^(١).

والآية محكمة غير منسوخة بآية الموارث وآية الزكاة.

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾: فلن^(٢) تُعَدُّوا جزاءه.

(٢١٦) - ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ

وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾: فُرِضَ عليكم جهاد الكفار.

﴿وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾؛ أي: لا تهواه النفوس، بل تنفر عنه الطباع.

وقيل: كُرْهُ لكم قبل الفرض، فلما فرض الله عليهم أَرَادَوه لأمره^(٣).

﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾ في الحالِ ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ في المَالِ.

﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا﴾ في الرَّاهِنَةِ ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ في العاقِبَةِ.

وفي الجهاد إحدى الحُسْنَيْنِ؛ الشَّهَادَةُ أو الغَنِيْمَةُ، وفي تركه إحدى السَّيِّئَيْنِ^(٤):

القتل أو الأسر.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ المصالح الخفية، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٤٢) عن ابن جريج، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٨١) عن

مقاتل بن حيان.

(٢) في (و): «فلم».

(٣) أي: لَمَّا أمرهم الله به لم يعد كُرْهاً لهم، بل رغبوا به استجابة لأمر الله.

(٤) في (و): «الحسنين».

(٢١٧) - ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقْبِلُونَكَ حَتَّىٰ يَرْضُوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ قال المفسرون: بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش - وهو ابن عمّة النبي ﷺ - في جمادى الآخرة قبل قتال بدرٍ بشهرين، على رأس سبعة عشر شهرًا من مقدّمه المدينة، وبعث معه ثمانية رهطٍ من المهاجرين؛ سعد بن أبي وقاص الزُّهري، وعكاشة بن محصن الأسدي، وعُتبة بن غزوان السلمي، وأبا حذيفة بن عُتبة بن ربيعة، وسُهيل بن بيضاء، وعامر بن ربيعة، وواقد بن عبد الله، وخالد بن بكير، وكتب لأميرهم عبد الله بن جحش كتابًا وقال: «سر على اسم الله، ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين، فإذا نزلت منزلتين فافتح الكتاب، وقرأه على أصحابك، ثم امض لِمَا أَمَرْتُكَ، ولا تستكرهنَّ أحدًا^(١) من أصحابك على السير معك»، فسار عبد الله يومين، ثم نزل وفتح الكتاب، فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد، فسِر على بركة الله بمن تبعك من أصحابك حتى تنزل بطن نخلة^(٢)، فترصد بها عير قريش؛ لعلك أن تأتينا منه بخبر»، فلمّا نظر عبد الله في الكتاب، قال: سمعًا وطاعةً، ثم قال لأصحابه ذاك، وقال: إنّه نهاني أن أستكره أحدًا منكم، حتى إذا كان بمعدنٍ فوق الفرع أضلَّ سعدُ بنُ أبي وقاص وعُتبة بن غزوان بعيرًا لهما كانا يعتقانه، فاستأذنا أن يتخلفا في طلب بعيرهما، فأذن لهما، فتخلفا في

(١) «أحدًا»: ليس في (ن).

(٢) بطن نخلة: موضع بين مكة والطائف. انظر: «الصحاح» للجوهري مادة: (ن خ ل) (٥ / ١٨٢٧).

طلبه، ومضى عبد الله ببقية أصحابه حتى نزلوا بطن نخلة بين مكة والطائف، فبينما هم كذلك مرّت بهم عيرٌ لقريشٍ تحمل زبيباً وأدماً وتجاراً من تجارة الطائف، فيهم عمرو بن الحضرمي، والحكم بن كيسان، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، ونوفل بن عبد الله المخزوميان، فلما رأوا أصحاب رسول الله ﷺ^(١) هابوهم.

فقال عبد الله بن جحش: إِنَّ الْقَوْمَ قَدْ دَعَرُوا مِنْكُمْ فَاحْلِقُوا رَأْسَ رَجُلٍ مِنْكُمْ فَلْيَتَعَرَّضْ لَهُمْ، فَإِذَا رَأَوْهُ مَحْلُوقًا أَمِنُوا وَقَالُوا: قَوْمٌ عُمَارٌ، فَاحْلِقُوا رَأْسَ عَكَاشَةَ، ثُمَّ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا: قَوْمٌ عُمَارٌ لَا بَأْسَ عَلَيْكُمْ، فَأَمَّنُوهُمْ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ، وَكَانُوا يَرُونَ أَنَّهُ جُمَادَى وَهُوَ مِنْ رَجَبٍ، فَشَاوَرَ الْقَوْمَ فِيهِمْ، وَقَالُوا: لَئِنْ تَرَكْتُمُوهُمْ هَذِهِ اللَّيْلَةَ لِيَدْخُلَنَّ الْحَرَمَ وَلِيَمْتَنِعَنَّ مِنْكُمْ، فَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ فِي مَوَاقِعَةِ الْقَوْمِ، فَرَمَى وَاقْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّهْمِيَّ عَمْرَو بْنَ الْحَضْرَمِيِّ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ، وَكَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَاسْتَأْسَرَ الْحَكْمُ وَعُثْمَانُ، فَكَانَا أَوَّلَ أُسِيرِينَ فِي الْإِسْلَامِ، وَأَفْلَتَ نَوْفَلٌ فَأَعْجَزَهُمْ، وَاسْتَأْقَى الْمُؤْمِنُونَ الْعَيْرَ وَالْأُسِيرِينَ حَتَّى قَدَمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ.

وقالت قريش: قد استحلَّ محمدُ الشهرَ الحرام، شهراً يأمنُ فيه الخائفُ، وَيَبْدَعِرُ^(٢) النَّاسَ لِمَعَايِشِهِمْ، فَسَفَكَ فِيهِ الدَّمَاءَ^(٣)، وَأَخَذَ فِيهِ الْحَرَائِبَ^(٤). وَعَيْرٌ بِذَلِكَ أَهْلُ مَكَّةَ مَنْ كَانَ بِهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَقَالُوا: يَا مَعْشَرَ الصُّبَاةِ، اسْتَحْلَلْتُمُ الشَّهْرَ

(١) في (ن): «أصحاب محمد عليه السلام».

(٢) أي: يتفرقون. انظر: «العين» (٢/ ١٠٣) مادة: (ب ذ ع)، و«غريب الحديث» لأبي عبيد (٢/ ١١).

(٣) «الدماء»: ليس في (ن).

(٤) الحرائب: جمع حريبة: وهي مال الرجل الذي يعيش به. انظر: «غريب الحديث» للخطابي

الحرام وقاتلتم فيه، وتغالت اليهود بذلك وقالوا: واقدٌ وقدت الحرب، وعمروٌ وعمرت الحرب، والحضرميُّ حضرت الحرب.

وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لابن جحشٍ وأصحابه: «ما أمرتكم بالقتال^(١) في الشهرِ الحرامِ»، ووقف العيرَ والأسيرين، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً، فعظم ذلك على أصحابِ السريّة، وظنّوا أن قد هلكوا، وسقطَ في أيديهم، وقالوا: يا رسول الله، إنّنا^(٢) قتلنا ابنَ الحضرميِّ، ثم أمسينا فنظرنا إلى هلالِ رجبٍ، فلا ندري أفي رجبٍ أصبناه أم في جمادى؟ فأكثر الناسُ في ذلك، فأنزل الله هذه الآية، فأخذ رسولُ الله ﷺ العيرَ، فعزلَ منها الخمسَ، وكان أوّلُ خُمسٍ في الإسلام، وقسمَ الباقي بين أصحابِ السريّة، وكان أوّلَ غنيمةٍ في الإسلام، وبعث أهلَ مكّة في فداءِ أسيرهم، فقال: «بل نقفهم حتى يقدمَ سعدٌ وعتبةٌ، فإن لم يقدما قتلناهما بهما»، فلما قدما فاداهم.

فأمّا الحكمُ بنُ كيسانَ فأسلم، وأقام مع رسول الله ﷺ بالمدينة، وأمّا عثمانُ بن عبد الله فرجع إلى مكّة فمات بها كافراً، وأمّا نوفلٌ فضربَ بطنَ فرسه يوم الأحزاب؛ ليدخل الخندقَ على المسلمين، فوقع في الخندق مع فرسه فتحطّما جميعاً وقتله الله، وطلب المشركون جيفته بالثمن، فقال ﷺ: «خذوه؛ فإنّه خبيثُ الجيفةِ خبيثُ الدية»^(٣). فهذا سبب نزول: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾.

عن ابن عباسٍ قال: ما رأيت قوماً كانوا خيراً من أصحاب رسول الله، ما

(١) في (و): «بالقتل».

(٢) في (ن): «إننا».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٥٤ - ٦٥٥) عن السدي، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٤٠٨ - ٤١٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٦٩ - ٧٠) عن المفسرين. وروى نحوه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٧٩٨٩) عن عروة بن الزبير. وانظر: «تغليق التعليق» لابن حجر (٢/ ٧٥ - ٧٧).

سألوه إلا^(١) عن ثلاث عشرة مسألة حتى قبض عليه السّلام، وكلهنّ في القرآن^(٢).
و﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ﴾ هنا: رجبٌ.

﴿تَالِ فِيهِ﴾ بدلٌ عن ﴿الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾^(٣) بدل الاشتمال؛ أي: يسألونك عن القتال في الشّهر الحرام.

والسائلون هم الكفّار كما سبق؛ سألوه تشنيعاً عليه وعلى أصحابه فيما كان منهم.

وقيل: سألوه إرادة الفتك^(٤) في اغترار النبيّ ﷺ والمؤمنين.

وقيل: السائلون أصحاب رسول الله ﷺ الذين قتلوا ابن الحضرميّ.

﴿قُلْ قَتَالُ فِيهِ كَبِيرٌ﴾؛ أي: ذنبٌ عظيمٌ.

﴿وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾؛ أي: منعٌ عنها، يريدُ صدّهم المسلمين عن البيتِ عامِ الحُدَيْبِيَّةِ.

﴿وَكُفْرٌ بِهِ﴾؛ أي: بالله، وقيل: بالشّهر الحرام؛ لانتهاك حرّمته، وقيل: بالمسجد فيمن قدره مقدّمًا.

﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: مكّة.

(١) «إلا» من (ن).

(٢) رواه الدارمي في «سننه» (١٢٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٢٨٨)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١٠ / ٢٨١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١ / ١٥٩): «وفيه عطاء بن السائب، وهو ثقة ولكنه اختلط، وبقيه رجاله ثقات».

(٣) «الحرام» ليس في (و).

(٤) في (و): «القتل».

الحسن والفراء: هو عطفٌ على ﴿الشَّهْرِ﴾؛ أي: يسألونك عن الشهر الحرام والمسجد الحرام^(١)، والجمهورُ على أنه عطفٌ على ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾؛ أي: صدُّ عن سبيل الله وعن المسجد الحرام^(٢)، وقيل: عطفٌ على الهاء، ولا يجوزُ عند البصريين العطفُ على ضميرِ المجرورِ إلا بإعادة الجار^(٣).

﴿وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِ﴾ يعني: المسلمين ﴿مِنْهُ﴾ من المسجد.

وقيل: من الإيمانِ بالتَّعْذِيبِ وغيره^(٤).

﴿أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ممَّا تقدَّم، وقيل: من القتال.

﴿وَالْفِتْنَةُ﴾؛ أي: الكفرُ ﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾؛ أي: في الشهرِ الحرامِ.

﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ﴾؛ يعني: الكفارُ ﴿حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾ إلى الكفرِ

﴿إِنْ أَسْتَطَعُوا﴾.

ثم أوعِدَ فقال: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ دِينَكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾؛ أي: مات

على الكفر، ﴿فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ﴾، فلم يُثابوا عليها ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

أجمع المفسِّرون على أن الآيةَ منسوخةٌ بقوله: ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ

وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ إلا عطاءً؛ فإنه يقول: الآيةُ محكمةٌ^(٥).

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١ / ١٤١).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢١٢)، واستبعده، قال: «لأنه لا يُحال بين صلة المصدر وما يعطف عليها، وقد حيل هاهنا بقوله: (وكفر به)».

(٣) انظر: «الإنصاف في مسائل الخلاف» للأبباري (٢ / ٣٧٩).

(٤) أي: إخراج المؤمنين من دينهم وإيمانهم بالتعذيب والإكراه أكبر عند الله.

(٥) رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٣٨٨)، والطبري في «تفسيره» (٣ / ٦٦٣) عن عطاء.

الزَّجَاجُ: ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ﴾: مبتدأ^(١)، وخبره: ﴿كَبِيرٌ﴾، و﴿وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وما بعده: مبتدأ، و﴿أَكْبَرُ﴾: خبره^(٢).

وقيل: ﴿وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرُ بِهِ﴾ عطفٌ على ﴿كَبِيرٌ﴾، و﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ﴾ مبتدأ، و﴿أَكْبَرُ﴾ خبره، وهذا على^(٣) قولٍ مَنْ جعل به عائداً إلى الشهر أو إلى المسجد، أو على مَنْ جعل ﴿أَكْبَرُ﴾ من القتال، لا من الكفر؛ لأنَّه محالٌ أن يكون شيئاً من الكفر أعظم من الكفر.

(٢١٨) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ الآية، قال الزُّهْرِيُّ: ولما فرَّجَ اللهُ عن أهل تلك السَّرِيَّةِ ما كانوا فيه من غمٍّ طمَعُوا فيما عند الله من ثوابه، فقالوا: يا نبيَّ الله، أنطمعُ أن تكون غزوةٌ تُعطى فيها أجرَ المجاهدين؟ فأنزل اللهُ^(٤) فيهم الآية^(٥).

أي: إنَّ الذين آمنوا بك، والذين هاجروا وتركوا مكة، وخرجوا خلفَ رسول الله ﷺ إلى المدينة.

وأصلُ الهجرة: قطعُ المواصلَةِ عن قَلِي.

(١) أي: قتالٌ مبتدأ.

(٢) في (و): «سبيل الله مبتدأ، وما بعده خبره». انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٨٩ - ٢٩٠).

(٣) «على» من (ن).

(٤) اسم الجلالة «الله» من (ن).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣١٩).

﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: قاتلوا الكفار.

والجهاذ: القتال للإذعان بالحق.

﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾: يطمعون فيها ويأملون، والرجاء: الأمل.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

(٢١٩ - ٢٢٠) - ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعُ

لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا آكْرَبُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ

الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحُهُمْ خَيْرٌ

وَأِنْ تَخَالَطُوهُمْ فَإخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنْ أَلَّاهُ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ﴾.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ ذكر المفسرون أنَّ الآية نزلت في عمر بن

الخطاب ومعاذ بن جبل ونفر من الأنصار أتوا رسولَ الله عليه السلام وقالوا: أفينا

في الخمر والميسر؛ فإنهما مذهبة للعقل مسلبة للمال، فأنزل الله هذه الآية^(١).

قال القفال: أول آية نزلت في الخمر هذه، فامتنع عن شربها جماعة، ولما تقرر

هذا عندهم حرّم عليهم شرب الخمر إذا أرادوا أن يقربوا الصلاة بقوله: ﴿لَا تَقْرَبُوا

الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ [النساء: ٤٣]، فتركها أكثرهم، ثم نزل التحريم العام بقوله:

﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾^(٢).

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٤٢٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٧١).

(٢) ذكر نحوه الرازي في «التفسير الكبير» (٦/ ٣٩٦)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٢/ ٤٠٤).

«الحجّة» عن الحسن: المحرّمة ما في (البقرة)؛ لقوله: ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، والإثم حرامٌ على كلِّ حالٍ^(١).

والخمر: عصيرُ العنبِ بعدما اشتدَّ.

والميسر: القمارُ كُلُّه؛ عن ابن عباسٍ وابن مسعودٍ وابن سيرين والحسن وقتادة ومجاهدٍ^(٢).

مشتقٌّ من (اليسر)، وهو وجوبُ الشيء لصاحبه، ويُقالُ للمقامر: يَاسِرٌ وَيَسِرُّ، وقيل: اليسرُ: جمع الياسر، والأيسارُ: جمع الجمع^(٣).

والميسرُ: الجزور، وكانت العربُ تنحرُ جزورًا وتجعله أقسامًا يتقامرون عليها، وهو ضربُ القداحِ على أجزاءِ الجزورِ قمارًا.

القتبيُّ: الأقداحُ عشرةٌ؛ سبعةٌ منها عليها حظوظٌ؛ وهو: الفُدُّ وله نصيبٌ، والتَّوَأْمُ وله نصيبان، والرَّقِيبُ - وقيل: الضَّرِيبُ - وله ثلاثةٌ أنصباء، والحِلْسُ وله أربعةٌ أنصباء، والثَّافِسُ وله خمسةٌ، والمُسْبِلُ وله ستةٌ، وقيل: المصنَّح، والمُعَلَّى وله سبعةٌ أنصباء.

وثلاثةٌ أغفالٌ لا نصيبَ لها؛ وهي المَنِيحُ والسَّفِيحُ والوَعْدُ^(٤).

(١) انظر: «الحجّة» لأبي علي الفارسي (٢ / ٣٠٨)، والكلام فيه غير منسوب، وإنما قال: «ومن أهل النظر من قال» وذكر نحوه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ٣٢٢ - ٣٢٤) عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما وعن ابن سيرين والحسن وقتادة ومجاهد.

(٣) وقيل: الأيسار جمع يسر. انظر: «المعاني الكبير» لابن قتيبة (٣ / ١١٤٧).

(٤) انظر: «المعاني الكبير» (٣ / ١١٦٦ - ١١٦٧)، و«إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث» (ص: ١١٣ - ١١٤) كلاهما لابن قتيبة.

وفي كيفية استعمالهم لها كلامٌ ليس هذا موضعه.

﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ في تجارتهم بها، وتقوية الضعيف، وهضم الطعام، وتسلي المحزون، وتشجيع الجبان، وتسخي البخيل^(١).

ومنافع الميسر: التوسعة على ذوي الحاجة؛ لأن من قمر^(٢) لم يكن يأكل من الجزور، بل كان يفرقه في المحتاجين، ولهذا كانوا يسمون من لا يسير^(٣) برماً، ويدمونه ويهجونه.

﴿وَإِثْمُهُمَا﴾: ما يحصل بسببهما من البغضاء والشنآن، والحمل على ارتكاب الفواحش، وزوال العقل، وغيرهما^(٤) مما يطول تعداده.

﴿أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾؛ أي: فلا تغتروا بالنفع فيها؛ فالضرر أكثر منه.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ نزلت في سؤال عمرو بن الجموح؛ وذلك أنه^(٥) لما بين له مصرفه سأل عن المقدار^(٦).

(١) وهذه فوائد مزعومة للخمر، والخمر إنما تضعف العقل، فيتوهم شاربها فيها تقوية وتسلية، وقد ذكر الفخر الرازي من ذلك ما يشبه كلام المصنّف، والله أعلم. انظر: «مفاتيح الغيب» للرازي (٦ / ٤٠١).

(٢) أي: غلب في القمار. انظر: «غريب الحديث» لإبراهيم الحربي (٢ / ٣٧٥).

(٣) أي: يأتي بقدره للقمار. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٣ / ٤٢).

(٤) كذا في النسخ الخطية، وهو معطوف على (ارتكاب)، والمراد: أن الخمر تحمل على أشياء غير ارتكاب الفواحش وزوال العمل.

(٥) «أنه» من (ن).

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥ / ٣٩٠) بلا نسبة، وذكره الواحدي في «البيضا» (٤ / ١٢٥) من

طريق الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿قُلِ الْمَفْوُ﴾ ابن عباسٍ وقتادة: الفضلُ عن الغنى^(١).

الحسن وعطاء: الوسطُ من غير إسرافٍ ولا إقتارٍ^(٢).

مجاهد: الصدقةُ المفروضة^(٣).

وأصله: من الزيادة، من قوله: ﴿حَتَّىٰ عَفَا﴾ [الأعراف: ٩٥] أي: زادوا، وقيل: من

التَّرك؛ من قوله: ﴿فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [البقرة: ١٧٨]؛ أي: تَرَكَ.

السُّدِّي: هذه الآية منسوخةُ بآيةِ الزكاة^(٤).

مجاهد: فرضُ ثابتٌ^(٥).

وقيل: أدبٌ من الله ثابتٌ غيرٌ منسوخٍ.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ﴾؛ أي: كبيانِ الخمرِ والميسر، وقيل: كبيانِ ما سبقَ في

السُّورةِ يبيِّنُ الله ﴿لَكُمْ الْآيَاتِ﴾: الأحكام؛ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

(٢٢٠) = ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحُهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَاطَبُوا بِهِمْ

فَاخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنْ اللَّهُ غَرِيْبٌ حَكِيْمٌ﴾.

﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ الرَّجَاجِ: ﴿فِي﴾ متعلِّقٌ بـ ﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾؛ أي: يتفكَّرون

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٣٤٠) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٨٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٨٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٩٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٩٣).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٩٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٩٤).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٩٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٩٣).

في أمر الدنيا والآخرة، ويُحتمل أن يكون من صلة ﴿بَيِّنٌ﴾^(١).

ابن جرير: تتفكرون في الدنيا وفنائها، والآخرة وبقائها، فتعلمون فضلها على الدنيا^(٢).

وقيل: تتفكرون فيما وَسَّعَ عليكم من نعيم الدنيا، وفُرِضَ عليكم^(٣) إنفاقه، وهو السَّهْلُ اليسير.

﴿وَسْتَلُونَكُمْ عَنِ الْيَتَمَى﴾ عن ابن عباسٍ قال: لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ الآية [الأَنْعَام: ١٥٢]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَمَى﴾ الآية [النِّسَاء: ١٠]، انْطَلَقَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ مَالٌ يَتِيمٍ، فَعَزَلَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ، وَجَعَلَ يَفْضُلُ مِنْ طَعَامِهِ، فَيُحْبَسُ لَهُ حَتَّى يَأْكُلَهُ أَوْ يَفْسُدَ، وَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَسْتَلُونَكُمْ عَنِ الْيَتَمَى﴾^(٤).

هي جمع يتيم، والفعل منه: (يَتِمُّ) كَكَرُمَ، و(يَتِمُّ) كَعَلِمَ.

وقيل: كانت العرب في الجاهلية يشددون في أمر اليتيم ولا يؤاكلونه، وكانوا يتشاءمون بملاسة أموالهم، فلما جاء الإسلام سألوا عن ذلك رسول الله عليه السلام، فأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ^(٥).

﴿قُلْ إِصْلَاحٌ﴾؛ أي: إِصْلَاحُ أَمْوَالِهِمْ مِنْ غَيْرِ أُجْرَةٍ ﴿لَهُمْ حَيْرٌ﴾ فِي دُنْيَاكُمْ وَفِي آخِرَتِكُمْ.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٩٤).

(٢) روى الطبري نحوه عن قتادة. انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٦٩٧).

(٣) «فرض عليكم» من (ن).

(٤) رواه أبو داود (٢٨٧١)، والنسائي (٣٦٦٩).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٧٠٣-٧٠٤) عن السدي والضحاك.

وقيل: إصلاحُكم لأموالهم خيرٌ لهم من اعتزالكم إياهم.
﴿وَلِنْ تَخَالَطُوهُمْ﴾: تشاركوهم في أموالهم، فتصيبوا بقدر الأجرة، ﴿فَأَخَوَانُكُمْ﴾؛
أي: فهم إخوانكم، والإخوان يُعينُ بعضهم بعضًا، وينالُ بعضهم من بعضٍ.
والمخالطةُ: جمع يتعذَّرُ فيه^(١) التَّمييزُ.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ﴾ لمالِ اليتيم ﴿مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ له.
﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ الزَّجَاجُ: لكَلَّفَكم ما يشتدُّ عليكم فتتعتنن، وأصل
العنتِ من (عَنَتَ البعيرُ)؛ إذا حدثَ في رجلِه كسرٌ بعد جبرٍ لا يمكنه التَّصَرُّفُ معه^(٢).
أبو عبيدة: أهللكم^(٣).

ابن جرير: حَرَّمَ عليكم مخالطتهم^(٤) فيشتدُّ عليكم^(٥).
وعَقَبَةُ عَنُوتٌ: شديد[ة]، والإعناتُ: الحملُ على مشقةٍ لا تُطاقُ.
﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في نِقْمَتِهِ ﴿حَكِيمٌ﴾ في تَدْبِيرِهِ.

(٢٢١) - ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ ۗ وَلَا مُمْسِكَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا
أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۗ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ ۗ وَلَا أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ
يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۗ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۗ وَبَيْنَ أَيْتِنِهِ لِنَاسٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۗ﴾.

(١) في (ن): «معهُ».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٩٤-٢٩٥).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٧٣).

(٤) في (و): «مخالطتكم».

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٧٠٨).

﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ﴾ عن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مقاتل: نزلت في أبي مرثد الغنوي وعناق^(١) وكانت مشركة، وأبو مرثد مسلم، وقال: يا نبي الله، إنها تعجبني، وأراد أن ينكحها، فنزلت^(٢) هذه الآية^(٣).

وعن أبي مالك عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها نزلت في عبد الله بن رَواحة، أعتق أمة له سوداء مسلمة وتزوجها، فطعن عليه ناس من المسلمين وقالوا: نكح أمة، وكانوا يريدون أن ينكحوا إلى المشركين وينكحوهم رغبة في أحسابهم، فأنزل الله: ﴿وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ﴾ الآية^(٤).

ونكح: إذا تزوج، وأنكح غيره: زوجته، قال الأعشى:

ولا تقربن جارة إن سرها^(٥) عليك حرامٌ فانكحن أو تآبدا^(٦)
وأصله: التزويج، وقيل: أصله الضم^(٧).

﴿وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْبَبْتَكُمْ﴾؛ أي: بحسنها وجمالها.

(١) من الأسماء المختصة عند العرب بالنساء، وهي ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث. انظر: «الكتاب» لسيبويه (٣/ ٢٣٦).

(٢) في (ن): «فأنزل الله».

(٣) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٧٣ - ٧٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٩٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٧٣) عن مقاتل بن حيان.

(٤) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٧٣).

(٥) في (ن): «سيرها»، والسرُّ هنا: النكاح.

(٦) انظر: «ديوان الأعشى» (ص: ١٧٣)، و«إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٢٣).

(٧) في (ن): «الدم»، وما أثبت هو الصواب، وقد اختاره الفخر الرازي. انظر: «مفاتيح الغيب»

وَالْأُمَّةُ: الْمَمْلُوكَةُ مِنْ بَنَاتِ آدَمَ، تَقُولُ الْعَرَبُ^(١): أَقَرَّتْ بِالْأُمُورِ؛ أَي: بِالْعِبُودِيَّةِ، وَوَزَنُهَا فَعَّةٌ، وَجَمْعُهَا: إِمَاءٌ وَأُمَّ^(٢).

و﴿الْمُشْرِكَاتِ﴾ هَاهُنَا عَامٌّ، فَنُسِخَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥] عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ وَمُجَاهِدٍ^(٣).

قَالَ قَتَادَةُ وَسَعِيدُ بْنُ جَبْرِ: خَاصٌّ^(٤) خُصَّ بِمَا فِي (المائدة)^(٥).

﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ حَرٌّ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أَوْلَاتِكُمْ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾ الزَّجَّاجُ: الْبَاءُ مُتَعَلِّقَةٌ بِ﴿يَدْعُونَ﴾؛ أَي: بِإِعْلَامِهِ لَكُمْ مَا يُنْجِيكُمْ وَيُوصِلُكُمْ إِلَيْهَا^(٦).

الْحَسَنُ: ﴿بِإِذْنِهِ﴾: بِأَمْرِهِ^(٧).

(١) «العرب»: ليس في (ن).

(٢) وتُجْمَعُ أَيْضًا عَلَى: إِمْوَان. انظر: «العين» (٤٣١ / ٨)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (٤٦٠ / ١٥) مادة: (أ م ا).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧١١ - ٧١٢).

(٤) في (ن): «عام».

(٥) ذهب الجمهور إلى العموم في قوله: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ﴾، وَأَنَّ هَذَا الْعَمُومُ نُسِخَ، وَدَخَلَهُ الْخُصُوصُ، وَذَهَبَ سَعِيدُ وَقَتَادَةُ إِلَى أَنَّ الظَّاهِرَ مِنْ عَمُومِ الْآيَةِ مَرَادٌ بِهِ الْخُصُوصُ، وَهُوَ: أَهْلُ الْأَوْثَانِ، فَلَا نُسِخَ، وَلِلْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ كَلَامٌ جَلِيلٌ بَيِّنُ الْفَرْقِ بَيْنَ مِثْلِ هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ، فَقَدْ عَقَدَ بَابًا قَالَ فِيهِ: «بَابُ بَيَانِ مَا نَزَلَ مِنَ الْكِتَابِ عَامًّا يُرَادُ بِهِ الْعَامُّ وَيَدْخُلُهُ الْخُصُوصُ»، وَقَالَ بَعْدَهُ: «بَابُ بَيَانِ مَا نَزَلَ مِنَ الْكِتَابِ عَامًّا يُرَادُ بِهِ كُلُّهُ الْخَاصُّ». انظر: «الرسالة» للشافعي (ص: ٥٣ و ٥٨)، و«تفسير الطبري» (٧١٣ / ٣)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٣٩٧ / ٢)، و«معاني القرآن» للنحاس (١٧٩ - ١٨٠)، و«النكت والعيون» للماوردي (٢٨١ / ١).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢٩٦ / ١).

(٧) علمًا أن الحسن كان يقرأ: (والمغفرة بإذنه) رفعًا، كما ذكره ابن خالويه في «المختصر» =

وقيل: بما يأذن فيه ويأمر به.

﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ﴾: أحكامه ودلائله ﴿لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتعظون.

(٢٢٢) - ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ ذكر المفسرون أن العرب كانت إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يُشاربوها ولم يُساكنوا معها في بيت كفعل المجوس، فسأل أبو الدحداح رسول الله عليه السلام عن ذلك، وقال: يا رسول الله، كيف نصنع بالنساء إذا حضن؟ فأنزل الله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾^(١).

مجاهد: كانوا على استجازة الإتيان في الأدبار أيام الحيض، فلما سألوا بين لهم تحريمه^(٢).

والقصد بالسؤال أمرها مع زوجها، ولهذا أُجيب بما يتعلّق بالجماع دون الصوم والصلاة.

و(المحيض) يكون مصدرًا كالمسير والمقيل، ويكون زمانًا ومكانًا، ويحتمل

= في شواذ القراءات» (ص: ٢٠)، والنحاس في «إعراب القرآن» (١ / ١١١)، والواحدي في «البيضا» (٤ / ١٧٠)

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢ / ١٥٦)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٣ / ٧٢٢) عن السدي. وروى نحوه مسلم (٣٠٢) عن أنس رضي الله عنه، إلا أنه ذكر ذلك عن اليهود، ولم يذكر أبا الدحداح.

(٢) رواه الدارمي في «سننه» (١١٨٤)، والطبري في «تفسيره» (٣ / ٧٢٢).

ها هنا أن يكون المصدر، وتقديره: ويسألونك عن حيض المرأة ما حكمه من المجامعة وغيرها؟ ويَحْتَمِلُ الزَّمان؛ أي: عن حال المرأة وقتَ حيضها.

والحيض: دمٌ غليظٌ أسودٌ متننُّ الرَّائحة، يجري للأُنثى على عادة^(١).

قال المفضَّل: أصله الانفجار، يُقال: حاضت السَّمرة؛ إذا سأل منها شيءٌ كدم الحيض^(٢).

﴿قُلْ هُوَ أَذَى﴾: قذرٌ ونجسٌ، والمعنى: يتأذى به المجامعُ بنفورِ طبعه عمَّا يشاهد، وهذا يقوي وجهَ المصدر.

﴿فَاعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ﴾ عن ابن عباسٍ وعائشةَ والحسن: يجتنبُ منها موضعَ الدَّم^(٣).

﴿المَحِيضِ﴾ ها هنا يحتمل مكان الحيض وزمان الحيض، ولهذا لم يُكنَّ عنه^(٤).

شريحٌ وابن المسيَّب: يجتنبُ ما بين السَّرَّةِ إلى الرُّكبة^(٥).

(١) في (ن): «العادة».

(٢) في (و): «المحيض». ذكر الثعلبي هذه العبارة في «تفسيره» (٢٣/٦)، ولم ينسبها، وذكر نحوها القالي والأزهري والواحدي عن الفراء. انظر: «البارع» للقالي (ص: ٦٩٣)، و«تهذيب اللغة» (٥/ ١٠٤) مادة: (ح ي ض)، و«البيسط» (٤/ ١٧١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٧٢٥-٧٢٨).

(٤) أي: لم يعبر عنه بالضمير، ولم يقل: فلا تقربوا النساء فيه. والتعبير عن الضمير بالكناية اصطلاح الكوفيين، وقد ظهر في مواضع من «اللباب» أن المصنّف يستخدم بعض اصطلاحاتهم. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٩ و٣٣٥)، و«الموقفي» لابن كيسان (ص: ١١٢)، و«كتاب الحدود» لابن القاسم (ص: ٤٠).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٧٢٩).

عَبِيدَةُ السَّلْمَانِي: يَعْتَزَلُ جَمِيعَ بَدْنِهَا أَنْ يَبَاشِرَهُ^(١).

﴿وَلَا تَقْرُبُواهُنَّ﴾؛ أَي: وَلَا تَقْرُبُوا مُجَامِعَتَهُنَّ فِي مَوْضِعِ الْحَيْضِ، وَلَهُ مَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ جَسَدِهَا عَلَى مَا سَبَقَ، إِلَّا الْإِتْيَانَ^(٢) فِي الدُّبْرِ.

﴿حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾: يَنْقِيزُ بِنَقْطَاعِ الدَّمِ بَعْدَ الْعَشْرَةِ، وَقِيلَ: بَعْدَ خَمْسَةِ عَشْرٍ.

وَقُرِئَ: ﴿يَطْهَرْنَ﴾ بِالتَّشْدِيدِ^(٣)؛ فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى: يَطْهَرْنَ؛ كَقَوْلِهِمْ: تَكَسَّرَ الشَّيْءُ وَانْكَسَرَ، وَتَقَطَّعَ وَانْقَطَعَ^(٤)، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى: يَغْتَسِلْنَ، فَيَكُونُ عَلَى مَا دُونَ الْعَشْرَةِ.

﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾: اغْتَسَلْنَ، وَقِيلَ: تَوَضَّأْنَ، وَقِيلَ: غَسَلْنَ مَوْضِعَ الدَّمِ.

﴿فَأَتُوهُنَّ﴾؛ أَي: جَامِعُوهُنَّ.

﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ اجْتِنَابَهُ فِي الْحَيْضِ، وَقِيلَ: مَا لَمْ تَكُنْ صَائِمَةً أَوْ مَعْتَكِفَةً أَوْ مُحْرِمَةً، وَقِيلَ: فِي طَهْرِهِنَّ، لَا حَيْضَهُنَّ.

مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ: فِي النِّكَاحِ، لَا فِي السَّفَاحِ^(٥).

(١) رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٣/ ٧٢٤)، وَذَكَرَهُ الْمَوْرِدِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٢/ ٢٨٣).

(٢) «أَي: وَلَا تَقْرُبُوا مُجَامِعَتَهُنَّ فِي مَوْضِعِ الْحَيْضِ، وَلَهُ مَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ جَسَدِهَا عَلَى مَا سَبَقَ، إِلَّا الْإِتْيَانَ» مِنْ (ن).

(٣) قَرَأَ بِهَا حَمْزَةً وَالْكَسَائِي وَعَاصِمٌ فِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ. انظُرْ: «السَّبْعَةُ» لِابْنِ مَجَاهِدٍ (ص: ١٨٢)، وَ«التَّيْسِيرُ» لِلدَّانِي (ص: ٨٠).

(٤) ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ فِي «غَرَائِبِ التَّفْسِيرِ» (١/ ٢١٣)، وَاسْتَغْرَبَهُ.

(٥) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «مُصَنَّفِهِ» (١٦٦٨١)، وَطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٣/ ٧٤٠)، وَقَدْ ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ فِي «غَرَائِبِ التَّفْسِيرِ» (١/ ٢١٤)، وَاسْتَغْرَبَهُ.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ من الذُّنُوبِ، وقيل: من المجامعة في الحيض^(١).

﴿وَيُحِبُّ الْمَطَهِّرِينَ﴾ بالماء^(٢).

مجاهدٌ: من أدبار النساء^(٣).

وقيل: عن أن يعودوا إلى الذُّنُوبِ.

(٢٢٣) - ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَّتْكُمْ أَنِّي سَتَمُّ وَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا

أَنَّكُمْ مُلْكُوهُ وَبَشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿نَسَاؤُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَّتْكُمْ﴾ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كانت اليهودُ

تقول: إذا أتى الرجل أهله باركةً كان الولد أحول، فأنزل الله: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ﴾^(٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن هذا الحي في قريش كانوا يشرحون^(٥) النساء

بمكة، ويتلذذون بهنَّ مُقبلاّتٍ ومُدبراتٍ، فلما قدموا المدينة تزوجوا من الأنصار،

فذهبوا يفعلون بهنَّ كما كانوا يفعلون بمكة، وأنكرن ذلك وقلن: هذا شيء لم نكن

نؤتى عليه، فانتشر الحديث حتى انتهى إلى رسول الله عليه السلام، فنزلت^(٦).

(١) «في الحيض»: ليس في (ن).

(٢) «بالماء» من (ن).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٧٤٣).

(٤) رواه البخاري (٤٥٢٨)، ومسلم (١٤٣٥)، وفي البخاري: «من ورائها»، وفي مسلم: «من دبرها في

قبلها» بدل «باركة»، ورواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٧٥٨) بلفظ المصنف.

(٥) يُقال: شرح فلان جاريته؛ إذا وطئها على قفاها، وأصل الشرح: البسط، ومنه: انشراح الصدر بالأمر،

وهو انفتاحه، وانبساطه. انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (٢/ ٤٢).

(٦) رواه أبو داود (٢١٦٤).

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: جاء عمرُ بنُ الخطَّابِ رضي الله عنه إلى رسول الله عليه السَّلام فقال: هلكتُ، قال: «وما الذي أهلكك؟» قال: حوَّلتُ رَحلي اللَّيلة، قال^(١): فلم يَرُدَّ عليه شيئاً، قال: فأوحى الله هذه الآية: ﴿نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾^(٢).

أبو عبيدة: كنايةٌ وتشبيهة^(٣)؛ أي: شبهَ الجماعَ بالزراعة، والنطفة بالبذر، والرحم بالأرض، والولد بالنبات^(٤).

ابن عيسى: موضعُ حرثٍ لكم^(٥).

﴿أَنْ شِئْتُمْ﴾؛ أي: أين شئتم، وكيف شئتم - وقيل: ومتى شئتم - قائمةٌ وباركةٌ ومضطجعةٌ بعد أن يكون المأتي يؤذي^(٦) إلى الولد.

﴿وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ المفعول محذوفٌ، وتقديره: وقدموا لأنفسكم خيراً، كقوله: ﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ﴾ [المزمل: ٢٠].

الزجاج: أي: قدّموا طاعته، واحترزوا من عقابه^(٧).

(١) «قال» من (ن).

(٢) رواه الترمذي (٢٩٨٠)، وقال: «حسن غريب».

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١ / ٧٣).

(٤) قال الزجاج: «القول عندي فيه أن معناه: أن نساءكم حرث لكم منهن تحرثون الولد واللذة». انظر:

«معاني القرآن» للزجاج (١ / ٢٧٨ و ٢٩٨).

(٥) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (١ / ١٨٥)، والمصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢١٤) بلا

نسبة.

(٦) في (ن): «مؤدياً».

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١ / ٢٩٨).

ابن جرير: هو راجعٌ إلى جميع ما تقدّم؛ أي: أطيعوه في جميع أوامره؛ لتكونوا قد قدّمتم خيراً لأنفسكم^(١).

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ﴾: مُعَايِنُوهُ، وَقِيلَ: مُعَايِنُو ثَوَابِهِ أَوْ عِقَابِهِ^(٢)، وَقِيلَ: مَيِّتُونَ.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: بما أُمروا به ونُهِوا عنه بِالرُّؤْيَةِ وَالنَّعِيمِ^(٣).

(٢٢٤) - ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ قال الكلبي: نزلت في عبد الله بن رواحة الأنصاري، ينهاه عن قطيعة ختنيته بشير بن النعمان، وذلك أن ابن رواحة حلف أن لا يدخل عليه أبداً، ولا يكلمه، ولا يصلح بينه وبين أخته، ويقول: قد حلفتُ بالله أن لا أفعل، ولا يحلُّ لي إلا أن أبرّ في يميني، فأنزل الله هذه الآية^(٤).

ومعناه على هذا الوجه: لا تجعلوا اليمين بالله عُذراً وعلّةً في ترك البرِّ.

﴿أَنْ تَبَرُّوا﴾ متّصلٌ بالإيمان؛ لأنَّ اليمينَ في معنى الحلف، فيتضمَّنُ معنى الفعل الذي يجوز أن يُوصَلَ به ما بعده، كما تقول: يميني أن لا أفعل كذا، فيكون

(١) هو معنى قوله وخلاصته. انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٧٦٢ - ٧٦٣).

(٢) في (و): «وعقابه».

(٣) هذا دليل واضح مع ما تقدم قريباً من تفسير اللقاء بالمعينة على مخالفة المصنّف للمعتزلة في مذهبهم.

(٤) ذكره السمرقندي في «بحر العلوم» (١/ ١٤٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٢٢)، والواحدي في

«البيسط» (٤/ ١٨٥).

(لا) مقدراً؛ أي: أن^(١) لا تبرؤا، كقوله: ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضْلُوا﴾ [النساء: ١٧٦] ^(٢)، وهاهنا أحسن؛ لأن (لا) قد تُضَمَّرُ مع اليمين؛ نحو: ﴿تَأَلَّه تَقْتَوُا﴾ [يوسف: ٨٥].

وعند البصريين تقديره: كراهة أن تبرؤا، وكراهة أن تضلوا، وليس ذلك كاليمين؛ لدخول (أن) ^(٣).

ويجوز أن يتعلّق بـ(عرضة)؛ أي: مانعاً من أن تبرؤا، فلا يحتاج إلى إضمار (لا) ^(٤).
الحسن وفتادة: كانوا يقولون: قد حلفنا بالله، ولم يحلفوا به ^(٥).

وقيل: لا تجعلوا اليمين بالله مُبْتَدَأً في كلِّ حقٍّ وباطلٍ لأن تبرؤا؛ أي: تصيروا أبراراً أتقياء، واحفظوا أيمانكم.

(١) «أن»: ليس في (ن).

(٢) ذهب إلى هذا الفراء وأبو عبيدة والطبري. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١ / ٢٩٧)، و«تفسير الطبري» (٤ / ١١ - ١٢) و(٩ / ٥١٢)، و«الوسيط» للواحيدي (١ / ٣٣٠)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٢ / ٤٢٦).

(٣) فهو عندهم مفعول لأجله، وهذا مذهب الجمهور. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢ / ١٣٧)، و«معاني القرآن» للنحاس (٢ / ٢٤٤)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢ / ٤٤٠).

(٤) أجاز هذا القول الزمخشري، وردّه أبو حيان. انظر: «الكشاف» للزمخشري (١ / ٢٦٧)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢ / ٤٤٢).

(٥) لم أقف على ما ذكره المصنّف؛ فقد روى عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٦٧)، والطبري في «تفسيره» (٤ / ٦) عن فتادة: «هو الرجل يحلف على الأمر الذي لا يصلح، فإذا كُلم في ذلك قال: إني قد حلفت، فجعل يمينه عرضة لذلك»، وقال ابن أبي زمنين في «تفسيره» (١ / ٢٢٧): «تفسير الحسن: كان الرجل يقال له: لم لا تبرأ بك أو أخاك أو قرابتك أو تفعل كذا لخير؟! فيقول: قد حلفت بالله لا أبره، ولا أصله، ولا أصلح الذي بيني وبينه؛ يعتل بالله؛ فأنزل الله ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ يعني: الحلف؛ أي: لا تعتلوا بالله». وانظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٢ / ٤٠٧).

وروي عن عائشة أنها قالت: لا تحلفوا بالله وإن بررتم^(١).

وقد ذمَّ الله الحلاف^(٢) بقوله: ﴿وَلَا تُطْعَمُ كُلَّ حَلَّافٍ﴾^(٣) [الفلم: ١٠].

وقال كثيرٌ عزةً يمدح ملكاً:

قليلُ الألايا حافِظٌ ليمينه وإن سبقت منه الألية برت^(٤)

وقيل: ﴿أَنْ تَبْرُوا﴾ مبتدأ، والخبر محذوفٌ تقديره: أن تبروا وتتقوا وتصلحوا

بين الناس خيرٌ لكم وأولى بكم.

والعرضة: العذرُ والعلَّةُ والمانعُ والبذلة، كاللُّعبة لما يُلعبُ به، والعرضة لما

يُعتَرَضُ به.

وقيل: العرضة: القوَّةُ.

واليمين: عقدُ الخبرِ بما يُتبرَّكُ بذكره للتأكيد.

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأيمانكم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بنياتكم.

(٢٢٥) - ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ

حَلِيمٌ﴾.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ اللغو من الكلام: ما لا فائدة فيه، واللغاء^(٥):

الكلامُ القبيح.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ١٠).

(٢) في (ن): «الحالف».

(٣) «حلاف»: ليس في (و).

(٤) انظر: «ديوان كثير» (ص: ٣٢٥)، و«المقصود والممدود» لأبي علي القالي (ص: ١٥٢).

(٥) في (ن): «اللغاء».

وَاللَّغْوُ الَّذِي لَا يُؤَاخِذُ الْعَبْدَ بِهِ فِي الْيَمِينِ:

عند ابن عباسٍ وعائشة رضي الله عنهم: هو ما يجري على اللسان عادةً - نحو: لا والله، وبلى والله - من غير عقْدٍ على يمينٍ يُقَطَّعُ بها مالٌ^(١) أو يُظَلَمُ بها أحدٌ^(٢).

الحسن ومجاهدٌ: هو يمينُ الظَّانِّ؛ يرى أَنَّهُ كما حَلَفَ^(٣).

طاوسٌ: هو يمينُ الغضبان^(٤).

مسروقٌ: ما لا يلزمه الوفاءُ به فهو لغوٌ^(٥).

الصَّحَاكُ: لغوُ اليمينِ: ما تجبُّ فيه الكفَّارة^(٦).

إبراهيم النَّخَعِيُّ: هو حنثُ النِّسيانِ^(٧).

(١) «مال» من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ١٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «هي بلا والله، ولا والله». ورواه البخاري (٦٦٦٣) وعبد الرزاق في «تفسيره» (٦٢٨) والطبري في «تفسيره» (٤ / ١٤ - ١٦) عن عائشة رضي الله عنها بألفاظ متعددة.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧١) عن مجاهد، ورواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ٢١) عن الحسن ومجاهد.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ٢٦) موقوفاً على طاوس، ورواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢ / ٤١٠) عن طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) ذكره الواحدي في «البيسط» (٤ / ١٩٧)، وروى الطبري في «تفسيره» (٤ / ٢٩) عن مسروق: «كل يمين لا يحل لك أن تفي بها فليس فيها كفارة».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ٣٣)، ولفظه: «اليمين المكفَّرة».

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢ / ٤٠٩)، ولفظ الطبري: «هو الرجل يحلف على الشيء ثم ينساه».

وقيل: هو دعاءُ الإنسانِ على نفسه؛ كقوله: أعمى الله بصره إن كان كذا، وأخرجه الله من ماله إن لم يكن كذا، وهو نصرانيٌّ أو مجوسيٌّ إن كان كذا. وكلُّ يمينٍ على ماضيٍ فلا كفارةَ فيها، ومنها صدقٌ ومنها غموسٌ، وكلُّ يمينٍ على مستقبلٍ فحثلها يُوجبُ الكفارة.

﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ﴾: يعاقبكم ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: تعمّدت. ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ لمن تابَ عن إثمٍ يلزمه في اليمين، ﴿حَلِيمٌ﴾ قبل التوبة؛ إذ لم يُعجل بعقوبته.

(٢٢٦) - ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ ابن عباسٍ رضي الله عنهما: كان إيلاءُ الجاهليةِ السنّةِ والسنتين وأكثر، فوقّت الله أربعةَ أشهرٍ^(١).

سعيد بن المسيّب: كان الرَّجُلُ لا يريدُ المرأةَ، ولا يحبُّ أن يتزوَّجها غيره، فيحلفُ أن لا يقربها أبداً، وكان يتركها لا أيمًا ولا ذات بعلٍ، فجعل الله الأجلَ الذي يعلم به ما عند الرَّجُلِ في المرأةِ أربعةَ أشهرٍ، وأنزل: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ﴾^(٢)؛ أي: يحلفون بما يلزمهم فيه غُرْمٌ، مثل الصدقةِ والعِتاقِ والطلاقِ. وقيل: يحلفون بالله فحسبُ.

(١) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (١٨٨٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٣٥٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٥٢٣٧).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥٣ / ٦)، والواحدي في «البيسط» (٢٠٠ / ٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١٩٦ / ١).

﴿مِنْ نِسَائِهِمْ﴾؛ أي: يحلفون على ترك الجماع بالإجماع، إلا ما روي عن سعيد بن المسيّب فإنه قال: إن حلفَ لا يكلمها فهو مُؤلٍ، وكذلك على كل شيءٍ يسوؤها^(١).

و﴿مِنْ﴾ متعلّقةٌ بالإيلاء عند الفقهاء، والإيلاءُ مستغنى عن (من)، وهي كقولك: مني الدُّعاء، ولي منه النَّصر^(٢).

والأليّة: اليمينُ، وجمعها: أليّاتٌ وألياء، كعَشِيّاتٍ وعَشاياء، وإلاءٌ كصحيفةٍ وصحافٍ. ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾: انتظارٌ مضيٍّ أربعة أشهر.

﴿فَإِنْ فَاءٌ﴾: رجعوا.

والفيءُ: الرجوعُ إلى الجماع، وإلى ما امتنعوا منه، وإلا بانّت منه امرأته.

عن عليّ رضي الله عنه وابن عبّاسٍ والحسن وابن مسعود وفي قول أهل المدينة: يُؤمّر بالطلاق أو المراجعة^(٣).

(١) روى الطبري في «تفسيره» (٤ / ٥٠) عن سعيد بن المسيّب: «أنه إن حلف رجل أن لا يكلم امرأته يوماً أو شهراً، قال: فإننا نرى ذلك يكون إيلاءً، وقال: إلا أن يكون حلف أن لا يكلمها، فكان يمسه فلا نرى ذلك يكون من الإيلاء، والفيء أن يفيء إلى امرأته فيكلمها أو يمسه، فمن فعل ذلك قبل أن تمضي الأربعة الأشهر فقد فاء؛ ومن فاء بعد أربعة أشهر وهي في عدتها فقد فاء وملك امرأته، غير أنه مضت لها تطليقة».

(٢) فهي متعلقة بما في اللام من معنى الاستقرار على رأي المصنّف خلافاً لرأي الفقهاء الذي عدّه المصنّف من العجائب، أما الزمخشري فبيّن أن تعلقها بالإيلاء على وجه التضمين؛ أي: يبعدون من نسائهم مولين، وأجاز ما اختاره المصنّف، وأجازة العكبري أيضاً، ولم يجزه أبو حيان. انظر: «غرائب التفسير» (١ / ٢١٤)، و«الكشاف» للزمخشري (١ / ٢٦٩)، و«التبيان» للعكبري (١ / ١٨٠)، و«البحر المحيط» (٢ / ٤٤٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ٧٦ - ٨٤) عن علي وعائشة وابن عباس وابن عمر وأبي الدرداء =

﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ للمؤلي بإسقاط الكفارة، وقيل: بإسقاط العقاب.

﴿رَجِيمٌ﴾ حيث نظر للمرأة أن لا يضرَّ بها زوجها.

وقيل: نظر للزوج أن تكون له مهلة أربعة أشهر في المراجعة.

(٢٢٧) - ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾؛ أي: بترك الفيء، والعزم: القطع.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لكلام المؤلي ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيته.

قال أهل المدينة: هذا دليل على وجوب استماع الطلاق أو المراجعة^(١).

(٢٢٨) - ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرَئَصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ

اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيُعَلِّمُنَّ أَعْتَقَ بَرِيهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ﴾: المخليات من حبال أزواجهن.

وأصل الكلمة: الفتح وإزالة العقد، تقول: (طلقت المرأة) بالفتح والضم،

و(طالقت) يقوَّى الفتح، وحذف تاء (طالقت) للنسب؛ كتامر ولاين، وقول من قال:

«لعدم المشاركة» باطل، ب(طلقت) و(حاصت)^(٢).

= رضي الله عنهم وغيرهم، وذكر أنه قول أهل المدينة.

(١) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٣٠١) وجهاً، وذكر وجهاً آخر، وهو أن يكون إنما ذكر

(سميع) هاهنا من أجل حلفه؛ أي: الله قد سمع حلفه وعلم ما أراده.

(٢) فمعنى طالقت: ذات طلاق، كما أن التامر صاحب التمر، واللابن صاحب اللبن، ولذا حذفت التاء عند =

والمرادُ بهنَّ^(١) هاهنا: المطلقاتُ الحوائل المدخولُ بهنَّ اللاتي يحضن؛ لأنَّ الحاملَ مذكورةٌ في قوله: ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ﴾ [الطلاق: ٤]، وغير المدخولِ بها في قوله: ﴿ثُمَّ طَلَّقْتَهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٤٩]، والآيسة والصغيرة في قوله: ﴿وَأَلَّتِي بَيْسَنَ مِنَ الْمَجِصِ﴾ [الطلاق: ٤] الآية.

﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾: ينتظرنَ ولا يُقدِمنَ على تزوج.

الجمهورُ: خبرٌ في معنى^(٢) الأمر، ويُحتملُ على قولِ الكوفيِّين: ليتربَّصنَ محذوف^(٣) اللام^(٤).

وقيل: الخبرُ أليقُ به من الأمر؛ لأنَّ المخبرَ به لا بدُّ من كونه، والأمرُ قد يُمتثلُ وقد لا، ولأنَّها تحتاجُ إلى نيةٍ وعزمٍ.

﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ عليٌّ وابن عباسٍ وابن مسعود والحسن: ثلاثة حيضٍ^(٥).

= المصنَّف، وهو مذهب الخليل وسيبويه والبصريين، وهو يرى أن من زعم أن حذف التاء بسبب كون كلمة (طالق) مختصة بالموث، فقوله مردود عند المصنَّف بدخول تاء التأنيث على الفعل، وهذا قول للفراء والكوفيِّين. انظر: «الكتاب» لسيبويه (٣/٣٨٣)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/٢١٤)، و«المذكر والمؤنث» للأنباري (١/١٤٨)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٨/٢٢٤).

(١) «هن» من (ن).

(٢) في (ن): «تقدير».

(٣) في (و): «بحذف».

(٤) ذكره الواحدي في «البيسط» (٤/٢٠٩)، وذكره ابن جني في «المحتسب» (٢/٢٠)، والمصنَّف في «غرائب التفسير» (١/٢١٤) دون نسبة، ونسبه للكوفيِّين أبو حيان في «البحر المحيط» (٢/٤٥٣)، والسمين الحلبي في «الدر المصون» (٢/٤٣٧).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/٨٨-٩٣)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/٤١٥) عن عمر وابن

مسعود، وقال: «وروي عن علي وابن عباس وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت وأبي موسى...».

تقول: أقرأتِ المرأة؛ إذا حاضت، رواه الكسائي والأصمعي والأخفش والفراء^(١).

وقال عليه السلام في المستحاضة: «دعي الصلاة أيام أقرائك»^(٢).

وقالت عائشة وزيد بن ثابت وابن عمر: هو الطهر^(٣).

وقيل: هو من الأضداد، وأصله: الخروج من طهرٍ إلى حيضٍ، أو من حيضٍ إلى طهرٍ^(٤).

وإنما قال: ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ والقياس (أقراء)؛ لأنه لما كانت كلُّ مطلقة يلزمها هذا دخله معنى الكثرة^(٥).

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١ / ١٨٧)، وقد ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (١ / ٣٠٣) عن الأصمعي والكسائي والفراء والأخفش، وذكره الأنباري في «الأضداد» (ص: ٢٩، ٣٠) عن الأصمعي والفراء وأبي عبيدة.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٥٦٨١)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٤٧٧)، والدارقطني في «سننه» (٨٢٢)، والبيهقي في «سننه» (١٦٢٩) من حديث عائشة رضي الله عنها، وروى أصل الحديث البخاري (٢٢٨)، ومسلم (٣٣٣)، ولفظ البخاري: «عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت فاطمة بنت أبي حبيش إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إني امرأة أستحاض فلا أطهر، أفأدع الصلاة؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا، إنما ذلك عرق، وليس بحيض، فإذا أقبلت حيضتك فدعي الصلاة، وإذا أدبرت فاغسلي عنك الدم ثم صلي، ثم توضئي لكل صلاة، حتى يجيء ذلك الوقت».

(٣) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٥٧٦ / ٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٨٧٣٧)، والطبري في «تفسيره» (٩٥ / ٤) عن عائشة رضي الله عنها، ورواه الطبري في «تفسيره» (٩٦ / ٤) عن زيد وابن عمر رضي الله عنهم.

(٤) انظر: «الأضداد» لابن الأنباري (ص: ٢٧).

(٥) في (و): «التكثير».

ابن عيسى: لَأَنَّ الْقِيَاسَ فِي جَمْعِ (قَرَأَ) فِي الْقَلَّةِ: أَفْعَلٌ لَا أَفْعَالٌ، فَصَارَ (أَقْرَأَ) بِمَنْزِلَةِ مَا لَا يُعْتَدُّ بِهِ^(١).

﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ إبراهيم النَّخَعِيُّ: الْحَيْضُ^(٢).
قتادة: الْحَمْلُ^(٣).

ابن عمر والحسن: الْحَيْضُ وَالْحَمْلُ^(٤).

لَأَنَّهَا تَمْنَعُ الرَّجُلَ حَقَّ الْمَرَاJَعَةِ بِالْكَتْمَانِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٥).

وقال قتادة: لَأَنَّهَا تَنْسَبُ الْوَلَدَ إِلَى غَيْرِ الْوَالِدِ^(٦).

﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾؛ أَي: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَهَذِهِ صِفَتُهُ.

﴿وَيَعُولُنَّ أَحَقُّ بِرِزْقِهِنَّ﴾: جَمْعُ بَعُولٍ، كَالذُّكُورَةِ وَالْعُمُومَةِ وَالخُؤُولَةِ، وَالْبَعْلَانِ

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٥) واستغربه.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٩١٠٦)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ١٠٥).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧٩)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ١١١).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ١٠٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤١٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما، ولم أقف عليه عن الحسن.

(٥) هذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما، كما في «تفسير الثعلبي» (٦/ ١٨٣)، و«البيسط» للواحد (٤/ ٢١٦).

وقد رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ١١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤١٧)، ولفظ الطبري: «إذا طلق الرجل امرأته تطليقة أو تطليقتين وهي حامل فهو أحق برجعتهما ما لم تضع حملها، وهو قوله: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾».

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧٩)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ١١١)، ولفظ الطبري: «كانت المرأة إذا طلقت كتمت ما في بطنها، وحملها لتذهب بالولد إلى غير أبيه، فكره الله ذلك لهن».

كـ «الزَّوْجَانِ»، والبِعالُ: المجامعةُ، والتَّبَعْلُ للمرأة: طاعةُ الزَّوْجِ وأداءُ حقِّه، وأصلُه^(١) السَّيِّدُ.

والمعنى: أن الأزواجَ أحقُّ برَدِّ نَسَائِهِم المطلقَاتِ إلى أنفسِهِم، بل هم مندوبون إلى ذلك بقوله: ﴿فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٣١] الآية.

ومعنى ﴿أَحَقُّ﴾: تقديمُ حقِّه من المراجعةِ على حقِّها في مُلكِ نَفْسِهَا.

وقيل: إذا تزوّجتُ قبل انقضاء العدةِ فالزَّوْجُ الأوَّلُ أحقُّ^(٢).

﴿فِي ذَلِكَ﴾ قيل: في التَّربُّصِ، وقيل: في الحملِ المكتومِ، وقيل: في العدةِ.

﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ لا إضرارًا.

﴿وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَّ﴾؛ أي: لهنَّ من النِّفْقَةِ والمهرِ وحُسنِ العشرةِ وتركِ الضَّرارِ مثلُ الذي عليهنَّ من الأمرِ والنَّهي.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: لكلِّ واحدٍ منهما على الآخرِ ما لا يَنكُرُه الشَّرْعُ والعقلُ.

﴿وَاللِّرَجَالِ عَلَيْنَّ دَرَجَةٌ﴾؛ أي: حقُّه عليها أقوى من حقِّها عليه، ويجوزُ أن يكونَ

عامًّا في كلِّ شيءٍ من الميراثِ والجهادِ والصَّلَاةِ وغيرها.

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾: منيعُ السُّلْطَانِ لا يُعْتَرِضُ عليه في أمرِهِ.

﴿حَكِيمٌ﴾: واضعُ الأحكامِ موضعِ الصَّلَاحِ والصَّوابِ.

(١) الهاء تعود على لفظ (بعل).

(٢) في (و): «فالزوج في ذلك أحق».

(٢٢٩) - ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنِ وَلَا يَمِيلُ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾ عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة: أنها أتت امرأة تسألها عن شيء من الطلاق قالت: فذكرت ذلك لرسول الله عليه السلام، فنزلت هذه الآية^(١).

وكان طلاق أهل الجاهلية غير محصور، فحصر الله الطلاق بقوله: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾؛ أي: عدد الطلاق الذي تمكن معه الرجعة مرتان؛ إن فرَّق فسنة، وإن جمَعَ فواقع.

﴿فَأِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾؛ أي: فإن راجعها فعليه إمساكٌ بمعروفٍ بما ألفتَه العقول وعرفته النفوس.

﴿أَوْ تَسْرِيحٌ﴾ وهو أن لا يراجعها حتى تنقضي عدتها.

﴿بِإِحْسَنِ﴾ وهو الإعفاء بالحق من غير إحواج إلى المطالبة.

(١) هذا اللفظ للحديث رواه ابن النجار كما ذكر السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٦٦٣)، وقد رواه الترمذي (١١٩٢) بإسنادين؛ أحدهما عن عائشة رضي الله عنها، والآخر عن عروة لم يذكر فيه عن عائشة رضي الله عنها، وقال: «هذا أصح»، والحديث بتمامه: «كان الناس والرجل يطلق امرأته ما شاء أن يطلقها، وهي امرأته إذا ارتجعها وهي في العدة، وإن طلقها مائة مرة أو أكثر، حتى قال رجل لامرأته: والله لا أطلقك فتبيني مني، ولا أويك أبداً، قالت: وكيف ذاك؟ قال: أطلقك، فكلما هممت عدتك أن تنقضي راجعتك، فذهبت المرأة حتى دخلت على عائشة فأخبرتها، فسكتت عائشة، حتى جاء النبي ﷺ فأخبرته، فسكت النبي ﷺ، حتى نزل القرآن: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنِ﴾، قالت عائشة: فاستأنف الناس الطلاق مستقبلاً؛ من كان طلق، ومن لم يكن طلق».

والإحسان: فعلُ الحَسَنِ، والإجمالُ: فعلُ الجَمِيلِ، والإفضالُ: فعلُ الفَضْلِ.
وقيل: الإمساكُ هو المراجعة، والتسريحُ هو التَّطْلِيقَةُ الثالثة؛ لِما روى أبو
رَزِينِ الأَسَدِيِّ قال: قال رجل: يا رسول الله، أرأيت قول الله: ﴿أَطْلَقْ مَرَّتَانِ﴾،
فأين الثالثة؟ قال: «التَّسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ»^(١).

﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ سَيِّئًا﴾ هذا كقوله: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَبَدَّلَ
زَوْجَ مَكَانِ زَوْجٍ﴾ [النساء: ٢٠] الآية.

﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾: يظننا ويعلما، يعني: الزوجين.

﴿أَلَا يُقِيمَا﴾؛ أي: على النكاح.

﴿حُدُودَ اللَّهِ﴾: أو امره ونواهيهِ.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ أيها الولاةُ ﴿أَلَا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾؛ أي: لا
جناحَ عليها فيما افتدت، ولا عليه فيما أخذه؛ يريد: في الخلع.

ابن عيسى: نزلت في ثابت بن قيسٍ وزوجته، ردت عليه حديقته وطلقها بإذن
النبيِّ عليه السَّلام، قال: رواه ابن جريج^(٢).

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٨٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٩٢١٦)، وأبو داود (٢٢٠)،
والطبري في «تفسيره» (٤ / ١٣٠)، وهو حديث مرسل. ورؤي موصولاً من حديث أنس رضي الله
عنه؛ رواه الداقني في «سننه» (٣٨٨٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٤٩٩١)، وصوباً المرسل،
وقال ابن القطان في «الوهم والإيهام» (٢ / ٣١٦): «وعندي أن هذين الحديثين صحيحان». وانظر:
«التلخيص الحبير» لابن حجر (٣ / ٤٤٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ١٣٩) عن ابن جريج، وروى أصل الحديث البخاري (٥٢٧٥) عن
ابن عباس رضي الله عنهما، وليس فيه أن ذلك سبب نزول الآية.

وزهب ابن عباسٍ إلى أنَّ الفديةَ فسخٌ^(١) مُستدلاً بقوله: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾؛ لأنَّ الفديةَ لو كان^(٢) طلاقاً لكان هذه تطلقَةً رابعةً.

غيره: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾: بالفدية أو بالتسريح.

أو هو^(٣) اعتراض، كما ذكرَ صاحبُ النِّظم^(٤).

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾: ما حَدَّ لَكُمْ مِنَ الْإِيْلَاءِ وَالطَّلَاقِ وَالنِّكَاحِ.

﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾: لا تجاوزوها بالمخالفة.

﴿وَمَنْ يَعْتَدِ حُدُودَ اللَّهِ﴾ بمخالفته^(٥) ذلك، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

وزهب صاحبُ النِّظم إلى أنَّ في الآية اعتراضاً، والتقدير: الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ

فإمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسانٍ.

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١١٧٦٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٨٤٥١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٤٨٦٣)، ولفظ عبد الرزاق: «كان ابن عباس لا يرى الفداء طلاقاً حتى يطلق، ثم يقول: ألا ترى أنه ذكر الطلاق من قبله، ثم ذكر الفداء، فلم يجعله طلاقاً، ثم قال في الثانية: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا حِلَّ لَكُمْ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾، ولم يجعل الفداء بينهما طلاقاً». وروى نحوه الإمام الشافعي في «الأم» (١٢٢ / ٥)، ورواه البيهقي من طريقه في «معرفة السنن والآثار» (١٤٥٨٦)، وروى عبد الرزاق في «المصنف» (١١٧٧٠) عن عكرمة - أحسبه - عن ابن عباس قال: «كل شيء أجازاه المال فليس بطلاق؛ يعني: الخلع». وقد ذكر المصنف قول ابن عباس رضي الله عنهما في «غرائب التفسير» (٢١٦ / ١)، واستغربه.

(٢) كذا في النسخ الخطية، وإدخال تاء التأنيث في مثل هذه الحالة هو الشائع المعروف.

(٣) من قوله: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ إلى آخر الآية.

(٤) هو الحسين بن يحيى الجرجاني، وقد ذكر المصنف قوله هذا في «غرائب التفسير» (٢١٦ / ١)،

وعدّه من العجائب.

(٥) في (ن): «لمخالفته».

(٢٣٠) - ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا مَحْلَ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ. فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتَلَكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾؛ أي: المطلق اثنتين، وهي التَّطْلِيقَةُ الثَّلَاثَةُ.

مجاهد: قوله^(١): ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ تفسير لقوله: ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾^(٢)؛ للخبر^(٣).

﴿فَلَا مَحْلَ لَهُ مِنْ بَعْدِ﴾؛ أي: بعد الثالثة.

﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾: غير المطلق ثلاثاً.

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾؛ أي: الزوج الثاني بعد المسيس بإجماع، وأجاز ابن المسيب بمجرّد النكاح^(٤).

(١) «قوله»: ليس في (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ١٦٨) بلفظ: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا مَحْلَ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ قال: عاد إلى قوله: ﴿فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢١٦)، واستغربه.

(٣) أي: الخبر المتقدم عن أبي رزين، وقول مجاهد هذا صوّبه الطبري في «تفسيره» (٤ / ١٦٨).

(٤) أكثر المفسرون من نقل هذا عن ابن المسيب؛ فذكره مكّي بن أبي طالب في «الهداية» (١ / ٧٧١)، والماوردي في «النكت والعيون» (١ / ٢٩٦)، وابن عبد البر في «الاستذكار» (٥ / ٤٤٧)، والمصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢١٦)، وعدّه من العجائب.

إلا أن ابن كثير شكك في صحة هذا القول عن سعيد بن المسيب؛ لأنه روى ما يخالفه، وذكر عدة روايات من طريق سعيد بن المسيب على قول الجمهور، ثم قال: «فهذا من رواية سعيد بن المسيب عن ابن عمرو مرفوعاً على خلاف ما يُحكى عنه، فبعيد أن يخالف ما رواه بغير مستند، والله أعلم».

انظر: «تفسير ابن كثير» (١ / ٤٦٩).

لكن المؤلفين في مذاهب العلماء والإجماع والاختلاف نقلوا ذلك عن سعيد أيضاً، ونقلوا أن الإجماع على خلافه. انظر: «الإشراف على مذاهب العلماء» لابن المنذر (٥ / ٢٣٨)، و«نوادِر =

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾؛ أي: عليها^(١) وعلى الزوج الأول ﴿أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا﴾: أيقنا
﴿أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: يفهمون ما يُبينُ لهم.

قال^(٢): والفصلُ المعترضُ^(٣) بينهما هو قوله: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا
ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٢٢٩]، فبيّنَ ما يحلُّ للزوج أخذُه من المختلعة وما لا يحلُّ.

وجمعَ ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا﴾، وثنى: ﴿لَا أَنْ يَخَافَا﴾، ثم جمعَ: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾
على تلوينِ الخطاب، قال الشاعر:

أبا واصلٍ فاكسوهاما حُلَّتِيهِمَا فَإِنَّكُما إِنْ تَفَعَلَا فَتَيَانِ^(٤)

= الفقهاء» للجوهري (ص: ٩٤)، و«المحلى» لابن حزم (٩/ ٤١٦)، و«الإقناع في مسائل الإجماع»
لابن القطان (٢/ ٣٧).

وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣٠٩): «رُوي عن سعيد بن المسيب أن العقد عليها يحلها
للأول، وخطئ هذا القول لخلافه الحديث الصحيح، ويُتأول على سعيد - رحمه الله - أنَّ الحديث
لم يبلغه، ولما رأى العقد عاملاً في منع الرجل نكاح امرأة قد عقد عليها أبوه، قاس عليه عمل العقد
في تحليل المطلقة». والله أعلم.

(١) في (و): «عليهما».

(٢) «قال» من (ن).

(٣) في (ن): «المفترض».

(٤) لم أقف على مَنْ نسب هذا البيت، وقد ذكره بلا نسبة أبو بكر الأنباري في «شرح القصائد
السبع» (ص: ١٦)، وأبو علي الفارسي في «كتاب الشعر» (ص: ٢٠٦)، والعوتبي في «الإبانة»
(١/ ٣٤٢)، والواحدي في «البيسط» (٤/ ٢٣١)، وابن عصفور في «ضرائر الشعر» (ص: ٤٥)،
وأبو حيان في «ارتشاف الضرب» (٥/ ٢٣٨٧). ووجه الشاهد: أنه نادى مفردًا «أبا واصل»، ثم
جمع فقال: فاكسوهاما، ثم ثنى فقال: فإنكما.

(٢٣١) - ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبِنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّعَعْدُوهُنَّ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ لِيُعْظَمَ بِهِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبِنَ أَجَلَهُنَّ﴾: قَارِبِنَ انْقِضَاءِ عِدَّتِهِنَّ.

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ سبق تفسيره.

﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾: لا تراجعوهن لتطولوا عليهن العدة، و﴿ضِرَارًا﴾ من باب (عافاه الله)^(٥).

﴿لِّعَعْدُوهُنَّ﴾؛ أي: لتقصدا الاعتداء؛ وهو مجاوزة الحد، ويحتمل أن تكون اللام لام العاقبة.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾: الإمساك للضرار، ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾: وضعها في معصية الله.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾؛ أي: لا تستخفوا بالقرآن.

وقيل: الإمساك والتسريح بغير حاجة اتخاذ آيات الله هزواً.

وقيل: كان الرجل يطلق ويقول: إنما طلقْتُ وأنا لاعبٌ؛ يرجع فيها، فنزلت:

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾^(٦).

(٥) يعني أن (ضراراً) مصدر (ضارٌّ) على وزن فاعل، وهذا الوزن يقتضي المشاركة من اثنين، لكن هذه الصيغة تأتي مجردة من معنى المشاركة، مثل: (عافاه الله) فإنها بمعنى جعله ذا عافية، وضرار الرجل للمرأة بمعنى: جعلها ذات ضرر. انظر: «شرح الشافية» للرضي (١/ ٩٦ و ٩٩).

(٦) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٨٤٠٦)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ١٨٤) عن الحسن مرسلًا، ولفظ ابن أبي شيبة: «كان الرجل في الجاهلية يطلق ثم يرجع، يقول: كنت لاعباً، ويعتق، ثم يرجع =

﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإيمان.
 ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾: القرآنِ وأحكامه.
 ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: مواظبِ القرآنِ والفقهِ والسُّنَّةِ.
 ﴿يُعِظُكُمْ بِهِ﴾: وعظاً لكم وامتحاناً.
 ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما امتحنكم به، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

(٢٣٢) - ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبِنَ أَجْلِهِنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَُمْ أَنْزَلْنَا لَكُمْ وَأَطَهَّرْنَا اللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبِنَ أَجْلِهِنَّ﴾؛ أي: انقضت عدتهنَّ.
 ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾: لا تمنعهنَّ. والعَضْلُ: المَنعُ والشَّدَّةُ، ومنه: الداءُ العَضَالُ؛
 للذي أعمى الطَّيِّب، ومنه: عضلتِ المرأةُ؛ إذا نشبَ ولدها في بطنها.
 الخطابُ للأولياء.

نزلت في معقل بن يسار قال: كنتُ زوجتُ أختاً لي من رجلٍ فطلَّقها، حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها، فقلتُ له^(١): زوّجتُك وأفرشتُك وأكرمْتُك، فطلَّقَتْها،

= يقول: كنت لاعباً، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا آبَاءَ آبِائِكُمْ وَأُمَّهَاتِكُمْ وَأَهْلَ آبَائِكُمْ وَأَهْلَ أُمَّهَاتِكُمْ﴾، فقال رسول الله ﷺ: «من طلق، أو حرّر، أو أنكح، أو نكح، فقال: إني كنت لاعباً، فهو جائز».

ورواه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٤ / ٢٨٨) عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وقال الهيثمي: «وفيه عمرو بن عبيد، وهو من أعداء الله»، وللحديث طرق ذكرها الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (١ / ٦٣٠).

(١) في (ن): «لقد».

ثم جئت تخطبها! لا والله لا تعودُ إليها^(١) أبداً، قال: وكان رجلاً لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأنزل الله هذه الآية، قال: فقلت: الآن أفعل يا رسول الله، فزوجتها إياه^(٢).

وقيل: الخطابُ للأزواج؛ أي: إذا طَلَقْتُمْ وانقضتِ العدة فلا تعضلوهنَّ من النكاح، فلم يبقَ لكم عليهنَّ سبيلٌ.

﴿أَنْ يَنْكَحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾: من أن ينكحن أزواجهنَّ؛ أي: الرجال الذين يصيرون لهنَّ أزواجاً، سُموا بما يؤولُ إليه.

وعلى القول الأول: أزواجهنَّ الذين كانوا، وسُموا بما كانوا عليه.

﴿إِذَا تَرَاصُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: إذا كان ذلك تراضياً بالتَّجديد للعقد والمهر

والإشهاد.

﴿ذَلِكَ﴾؛ أي: ما مضى ذكره، ووَحَّدَ حملاً على القبيل^(٣).

وقيل: هو خطابٌ للنبيِّ عليه السَّلام.

وقيل: لَمَّا كان لمجرد^(٤) الخطابِ جازَ توحيدُه.

(١) «إليها» من (ن)، وفي «البخاري»: «إليك».

(٢) رواه البخاري (٥١٣٠)، وانظر: «الوسيط» للواحيدي (١/ ٣٣٩).

(٣) أي: قال: (ذلك) بخطاب المفرد، والمخاطب جماعة؛ لأن المخاطب (قبيل) - أي: نوع من الناس - ولفظه مفرد، وإن دلَّ على جماعة، وعبارة المصنَّف مستفادة من عبارة الزجاج، فإنه قال: «وإنما حقيقة (ذلك) و(ذلكم) مخاطبة الجميع، ف(الجميع) لفظه لفظ واحد، فالمعنى: ذلك أيها القبيل يُوعظ به من كان منكم يؤمن بالله، وقوله عزَّ وجلَّ بعد هذا: ﴿ذَلِكَ لَكُمْ أَزْوَاجٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ يدلُّ على أن (ذلك) و(ذلكم) مخاطبة للجماعة». انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣١١).

(٤) في (ن): «بمجرد».

﴿يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾؛ أي: ما مضى ذكره من الزجر عن العُضْلِ والمضارَّة من الأزواج والأولياء إنَّما يُخَصَّسُ بالوعظِ به والتَّخْوِيفِ في مخالفة أمر الله فيه مَنْ كان يؤمن بالله؛ يصدِّق بوعدِهِ ووعدِهِه ويصدِّق باليوم الآخر؛ لأنَّهم قدَّموا أصلَ الإيمان، فهم يعلمون وقوعه.

وقيل: لأنَّ المواعظَ إنَّما تنجَعُ فيمن آمنَ بالله واليوم الآخر.

﴿ذَلِكُمْ﴾؛ أي: ترك العُضْلِ والضَّرارِ ﴿أَزَكَّى لَكُمْ﴾ من الفُرْقَةِ، ﴿وَأَطْهَرُ﴾ من الرِّبِيَّةِ، ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ﴾ مصالحَ دينكم ودنياكم، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: لا تعلمونها.

(٢٣٣) - ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْوَالِدِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَالِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدَيْهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَاءً أَيْتِمٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْتَئِنُ بَصِيرًا﴾.

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ﴾ خبرٌ في معنى الأمر، وقيل: ليرضعن.

والرَّضَعُ: مَسُّ الشَّدي لِشُرْبِ اللَّبنِ، ومنه (١) تقول: رَضِعَ رَضْعًا، ورَضِعَ رَضَاعَةً (٢)، وأرَضَعْتُهُ أُمُّهُ إِرْضَاعًا.

(١) في (و): «منه».

(٢) يُقال: رَضِعَ الصَّبِيُّ يَرْضَعُ، ورَضِعَ يَرْضَعُ، رَضْعًا، ورَضِعًا، ورَضِعًا، ورَضِعًا، ورَضِعًا، ورَضِعًا، ورَضِعًا، ورَضِعًا.

ورَضَاعَةً. انظر: «المحكم» لابن سيده (١ / ٤٠٦) مادة: (رض ع).

﴿حَوْلَيْنِ﴾: ستين، مشتق من الانتقال، من قولك: تحوّل عن المكان، وقيل: من الانقلاب، من قولك: حال الشيء عما كان.

﴿كاملين﴾: تامين، قيّد بالكمال لنفي المجاز؛ فإنك قد تقول: (أقمت شهرين) وأنت في الثاني بعد.

وليس حكم الحولين بلازم عند ابن عباس؛ لقوله: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحاف: ١٥]، فإذا ولدت لستة أشهر فحولان، وإن ولدت لتسعة أشهر فأحد وعشرون شهرًا تكملة الثلاثين^(١).

﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُيَمَّ الرِّضَاعَةَ﴾؛ أي: لمن أراد من الزوجين إتمام الرضاعة فأقصاه حولان.

وقيل: فوّض الأمر إلى الأبوين، وذكر الحولين ليس على التوقيت الواجب، وإنما هو لقطع المشاجرة بين الوالدين، والفقهاء على أنه تجوز الزيادة والنقصان^(٢).

﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾: ﴿لِلْمَوْلُودِ لَهُ﴾: الأب، وقيل: إنما قال: ﴿لِلْمَوْلُودِ لَهُ﴾، ولم يقل: الوالد؛ لأن الوالد قد لا تلزمه النفقة في مسائل، والمولود له تلزمه، وذلك إذا كان حر^(٣) تحت أمه، فأنت بولد، فنفتته على مالك الأم؛ لأنه المولود له

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ٢٠١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢ / ٤٢٨)، ولفظ الطبري: «في التي تضع لسته أشهر أنها ترضع حولين كاملين، وإذا وضعت لسبعة أشهر أرضعت ثلاثة وعشرين لتمام ثلاثين شهرًا، وإذا وضعت لتسعة أشهر أرضعت واحدًا وعشرين شهرًا».

(٢) ذهب إلى هذا أبو حنيفة والشافعي، وذهب المالكية إلى وجوبه إلا على الشريفة، وتمسك أبو ثور وابن حزم بوجوب إجبار المرأة على رضاع ولدها؛ أحببت أو كرهت، أحب زوجها أو كره، إلا المطلقة. انظر: «أحكام القرآن» لابن العربي (٤ / ٢٨٨)، و«المحلى» لابن حزم (٩ / ٢٧٥).

(٣) كذا في الأصول الخطية، وذلك على اعتبار (كان) تامة، و(حر) فاعل.

دونَ الوالد، وكذلك إذا كان عبدٌ تحتَه حرَّةٌ فأنت بولِدٍ، فوالده لا تلزمه نفقته؛ فإنَّ العبدَ لا ملكَ له.

﴿رِزْقُهُنَّ﴾: رزقُ المرضِعةِ وكسوتُها؛ يعني: المطلقة إذا أرضعت.

وقيل: هي الأمُّ ذاتُ النِّكاحِ، لها نفقتُها.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: أجرَةُ المثل.

وقيل: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: في مثلها على مثله، من يسارٍ وإعسارٍ.

﴿لَا تَكْلَفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾: التَّكْلِيفُ: إلزامٌ ما يظهر أثره، من (الكَلْفِ)، وهو

ظهورُ الأثر.

﴿لَا تُضَكَّرُ وَوَلِدَةٌ يُوَلَّدُهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ يُوَلَّدُوه﴾: مَنْ فَتَحَ فَهُوَ نَهْيٌ، ومن رَفَعَ فَخَبِرٌ

في معنى النَّهْيِ^(١).

ويحتملُ وزنه (تُفَاعِلُ) بالكسر، و(تُفَاعَلُ) بالفتح، ومعناهما واحدٌ؛ أي:

لا يفعلُ الأبُّ بالأُمِّ ضَرارًا يَنْزِعَ الوَلدَ عنها، ولا تفعلُ الأمُّ الضَّرارَ بالأبِّ بِإِلْقَاءِ الوَلدِ عليه.

﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ قيل: هو إشارةٌ إلى تركِ المضارَّةِ، وقيل: إلى النَّفَقَةِ

والكسوةِ، وقيل: إليهما جميعًا.

والوارثُ: وارثُ الولدِ، وقيل: وارثُ الوالدِ، وقيل: هو المولودُ إذا وِثَ مَالًا.

وقيل: على الوارثِ؛ أي: سائرُ الورثةِ، والوارثُ مَنْ كان منهم ذارحِمٍ مُحَرَّمٍ^(٢).

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿لَا تُضَكَّرُ﴾ برفع الراء، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ١٨٣)،

و«التيسير» (ص: ٨١).

(٢) في (و) زيادة: «والميراث تركة الميت».

عمر: هم الرِّجَالُ دُونَ النِّسَاءِ^(١).

قتادة: جميعُ ورثته من الرِّجَالِ والنِّسَاءِ^(٢).

وقيل: الأجدادُ ثمَّ الأمَّهات.

﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾: فطامًا، ابن بحرٍ: مفاصلة الوالدين بالفرقة^(٣).

﴿عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ أي: اتَّفقا على فطامٍ قبل الحولين بعد أن يتشاوروا.

والتَّشاور: من (شُرَّتَ العسلُ)؛ إذا استخرجته.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾: فلا وِزْرَ عليهما فيه، والجُنَاحُ: الخروجُ والميلُ عن

الاستقامة^(٤).

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ أي: لأولادكم، أراد: غير الأمَّهات؛ أي: الطُّرَّ.

(١) انظر: «الأم» للشافعي (٥ / ١١٣)، و«تفسير الثعلبي» (٦ / ٢٧٤)، وقد رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨٨)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٩١٥٩)، والطبري في «تفسيره» (٤ / ٢٢٢)، ولفظ عبد الرزاق: «وقفُ بني عمِّ على منفوسٍ كلاله بالنفقة عليه مثل العاقلة»، فقالوا: لا مالَ له، قال: «ولو يوقفهم بالنفقة عليه».

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٢١٨٣)، والطبري في «تفسيره» (٤ / ٢٢٥)، ولفظ الطبري: «على وارث المولود ما كان على الوالد من أجر الرضاع إذا كان الولد لا مالَ له؛ على الرجال والنساء على قدر ما يرثون».

(٣) ذكره المصنّف بلا نسبة في «غرائب التفسير» (١ / ٢١٧)، واستغربه، وفي «البحر المحيط» لأبي حيان (٢ / ٥٠٧): «قال ابن بحر: الفصال: أن يفصل كل واحد منهما القول مع صاحبه بتسليم الولد إلى أحدهما، وذلك بعد التراضي والتشاور؛ لئلا يُقدّم أحد الوالدين على ما يضر بالولد، فنبّه تعالى على أن ما كان متهم العاقبة لا يُقدّم عليه إلا بعد اجتماع الآراء».

(٤) انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (١ / ٤٤٢)، مادة: (ج ن ح).

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: فلا بأس ولا إثم.

﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ مَاءَ آئِيْتُمْ﴾؛ أي: إذا أدّيتم أجرَةَ المرضِعةِ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: على الوجه

الجميل؛ وهو الإيفاءُ والإعفاء.

وقيل: إذا سلّمتم للأُمِّ ما استحقّته.

﴿مَاءَ آئِيْتُمْ﴾ بالمد: أعطيتم، و﴿آئيتم﴾ بالقصر: «الحجّة»: آئيتم نقده أو

سوقه^(١).

﴿وَأَقْبُوا اللَّهَ﴾ في أوامره ونواهيه.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: لا تخفى عليه أعمالكم فهو يجازيكم عليها.

(٢٣٤) - ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا

فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾؛ أي: يموتون، وسُمِّي الموتُ وفاةً؛ لأنَّ الله يأخذه إلى

تدبيره سبحانه بعد أن وكله إلى اختياره، تقول: توفّيت الشيءَ واستوفيتُه؛ إذا أخذته

وافياً تاماً.

﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾؛ أي: يتركون، ولا يُستعملُ من هذا الفعل إلا المضارعُ

والأمرُ والنهي.

﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾: خبرٌ معناه أمرٌ؛ أي: ينتظرنَ ويمكننَ.

(١) انظر: «الحجّة» لأبي علي الفارسي (٢/ ٣٣٥)، و﴿آئيتم﴾ بالقصر هي قراءة ابن كثير. انظر: «السبعة»

(ص: ١٨٣)، و«التيسير» (ص: ٨١). و(سوقه) هنا من (ساق المهر)، كما في هامش «ن».

المبرّد: العائدُ إلى المبتدأ^(١) مضمّرٌ، تقديره: أزواجهم يتربّصن^(٢).

الأخفش: يتربّصنَ بعدهم^(٣).

الزجاج: المضمّرُ في ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ يعود إلى مضافٍ؛ أي: يتربّصُ أزواجهم^(٤).

الكسائيُّ والفراء^(٥): عدل إلى الإخبارِ عن الأزواج^(٦).

﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾؛ أي: عشر ليالٍ؛ لأنَّ اللَّيْلَ مقدّمٌ على النَّهَارِ، وهذه عدّةٌ كلُّ متوفى عنها زوجها إلاَّ الحامل والأمة.

ابن المسيّب وأبو العالية: إنّما زيدَ على أربعة أشهرٍ عشرُ ليالٍ؛ لأنَّ الله ينفخُ في البدن الرُّوحَ في هذه العشر^(٧).

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: انقضتْ عدّتهنَّ، والأجلُ: غايةُ الوقتِ في الموتِ وغيره.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: معاشرَ الحكّامِ وأولياءِ الزَّوجِ ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾؛

(١) المبتدأ هو (الذين)، وجملة (يتربصن) هي الخبر، ولكن لا بد من تقدير ضمير عائد على المبتدأ.

(٢) ذكره الواحدي في «البيسط» (٤ / ٢٥٩)، والجرجاني في «درج الدرر» (١ / ٤٠٢)، والراغب

الأصفهاني في «تفسيره» (١ / ٤٨٦)، وقد ذكر الزجاج أن هذا قول البصريين جميعاً. انظر: «معاني

القرآن» للزجاج (١ / ٣١٤).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١ / ١٨٩).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١ / ٣١٥-٣١٦).

(٥) «والفراء» من (ن).

(٦) أي: أي أخير عن الأزواج بما أغنى عن الإخبار عن الذين يتوفون. انظر: «معاني القرآن» للفراء

(١ / ١٥٠)، وقد ذكره الواحدي في «البيسط» (٤ / ٢٥٩) عن الكسائي، والراغب الأصفهاني في

«تفسيره» (١ / ٤٨٦) عن الكسائي والفراء، وأنكره الزجاج في «معاني القرآن» (١ / ٣١٥).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ٢٥٨) عنهما، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢ / ٤٣٧) عن أبي

العالية، وذكره عن ابن المسيب، وذكره المصنّف في «غرائب التفسير» (١ / ٢١٧)، واستغربه.

أي: في أن تركوهنَّ ليتزوجنَّ ويتزَيَّنَّ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ زينةً لا يُنكر مثلها.

﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾؛ أي: عالمٌ.

ابن عيسى: اشتقاقه من (الخَبَار)؛ وهو الأرض السَّهلة^(١).

وهذه الآية ناسخة بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ وإن تقدَّم في التلاوة^(٢).

(٢٣٥) - ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ

عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تَأْخِذُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرِضُوا
عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ، وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: ولا وزرَ عليكم.

﴿فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾: ضَمَّتُمْ الكلامَ^(٣) دلالةً على شيءٍ من الخِطبة.

ابن عيسى: التعريضُ: تضمينُ الكلامِ دلالةً على شيءٍ ليس فيه ذكرٌ له^(٤)، نحو:

ما أقبح البخل؛ يعرِّضُ بأنه بخيل^(٥).

(١) انظر: «العين» (٢/٤٠٨)، مادة (خ ب ر)، و«تاج العروس» (١١/١٢٧).

(٢) والآية المنسوخة هي قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتْنَعًا إِلَى الْحَوْلِ

غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾، وهي متأخرة في التلاوة، لكنها متقدمة في النزول بإجماع المفسرين، وقد رأى المصنف

في هاتين الآيتين دليلاً على إعجاز القرآن الكريم. انظر: «البرهان» للمصنف (ص: ٨٦ - ٨٧)،

و«تفسير الماتريدي» (٢/١٨٥)، و«النكت والعيون» للماوردي (١/٣٠٣).

(٣) في (و): «والكلام».

(٤) «له» من (ن).

(٥) «بخيل»: ليس في (و).

قال: والكناية: العدول عن (١) الاسم المخصوص بالشيء إلى ذكرٍ يدلُّ عليه؛ نحو: زيدٌ ضربته (٢).

والخطبة: طلبُ النِّكاحِ (٣) في عقدِ النِّكاحِ.

والخطبة: خطابٌ بالزَّجرِ والوعظِ على تأليفٍ مخصوصٍ.

ابن عيسى: أصلُ البابِ من (الخطاب)، وهو توجيهُ الكلامِ بالاختصاصِ للإفهام (٤).

﴿أَوْ أَكَنَنْتُمْ﴾: أضمرتم ﴿فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من (كننت (٥) الشيء): سترته وصنَّته.

والمعنى: لا جُنَاحَ عليك أن تَضْمِرَ في نَفْسِكَ تَزْوِجَهَا إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا، وَلَا

فِي أَنْ تُعَرِّضَ لَهَا؛ نَحْوُ أَنْ تَقُولَ: إِنْ قَضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ كَذَا (٦)، وَإِنَّكَ لَجَمِيلَةٌ، وَمَنْ عَزَمِي أَنْ أَتَزَوَّجَ.

﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾؛ أَي: يَخْطُرُ بِإِلَيْكُمْ تَزْوِجُهُنَّ.

﴿وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ نِكَاحًا.

الزَّجَاجُ: هُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الْجَمَاعِ (٧).

(١) في (ن): «على».

(٢) ذكر الواحدي نحو هذا الكلام في المفارقة بين الكناية والتعريض دون نسبة في «البيسط»

(٤ / ٢٦٩ - ٢٧٠)، إلا أنه قال في مثال الكناية: «رأيتُه وضربته، من غير أن تذكر اسمه»،

وانظر: «الطراز لأسرار البلاغة» للمؤيد بالله (١ / ٢٠٠).

(٣) في (ن) زيادة: «هي خطاب».

(٤) انظر: «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس (٢ / ١٩٨) مادة: (خ ط ب).

(٥) في (ن): «أكننت».

(٦) «كذا» من (ن).

(٧) في (و): «النكاح». انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١ / ٣١٨)، وفيه: «قال أبو عبيدة: السر الإفصاح =

ابن جرير: هو الزنا^(١).

«الحجة»: لا تصرّحوا للمعتدة بلفظ النكاح والتزوج، ولكن عرّضوا به^(٢).

الفراء: لا يصفن أحدكم نفسه للمرأة في عدتها بالإكثار من الجماع^(٣).

وقيل: لا تواعدوهن سراً ما نهيتم عنه جهراً.

﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾: ما يُعرف من فحواه أنه ليس بتصريح.

﴿سِرًّا﴾: حال؛ أي: مُسرّين، ويجوز أن يكون المفعول الثاني لـ (واعد).

﴿وَلَا تَعْزِمُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ الجمهور: ولا تعزموا على عقدة النكاح^(٤).

ويُحتمل: ولا تباشروا عقدة النكاح، ولهذا حذف (على)^(٥)، ألا ترى أنه

رخص^(٦) في الإكثار، والعزم إكثار، والإكثار عزم، وإنما منع مباشرة العقدة^(٧).

بالنكاح... وقال غيره: كأن السر كناية عن الجماع، كما أن الغائط كناية عن الموضوع، وهذا القول عندي صحيح».

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٤ / ٢٧٨)، وفيه: «وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك، تأويل من قال: السر في هذا الموضوع الزنا».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٢ / ٦٤).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١ / ١٥٣)، وفيه: «لا يصفن أحدكم نفسه في عدتها بالرغبة في النكاح والإكثار منه».

(٤) في (ن) زيادة: «حذف».

(٥) «على»: ليس في (ن).

(٦) في (و): «حذف».

(٧) يدلُّ كلامه هنا على ميله لهذا القول، لكنه ذكره في «غرائب التفسير» (١ / ٢١٨)، واستغربه، واستغرابه يرجع إلى مخالفته قول الجمهور، أما ميله إليه هنا فيدلُّ على وجهة نظره الخاصة.

وقال ابن جرير: لا تصححوا عقدة النكاح^(١).

وقيل: لا تعقدوا عقدة النكاح.

وعقدة كل أمر: إيجابه، وأصله: الشد.

﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ﴾ الزَّجَّاجُ: يبلغ فرض الكتابِ أجله^(٢).

ويجوز أن يكون (الكتاب) هو الفرض.

ويجوز أن يكون على التشبيه بكتاب الدين؛ والمعنى: حتى تنقضي عدتها.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ ولا تُضْمِرُوا ما لا يرضاه.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾: لا يعجل^(٣) بالعقوبة.

(٢٣٦) - ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمِعْوَهُنَّ

عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدْرَهُ مَتَعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾؛ أي: تجامعوهن، من قوله: ﴿وَلَمْ

يَمَسَّنِي بَشْرٌ﴾، وقرئ: ﴿تَمَسَّوهُنَّ﴾^(٤)، من قوله: ﴿أَنْ يَتَمَاسَّا﴾.

﴿أَوْ تَفْرِضُوا﴾: تُعِينُوا ﴿لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: مهراً، و﴿أَوْ﴾ بمعنى الواو.

ابن عيسى: فرضتم لهنَّ أو لم تفرضوا^(٥).

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٤ / ٢٨٣)، وتمة كلامه يوضح المراد فقد قال: «ولا تصححوا عقدة

النكاح في عدة المرأة المعتدة، فتوجبها بينكم وبينهن، وتعقدوها قبل انقضاء العدة».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١ / ٣١٨).

(٣) في (و): «لا تعجلوا».

(٤) هي قراءة حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ١٨٤)، و«التيسير» (ص: ٨١).

(٥) ذكره دون نسبة الثعلبي في «تفسيره» (٦ / ٣١٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (١ / ٣٠٥)، =

و(ما) للمدة.

وقيل: هو للشرط^(١).

وقيل: هو الموصولة^(٢)، والمعنى: النساء اللواتي لم تمسوهن، والمعنى: لا جناح في طلاقها أي وقت كان، بخلاف المدخول بها.

والمطلقات أربع:

- مطلقاً مدخولاً بها مفروض لها، وقد سبق.

- ومطلقاً غير مدخول بها ولا مفروض لها، وهي هذه.

- ومطلقاً مفروض لها^(٣) غير مدخول بها، يأتي ذكرها عقيب هذه الآية:

﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [البقرة: ٢٣٧].

- ومطلقاً مدخولاً بها غير مفروض لها، ذكرت في قوله: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ

فَتَأْتِيَهُنَّ أَجُورُهُنَّ﴾ [النساء: ٢٤].

﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ ابن المسيب ومجاهد: المتعة للتي لم يسّم لها صداق^(٤).

الحسن وأبو العالية: المتعة لكل مطلق^(٥).

= والواحد في «السيط» (٢٧٩/٤).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٨)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٨)، واستغربه.

(٣) «غير مدخول بها ولا مفروض لها وهي هذه ومطلقاً مفروض لها» من (ن).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» عن سعيد بن المسيب (٤/ ٢٩٦)، وعن مجاهد (٤/ ٣٠٥)، وعن ابن عباس

رضي الله عنهما (٤/ ٢٩٠)، وعقد ابن أبي شيبه في «مصنفه» (٤/ ١٣٩) باباً فيما قالوا في الرجل يطلق

ولم يدخل، ورواه عن ابن عباس رضي الله عنهما وشريح وابن مغفل والشعبي وإبراهيم وحماد.

(٥) رواه ابن أبي شيبه في «مصنفه» (١٨٧٠٠، ١٨٧٠١)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٢٩٤).

وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ؛ لِأَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ فَحَسَبُ.

﴿عَلَى الْمَوْسَى﴾: الَّذِي فِي سَعَةِ مِنْ غَنَاهُ ﴿قَدْرُهُ﴾ ابْنُ عَبَّاسٍ: خَادِمٌ أَوْ كَسْوَةٌ أَوْ وَرَقٌ^(١).

غَيْرُهُ: قَدْرُ النَّصْفِ مِنْ صَدَاقٍ مِثْلُ^(٢) تِلْكَ الْمَرْأَةِ.

﴿وَعَلَى الْمُقْتَرِ﴾؛ أَي: الْمَقْلُ، وَالِإِقْتَارُ: الْإِقْلَالُ.

﴿قَدْرُهُ﴾ الشُّكُونُ وَالْحَرَكَةُ لَغْتَانِ^(٣)؛ ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧]،
و﴿أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

﴿مَتَعَابًا بِالْمَعْرُوفِ﴾ حَالٌ مِنَ (القدر).

﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾: الْمُسْلِمِينَ.

و﴿حَقًّا﴾: نَصَبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ؛ أَي: حُقَّ حَقًّا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَأْكِيدًا لِجُمْلَةِ الْكَلَامِ.

ابْنُ عَبَّاسٍ: عَلَى الْحَالِ مِنَ^(٤) (بِالْمَعْرُوفِ)^(٥).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٢٩٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٤٣)، ولفظ الطبري:

«إِنْ كَانَ مُوسَى مُتَعَابًا بِخَادِمٍ أَوْ شَبَهَ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مَعْسِرًا مُتَعَابًا بِثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ».

(٢) «مِثْلُ» مِنْ (ن).

(٣) قرأ حفص وابن ذكوان وحمزة والكسائي: ﴿قَدْرُهُ﴾ فِي الْمَوْضِعَيْنِ بِفَتْحِ الدَّالِ، وَالْباقُونَ بِسُكُونِهَا.

انظر: «السبعة» (ص: ١٨٤)، و«التيسير» (ص: ٨١).

(٤) «مِنْ» مِنْ (ن).

(٥) أَي: عَرَفَ ذَلِكَ حَقًّا، وَقَدْ ذَكَرَ الْمَصْنُفُ هَذَا الْقَوْلَ بِلا نِسْبَةٍ فِي «غرائب التفسير» (١/ ٢١٨).

(٢٣٧) - ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ الزَّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾: تجمعهن، ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ﴾: عينتم ﴿لَهُنَّ فَرِيضَةٌ﴾: مهراً، ﴿فَنِصْفُ﴾؛ أي: فعليكم نصف^(١) ﴿مَا فَرَضْتُمْ﴾، والنِّصْفُ: الجزء من اثنين.

﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ﴾: إلا أن تترك المرأة ما يجب لها من نصف صداقها.
﴿أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ الزَّكَاحِ﴾ فيكمل لها المهر.

وهو الزوج عند الجمهور^(٢)، وقال علقمة والحسن: هو الولي^(٣).

﴿وَأَنْ تَعْفُوا﴾ ابن عباس: الخطاب للرجل والمرأة^(٤).

الشَّعْبِيُّ: للزوج وحده^(٥). وجمَع لأنه لكل زوج.

﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾: أدعى إلى اتقاء معاصي الله.

وقيل: لا اتقاء ظلم كل واحد صاحبه.

(١) «نصف» من (ن).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٩٨٣ - ١٦٩٩٥)، والطبري في «تفسيره» (٤ / ٣٢٤ - ٣٢٩) عن عدد من المفسرين.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٩٩٧) عن الحسن، و(١٦٩٩٨) عن علقمة، والطبري في «تفسيره» (٤ / ٣١٨) عن علقمة، و(٤ / ٣٢٠) عن الحسن.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ٣٣٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢ / ٤٤٥)، ولفظهما: «أقربهما للتقوى الذي يعفو».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ٣٣٧)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١ / ٣٠٧).

﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾؛ أي: لا تتركوا الفضل تَرَكَ مَنْ قَدْ نَسِيَهُ.

والفضلُ: هو الإفضالُ، وهو فعلٌ ما ليس بواجبٍ.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم على إحسانكم.

(٢٣٨) - ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾.

﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾: دوموا عليها. والحفظُ: خلافُ النسيان.

ابن عيسى: أصلُ الباب حفظُ الشيء في النفس، و(فَاعَلَ) إذا استعملَ من واحدٍ تَضَمَّنَ مبالغةً؛ لأنَّ البناءَ لتكرُّر الفعل.

﴿وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾: هي داخلةٌ في الصَّلوات، وأُفردتْ لفضلِها على سائرِها، ولأنَّ المحافظةَ عليها أشدُّ.

ابنُ عباسٍ وعليُّ والحسنُ: هي صلاةُ العصر؛ لأنَّها بين صلاتي اللَّيْلِ وصلاتي النَّهَارِ^(١).

ابنُ عمرَ: هي الظُّهرُ^(٢)؛ لأنَّها وسطُ النَّهَارِ.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٤٣ - ٣٤٧). وذكره الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ١٣٩) بلاغًا

عن علي وابن عباس رضي الله عنهم.

وروى البخاري (٢٩٣١)، ومسلم (٦٢٧) عن علي رضي الله عنه قال: لما كان يوم الأحزاب قال رسول الله ﷺ: «مألاً الله بيوتهم وقبورهم ناراً، شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس»، وفي رواية مسلم: «عن الصلاة الوسطى؛ صلاة العصر».

(٢) في (و): «الظاهرة». رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢١٩١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٨٦١٦).

ورواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ١٣٩) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه.

قَبِيصَةُ بْنُ ذُوَيْبٍ^(١): هِيَ الْمَغْرِبُ؛ لِأَنَّهَا الْوَسْطَى فِي الطُّوْلِ وَالْقَصْرِ،
وَلِأَنَّهَا بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ^(٢).

جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: هِيَ صَلَاةُ الْفَجْرِ^(٣)؛ لِأَنَّهَا بَيْنَ الظُّلَامِ وَالضُّيَاءِ.

وَتَحْتَمِلُ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ؛ لِأَنَّهَا تَوَسَّطَتْ صَلَاتِي طَرَفِي اللَّيْلِ^(٤).

وَأَصْلُهُ^(٥): التَّعْدِيلُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ.

﴿وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَنِينِينَ﴾ ابْنُ عَبَّاسٍ: سَاكِتِينَ، نُهَوُا بِذَلِكَ عَنِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ^(٦).

مَجَاهِدٌ: خَاشِعِينَ^(٧)، نُهَوُا عَنِ الْعِبْثِ وَاللَّعِبِ فِيهَا.

(١) «قبيصة بن ذؤيب» من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ٣٦٧) بلفظ: «الصلوة الوسطى صلاة المغرب، ألا ترى أنها ليست بأقلها ولا أكثرها، ولا تُقصر في السفر، وأن رسول الله ﷺ لم يؤخرها عن وقتها ولم يجعلها».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ٣٧٠).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢١٩)، واستغربه.

(٥) أي: أصل الوسط.

(٦) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٧٧٦)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١٢ / ٨٨)، ولفظ الطبراني: «كانوا يتكلمون في الصلاة؛ يحيي خادم الرجل إليه وهو في الصلاة، فيكلمه في حاجته، فنهوا عن الكلام»، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦ / ٣٢٠): «رواه الطبراني، رجاله رجال الصحيح».

(٧) رواه المروزي في «الصلوة» (١٣٨)، والطبري في «تفسيره» (٤ / ٣٨١-٣٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢ / ٤٤٩)، ولفظ المروزي: «فمن القنوت الركود والخشوع، وغض البصر، وخفض الجناح من رهبة الله عز وجل، كان إذا قام أحدهم يصلي يهاب الرحمن أن يشد بصره إلى شيء، أو يلتفت، أو يقلب الحصى، أو يعث بشيء، أو يحدث نفسه من شأن الدنيا إلا ناسيا، ما دام في صلاته».

وقيل: داعين.

وعن ابن عباسٍ أيضًا: أَنَّ الصَّلَاةَ الوسطى: صلاةُ الفجر، والقائتين: الدَّاعين فيها بالقنوت^(١).

وقيل: عابدين.

ابن عيسى: أصلُ القنوتِ: الدَّوَامُ على أمرٍ واحدٍ^(٢).

(٢٣٩) - ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فِرَاجًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾؛ أي: فإن كنتم في الحربِ وخفتم الأعداء.

﴿فِرَاجًا﴾؛ أي: فصلُّوا رجالًا، وهي جمعُ (راجِلٍ)، ويُحتملُ أن تكونَ جمعُ

(رَجِلٍ)، و(رَجُلٍ) جمعُ (راجِلٍ)؛ وهو الذي يمشي على رِجله أو يقوم عليها.

﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾: جمعُ راكبٍ، كفارس وفرسان، والرُّكوبُ: علوُ النَّسْمَةِ.

﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾؛ أي: من العدوِّ ﴿فَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾؛ أي: صلُّوا له صلاةَ الآمنِ

كما علَّمكم؛ أي: اذكروه بالثناءِ والحمدِ له.

﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ من أمرِ دينكم؛ أي: ذكِّرا يوازي ذلك.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٦٧-٣٦٨) بروايات متعددة، والطحاوي في «شرح معاني الآثار»

(١٠١١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢١٩) وعدَّه من العجائب، ولفظ الطحاوي:

«عن أبي رجاء قال: صليت خلف ابن عباس رضي الله عنهما الغداة فقلت قبل الركوع، وقال: هذه

الصلاة الوسطى».

(٢) ذكره الرازي في «مفاتيح الغيب» (٦/ ٤٨٨).

(٢٤٠) - ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ﴾؛ أي: عليهم وصيةٌ. وقيل: لهنَّ عليهم وصيةٌ. وقيل: وصيةٌ من الله لأزواجهم. وقيل: كُتِبَ عليهم وصيةٌ. ومن نصب^(١)؛ أي: فليوصوا وصيةً. وقيل: كَتَبَ الله عليهم وصيةً.

﴿مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ﴾؛ أي: توصون بأن يمتنعن متاعاً.

الزَّجَّاج: ومتعهنَّ متاعاً إلى الحول^(٢).

﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ المعنى: للمتوفى عنها وصيةٌ بالسكنى والنفقة، متاعٌ لهنَّ إلى الحول، إلا أن تختار الخروج، فلا تُكرهه على الإقامة.

وهذه الآية منسوخةٌ بالآية التي تقدّمت، وهي قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَرِيضْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٤]^(٣)، وبآية المواريث، والتقديم والتأخير وقعا في التلاوة لا في النزول.

وقيل: هي ثابتةٌ رخصةٌ لمن أوصى لها بالإقامة حولاً^(٤).

(١) قرأ نافع وابن كثير والكسائي بالرفع، وباقي السبعة بالنصب. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١ / ٣١٩)، وقال: «وهذا منسوخ بإجماع، نسخه ما قبله».

(٣) روى البخاري في «صحيحه» (٤٥٣٠) عن ابن أبي مليكة: «قال ابن الزبير: قلت لعثمان بن عفان:

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٠] قال: قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها؟ أو تدعها؟

قال: يا ابن أخي لا أغير شيئاً منه من مكانه».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢٢٠) عن ابن بحر، وعدّه من العجائب.

﴿فَإِنْ حَرَجْنَا﴾؛ أي: من عند أنفسهنَّ من غير إخراج، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ من النكاح ﴿مِنْ مَعْرُوفٍ﴾ على ما أمر^(١) الله به من المناكح. ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ يشرع لعباده ما يشاء.

(٢٤١) - ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾.
 ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ قيل: هي منسوخة كالتي تقدمت.
 وقيل: المرادُ به المطلقةُ غير المدخولِ بها المفروض لها.
 وقيل: هي المطلقةُ التي تملك مراجعتها؛ فإن لها عليه نفقة العدة.
 عمر رضي الله عنه: هي واجبةٌ لجميع المطلقات^(٢).
 قال ابن زيد: لَمَا نَزَلَ قَوْلُهُ: ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ وختم الآية بقوله: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦] قيل: إن أحسنتُ فعلتُ، وإن لم أَرُدْ لم أفعل، فأنزل الله: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾^(٣)؛ يعني: المؤمنين الذين يتقون الشرك.

(١) في (ن): «أمره».

(٢) هذا مستفاد من اعتراض عمر رضي الله عنه على رواية فاطمة بنت قيس رضي الله عنها في «صحيح مسلم» (١٤٨٠)، وقد روى الإمام مالك في «الموطأ» (٢ / ٥٧٣)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١٢٢٢٤)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٨٦٩٩)، والطبري في «تفسيره» (٤ / ٢٩٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «لكل مطلقة متعة إلا التي تطلق قبل أن يدخل بها، وقد فرض لها، فلها نصف الصداق، ولا متعة لها».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ٤١١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦ / ٤٣٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (١ / ٣١١).

(٢٤٢) - ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ .

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ من الإيلاء والنكاح والطلاق وغيرها .

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ أي: عن الله أو امره .

(٢٤٣) - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ

مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ﴾ الزجاج: ألم يتته علمك إليهم^(١)، قال: ولهذا عُدِّي

بـ(إلى)^(٢) .

وقيل: تقديره: أما رأيت العجائب حتى انتهى بك الرؤية إلى هذا .

﴿خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ كانت قرية يُقال لها: داوردان قبل واسط، فظهر بها وباء

وطاعون، فخرج منها جماعة ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾: جمع (ألف)، وقيل: جمع (إلف)؛

أي: جدُّ مؤتلفين^(٣) .

ابن عباس: كانوا أربعة آلاف^(٤) .

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٢٢) .

(٢) انظر: «الكشاف» للزمخشري (١/ ٥١٥) .

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٠) واستغربه، وقال الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٢٣):

«وأولى القولين في تأويل قوله: ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ بالصواب، قول من قال: عنى بالألوف كثرة العدد،

دون قول من قال: عنى به الائتلاف، بمعنى ائتلاف قلوبهم، وأنهم خرجوا من ديارهم من غير افتراق

كان منهم، ولا تباعض، ولكن فراراً؛ إما من الجهاد، وإما من الطاعون؛ لإجماع الحجة على أن ذلك

تأويل الآية، ولا يعارض بالقول الشاذ ما استفاض به القول من الصحابة، والتابعين» .

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٥٦)، والحاكم في =

عطاء الخراساني: ثلاثة آلاف^(١).

مقاتل: ثمانية آلاف^(٢).

أبو روق: عشرة آلاف^(٣).

أبو مالك: ثلاثين ألفاً^(٤).

ابن جريج: أربعين ألفاً^(٥).

عطاء بن أبي رباح: سبعين ألفاً^(٦).

وقوله: ﴿وَهُمُّ الْوُفِّ﴾ يدلُّ على الكثير؛ لأنَّه جمع الكثرة، وجمعُ القلَّةِ (آلافٌ)، وجاء (ألفٌ) أيضاً.

﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾؛ أي: خرجوا خوفاً من أن يموتوا بالطَّاعون، فلمَّا توسَّطوا بلادَ العراق أماتهم الله، فمكثوا موتى ثمانية أيام.

= «المستدرک» (٣١١٣)، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، وقال الذهبي: «ميسرة النهدي لم يرويا له».

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ٤١٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦ / ٤٤٥).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (١ / ٢٠٢).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦ / ٤٤٦)، والجرجاني في «درج الدرر» (١ / ٤١٣).

(٤) رواه الطبري في «تاريخه» (١ / ٤٥٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢ / ٤٥٦) من طريق السدي عن أبي مالك بلفظ: «كانوا بضعة وثلاثين ألفاً». ورواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ٤١٦) عن السدي.

(٥) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (١ / ٢٤٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٦ / ٤٤٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ٤١٨) عن ابن جريج عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦ / ٤٤٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١ / ٢١٩)، وفيهما:

«تسعين ألفاً». وذكره البغوي في «تفسيره» (١ / ٢٩٣)، والقرطبي في «تفسيره» (٣ / ٢٣١)، وفيهما: «سبعين ألفاً».

وهو قوله: ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾؛ أي: أماتهم. وقيل: نادى ملك من السماء: أن موتوا، فماتوا، فخرج خلفهم نبي لهم.

قتادة: هو يوشع بن نون^(١).

وقيل: سمعون.

السُّدِّيُّ: سُمِّيَ سمعون؛ لأنَّ الله سمعَ دعاءَ أمِّه^(٢).

وقيل: حزقيل، وهو ابن العجوز.

وهبُّ: اسمه أشمويل^(٣).

فلما لحقهم وقد ماتوا، تضرَّع إلى الله وسأله إحياءهم، فأجابه الله سبحانه فأحياهم، وعاشوا حتى أنسلوا^(٤)، يعرفون أنَّهم كانوا موتى، سحنة الموتِ على وجوههم، لا يلبسون ثوبًا إلا عادَ دَسَمًا مثل الكفن، حتى ماتوا لآجالهم التي كُتِبَتْ لهم^(٥).

ابن عباسٍ: يوجدُ اليومُ في ذلك السَّبَطِ من اليهودِ تلك الرِّيحُ^(٦).

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٦)، والطبري في «تفسيره» (٤ / ٤٣٧)، ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢ / ٤٦٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ٤٣٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢٢١) دون نسبة.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٧) (١ / ٣٦٤)، والطبري في «تفسيره» (٤ / ٤٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢ / ٤٦٣). وفي (و): «شمويل».

(٤) في (ن): «أنسلوا».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ٤١٧)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦ / ٤٥٣) واللفظ له عن مجاهد.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ٤١٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦ / ٤٥٤).

قال الزَّجَاجُ وَالضَّحَّاكُ فِي جَمَاعَةٍ: إِنَّهُمْ فَرَوْا مِنَ الْجِهَادِ خَوْفًا مِنَ الْقَتْلِ فِي الْحَرْبِ، فَأَمَاتَهُمُ اللَّهُ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ عَقُوبَةً لَهُمْ^(١).

﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ بِدَعَاءِ نَبِيِّهِمْ مُعْجِزَةً لَهُ، وَلِهَذَا رُدُّوا إِلَى الْقِتَالِ بَعْدَ الْإِحْيَاءِ.
﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾: ذُو مَنْ، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

(٢٤٤) - ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.
﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ هَذَا خُطَابٌ لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامِ.

وقيل: خطابٌ للذين أُحْيُوا.

(٢٤٥) - ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي﴾ هَذَا لَفْظٌ يَدُلُّ عَلَى الْمَسَارَعَةِ وَالسَّبْقِ.

﴿يُقْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا﴾ سَمَّى مَا يَنْفِقُونَهُ قَرْضًا؛ لِأَنَّ الْقَرْضَ بَدْلٌ مَا يَجِبُ فِيهِ مِنَ الْمِثْلِ، فَنَبَّهَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَضِيعُ عِنْدَهُ.

﴿حَسَنًا﴾: حَلَالًا عَلَى طَيِّبَةٍ مِنْ^(٢) النَّفْسِ غَيْرِ مُجْحَفٍ بِعِيَالِهِ، وَهُوَ النَّفَقَةُ فِي الْجِهَادِ.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٢٢-٣٢٣)، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٥٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قوله»: ﴿حَدَّرَ الْمَوْتَ﴾: فرأوا من عدوهم، ثم قال: «وروي عن الضحاك ومطر أنهم فروا من الجهاد». وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٤٤٣) عن الضحاك ومقاتل والكلبي.

(٢) «من» من (ن).

وقيل: هو النَّافِلَةُ.

وقيل: هو عامٌّ، ما لم يكن رياءً ولا سُمعةً.

قال ابن عيسى: أصلُ القرضِ: القطعُ بالنَّابِ^(١).

﴿فِيضَعْفُهُ دَلَةٌ﴾؛ أي: يَضْمُّ إليه مثله.

الرَّفْعُ على العطفِ على الصَّلَاةِ، أو الاستئناف؛ لأنَّ الاستفهامَ وقعَ عن

المقرَضِ، والنَّصْبُ على الحملِ على المعنى، وجعلِ الفاءِ جوابَ الاستفهامِ^(٢).

و(المضاعفة) أكثرُ من (التضعيف).

﴿أَضَاعًا كَثِيرَةً﴾ قيل: هي سبعمئة.

وقيل: الكثيرُ غيرُ محدودٍ؛ لأنَّ ما لا ينقطعُ لا يدخلُ تحتَ الحدِّ^(٣).

﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْضُطُ﴾: يُضَيِّقُ وَيُوسِّعُ.

وقيل: يقبضُ الصَّدَقَاتِ، ويبسطُ بالخُلْفِ في الدُّنْيَا والثَّوَابِ فِي العُقْبَى.

وقيل: يَقْبَلُ وَيَجَازِي.

وقيل: هو من ضيقِ الصَّدْرِ وَسَعَتِهِ.

﴿وَالِئِنَّهُ﴾: إِلَى اللَّهِ ﴿تُرْجَعُونَ﴾، فيجازيكم على أعمالكم.

وقيل: إِلَى الثَّوَابِ تُرْجَعُونَ.

(١) وذكره صاحب «العين» (٥ / ٤٩) بلا نسبة.

(٢) قرأ عاصم وابن عامر بنصب الفاء، والباقون برفعها، وقرأ ابن كثير وابن عامر: ﴿فِيضَعْفُهُ﴾ بتشديد

العين مع حذف الألف. انظر: «السبعة» (ص: ١٨٤)، و«التيسير» (ص: ٨١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢٢١) دون نسبة.

(٢٤٦) - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أبعثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ﴾: هم الجماعةُ الأشرافُ الذين ليس على شرفهم مزيدٌ، واشتقاقه: من (ملاؤتُ)؛ أي: يملؤون القلوبَ جلالَةً ومهابةً.

وقيل: مَلِيؤون بما يُعصَبُ بهم من عظامِ الأمور.

﴿وَمِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: (من) للتبعض.

﴿مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾: أي: من (١) بعد موته، و(من) لابتداء الغاية.

﴿إِذْ قَالُوا﴾: حين قالوا ﴿لِنَبِيِّ لَهُمْ﴾ اختلفَ المفسِّرون فيه اختلافهم في الآية

الأولى.

﴿أبعثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أقم لَنَا مَلِكًا نقاتل معه أعداءنا في إعلاء دين الله، وسُمِّي ملكًا لأنه يملكُ تدبيرهم وتصريفهم فيما توجهوا له.

﴿قَالَ﴾؛ أي: النَّبِيُّ: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾

استفهامٌ معناه: أنا بين الرجاء والخوفِ من قتالكم، فأخبروني عن نياتكم؟

﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا﴾؛ أي: أيُّ

عذرٍ لنا في أن لا نقاتلَ في طاعةِ (٢) الله وإظهارِ دينه، وفي طلبِ التَّشْفِي من الأعداء،

﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا﴾ بالجلاء، وأفردنا عن أبنائنا بالقتل والسبي.

(١) «من»: ليس في (ن).

(٢) في (و): «سبيل».

ابن عيسى: (أن) زيادة، قال: وقيل: إنما دخل لتفيد معنى الاستقبال؛ أي: ما يمنعنا، ولهذا يُستعمل مع المستقبل كالمعنى دون الماضي^(١).

و(ما) للاستفهام.

قال المبرد: (ما) للنفى، كأنهم قالوا: ما لنا نترك القتال وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا^(٢).

﴿فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾؛ أي: أُجِيبُوا إِلَى مَا التَّمَسُّوا، وَبُعِثَ^(٣) لَهُمْ مَلِكٌ، وَهُوَ طَالُوتُ.

﴿تَوَلَّوْا﴾: أَعْرَضُوا عَنِ الطَّاعَةِ لِلْمَلِكِ الْمَنْصُوبِ لَهُمْ.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ عِلْمَ أَنَّهُمْ يَكْفُرُونَ إِذَا أَمَرُوا، فَلَمْ يَأْمُرْهُم بِالْقِتَالِ حَتَّى سَأَلُوهُ.

وهبٌ والرَّبيع: كان سببُ السُّؤالِ استِدْلالَ الجابرةِ لهم من الملوكة الذين كانوا في زمانهم^(٤).

السُّدِّيُّ: قَتَالَ الْعَمَالِقَةَ^(٥).

(١) هذا قول الفراء. انظر: «السيط» للواحدى (٤/٣١٧).

(٢) ذكره الراغب الأصفهاني في «تفسيره» (١/٧٠٥)، والرازي في «التفسير الكبير» (٦/٥٠٣).

(٣) في (و): «التمسوه بعث».

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/٣١٤).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/٤٤١)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/٣١٤).

(٢٤٧) - ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ ﴾ : أنفذ ﴿ لَكُمْ طَالُوتَ ﴾ : كان رجلاً معروفاً عندهم ﴿ مَلِكًا ﴾ جواب لقولهم : ﴿ أَبَعَثَ لَنَا مَلِكًا ﴾ .

﴿ قَالُوا أَنَّى ﴾ كيف ﴿ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا ﴾ وهو سقاء؟ وقيل : دباغ^(١) .
 ﴿ وَنَحْنُ أَحَقُّ ﴾ ؛ أي : فينا من هو أحق ﴿ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ﴾
 فيتشرّف به ؛ إذ^(٢) كان قد فاته الحساب .

ابن جرير : إنّما أنكروا ملكه ؛ لأنّه كان من سبط بنيامين بن يعقوب ، ولم يكن فيهم ملكٌ ولا نبوة ، وكانت النبوة في سبط لاوي بن يعقوب ، والملك في سبط يهوذا بن يعقوب^(٣) .

﴿ قَالَ ﴾ ؛ أي : النبي : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ ﴾ : اختاره .
 والاصطفاء : جعل الشيء أو وجدانه صافياً خالصاً من الشوائب .
 ﴿ وَزَادَهُ بَسْطَةً ﴾ : زيادة ، والبسطة في الشيء : امتداده في جميع جهاته .
 ﴿ فِي الْعِلْمِ ﴾ : علم الحرب وكيد الأعداء .
 ﴿ وَالْجِسْمِ ﴾ : وقوة الجسم ، ورؤاء المنظر ، وطول القامة .

(١) في (ن) : «سقاء أو دباغ» .

(٢) في (و) : «إذا» .

(٣) انظر : «تفسير الطبري» (٤ / ٤٤٨) .

وكان الله سبحانه وتعالى أعطى ذلك النبيَّ عصًا، وقال: مَنْ ساواها فهو الملك، فما ساواها غيره، وقيل: أعطاه دِرْعًا.

﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مَن يَشَاءُ﴾: إذا عَلِمَ بالمصلحة، لا بالحسبِ والنسب.

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾؛ أي: واسع الفضلِ والعطاء.

ابن عيسى: موسّع على مَنْ يشاءُ مِنْ نعيمه.

وعنه أيضًا: ذو سعةٍ، كتامرٍ ولاين^(١).

﴿عَلِيمٌ﴾: عالمٌ لمن ينبغي أن يؤتِيَ الفضل.

(٢٤٨) - ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ

سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَىٰ وَآءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾ ذكر المفسِّرون أنهم سألوا النبيَّ آيةً.

قال الفُقَّال: ويجوزُ أن يكونَ آتاه إياها سَكِينَةٌ لقومِهِ، وإن لم يكونوا سألوه.

﴿أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ الإتيانُ هاهنا مجازٌ.

والتَّابُوتُ: شبهُ صندوقٍ^(٢)، و(تابوه) بالهاء^(٣) لغةُ الأنصار^(٤).

(١) في هامش (ن): «أي: كثير التمر واللبن». وقد ذكر القولين المصنَّف عنه في «غرائب التفسير»

(٢٢٢ / ١)، وذكرهما الماوردي في «النكت والعيون» (١ / ٣١٥) دون نسبة.

(٢) في (ن): «الصندوق».

(٣) «بالهاء» من (ن).

(٤) في «الترمذي» (٣١٠٤): «قال الزهري: فاختلفوا يومئذ في التابوت والتابوه، فقال القرشيون: =

وهبُّ: كان ثلاثة أذرعٍ في ذراعين^(١)، من خشبِ الشَّمشاذ^(٢).

﴿فيه﴾: في التابوتِ ﴿سَكِينَةٌ﴾ هي مصدر، كالضَّرْبِيَّةِ وَالْعَزِيمَةِ والقَضِيَّةِ، قيل: السَّكِينَةُ لِلنَّفُوسِ كَالشُّكُونِ لِلْأَجْسَامِ.

ابن جريرٍ عن السُّدِّيِّ: هي طَسْتُ من ذهبٍ، كان يُغَسَلُ فيه قلوبُ الأنبياء عليهم السَّلام^(٣).

عليٌّ رضي الله عنه: هي رِيحٌ هَفَّافَةٌ لها وجهٌ كوجهِ الإنسان^(٤).

مجاهدٌ: لها رأسٌ كرأسِ الهَرَّةِ وجناحان^(٥).

= التابوت، وقال زيد: التابوه، فرفع اختلافهم إلى عثمان، فقال: اكتبوه التابوت؛ فإنه نزل بلسان قريش. وقد قرأ زيد بن ثابت وأبي رضي الله عنهما (تابوه)، وهي قراءة شاذة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٢٢).

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٢)، والطبري في «تفسيره» (٤ / ٤٦٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢ / ٤٦٧).

(٢) في (و): «الشمشاد». ذكره مقاتل في «تفسيره» (١ / ٢٠٦)، وقال: «هو خشب تتخذ منه الأمشاط الصفر مموءه بالذهب». وذكره الزجاج في «معاني القرآن» (١ / ٣٣٠)، والسمرقندي في «تفسيره» (١ / ١٦٣)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١ / ٢٢٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وفي «تاج العروس» (٩ / ٤٣١) مادة: (ش م ش ذ): «الشمشاذ: معرب شمشاد، وهو شجر السرو، ويسمى آزاددرخت».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ٤٧٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢ / ٤٦٩).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٣)، والطبري في «تفسيره» (٤ / ٤٦٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢ / ٤٦٨).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ٤٦٩)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٤) بلفظ: «لها جناحان وذناب مثل ذناب الهرة».

وهب^(١): رُوِّحَ مِنْ اللَّهِ يَكْلِمُهُمْ^(٢) بِالْبَيَانِ عِنْدَ وَقُوعِ الْاِخْتِلَافِ^(٣).

عطاء: آيَةٌ يَسْكُنُونَ إِلَيْهَا^(٤).

﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾: خَالِقِكُمْ.

﴿وَيَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ﴾: بَقِيَّةُ كُلِّ شَيْءٍ: خِلَاصَتُهُ، مَشْتَقَّةٌ مِنَ الْبَقَاءِ، قِيلَ: عَصَا

مُوسَى وَعَصَا هَارُونَ وَثِيَابَهُمَا وَنَعْلَهُمَا.

وقيل: رُضَاضُ الْأَلْوَاحِ الَّتِي أَلْقَاهَا مُوسَى فَتَكَسَّرَتْ، وَكَانَتْ مِنْ زَبْرَجِدٍ وَيَاقُوتٍ.

وقيل: التَّوْرَةُ وَكِتَابٌ آخَرُ مَعَهَا^(٥).

وَيُحْتَمَلُ أَنَّ الْهَاءَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ تَعُودُ إِلَى الْإِتْيَانِ^(٦)،

و﴿وَيَقِيَّةٌ﴾: عَطْفٌ عَلَى التَّابُوتِ.

﴿ءَالَ مُوسَى وَعَالَ هَارُونَ﴾ الْقِفَالُ: إِنَّمَا أُضِيفَ ذَلِكَ إِلَى آلِ مُوسَى وَآلِ

هَارُونَ لِأَنَّ ذَلِكَ التَّابُوتَ^(٧) قَدْ تَدَاوَلَتْهُ الْقُرُونُ بَعْدَهُمَا إِلَى وَقْتِ طَالُوتَ^(٨).

(١) «وهب» من (ن).

(٢) في (ن): «فيكلمهم».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٢)، والطبري في «تفسيره» (٤ / ٤٧٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢ / ٤٦٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ٤٧١) ورجحه.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢٢٣)، واستغربه.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢٢٣)، واستغربه أيضاً.

(٧) في (ن) زيادة: «كان».

(٨) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٦ / ٥٠٨)، وتمتة كلامه فيه: «وما في التابوت أشياء توارثها

العلماء من أتباع موسى وهارون، فيكون الآل هم الأتباع، قال تعالى: ﴿أَدْخُلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ

الْعَدَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

وقيل: ﴿ءَأَلْ مُوسَىٰ وَءَأَلْ هَكَرُونَ﴾ شخصُهما^(١)، كما قال الشاعر:

بُئِينَةُ مِنْ آلِ النَّسَاءِ وَإِنَّمَا يَكُنُّ لِأُدُنِّي لَا وَصَالَ لِغَائِبِ^(٢)

وقيل: كان آدم عليه السلام هبط به من الجنة مع الركن، فيها صورُ الأنبياء^(٣).

وقيل: كان موسى خلفه عند يوشع في التيه.

﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾؛ أي: في الهواء من حيث يرى التابوت ينزل من علو.

وقيل: كان أصحابُ جالوت غلبوا عليه، فأصابهم داءٌ في العين بسبب التابوت،

فوضعوه على ثورين، وأنفذوه إلى ناحية بني إسرائيل، فعلى هذا ساقَت الملائكةُ الثورين.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: في التابوت ﴿لآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ قيل: مصدقين؛

لأنهم صاروا كفرَةً بإنكارهم على النبي.

وقيل: تعرّفوا وجه الحكمة بقولهم: ﴿أَنِّي يَكُونُ لَهُ الْمَلِكُ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٢٤٧]،

فيكونُ معنى ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: إن كان من همكم وشأنكم الإيمان بما تقومُ به الحجّةُ عليكم.

(١) في (ن): «شخصيهما».

(٢) البيت لجميل في «تفسير الثعلبي» (٦ / ٥١٢)، و«البيسط» للواحد (٤ / ٣٢٧)، و«الإبانة في

اللغة» (٢ / ١٥٥)، وانظر: «ملحق ديوان جميل» (ص: ٣٤٣). ونُسب لكثيرٍ في «الخصائص»

لابن جني (٣ / ٢٩)، وألحقه الدكتور إحسان عباس بـ«ديوان كثير» (ص ٣٤٣) نقلاً عن ابن

جني.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢٢٣).

(٢٤٩) - ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۗ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۗ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلتَفُوا إِلَى اللَّهِ كَمَا مَن فِتْنَةٍ قَلِيلَةً غَلَبَتْ فِتْنَةَ كَثِيرَةٍ ۗ يَآذِنِ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝﴾

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ الجنودُ: جمعُ (جُنْدٍ)، واشتقاقه من (الجند)؛ وهو الغليظ من الأرض؛ أي: بعضهم يعتصم ببعض. أي: أنهض جموعه للجهاد، والباءُ للتعدّي. وقيل: انفصل من مقرّه، كقوله: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ [يوسف: ٩٤]، فتكون الباءُ للحال.

﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ﴾: معاملكم معاملة المختبر؛ ليظهر لطلوت من له عزم الجهاد من المتعلّل. ﴿بِنَهَرٍ﴾ ابن عباسٍ وقتادة: هو نهرٌ بين أردن^(١) وفلسطين^(٢). وقيل: هو نهر فلسطين^(٣).

(١) كذا في (ن)، وصرف (أردن) ومنعه محتمل، أما الصرف فباعباره عربياً، أو مسمى بالفعل والفاعل، وأما المنع فباعباره معرباً، أو مسمى بالفعل بلا فاعل، وقد سكت عن ذلك معظم علماء اللغة؛ لأن اسم البلد معرّف بـ(ال)، وفي كلام أبي علي ما يشير إلى أنه معرب. انظر: «الحليات» لأبي علي (ص: ٣٥٧ و ٣٦٣ و ٣٧٦)، و«تاج العروس» (٨٥ / ٣٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ٤٨٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٦)، والطبري في «تفسيره» (٤ / ٤٨٤) عن قتادة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ٤٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢ / ٤٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وهبٌ: شكوا إلى طالوت في الطريق قلة المياه وخوف التلّف، فابتلوا بالنهر^(١).
﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ﴾: من ماء النهر.

وقيل: ﴿وَمَنْ﴾؛ أي: احتسى منه بفيه^(٢).

﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾: من أوليائي.

﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾؛ أي: لم يذقه، وهو من (الطعم)، وهو^(٣) يقع على الطعام والشراب، قال الشاعر:

فإن شئت حرمت النساء سواكم^(٤) وإن شئت لم أطمع نقاحاً ولا برداً^(٥)

أي: لم أذق ماءً عذباً.

﴿فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾؛ أي: من شرب منه فليس مني إلا من اغترف؛ أي: رفع الماء من النهر بيده.

﴿غُرْفَةً﴾ بالضم^(٦): قدر ما يسعه الكف، وأصل الغرف: إخراج المرق

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١ / ٣١٧)، وروى الطبري نحوه في «تفسيره» (٤ / ٤٨٣).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢٢٣)، واستغربه.

(٣) في (و): «وهو الطعم» بدل «وهو من الطعم وهو».

(٤) في (ن): «عليكم».

(٥) البيت مختلف في نسبه؛ فهو للعرجي في «ديوانه» تحقيق: الجبيلي (ص: ٢٠٦)، و«الحيوان»

للجاحظ (٥ / ١٦)، و«الأضداد» للأنباري (ص: ٦٤)، و«الزاهر» له أيضاً (١ / ١٩٧)، و«الصحاح»

للجوهرى (١ / ٤٣٤) مادة: (ن ق خ)، وهو لعمر بن أبي ربيعة في «ديوانه» علق عليه: فائز محمد

(ص: ١٠٣)، والنفاخ: الشراب العذب، والبرد: النوم في لغة هذيل.

(٦) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وفتح الغين، وباقي السبعة بالضم. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص:

١٨٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١).

من القَدْرِ بالمغرفة، و﴿غَرْفَةً﴾ بالفتح: مرّةً واحدةً بإناءٍ وغيره، و(غرفة) بالضمّ: مفعول، وبالفتح: مصدر^(١).

﴿فَتَرِيؤُا مِنْهُ﴾؛ أي: خالفوا وأكثروا، وكانوا ثلاثين ألفاً.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ وهم ألف؛ عن السّدي^(٢).

وقيل: ثلاث مئة وبضع^(٣) [عشر، على عدد أصحاب بدر^(٤)].

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ﴾؛ أي: النهر.

﴿هُوَ﴾؛ أي: طالوت.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ ابن عباسٍ والسّدي: جاوز الكافر والمؤمن، إِلَّا أَنْ

(١) أي: تُعرب كلمة (غَرْفَةً) على قراءة من ضمّ الغين مفعولاً به للفعل (طعم)، وتُعرب كلمة (غَرْفَةً) على قراءة من فتح الغين مفعولاً مطلقاً. ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٤ / ٤٨٤)، واستغربه. (٢) كذا في النسخ الخطية، وقد روى الطبري في «تفسيره» (٤ / ٤٨٧) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢ / ٤٧٥)، وذكر الثعلبي في «تفسيره» (٢ / ٢١٦) وابن الجوزي في «زاد المسير» (١ / ٢٢٦) عن السدي أنهم أربعة آلاف، والله أعلم.

(٣) بلا تاء في النسخ الخطية، وهو موافق لرواية ابن أبي حاتم عن السدي في «تفسيره» (٢ / ٤٧٧)، والإشكال أن كلمة (بضع) تُخالف المعدود في العربية، والمعدود هنا الرجال. انظر: «الكتاب لسيبويه» (٣ / ٥٦١).

(٤) روى الطبري في «تفسيره» (٤ / ٤٩١) عن السدي قال: «عبر مع طالوت النهر من بني إسرائيل أربعة آلاف، فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه فنظروا إلى جالوت رجعوا أيضًا، وقالوا: لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده، فرجع عنه أيضاً ثلاثة آلاف وستمئة وبضعة وثمانون، وخلص في ثلثمائة وبضعة عشر عدة أهل بدر». وروى البخاري (٣٩٥٨) عن البراء رضي الله عنه قال: «كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، ولم يجاوز معه إلا مؤمن؛ بضعة عشر وثلاث مئة».

الكافرين اعتزلوا عنهم عند اللقاء، قالوا: لا طاقة لنا اليوم... وبقِيَ المؤمنون على عددٍ أهل بدرٍ^(١).

وقيل: جاوزَ المؤمنون فحسب، ثم جَبُنَ بعضهم عن اللقاء، فقالوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾^(٢).

الطاقة: اسمٌ من (أطاق)؛ إذا قويَ على الشيء، ومثله: أطاعَ طاعةً، وأجابَ جابةً، وأغارَ غارةً^(٣).

﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ﴾ قتادة في جماعة: أَنَّهُمْ وَطَنُوا أَنفُسَهُمْ على الموت، وَأَنَّهُمْ لا ينجون^(٤).

وقيل: ﴿يَظُنُّونَ﴾: يرجون، والظنُّ: يقع موقع الرجاء^(٥).

وقيل: ﴿يَظُنُّونَ﴾: يعلمون ويتيقنون، وقد سبق^(٦).

(١) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (١ / ٣١٧).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢٢٣)، واستغربه.

(٣) قال ابن عادل الحنبلي في «اللباب» (٤ / ٥٤٠): «الطاقة: وهي في الأصل مصدرٌ، جاءت على حذف الزوائد، وكان من حقها (إطاقة)؛ لأنها من (أطاق)، ولكن شذت كما شذت أُلْفَاظٌ؛ نحو: أْغَارَ غَارَةً، وأجابَ جَابَةً.

(٤) لم أفق على هذا الكلام عن قتادة، وقد روى ابن أبي حاتم في تفسيره عن سعيد قال: «الذين شروا أنفسهم لله، ووطنوها على الموت»، ثم قال عقب ذلك: «وروي عن مجاهد والسدي والربيع بن أنس وقتادة نحو ما روينا عن أبي العالية»، والمروي عن أبي العالية أن الظن بمعنى اليقين، والله أعلم. انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (١ / ١٠٣)، و«تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٢ / ٢٢٨).

(٥) انظر: «معجم الفروق اللغوية» (ص: ٢٤٨).

(٦) في تفسير قوله: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ﴾.

﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾ شَجَعُوا أَنْفُسَهُمْ وَمَنْ جِبْنَ عَنْ
اللقاء طبعًا.

والفئة: القطعة من الناس، من (فأوت رأسه بالسيف)؛ قطعته، و(فأيت) أيضًا،
ويجمع (فئات) و(فئين)^(١).

﴿يَا ذُنَّ اللَّهِ﴾ الحسن: بنصر الله^(٢).

وقيل: بتغليب الله.

وقيل: بأمره^(٣)؛ لأنه أمرهم به.

﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالنصر والثواب والإظفار.

يجوز أن يكون من تمام كلامهم، ويجوز أن يكون استئنافًا.

قال القفال: وقد قيل: إن كل جنود طالوت كانوا مؤمنين إلا أن الذين شربوا منه
عصوا ولم يكفروا^(٤).

(٢٥٠) - ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ

أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾: خرجوا للمبارزة، والبروز: الظهور، والبراز:

الصَّحراء.

(١) في النسخ الخطيَّة: «فائن»، وهذا من اختلاف الإملاء. انظر: «العين» (٨ / ٤٠٧)، و«الصحاح»

للجوهرى (٦ / ٢٤٥١)، و«القاموس المحيط» للفيروزآبادي (١٣٢٠) مادة: (ف ي أ).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١ / ٣١٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١ / ٢٢٦).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢ / ٤٧٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) روي عن الكلبي ما يشير إلى هذا. انظر: «تفسير القرآن العزيز» لابن أبي زمنين (١ / ٢٤٧).

﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا﴾: اصبب علينا، والإفراغُ: صبُّ الماءِ الكثيرِ دفعةً،
والفرغُ: مصبُّ الماءِ من الدلو؛ أي: ألق في قلوبنا الجرأة، وفي قلوبهم الفرغ.
﴿صَبْرًا﴾ وهو حبسُ النفسِ للقتال.

﴿وَتَكَيْتَ أَقْدَامَنَا﴾: شجع قلوبنا وقونا^(١)؛ حتى لا نفارق مواطن القتالِ

منهزمين.

﴿وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾: أعنا عليهم بالإظفارِ بهم.

(٢٥١) - ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ
وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ
الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

﴿فَهَزَمُوهُمْ﴾؛ أي: فأجاب الله دعاءهم وحقَّق ظنونهم، فهزم طالوتُ
والمؤمنون جالوتَ وجنوده؛ أي: كسروهم.

وهزَمُ الشيء: كسره وثني بفضه على بعض.

﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فإنَّ القتال كان بإذن الله وأمره.

وقيل: بإذن الله بالطاعة.

﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾ وكان في جنودِ طالوتَ، وذُكِرَ في القصصِ أَنَّ النَّبِيَّ
عليه السَّلامُ دفعَ إلى طالوتَ درعًا، فقال: مَنْ لبسها ولم تفضل عنه ولم تنقص فهو
قاتلُ جالوتَ، فجرَّبَ بها جميعَ عسكره، فلم تساوِ أحدًا منهم إلا داود^(٢).

(١) في (ن): «وقوها».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٠٧)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥١٣) عن ابن جريج.

وَذُكِرَ فِيهَا أَيْضًا: أَنَّ دَاوُدَ مَرَّ بِحَجْرٍ فَنَادَاهُ بِأَنَّهُ الَّذِي قَتَلَ بِهِ مُوسَى عَدُوَّهُ، وَنَادَاهُ آخِرَ بَأَنَّهُ الَّذِي قَتَلَ بِهِ هَارُونَ عَدُوَّهُ فَأَخَذَهُمَا، وَنَادَاهُ آخِرَ بَأَنَّهُ الَّذِي يَقْتُلُ بِهِ دَاوُدَ جَالوتَ فَأَخَذَهُ، فَتَلَاصَقَتِ الْأَحْجَارُ الثَّلَاثَةُ فَصَارَتْ حَجْرًا وَاحِدًا، فَرَمَى بِهِ جَالوتَ فَقَتَلَهُ^(١).

﴿وَأَتَتْهُ اللَّهُ الْمَلِكَ وَالْحِكْمَةَ﴾: النُّبُوَّةُ، فَجَمَعَ اللَّهُ لَهُ بَيْنَ النُّبُوَّةِ وَالْمَمْلَكَةِ.

القِفَالُ: آتَاهُ اللَّهُ مَلِكَ طَالوتَ وَنُبُوَّةَ النَّبِيِّ الَّذِي كَانَ مَبْعوثًا فِيهِمْ^(٢).

﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ قِيلَ: مَا يَشَاءُ دَاوُدُ مِنْ صِنْعَةِ الْحَدِيدِ وَغَيْرِهِ.

وقيل: مِمَّا يَشَاءُ اللَّهُ أَنْ يَعْلَمَ أَنْبِيَاءَهُ.

﴿وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ الزَّجَاجُ: يَدْفَعُ

الكَافِرِينَ بِالْمُسْلِمِينَ حَتَّى لَا يَكْثَرَ الْكُفْرُ، فَتَنْزَلُ السَّخِطَةُ، وَيُسْتَأْصَلُ أَهْلُ الْأَرْضِ^(٣).

الْحَسَنُ: يَزْعُ بِالسُّلْطَانِ - وَإِنْ كَانَ فَاسِقًا^(٤) - أَهْلَ الْفَسَادِ^(٥).

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٠٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥١٢) عن ابن جريج.

(٢) ورواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥١٤) عن السدي بلفظ: «ملك داود بعدما قتل طالوت، وجعله الله نبياً، وذلك قوله: ﴿وَأَتَتْهُ اللَّهُ الْمَلِكَ وَالْحِكْمَةَ﴾، قال: الحكمة: هي النبوة، آتاه نبوة شمعون، وملك طالوت».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٣٣)، وفيه: «أي: لولا ما أمر الله به المسلمين من حرب الكافرين لفسدت الأرض. وقيل أيضاً: لولا دفع الله الكافرين بالمسلمين لكثرت الكفر فنزلت بالناس السخطة واستؤصل أهل الأرض».

(٤) في (و): «كافراً».

(٥) ذكر نحوه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٧٩ - ٥٨٠)، ولفظه: «ومنه كفه ببعضهم التظالم، كالسلطان

الذي كف به رعيته عن التظالم بينهم».

وقيل: ولولا دفعُ اللهِ بداودَ عن طالوتَ والمؤمنينَ لغلبتِ العمالقَةُ على بني إسرائيلَ، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

(٢٥٢) - ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾: القرآنُ.

وقيل: آياتُ الله التي تقدّمت من قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا﴾ [البقرة: ٢٤٣]...

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِئِكَةِ﴾ [البقرة: ٢٤٦] الآيات.

﴿تَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾: نُزِّلَهَا عَلَيْكَ ﴿بِالْحَقِّ﴾: بِالصِّدْقِ، لَا كَذِبَ فِيهِ، وَلَا

تَحْرِيفَ، وَلَا مِنْ كَلَامِ الْكَهَنَةِ، وَلَا مِنْ تَنْزِيلِ الشَّيْطَانِ.

﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾: الَّذِينَ أَقْرَبَهُمْ أَهْلَ الْكِتَابِ.

(٢٥٣) - ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ

وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ

بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيْنَتُ وَلَكِنْ ائْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ

مَا أَقْتَلْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾؛ أَي: الرُّسُلُ الَّذِينَ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ.

﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾؛ أَي: جَعَلْنَا رَتَبَةً بَعْضُهُمْ (١) فَوْقَ رَتَبَةِ بَعْضٍ، ثُمَّ

صَرَخَ، فَقَالَ: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ أَي: كَلَّمَهُ؛ وَهُوَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(١) فِي (و): «بَعْضٌ».

﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ يعني: محمداً عليه السلام، بأن أرسله إلى الخلق كافة، وأوتي المعجزات الكبيرة التي لم يؤتها غيره، وجعله خاتم الأنبياء.

وقيل: هو إبراهيم عليه السلام؛ أتخذه خليلاً.

وقيل: إدريس رُفِعَ إلى السماء.

﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾؛ أي: التي بآت بها نبوته.

والبيئة: ما توضَّح صدق المدعي.

﴿وَأَيَّدْنَاهُ﴾: قويناہ ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ سبق تفسيره.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾؛ أي: ثم

أقتل من بعدهم.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الزجاج: لو شاء أن لا يأمر بالقتال بعد وضوح الحق،

وقيل: ولو شاء أن يضطرهم إلى الإيمان لفعل^(١).

﴿وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا﴾ بالكفر والإيمان، وهو قوله: ﴿فَعَنِتُّهُمْ مِّنْ ءَٰمَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ

شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْتُمُ﴾ التكرار للتأكيد.

وقيل: أراد بالأول: الجماعة، وبالثاني: المؤمنين^(٢).

وقيل: كرر تكديماً لمن زعم أن ذلك لم يكن بمشيئة الله تعالى^(٣).

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ من التوفيق والخذلان.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٣٥).

(٢) ذكره المصنّف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٤)، واستغربه.

(٣) انظر: «البرهان» للمصنّف (ص: ٨٧).

(٢٥٤) - ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِي يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ يريد: الزَّكَاةَ وسائر الواجبات.

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِي يَوْمٌ﴾ يعني: يوم القيامة.

﴿لَا بَيْعَ فِيهِ﴾؛ أي: ليس فيه معاوضة.

﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾؛ أي: لا صداقة تنفع.

أبو عبيدة: لا خليل^(١).

﴿وَلَا شَفِيعَةٌ﴾ يريد: الكافرين دون المؤمنين.

﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الزَّجَاج: هم الذين وضعوا أمر الله غير موضعه^(٢).

ويُحتمل: والكافرون بهذا اليوم هم الظالمون.

(٢٥٥) - ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ أي: لا معبود للخلق إلا هو.

﴿الْحَيُّ﴾: الدائم البقاء، وقيل: ﴿الْحَيُّ﴾: الذي يصحُّ منه الإدراك.

(١) انظر: «مجاز القرآن» (ص: ٧٨)، وعبارته: «خُلَّةٌ»: مصدر الخليل، وتقول: فلان خلتي؛ أي:

خليلي».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١ / ٣٣٦)، وقال فيه: «وهذا أصل الظلم في اللغة».

﴿الْقِيَوْمُ﴾ أبو عبيدة: القائمُ الدائمُ الذي لا يزولُ^(١).

الزَّجَّاجُ: ﴿الْقِيَوْمُ﴾: القائمُ بأمر الخلق^(٢).

وقيل: العالمُ بالأشياء، كما تقول: هو يقومُ بهذا الكتاب؛ أي: هو^(٣) عالمٌ به، وزنه: (فيعول) من (قام)^(٤).

﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ﴾ السَّنةُ: ابتداءُ النوم، وهو أن يدخلَ في العينِ ولمَّا يدخلَ في القلب.

الزَّجَّاجُ: السَّنةُ: النَّعَّاسُ^(٥).

﴿وَلَا نَوْمٌ﴾: هو غفلةُ العينِ والقلب، والمعنى: لا يغفلُ عن دقيقٍ ولا جليلٍ.

ابن جرير: لا تحلُّه الآفاتُ والعاهاتُ المذهلةُ عن حفظِ المخلوقات^(٦).

(١) انظر: «مجاز القرآن» (١ / ٧٨).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١ / ٣٣٦).

(٣) في (و): «وهو» بدل «أي هو».

(٤) انظر: «الأسماء والصفات» للبيهقي (١ / ١٣١).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١ / ٣٣٧).

(٦) انظر: «تفسير الطبري» (٤ / ٥٣٢ - ٥٣٣)، ولفظه: «لا تحله الآفات ولا تناله العاهات، وذلك أن

السنة والنوم معنيان يغمران فهمَ ذي الفهم، ويزيلان من أصاباه عن الحال التي كان عليها قبل أن يصيباه. فتأويل الكلام إذ كان الأمر على ما وصفنا: الله لا إله إلا هو الحي الذي لا يموت، القيوم على كل ما هو دونه بالرزق والكلاءة والتدبير والتصريف من حال إلى حال، لا تأخذه سنة ولا نوم، لا يغيره ما يغير غيره، ولا يزيله عما لم يزل عليه تنقل الأحوال وتصريف الليالي والأيام، بل هو الدائم على حال، والقيوم على جميع الأنام، لو نام كان مغلوباً مهوراً؛ لأن النوم غالب النائم قاهره، ولو وسن لكانت السماوات والأرض وما فيهما دكاً؛ لأن قيام جميع ذلك بتدبيره وقدرته، والنوم شاغل المدبّر عن التدبير، والنعاس مانع المقدر عن التقدير».

وبدأ بالسنة بموجب الارتقاء من القليل إلى الكثير^(١).

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً ليس لأحدٍ معه شركة، ولا لغيره فيه سلطان.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾؛ أي: لا يشفع أحدٌ إلا بعد^(٢) أن يأذن الله له

فيه؛ لأنَّ الأنبياء والأولياء والملائكة لا يسألون الله إلا ما يعلمون أنه فاعله، وهم لا

يعلمون من الذي يجوز أن يُشفع فيه، ومثله: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: ٣].

وقيل: ﴿بِإِذْنِهِ﴾: بإباحته له^(٣).

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: ما مضى ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: ما سيكون.

وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: ما سيكون، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: ما مضى.

وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: من السماء إلى الأرض، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: ما في السماوات.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾: ولا يشتمل عليهم.

والإحاطة: الاشتمال على الشيء من جميع جهاته، ومنها (الحائط).

والهاء في ﴿عِلْمِهِ﴾: تعود إلى (ما) في قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٤).

وقيل: تعود إلى (الله).

﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ ابن عباس: إلا ما^(٥) أطلعهم عليه^(٦).

(١) ذكره المصنّف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٥).

(٢) «بعد» من (ن).

(٣) في (ن): «إباحة ذلك».

(٤) ذكره المصنّف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٥)، واستغربه.

(٥) في (و): «من».

(٦) ذكره الواحدي في «البيسط» (٤/ ٣٥١)، وروى نحوه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٧٥٧) =

والمراد بـ ﴿عَلِمَهُ﴾: معلوماته؛ بدليل دخول (من)؛ لأنَّ علمه - سبحانه - لا يتبعص. ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ في التفسير: الكرسيُّ: السَّرِيرُ، وهو أصغرُ من العرش، يسعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ^(١).

عطاءً: ما السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضِينَ^(٢) في الكرسيِّ إِلَّا كحلقَةٍ فِي فَلَاةٍ^(٣).

والكرسيُّ والكراسةُ في اللغة: ما ثَبَتَ وتلبَّدَ بعضُه على بعض.

ابن عباسٍ: ﴿كُرْسِيُّهُ﴾: علمُه^(٤).

ومنه يُقالُ للكتاب: كَرَّاسَةٌ، وللعالم: كرسِيٌّ^(٥)، وجمعه: كراسِيٌّ، قال:

عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي ﷺ ولفظه: «أن النبي ﷺ تلا: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] إلى قوله: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] أما قوله: ﴿الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] هو القائم، وأما ﴿سَنَوٍ﴾ [البقرة: ٩٦] فهو ريح النوم التي تأخذ في الوجه فينعس الإنسان، وأما ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ فالدنيا، وأما ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ فالآخرة، وأما ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ يقول: لا يعلمون شيئاً من علمه إلا بما شاء، هو يعلمهم...».

(١) في (و): «والأرض».

(٢) في (و): «والأرض».

(٣) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٣٠) قولاً لابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء. ورواه في أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٦٣٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٣) عن مجاهد. وروي مرفوعاً؛ رواه ابن حبان في «صحيحه» (٣٦١) في حديث طويل عن أبي ذر رضي الله عنه، وروى أوله الحاكم في «المستدرک» (٢/ ٦٥٢) وسكت عنه، وقال الذهبي: «السعدي ليس بثقة». وانظر: «التلخيص الحبير» (٢/ ٥٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٣٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٩٠-٤٩١)، واللالكائي في «الاعتقاد» (٦٧٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٣٣).

(٥) في (و): «كراسة».

يَحْفُ بِهِمْ بِنُضِّ الْوُجُوهِ وَعُضْبَةٍ كَرِاسِيٍّ بِالْأَحْدَاثِ حِينَ تَنُوبُ^(١)

الحسن: ﴿كُرْسِيَّةٌ﴾: عرشه^(٢).

وقيل: ﴿كُرْسِيَّةٌ﴾: ملكه، وقيل: قدرته.

﴿وَلَا يُعْوَدُهُ حِفْظُهُمَا﴾ الجمهور: لا يُثْقَلُهُ.

ابن عيسى: (آد): أثقل حتى أمال^(٣).

والهاء تعود إلى الله تعالى.

وقيل: تعود إلى الكرسي؛ فيمن جعله العلم^(٤).

﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ بالقدرة.

وقيل: ﴿أَلَعَلِيُّ﴾: عن الأشباه والأنداد؛ أي: تعالى عنها.

﴿أَلْعَظِيمُ﴾: عظيم الشأن.

(١) البيت بلا نسبة في «تفسير الطبري» (٤ / ٥٤٠)، و«تفسير الثعلبي» (٧ / ١٠٣)، و«البيضاوي» للواحد

(٤ / ٣٥٦)، و«أساس البلاغة» للزمخشري (٢ / ١٣٠) مادة: (ك ر س).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ٥٣٩)، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (١ / ٢٦٥)، والثعلبي

في «تفسيره» (٧ / ١١٢)، قال القرطبي في «تفسيره» (٣ / ٢٧٨): «وهذا ليس بمرضي، والذي

تقتضيه الأحاديث أن الكرسي مخلوق بين يدي العرش، والعرش أعظم منه». وقال ابن كثير في

«البدية والنهاية» (١ / ١٣): «رواه ابن جرير من طريق جوير، وهو ضعيف... وهذا لا يصح عن

الحسن، بل الصحيح عنه وعن غيره من الصحابة والتابعين أنه غيره»، وقد ذكره المصنف في

«غرائب التفسير» (١ / ٢٢٥)، واستغربه.

(٣) لم أقف على من نسبها لابن عيسى، وقد ذكر ابن القطاع في «الأفعال» (١ / ٦١) أن (آد) يأتي بمعنى

أثقل، وبمعنى مال.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢٢٥)، واستغربه.

(٢٥٦) - ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ عن ابن عباس قال: كانت المرأة من نساء الأنصار تكون مقلاةً، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولدٌ أن تهوِّده، فلما أُجْلِيَتْ النَّضِيرُ كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندعُ أبناءنا، فأنزل الله هذه الآية^(١): ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٢).
مجاهدٌ: نزلت في رجلٍ من الأنصار كان له غلامٌ يُقال له: صبيحٌ، وكان يكرهه على الإسلام^(٣).

السُّدِّيُّ: نزلت في رجلٍ من الأنصار يُكنى: أبا الحُصَيْنِ، وكان له ابنان تنصَّرا وخرجا مع التُّجَّارِ إلى الشَّامِ، فأخبر أبو الحُصَيْنِ رسولَ الله ﷺ بذلك^(٤)، فقال له: اطلبهُما. فأنزل الله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، فقال عليه السَّلَامُ: «أبعدهما اللهُ، هما أوَّلُ مَنْ كَفَرَ»، وهذا قبل أن أمرَ بالقتالِ، نُسِخَتْ بِآيَةِ السَّيْفِ^(٥).

الحسن وقتادة والضَّحَّاك: هي في أهلِ الكتابِ الذين تُؤَخِّذُ منهم الجزية^(٦).

(١) «هذه الآية» من (ن).

(٢) رواه أبو داود (٢٦٨٢)، وقال: «المقلاة: التي لا يعيش لها ولد».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧ / ١١٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٨٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١ / ٢٣١).

(٤) «بذلك» من (ن).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ٥٤٨ - ٥٤٩)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧ / ١١٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٨٤).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ٥٥١) عن قتادة والضحَّاك، ورواه سعيد بن منصور في «سننه» -

التفسير» (٣ / ٩٦١) عن الحسن، ولفظه: «لا يكره أهل الكتاب على الإسلام».

وقيل: معناه: لا تقولوا لمن دخل في الدين بعد الحرب: مُكْرَهُ؛ لأنه إذا رضي وصحَّ إسلامه فليس بمكْرِهِ.

وقيل: لَمَّا وضعَ اللهُ القتلَ عن أهل الكتاب بالجزية زال الإكراهُ على الدين؛ إذ يجدون مَحِيدًا بالمصيرِ ذمَّةً.

وقيل: لأنَّ الإكراهَ في حقيقةِ الدينِ غيرُ متصوَّر؛ لأنه من عملِ القلبِ.

﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ﴾: الإيْمَانُ ﴿مِنَ الْغَيِّ﴾: الكُفْرُ.

والرُّشْدُ: سلوكُ طريقِ الصَّوابِ، والغِيُّ: سلوكُ طريقِ الهلاكِ.

والمعنى: ظهرَ بكثرةِ الحُججِ والآياتِ الدَّالةِ.

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ عمر ومجاهدٌ وقتادة رضي الله عنهم: الشَّيْطَانُ^(١).

ابن جُبَيْر: الكاهن^(٢).

أبو العالية: السَّاحِرُ^(٣).

وقيل: الأصنام.

وقيل: مَرَدَةُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ.

واشتقاقه من (الطُّغْيَان)؛ وهو مجاوزةُ الحدِّ، ووزنه: فَلَغُوتٌ^(٤).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٥٦ - ٥٥٧)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٤٧، ٧٩٣)، وذكره

البخاري بعد حديث (٤٥٨٣) تعليقاً عن عمر رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٥٧)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٧٤٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٥٧).

(٤) في هامش (و): «أي: الشياطين، وكلُّ ما يُعْبَدُ دونَ اللهِ يسمَّى طَاغُوتًا، ويستوي فيه الواحد والجمع

والمذكر والمؤنث، وهو مصدر، وأصله: طغيوت؛ على فعلوت، كالرغبوت والرهبوت، من طغى

يطغى، وهو يعني الطغيان، إلا أنه مقلوبٌ؛ لأنَّ الباءَ قُدِّمَتْ على الغين، فأبدلت ألفًا، فصار طَاغُوت، =

﴿وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ﴾؛ أي: تمسك.
 ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ مجاهدٌ: هي (١) الإيمان بالله (٢).
 واستعير لفظ العروة؛ لأنَّ الشَّيءَ يُؤخَذُ بها أَحْكَمَ الأخِذِ.
 و﴿الْوُثْقَى﴾: تأنيث الأوثق؛ وهو الأشدُّ، مأخوذٌ من (الوثاقة)؛ وهي الصَّلابَة.
 ﴿لَا أَنْفِصَامَ لَهَا﴾: لا انقطاع لها دونَ رضَى الله ودخوله الجنَّة.
 ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لدعائك إياهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بضمايرهم.

(٢٥٧) - ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ ءَهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نصيرهم ومعينهم.
 ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾: ظلمات الكفر والضلالة، والكفر كالظلمة يمنع إدراك الحق.

﴿إِلَى النُّورِ﴾: نور الإسلام.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ ءَهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ﴾: الإسلام، وجمع (٣)
 لأنَّ (الطاغوت) اسمُ الجنس.

= من تعسر حل العقد.

(١) «هي» من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٩٦).

(٣) فقال: الطاغوت يخرجونهم، ولم يقل: يخرجهم؛ لأنَّ (الطاغوت) اسمُ الجنس، فيصدق على

الكثير والقليل، وهذا مذهب سيويه، واختيار المصنّف، ومذهب أبي عليٍّ أنه مصدر، كما ذكر في

حاشية (و). انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ٣٤٤).

﴿إِلَى الظُّلْمَتِ﴾: ظلمات الكفر.

﴿أَوْلَيْتِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ مجاهد: نزلت في قوم ارتدوا^(١).

وإنما قال: ﴿يُخْرِجُهُمْ﴾ ولم يكونوا داخلين فيها؛ لأنه لو لم يعمل سبحانه ما عمل لدخلوا فيها^(٢).

(٢٥٨) - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَهْمَ فِي رِيبِهِ أَنْ ءَاتَهُ اللهُ الْمَلِكَ إِذْ قَالَ إِبرَهْمُ

رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبرَهْمُ فَإِنَّكَ اللهُ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَهْمَ﴾: هو نمرود بن كنعان.

مجاهد وقتادة: هو أول من تجبر وادّعى الإلهية^(٣).

﴿حَاجَّ﴾: أظهر المغالبة^(٤) لإبراهيم عليه السلام.

تقول: حاججته في كذا؛ أي: غالبته في إيراد الحجة، فحججته؛ فغلبته.

﴿فِي رِيبِهِ﴾: في إثباته وتصحيح ربوبيته.

(١) روى الطبري في «تفسيره» (٤ / ٥٦٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢ / ٤٩٧) عن مجاهد أو مقسم في الآية قال: «كان قوم آمنوا بعبسى، وقوم كفروا به، فلما بعث الله محمداً ﷺ آمن به الذين كفروا بعبسى، وكفر به الذين آمنوا بعبسى؛ أي: يخرج الذين آمنوا إلى الإيمان بمحمد ﷺ». وروى نحوه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١١٤) من طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أي: لولا عصمته لدخلوا فيه. ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢٢٥).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٦)، والطبري في «تفسيره» (٤ / ٥٦٩)، وابن أبي حاتم في

«تفسيره» (٢ / ٤٩٨) عن قتادة.

(٤) في (و): «وأظهر المجادلة» بدل «حاج أظهر المغالبة».

والهاء تعود إلى (إبراهيم)، ويحتمل أن تعود إلى الكافر.

﴿أَن آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ القفال: الهاء تُحْمَلُ على وجهين^(١):

أحدهما: أن تعود إلى (إبراهيم)، والملك النبوة، كقوله: ﴿فَقَدْ آتَيْنَاهُ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤]؛ أي: سلطاناً بالنبوة؛ أي: من أجل أن آتاه الله النبوة حاجة الكافر.

والثاني: إلى الكافر، ويكون المعنى: بسبب أن آتاه الله الملك طغي^(٢).

﴿إِذ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُعْبُدُ وَيُمَيِّتُ﴾: هذا جواب، كأنه قال له: من ربك؟

قال: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُعْبُدُ وَيُمَيِّتُ﴾.

﴿قَالَ﴾ الكافر: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمَيِّتُ﴾: مَوَّهَ على الضَّعْفَةِ، فأحضر - على ما قاله

المفسرون - رجلين، فقتل أحدهما واستبقى الآخر، وجعل ذلك إحياءً، كقوله: ﴿وَمَنْ

أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، وكذلك ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾.

وقيل: ﴿أُحْيِي﴾: بالمباشرة وإلقاء النطفة، و﴿وَأُمَيِّتُ﴾: بالقتل والسَّخْطَةُ^(٣).

فصار الكافر بهذا مُنْقَطِعًا عند الخاصية ممن شهد ذلك المحفل، ثم زاده إبراهيم

ما لم يتهيأ^(٤) له فيه التلبس على الضعفة والتمويه، وهو قوله:

(١) في (ن): «تحتمل وجهين».

(٢) نسب الماوردي في «النكت والعيون» (١ / ٣٢٩) الأول لأبي حذيفة، والثاني للحسن، وذكر

القولين الزجاج في «معاني القرآن» (١ / ٣٤١) بلا نسبة، وأطال الرازي في «التفسير الكبير»

(٧ / ٢١) بالاستدلال عليهما، وذكر أن قول جمهور المفسرين أن الهاء تعود إلى النمرود، وقد

اختار المصنف جواز الوجهين في «غرائب التفسير» (١ / ٢٢٦).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢٢٦)، واستغربه.

(٤) في (ن): «لا يتهيأ».

﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾، فانقطع الكافر في هذا عند سائر طبقاتِ شاهدي المَحْفَلِ.

قوله: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾: انقطع وصار مبهورًا محجوجًا؛ فيحتملُ: فُبِهُتَ بالحجَّتين، ويحتملُ: فُبِهُتَ بالثانية، ولا يكون انتقالًا من دليلٍ إلى دليل، بل هو ذِكْرُ دليلٍ بعد دليل^(١).

قال جمهورُ المفسِّرين: وإنما لم يقل نمرود: فليأتِ ربُّك بالشمس من المغرب؛ لأنَّ الله صرفه عنه.

والآيةُ تحتملُ تأويلًا آخرَ حسنًا، وذلك أنَّ نمرود كان يدَّعي الرُّبوبيَّةَ - على ما رواه مجاهدٌ وقتادة والرَّبِيع وابن زيد وغيرهم^(٢) - فلما قال له إبراهيم عليه السَّلام: ﴿رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾؛ أي: الذي يفعل ذلك أنا، لا من نسبتِ إليه، والإحياءُ والإماتةُ بيدي، فلما سمع إبراهيمُ افتراءه العظيمَ وادِّعاءه الباطلَ تمويهًا وتلييسًا اقترحَ عليه فقال: ﴿فَأْتِ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾، فعلمَ الكافرُ عجزه عن إتيانه بالشمس من المغرب، فأفحمَ عليه، وبأنَّ عجزه للكافة، وظهرَ كذبه، ولم يقل: قُلْ لربِّك أن يفعلَ ذلك؛ لأنَّه لم يكن يسلمُ الرُّبوبيَّةَ لغيره، والله أعلم^(٣).

والبُهتُ: الحيرةُ عند استيلاءِ الحُجَّةِ، والبُهتُ أيضًا: مواجهةُ الرَّجُلِ بالكذبِ عليه.

(١) «بل هو ذكر دليل بعد دليل» من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥٧١ - ٥٧٥) عن قتادة ومجاهد وابن زيد والرَّبِيع، لكنَّ التَّصريحَ بادِّعاء الرُّبوبيَّةِ جاء فقط في رواية ابن زيد، ففيها: «كان بالموصل والناس يأتونه، فإذا دخلوا عليه قال: من ربكم؟ فيقولون: أنت، فيقول: مبروهم».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢٢٦)، وعدَّه من العجيب، واستحسنه.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ عقوبة لهم، وقيل: لا يرشدهم إلى الحجّة.

(٢٥٩) - ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ. قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾: ﴿أَوْ﴾: للتخيير كما سبق، والكاف: محمولٌ على المعنى عند النُّحاة، وتقديره: رأيت كالذي حاجَّ إبراهيم، أو كالذي مرَّ على قرية^(١).
واستدلَّ الفراءُ بقوله: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ في جواب ﴿قُلْ مَنْ﴾^(٢).

(١) انظر: «الحلييات» لأبي علي الفارسي (ص: ١٥٢)، و«الخصائص» لابن جني (٢/ ٤٢٥)، و«سر صناعة الإعراب» لابن جني أيضاً (١/ ٣٠٥)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٣٠٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٧٠)، وفيه: «وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ﴾ وإدخال العرب (إلى) في هذا الموضع على جهة التعجب كما تقول للرجل: أما ترى إلى هذا! والمعنى والله أعلم: هل رأيت مثل هذا أو رأيت هكذا! والدليل على ذلك أنه قال: أو كالذي مرَّ على قرية فكأنه قال: هل رأيت كمثل الذي حاجَّ إبراهيم في ربه أو كالذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها، وهذا في جهته بمنزلة ما أخبرتك به في (ما لك؟) و(ما منعك؟)، ومثله قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ... سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾، ثم قال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^(١) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ فجعل اللام جواباً، وليست في أول الكلام. وذلك أنك إذا قلت: من صاحب هذه الدار؟ فقال لك القائل: هي لزيد، فقد أجابك بما تريد. فقوله: (زيدٌ) و(لزيد) سواء في المعنى.

قال المبرّدُ: هو محمولٌ على لفظ الاستفهام، تقديره: ألم تر إلى الذي حاجَّ؟
ألم تر من كالذي مرَّ^(١)؟

وقيل: الكاف زائدة^(٢).

قال صاحب النّظم: هو عطفٌ على قوله: ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ [البقرة: ٧٣]^(٣)،
وقد سبق.

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ قتادة: هو عزيرُ النبي عليه السّلام^(٤).

وهبٌ: إزميا^(٥).

وقيل: الخضر^(٦).

وقيل: إزميا هو الخضرُ عليهم السّلام.

الحسن: كان علجًا كافرًا مرَّ على قرية، وكان على حمارة، ومعه سلّة تين^(٧).

وقيل: تينٌ وعنّبٌ وركوةٌ عصيرٌ، وقيل: ماء.

(١) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٧ / ٢٦)، والقرطبي في «تفسيره» (٣ / ٢٨٨).

(٢) في (ن): «زيادة»، وهذا القول منسوب للأخفش. انظر: «غرائب التفسير» للمصنف (١ / ٢٢٧)،
و«التفسير الكبير» للرازي (٧ / ٢٦).

(٣) أي: كذلك أو كالذي مرَّ. ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢٢٧).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٩)، والطبري في «تفسيره» (٤ / ٥٧٨)، وابن أبي حاتم في
«تفسيره» (٢ / ٥٠٠).

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢ / ٥٠٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (١ / ٣٣١).

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢٢٧)، واستغربه.

(٧) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢٢٧)، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٢ / ٦٣٢)،
وذكر ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢ / ٥٠٠) عن الحسن أنه عزير.

واختلفوا في القرية؛ قال قتادة والرَّبِيعُ ووهبٌ: هي بيتُ المقدس لَمَّا حَرَّبَهُ
بختنصر^(١).

ابن زيد: هي القريةُ التي خرجَ منها الألوْف^(٢).

الكلبيُّ: دير سابراباذ^(٣).

السُّديُّ: سلماباد^(٤).

وقيل: دير هزقل^(٥).

وقيل: قريةٌ على فرسخين من بيت المقدس.

﴿وَهِيَ حَاوِيَةٌ﴾ قيل: خاليةٌ، وأصلُ الخوَاءِ^(٦): الخلاءُ.

وقيل: متهدمةٌ؛ لأنَّ بتهدمها تخلو من أهلها.

﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾: أبنيتها وسقوفها، من قوله: ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف:

١٣٧]؛ أي: يبنون.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٨٢-٥٨٣)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٠٠) عن قتادة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٨٤).

(٣) في (ن): «سابرابادا». ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٥١). ويكثر مجيء (اباذ) في أسماء البلدان، وهو اسم العمارة بالفارسية. انظر: «معجم البلدان» (١/ ٣٨)، وفيه أيضًا (٣/ ١٦٧): «سابراباذ: كأنه مخفف من (سابور) مضاف إلى (اباذ) على عادتهم: بلد».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٥١).

(٥) في النسخ الخطية: «هرقل» وكذا في بعض المصادر، والمثبت من «معجم البلدان» (٢/ ٥٤٠)، وفيه: «دير هزقل: بكسر أوله، وزاي معجمة ساكنة، وقاف مكسورة، وأصله حزقل، ثم نقل إلى هزقل، ويقال: إنه المراد بقوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾».

(٦) في (و): «الخوات».

وقيل: على عروشِ كَرْمِهَا^(١).

وقيل: ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾؛ أي: على سُرُرِهَا^(٢)، والمعنى: سقطت أعالِهَا، ثم سقطت عليها الجددُ والحيطانُ.

وقيل: سقطت أعالِهَا^(٣) على سُرُرِهَا^(٤).

وقيل: على عروشِ الكرومِ فيها.

وقيل: معنى ﴿خَاوِيَةً عَلَى عُرُوشِهَا﴾؛ أي: خاليةٌ باقيةٌ على حالِهَا، فيكونُ ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ خبرًا بعد خبرٍ.

وقيل: ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ بدلٌ من ﴿عَلَى قَرِيَّةٍ﴾.

﴿قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ﴾؛ أي: أهل هذه ﴿اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: كيف؟ ومن أين يُحْيِي؟ أراد أن يعلمَ كيفيةَ إحياءِ الأمواتِ؛ ليزدادَ بصيرةً.

وعلى قولِ الحسنِ قال إنكارًا للبعثِ واستبعادًا.

﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾ العامُّ: الحَوْلُ يأتي^(٥) على الفصولِ الأربعة، مشتقٌّ من (العوم)؛ وهو جريٌّ في اتِّساعٍ.

﴿ثُمَّ بَعَثَهُ﴾: أحياه.

﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾: سؤالٌ عن عددِ الأيامِ والليالي؛ أي: نُودِيَ من السماء.

(١) في (ن): «كرومها».

(٢) في (ن): «سرورها».

(٣) «ثم سقطت عليها الجدد والحيطان وقيل سقطت أعالِهَا» من (ن).

(٤) في (ن): «سرورها».

(٥) في (و): «أي».

قال القفال: كان في ذلك الزمان نبي لا محالة، وهو الذي خاطبه به.
وقيل: خاطبه من هو أكبر سنًا منه^(١).

﴿قَالَ لَيْتُ يَوْمًا﴾ لأن الله أماته أول النهار، وأحياه بعد مئة عامٍ آخر نهارٍ قبل غيبوبة الشمس، فقال: لبت يَوْمًا، وهو يرى أن الشمس قد غابت، ثم التفت فرأى بقية من الشمس، فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾.

وقيل: معناه يومًا أو يومًا وبعض يوم^(٢).

﴿قَالَ بَل لَيْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ﴾؛ أي: التين والعنب.

﴿وَشَرَابِكَ﴾؛ أي: العصير والماء.

﴿لَمْ يَتَسَنَّه﴾: من أثبت الهاء^(٣) جعله من (سنة الطعام)؛ إذا تغير.

وقيل: لم تأت عليه السنة، فيمن جعل أصلها (السنة)، و(المساهدة) منها^(٤).

ومن حذف الهاء جعله من (السنة) فيمن قال: أصلها (سنة)^(٥).

(١) ذكر الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٣٣) هذه الأقوال دون نسبة، فقال: «واختلفوا في القائل له: ﴿كَمْ لَيْتُ﴾ على ثلاثة أقاويل؛ أحدها: أنه ملك. والثاني: نبي. والثالث: أنه بعض المؤمنين المعمرين ممن شاهده عند موته وإحيائه».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٧)، واستغربه.

(٣) لم يختلف القراء في إثباتها وقفًا، واختلفوا في إثباتها وصلًا؛ فحذفها حمزة والكسائي، وأثبتها باقي السبعة. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٩)، و«التيشير» للداني (ص: ٨٢).

(٤) ذكر هذا الوجه الفراء في «معاني القرآن» (١/ ١٧٢)، والمبرد في «المقتضب» (٢/ ٢٤١)، والمساهدة: المعاملة سنة بسنة. انظر: «العين» (٤/ ٨)، مادة: (س ن ه).

(٥) ذكر هذا الوجه المبرد في «المقتضب» (٢/ ٢٤١)، والمصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٨).

وقيل: هو من لفظِ (مسنون)، قَلْبَ لَامُهُ يَاءٌ^(١)، كقولهِ^(٢):

تَقْضِيَّيَ الْبَازِيِ^(٣).....

﴿وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ قيل: إِنَّهُ كَانَ حَيًّا^(٤).

وقيل: كان مَيِّتًا؛ أي: انظر إلى حمارك لم يتغيَّر، كما لم يتغيَّر طعامك وشرابك، وذلك خارجٌ عن العادة.

وقيل: انظر إلى حمارك قد بَلِيَ، وتفرَّقت أوصاله وعظامه.

﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ لَأَنَّهُ بُعِثَ شَابًّا وَبَنُو بَنِيهِ شَيْبٌ.

والواوُ للعطف على مُضْمَرٍ؛ أي: أحييناك لترى كيفيةَ الإحياء، ولنجعلك آيةً.

وقيل: تقديره: ولنجعلك آيةً أحييناك.

﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾: عظام حمارك فيمن جعله ميتًا، فإذا هو بعظامٍ باليةٍ

بَيْضٍ، فاستوى عجبُ الذَّنْبِ مِنَ الحِمَارِ، ثم الفخذانِ والسَّاقانِ^(٥)، ثم عظامُ

(١) ذكر هذا الوجه ابن سيده في «المخصص» (٤/ ١٩٣)، والمصنف في «غرائب التفسير»

(١/ ٢٢٨)، وعدّه ضعيفاً.

(٢) في (ن): «كقولهم».

(٣) من رجز للعجاج، وتمامه:

دَانَى جَنَاحَيْهِ مِنَ الطُّورِ فَمَرَّ

تَقْضِيَّيَ الْبَازِيِ إِذَا الْبَازِيِ كَسَرَ

انظر: «ديوان العجاج» تحقيق: السطلي (١/ ٤٢)، و«مجاز القرآن» (٢/ ٣٠٠)، و«غريب الحديث»

لأبي عبيد (١/ ٢٨٠)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٢١٦)، و«أدب الكاتب» (ص: ٤٨٧).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٨)، واستغربه.

(٥) في (و): «والبنان».

الظَّهْرِ وَالْجَنْبَيْنِ، ثُمَّ صَارَ مِنْهُ الْكَتِفَانِ وَالْعِضْدَانِ وَالْيَدَانِ وَالْفَمَ وَالْوَجْهَ وَاللِّسَانَ، ثُمَّ كَسَى لَحْمًا.

وقيل: إلى عظام نفسك، وأوّل ما خُلِقَ منه عيناه؛ لينظر إلى خَلْقِ سائرِ بدنِه^(١).

والأحسنُ أن يُقال: عيناه وقلبه؛ لأنَّ العينَ حُسَّها بالقلب^(٢).

والقولُ الأوّلُ أولى؛ لأنَّه بُعِثَ ثُمَّ خُوِطِبَ بقوله: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾، وأجاب بقوله: ﴿لَبِثْتُمْ﴾، وكيف يُخاطَبُ ويَجِيبُ وهو رميمٌ بعد!

﴿كَيْفَ نُنشِرُهَا﴾: نُحْيِيهَا، و﴿نُنشِرُهَا﴾ بالزّاي^(٣): نضمُّ بعضها إلى بعضٍ.

﴿ثُمَّ نَكْسُوها﴾؛ أي: العظامَ ﴿لَحْمًا﴾؛ أي: لحمًا وجلدًا.

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾: ظهرَ له كلُّ الظُّهورِ.

﴿قَالَ اعْلَمُ﴾ وأوَقِنُ ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الإِمَاتَةِ والإِحْيَاءِ وغيره

﴿قَدِيرٌ﴾: لا يُعجزُه شيءٌ.

ومن قرأ: ﴿قَالَ اعْلَمُ﴾^(٤) فهو من كلام الملك أو النبيّ على ما سبق.

وقيل: خاطَبَ نفسه بذلك.

وجاء في القصصِ أن عَزِيزًا لَمَّا أَحْيَاهُ اللهُ رَبَّ حِمَارِهِ فَآتَى أَهْلَهُ فَأَنْكَرُوهُ،

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٢٩)، وضعّفه.

(٢) هذا القول تفريع على القول الضعيف.

(٣) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بالراء، وباقي السبعة بالزاي. انظر: «السبعة» لابن مجاهد

(ص: ١٨٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢).

(٤) قرأ حمزة والكسائي: ﴿قَالَ اعْلَمُ﴾ موصولة الألف ساكنة الميم، وباقي السبعة بقطع الألف وضم

الميم. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢).

فأملى عليهم التَّوراةَ من حفظه، فقالوا: ما جعلَ اللهُ التَّوراةَ في قلبه إلا وهو ابنُه، فعندها قالوا: عزيزُ ابنُ اللهِ^(١).

(٢٦٠) - ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُتُؤْمِنٌ ط قَالَ بَلَىٰ وَلَئِن لَّا يَظْمِنَنَّ قَلْبِي ط قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا وَاعْلَمَنَّ أَنَّهُ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ للمفسرين في سببِ سؤالِ إبراهيم عليه السَّلام ثلاثة أقوال:

أحدها: ما روي عن ابن عباسٍ وسعيد بن جبيرة والسُّديّ، قالوا: لَمَّا اتَّخَذَ اللهُ إبراهيمَ خليلاً استأذن ملكُ الموتِ ربَّه أن يأتي إبراهيمَ فيبشِّره بذلك، فأناه وقال: جئتُكَ أبشُّرك بأنَّ اللهُ اتَّخَذَكَ خليلاً، فحمد اللهُ، وقال: ما علامةُ ذلك؟ قال: أن يُحييَ اللهُ دعاءَكَ ويُحيي الموتى بسؤالِكَ، ثم انطلق فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾^(٢).

﴿قَالَ أُولَئِمُتُؤْمِنٌ ط قَالَ بَلَىٰ وَلَئِن لَّا يَظْمِنَنَّ قَلْبِي﴾ بعلمي بأنَّكَ تُجيبني إذا دعوتُكَ وتُعطيني إذا سألتُكَ، واتَّخذتني خليلاً^(٣).

(١) انظر: «معاني القرآن» للفرّاء (١/ ٤٣٢)، و«تفسير الثعلبي» (٧/ ١٨٥)، وقد روى ابن عسّاك في

«تاريخ دمشق» (٤٠/ ٣٢٦) عن ابن عباس ما يُشير إليه في خبر طويل.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٩٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبيرة والسُّدي.

ورواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٠٨) عن السُّدي.

(٣) روى الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٣٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما: «قوله: ﴿لَظْمِنَنَّ قَلْبِي﴾ قال:

أعلم أنك تجيبني إذا دعوتك، وتعطيني إذا سألتك». وروى الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٢٨) عن

سعيد بن جبيرة: «﴿وَلَئِن لَّا يَظْمِنَنَّ قَلْبِي﴾: بالخلة».

والثاني: ما رُوِيَ عن الحسنِ وقتادةَ وعطاءِ الخراسانيِّ والصَّحَّاحِ وابنِ جريجٍ، قالوا: إنَّ إبراهيمَ عليه السَّلامُ مرَّ على دابَّةٍ ميتةٍ قد توزَّعتْها دوابُّ^(١) البحرِ والبرِّ - قال ابنُ جريرٍ^(٢): كانت جيفةَ حمارٍ بساحلِ^(٣) البحرِ^(٤)، قال عطاءٌ: بحيرة الطُّبرية^(٥) - وكان إذا مدَّ البحرُ جاءت الحيتانُ ودوابُّ البحرِ فأكلت منها، فما وقع منها يصيرُ في الماء، وإذا جزَرَ البحرُ جاءت السِّباعُ فأكلت منها، فما وقع منها يصيرُ ترابًا، فإذا ذهبَ السِّباعُ جاءت الطَّيْرُ فأكلت منها، فما سقطَ قطعته^(٦) الرِّيحُ في الهواء، فلمَّا رأى ذلك تعجَّبَ منها وقال: يا ربِّ قد علمتُ لتجمعنَّها، فأرني كيف تُحييها لأعابنَ ذلك^(٧).

وزاد ابنُ زيدٍ فقال: كان حوتًا ميتًا نصفُهُ في البرِّ ونصفُهُ في البحرِ، فقال له الخبيثُ إبليسُ: متى يجمعُ الله هذه الأجزاء من بطونِ هؤلاء؟ فقال: ربِّ أرني كيف تُحيي الموتى؟ قال: أولم تؤمن؟ قال: بلى، ولكن ليطمئنَّ قلبي بذهابِ وسوسةِ إبليسَ منه^(٨).

(١) في (و): «دابة».

(٢) كذا في النسخ الخطية، ولعل الصواب: «ابن جريج» كما في «تفسير الثعلبي» (٧ / ١٨٩)؛ فالظاهر أن المصنف نقل عنه.

(٣) في (و): «بآخر».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ٦٢٥) عن ابن جريج، بلفظ: «بلغني أن إبراهيم بنا هو يسير على الطريق إذا هو بجيفة حمار عليها السباع والطير قد تمزعت لحمها وبقي عظامها...».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧ / ١٨٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٨٥).

(٦) في (ن): «سقطت قطعته أخذته».

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧ / ١٨٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٨٥ - ٨٦) عن

الحسن وعطاء والضحاك وابن جريج، ورواه الطبري بنحوه في «تفسيره» (٤ / ٦٢٤ - ٦٢٥) عن قتادة والضحاك وابن جريج وابن زيد.

(٨) رواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ٦٢٥).

والثالث: ما رُوِيَ عن محمد بن إسحاق بن يسار، قال: إن إبراهيم لما احتجَّ على نمرود، فقال: ربِّي الذي يُحيي ويُميت، وقال نمرود: أنا أحيي وأُميت؛ ثم قتل رجلاً وأطلق رجلاً، فقال: قد أمتُّ ذلك وأحييتُ هذا، قال له إبراهيم: فإنَّ الله يُحيي بأن يردَّ الرُّوحَ إلى جسدِ الميت، فقال له نمرود: وهل عاينتَ هذا الذي تقوله؟ فلم يقدر أن يقول: نعم رأيتُه^(١)، فانتقل إلى حجَّةٍ أخرى، ثم سأل ربَّه أن يريه إحياء الميت؛ لكي يطمئنَّ قلبه عند الاحتجاج بأن يكون مُخبراً عن مشاهدةٍ وعيانٍ^(٢).

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾؛ أي: واذكر إذ قال إبراهيم، ويُحتملُ أنَّه ظرفٌ لما بعده.

﴿رَبِّ أَرِنِي﴾؛ أي: عياناً ﴿كَيْفَ تَحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُتُؤْمِنُ﴾ استفهامٌ تقرير.

﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمِئِنَّ قُلُوبُكَ﴾: ليزداد بصيرةً و يقيناً.

﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ قال المفسرون: هي الديك والطَّوَسُ والغرابُ

والحمام^(٣).

وجعل ابن عباسٍ الرَّابِعَ نَسْراً^(٤).

(١) «رأيتُه»: ليس في (ن).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٩٢-١٩٣) وقال: هذا معنى ما رواه محمد بن إسحاق، والواحد

في «أسباب النزول» (ص: ٨٦)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٢٦).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥١٠) عن مجاهد وعكرمة.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٠١)، والواحد في «البيسط» (٤/ ٤٠٠)، والمصنف في

«غرائب التفسير» (١/ ٢٢٩). وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥١١) عن ابن عباس

رضي الله عنه قال: «والطير الذي أخذ: وزر وال وديك وطاووس».

أبو هريرة^(١): الغُرُنُوقَ^(٢) بدلَ الغراب.

عطاءُ الخراساني: بَطَّةٌ خضراء، وغباباً أسود، وحمامةٌ بيضاء، وديكاً أحمر^(٣).

﴿فَصْرَهُنَّ﴾: فَطَّعُهُنَّ، فتصير.

﴿إِلَيْكَ﴾ من صلةٍ (خُذْ)؛ أي: خذ إليك.

وقيل معناه: أَمِلْهُنَّ إِلَيْكَ، فيكونُ (فَقَطَّعُهُنَّ) مضمراً.

والكسرُ والضمُّ لغتان فيهما^(٤).

﴿ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾؛ أي: خَلِّطْ لِحَمَّهَا وَرِيشَهَا وَعَظْمَهَا، واجعل

من كلِّ واحدٍ منهنَّ جزءاً، بيدك لا بيد غيرك.

والجُزءُ: البعْضُ.

(١) كذا في النسخ الخطية، وكذا في «تفسير الثعلبي» تحقيق: ابن عاشور (٢/٢٥٣)، وزيد في (ن):

«رضي الله عنه»، ولعل هذا كله تصحيف، والصواب: أبو هريرة، كما في «تفسير الثعلبي» دار التفسير

(٧/٢٠٤)، وهو الذي روى الغرنوق عن ابن عباس، كما في «تفسير ابن أبي حاتم» (٢/٥١١)،

وهو أبو هريرة عبد الله بن هبيرة بن أسعد بن كهلان السبئي الحضرمي المصري (ت: ١٢٦هـ)، وثقه

أحمد. انظر: «تهذيب الكمال» (١٦/٢٤٢)، و«تاريخ الإسلام» (٣/٤٤٨).

(٢) الغُرُنُوقُ: طائر مائي أبيض طويل الساق، جميل المنظر له قُرْعة ذهبية اللون. انظر: «أدب الكاتب»

لابن قتيبة (ص: ١٠٧)، و«معجم اللغة العربية المعاصرة» لأحمد مختار عمر مادة: (غ ر ن ق).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/٢٠٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/٢٣٦)، ويلاحظ أن

الأقوال في تعيين هذه الطيور مختلفة، وقد قال ابن كثير في «تفسيره» (٤/٤٠٠): «لا طائل تحت

تعيينها؛ إذ لو كان في ذلك مهمٌّ لنصَّ عليه القرآن».

(٤) قرأ حمزة بكسر الصاد في ﴿فَصْرَهُنَّ﴾، وقرأ باقي السبعة بضمها. انظر: «السبعة» لابن مجاهد

(ص: ١٩٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢).

﴿عَلَى كُلِّ جَبَلٍ﴾ مجاهدٌ: عامٌّ؛ أي: كل جبلٍ يمكنكُ^(١).

ابن عباسٍ والحسن وقتادة: كانت أربعةً أجبلٍ^(٢).

السُّدِّيُّ وابن جريج: سبعةً أجبلٍ^(٣).

القفال: إنما^(٤) خصَّ أربعةً أجبلٍ إشارةً إلى نواحي الدنيا؛ مهابُّ الرِّيحِ من الجنوب والشَّمال والدُّبور والصُّبا^(٥).

﴿تُمَادَّعُهُنَّ﴾؛ أي: الطُّيورَ الأربعةَ بأسمائها.

وقيل: لم يكن ذلك دعاءً على الحقيقة، وإنما كان إرادةً، أي: أرذُ إتيانهنَّ^(٦).

﴿يَأْتِيَنَّكَ سَعِيًّا﴾ ينضمُّ كلُّ جزءٍ إلى ما كان متَّصلاً به، فيسرَّعنَ المشيَ إليك، فإذا شاهدته علمتَ كيفيةَ الإحياء.

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٣٥)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٤٧) بلفظ:

«ثم بددهن على كل جبل يأتيك سعيًّا». وقال الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢١٤): «لفظه عام، ومعناه

خاص؛ لأن أربعة من الطير لا تبلغ الجبال كلها، ولا كان إبراهيم يصل إلى ذلك».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٤٤) بألفاظ مختلفة عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والربيع

وابن إسحاق وابن زيد، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥١٢) عن ابن عباس رضي الله

عنهما. وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢١٥) عن ابن عباس وقتادة والربيع وابن إسحاق.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٤٥ - ٦٤٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢١٦) عن ابن

جريج والسدي، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥١٣) من طريق ابن جريج عن ابن عباس

رضي الله عنهما.

(٤) «إنما» من (ن).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٠) دون نسبة، وذكر الماوردي في «النكت والعيون»

(١/ ٣٣٥) عن ابن بحر قال: «أراد جهات الدنيا الأربع؛ وهي المشرق والمغرب والشمال

والجنوب، فمثلها بالجبال».

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٠)، واستغربه.

﴿وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ﴾؛ أي: دُم على العلم بأن الله ﴿عَزِيزٌ﴾: لا يمتنع عليه إحياء الموتى وغيره، ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيره.

ففعّل إبراهيم عليه السلام ما أُمرَ ودعاهُنَّ: (فَتَعَالَيْنَ يَاذِينَ اللَّهِ)، فرأى بعضُها يسعى إلى بعضٍ، ثم أقبلن نحوَه.

وقيل: أمسك رؤوسهنَّ، فأقبلن نحو الرُّؤوس، فسبحان الذي لا يعجزه شيء! قال مقاتل بن سليمان: كان ذلك بالشَّام قبل مولدِ إسماعيل وإسحاق، وقبل أن تُنزلَ عليه الصُّحف (١).

ابن عباسٍ وقتادة والرَّبِيع: جعلَ كلَّ طائرٍ أربعةَ أجزاء، فجعلَ على كلِّ جبلٍ ربعاً (٢).

وقال أبو مسلم: ما قطعَ إبراهيمُ الطَّيرَ أجزاءً ولا أُمرَ به، وإنما هذا مثلُ لإحياء الله الموتى (٣).

وقولُ المفسِّرين أولى بالاتباع.

(٢٦١) - ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي

كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢١٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٤٣ - ٦٤٤).

(٣) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٧/ ٣٨)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٢/ ٦٤٨)، وذكره

المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٠)، وعدّه من العجائب، وأبو مسلم هذا هو ابن بحر، وهو

من أئمة المعتزلة، وقد تقدّمت ترجمته.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ﴾ تقديره: مثل نفقة الذين... والمرادُ بها: الزكاةُ والصدقةُ وغيرُهما، والحبةُ التي نبتت سبع سنابلَ مثل لا يُشترطُ وجوده، والمعنى: لو عَلِمَ إنسانٌ يطلبُ الزيادةَ أنه إذا بذر حبةً واحدةً أخرجتْ له سبعَ مئةِ حبةٍ؛ ما كان ينبغي له تركُ ذلك ولا التَّقصيرُ فيه، وكذلك ينبغي لمن طلبَ الأجرَ في الآخرة.

قال أبو مسلمٍ: قيل: وَجِدَ ذَلِكَ فِي الدُّخَنِ^(١).

﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ هذه المضاعفة، ويجوزُ: يضاعفُ لمن يشاء^(٢) الزيادةَ على ذلك.

وليس بين قوله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ وبين هذه الآية تناقض؛ لأنه لم يبيِّن المِثْل؛ هل هو في القَدْرِ أو غيره؟
﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

(٢٦٢) - ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنْأً وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

(١) ذكره بلا نسبة الواحدي في «البيسط» (٤/ ٤٠٨)، والبغوي في «تفسيره» (١/ ٣٥٩)، والجرجاني في «درج الدرر» (١/ ٨٠٢)، والمصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٠)، والزمخشري في «الكشاف» (١/ ٣١٠). وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٢/ ٦٥٤) عن ابن عيسى.
والدُّخَنُ: جنسٌ من النباتات العشبية، حبهٌ صغير أملس كحبِّ السمسم، ومنه نوع يصلح حبه طعامًا للعصافير. انظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» (١/ ٧٣١) مادة: (دخ ن).
(٢) «هذه» ليس في (ن).

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الكلبِي: نزلت في عثمان بن عفان وعبد

الرحمن بن عوف رضي الله عنهما.

أمّا عثمان رضي الله عنه فقال: عليّ جهازٌ من لا جهازَ له في غزوة تبوك، فجهّز المسلمين بألف بعيرٍ بأقتابها وأحلاسها، وتصدّق برؤمّة - ركيّة كانت له - على المسلمين، فنزلت فيه هذه الآية^(١).

وقال أبو سعيد الخدريّ رضي الله عنه: رأيتُ رسولَ الله ﷺ رافعاً يده يدعو لعثمان ويقول: «يا ربّ، عثمان بن عفان، رضيتُ عنه فارصّ عنه»، فما زال رافعاً يده حتى طلّع الفجر^(٢).

(١) ذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (١ / ٢١٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٧ / ٢٢٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٨٧)، وخبر عثمان رضي الله عنه في تجهيز جيش العسرة رواه الترمذي (٣٧٠٠) عن عبد الرحمن بن حباب رضي الله عنه، وقال: «حديث غريب». وخبر التصدق ببئر رومة علقه البخاري (٢٧٧٨)، ورواه الترمذي (٣٦٩٩) من حديث أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان رضي الله عنه.

والأقتاب: جمع قتب، وهو رطل صغير على قدر السنّام. انظر: «الصحاح» (١ / ١٩٨) مادة: (ق ت ب). والأحلاس: جمع حلس، وهو كل شيء وليّ ظهر البعير والدابة تحت الرحل والقتب والسرّج. انظر: «المحكم والمحيط الأعظم» (٣ / ١٩٠) مادة: (ح ل س).

(٢) رواه ابن سمعون في «أمالیه» (١ / ١٠٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٩ / ٥٤)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٨٧).

وقد ورد دعاء النبي ﷺ لعثمان رضي الله عنه في أكثر من حديث، منها ما رواه البزار في «مسنده» (٢٢٩) عن عائشة رضي الله عنها، وما رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧ / ٢٤٩) عن أبي مسعود رضي الله عنه. وقد روى الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (٨٣٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ يدعو لفردٍ إلا لعثمان بن عفان، فإني رأيت - يعني: يدعو - حتى رأيت ضبعيه».

وأما عبد الرحمن بن عوفٍ رضي الله عنه فإنه جاء إلى رسول الله ﷺ بأربعة آلاف درهمٍ صدقة، فقال: كان عندي ثمانية آلاف، فأمسكتُ منها لنفسي وعيالي أربعة آلاف، وأربعة آلافٍ أقرضتها ربِّي، فقال له رسولُ الله عليه السلام: «بارك الله لك^(١) فيما أمسكتَ وفيما أعطيتَ»^(٢).

وقوله^(٣): ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قيل: هو الجهادُ، وقيل: أبوابُ البرِّ كُلُّها.

﴿ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا﴾؛ أي: على المُعطَى له.

قال المفسِّرون: هو أن يقول: أحسنتُ إلى فلانٍ وأعتته ونعشتُهُ.

﴿وَلَا أَدَى﴾ هو أن يقول على سبيل التَّبَرُّم: أنتُ أبدأً فقيرٌ، خلصني الله منك، وإنما تجيئني عند الحاجة.

قال القفال: ﴿ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا﴾ على الله ﴿وَلَا أَدَى﴾ لصاحبها^(٤).

ابن عيسى: الأذى^(٥) ضررٌ يُتَعَجَّلُ وصولُهُ إلى المضرور.

(١) «لك» من (ن).

(٢) سبق تخريج قول الكلبي في سبب نزول الآية، وأما خبر عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فرواه البزار في «مسنده» (٨٦٧٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه وعمر بن أبي سلمة عن أبيه، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥٨٩ - ٥٩٢) عن ابن عباس وعمر بن أبي سلمة عن أبيه وغيرهما، ولكن هذه الروايات إنما وردت في سبب نزول قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة: ٧٩].

(٣) في (و): «وقيل».

(٤) ذكر الثعلبي ذلك في «تفسيره» (٢٤٢ / ٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكر الواحدي في «البيسط» (٤١٢ / ٤) بعضه. ونقل الرازي في «التفسير الكبير» (٤٠ / ٧) عن القفال ما يدل على أن المنَّ على النبي ﷺ والمؤمنين.

(٥) «الأذى» من (ن).

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾: ثوابهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في القيامة.
 ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ الخوف: توقع الضرر الذي لا يؤمن وقوعه.
 ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الحزن: الغم الذي يغلظ على النفس، مشتق من (الحزن)،
 وهو الأرض الغليظة^(١).

(٢٦٣) - ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾.
 ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾؛ أي: في حق السائل، نحو: سيكون إن شاء الله، وأغنانا الله
 وإياك، ولطف الله^(٢) لنا ولك.
 ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: ستر الخلة^(٣) على السائل.
 الحسن: هو أن يعفو عن ظلمه^(٤).
 وقيل: التجاوز عن السائل إذا استطال عليه برده^(٥).
 ﴿خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن صدقات العباد ﴿حَلِيمٌ﴾ حيث لم
 يعجل عقوبة المتأن والمؤذي.

(١) انظر: «المخصص» لابن سيده (٣/ ٥٥).

(٢) اسم الجلالة «الله» من (ن).

(٣) الخلة: الحاجة والفقر. انظر: «الصحاح» (٤/ ١٦٨٧) مادة: (خ ل ل).

(٤) ذكره الواحدي في «البيسط» (٤/ ٤١١) عن عطاء والحسن.

(٥) قال الواحدي في «البيسط» (٤/ ٤١١): «علم الله تعالى أن الفقير إذا ردَّ بغير نوال شقَّ عليه

ذلك، فربما يدعوه ذلك إلى بذاءة اللسان، فأمر بالصفح والعفو عنه، وبين أن ذلك خير من

صدقة يتبعها أذى».

(٢٦٤) - ﴿يَتَائِهَاتُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطَلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿يَتَائِهَاتُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطَلُوا صَدَقَاتِكُمْ﴾ بأن تعدموا ثوابها ﴿بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ﴾؛ أي: إبطالاً كإبطال المنافع الذي ينفق ماله رياءً وسمعةً يبتغي بذلك الثناء والذكر الجميل عند الناس.

﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: ولا يرجو لنفقاته أجرًا وثوابًا في القيامة؛ لكفره بالله واليوم الآخر.

﴿فَمَثَلُهُ﴾؛ أي: مثل عمله ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾: حجر، واحدًا: صفوانة.

﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾ فلا ينبت شيئًا.

﴿فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾: مطرٌ شديد.

﴿فَتَرَكَهُ﴾: فترك الوابل الصفوان ﴿صَلْدًا﴾: حجرًا أملس برآقًا؛ أي: أزال

ما به من التراب.

﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾: لا يجدون يوم القيامة ثواب ما عملوا

في الدنيا.

ويُحتمل: لا يجد المبطّل صدقته بالمن والأذى ثواب شيء^(١) من كسبه؛ عدل

من الخطاب إلى الغيبة.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾: لا يرشدهم ولا يوفقهم.

(١) في (و): «كل شيء».

(٢٦٥) - ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَتَأَنَّتْ أَكُلَهَا ضَعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾: طلبَ رضاه.

﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ابن زيد والسُّدِّيُّ: بقوَّة النَّفْسِ والبصيرةِ في الدين^(١).

الحسن ومجاهدٌ: يتثبَّتون أين يضعون صدقاتهم^(٢).

وقيل: توطينا لأنفسهم على الثبوت^(٣) على طاعة الله.

﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾: بستانٍ ذات أشجارٍ.

﴿بِرَبْوَةٍ﴾: بنشزٍ من الأرض، وهو أحمدٌ مواضع الجنانِ في النَّزهة وكثرة

النَّباتِ والرَّبيع.

﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾: المطرُ العظيمُ الشَّدِيدُ الوَقْعُ.

﴿فَتَأَنَّتْ أَكُلَهَا﴾: ثمرها؛ أي: ما يُؤْكَلُ منها.

﴿ضَعْفَيْنِ﴾: مثلي غيرِها من الجنان.

وقيل: أربعة أمثالها، والضَّعْفُ: المِثْلان.

قال أبو مسلمٍ: ثلاثة أمثالها^(٤). وليس لهذا في العربية وجهٌ، وقولُ أبي

(١) ذكره الواحدي في «السيط» (٤ / ٤١٥).

(٢) رواه ابن زنجويه في «الأموال» (٢٣١٥)، والطبري في «تفسيره» (٤ / ٦٦٩) عن مجاهد، ورواه

الطبري في «تفسيره» (٤ / ٦٧٠) عن الحسن.

(٣) «على الثبوت» من (ن).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢٣١) بلا نسبة، واستغربه، ونقله أبو حيان في «البحر =

عبيدة: ﴿يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ يأتي في موضعه^(١).

﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ﴾؛ أي: فإن لم يكن يصيبها مطرٌ شديدٌ ﴿فَطَلٌّ﴾ والطلُّ: المطرُ الصَّغَارُ القَطْرُ.

قال القفال: فثمرتها بحالها^(٢) في الحالين، لا تنقص بنقصان المطر.
وقال: قال بعضهم: فإن لم يصبها وابلٌ فتضاعفُ ثمرتها أصابها طلٌّ فأخرجت
ثمرًا دون ما تخرجه بالوابل، فهو على كلِّ حالٍ لا يخلو من أن يُثمرَ.
﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: لا تخفى عليه أعمالكم ومقاصدكم من رياءٍ
وإخلاصٍ.

= المحيط» (٢/ ٦٦٩)، ونقل إنكار الكرمانى له، لكن نقل الرازى في «التفسير الكبير» (٧/ ٥٠) عن
أبي مسلم في تفسير الضعفين قوله: «وقال أبو مسلم: مثلي ما كان يعهد منها».
(١) في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ١٣٦): ﴿يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ أي: يجعل لها العذاب
ثلاثة أعذبة؛ لأن ضعف الشيء مثله، وضعفي الشيء مثلاً الشيء، ومجاز (يضاعف) أي: يجعل
الشيء شيئين حتى يكون ثلاثة، فأما قوله: (يضعّف) أي: يجعل الشيء شيئين، وقد عدّ المصنّف
في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣١) قول أبي مسلم غريباً، واستدلّاه بكلام أبي عبيدة عجيباً، وقد بين
ابن القيم وجه هذا الوجه فقال: «وقيل: ضعفه مثلاه، وضعفاه ثلاثة أمثاله، وثلاثة أضعافه أربعة
أمثاله، كلما زاد ضعفاً زاد مثلاً، والذي حمل هذا القائل على ذلك فراره من استواء دلالة المفرد
والثنية؛ فإنه رأى ضعف الشيء هو مثله الزائد عليه، فإذا زاد إلى المثل صار مثلين، وهما الضعف،
فلو قيل لها: ضعفان، لم يكن فرق بين المفرد والمثنى، فالضعفان عنده مثلان مضافان إلى الأصل،
ويلزم من هذا أن يكون ثلاثة أضعافه ثلاثة أمثاله مضافة إلى الأصل، وهكذا أبداً، والصواب: أن
الضعفين هما مثلان فقط، الأصل ومثله». انظر: «التفسير القيم» (ص: ١٦٤).

(٢) في (ن): «لحالها».

(٢٦٦) - ﴿أَيُّدُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿أَيُّدُ أَحَدِكُمْ﴾: استفهامٌ تنبيه، والمعنى: أيتمنى ويحب؟

والفرق بين الودِّ والحبِّ أنَّ الودَّ يُستعملُ للماضي والمستقبل كالتمني، والحبُّ خاصٌّ في الاستقبال^(١).

﴿أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾: بستانٌ ﴿مِّنْ نَّخِيلٍ﴾: جمع نخيل، والنخل: ما ثمره التمر. ﴿وَأَعْنَابٍ﴾: ثمر الكرم.

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: تطردُّ فيها مياه، ويجوزُ أن يكون المعنى: منابعها من تحتها.

﴿لَهُ﴾: لصاحب البستان ﴿فِيهَا﴾: في الجنة ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ مع الرطب والعب، فهو النهاية في الكمال.

﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾: أصاب صاحبها كبر السن.

أكثر المفسِّرون في عطف الماضي على المستقبل في قوله: ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾ هاهنا، فقال الفراء: يجوزُ ذلك في (يودُّ)؛ لأنها تُتلقى^(٢) مرَّةً بـ(أن) ومرَّةً بـ(لو)، فجاز أن يُقدَّرَ أحدهما مكان الآخر^(٣).

(١) لم أقف على من ذكر هذا الفرق قبل المصنّف، وقد ذكر العسكري وجهاً آخر. انظر: «معجم

الفروق اللغوية» (ص: ١٧٤)، و«غرائب التفسير» (١/ ٢٣٢).

(٢) في (و): «تتلقى ذلك».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٧٥).

علي بن عيسى: دلّ (أن) على الاستقبال، ويضمّن الكلام معنى (لو) على التّمنيّ.

ويحتمل أن التّقدير: وقد أصابه الكبر.

﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ﴾: أولادٌ ﴿ضُعَفَاءٌ﴾: صغارٌ.

﴿فَأَصَابَهَا﴾: فيصيبها ﴿إِعْصَارٌ﴾: ريحٌ شديدةٌ.

والإعصارُ في اللغة: ريحٌ شديدةٌ تهبُّ من الأرضِ إلى السّماءِ كالعمود، يُسمّيها العامّةُ الزّوبعة، قال:

إِنْ كُنْتَ رِيحًا فَقَدْ لَاقَيْتَ إِعْصَارًا^(١)

﴿فِيهِ﴾: في الإعصارِ ﴿نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾؛ أي: الجنّة.

والاحتراقُ: افتراقُ الأجزاءِ بالنّار.

والمعنى: أيودٌ أحدكم أن يكون له بستانٌ بهذه الصّفة، ثم فقدّها^(٣) أحوج ما يكونُ إليه، وهو حالة الكبرِ المقعِدِ عن الكسبِ مع طفولةِ الأولادِ وعجزهم عن الكسبِ^(٤)؛ أي: فليس يودُّ هذا أحدٌ^(٥)، فكذلك ينبغي أن لا تُبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى والرياء.

(١) هو شطر بيت جرى مثلاً، لم أقف على قائله أو تتمته، وهو يضرب للرجل يكون جلدًا فيصادف من هو أجلد منه. انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٩٧)، و«الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٩٦)، و«الكامل» للمبرد (١/ ٢٥٣).

(٢) «أي» من (ن).

(٣) كذا في النسخ الخطية، والمراد: فقدت تلك الصّفة في البستان عندما احتاجه.

(٤) «عن الكسب» من (ن).

(٥) في (و): «أحدكم».

السُّدِّيُّ: هذا المثلُ للمرائي^(١).

ابن عباسٍ رضي الله عنهما: مثلُ الذي يختمُ عمله بفساد^(٢).

مجاهدٌ: مثلُ المفرطِ في طاعةِ الله في الدنيا يحصلُ في الآخرةِ على الحسرةِ العظمى^(٣).

﴿كَذَلِكَ﴾: كيانِ هذهِ بضربِ الأمثالِ ﴿بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾: أوامره

ونواهيهِ ﴿لَمَلَكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾؛ أي^(٤): لكي تتفكروا في أمثاله فتنتهوا.

والفكرُ: طلبُ الإدراكِ بالقلبِ.

(٢٦٧) - ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ

الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغِصُّوا فِيهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

(١) في (ن): «هذا مثل المرائي». رواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ٦٨١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢ / ٥٢٣).

(٢) «فساد» من (ن). رواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ٦٨٢)، وروى البخاري (٤٥٣٨) عن عبيد بن

عمير، قال: «قال عمر رضي الله عنه يوماً لأصحاب النبي ﷺ: فيم ترون هذه الآية نزلت: ﴿يُودُّ

أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾؟ قالوا: الله أعلم، فغضب عمر فقال: قولوا: نعلم أو لا نعلم، فقال ابن

عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، قال عمر: يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك، قال ابن

عباس: ضربت مثلاً لعمل، قال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: لعمل، قال عمر: لرجل غني يعمل

بطاعة الله عز وجل، ثم بعث الله له الشيطان، فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ٦٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢ / ٥٢٢).

(٤) «أي» من (ن).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾؛ أي: ليكن إنفاقكم في سبيل الله من حلالٍ تكسبونه، وعن النبي ﷺ: «هو عمل الرجل بيده، وكلُّ عملٍ مبرورٍ»^(١).

وقيل: المراد بالطيب هاهنا: الجيد، وبالخبث: الرديء.

الحسن: هو الزكاة^(٢).

وقيل: التطوع.

﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ يريد: ما فيه العشر من الزرع والنبات والأشجار، ويُحتمل المعادن.

﴿وَلَا تَيْمَمُوا الْخَيْثَ﴾: لا تقصدوا الرديء ﴿مِنْهُ﴾: من المال ﴿تُنْفِقُونَ﴾؛ أي: ذلك الخيث.

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٢٦٥)، والحاكم في «المستدرک» (٢١٦٠) من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه، ولفظ أحمد: قيل: يا رسول الله، أي الكسب أطيب؟ قال: «عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤ / ٦٠): «رواه أحمد، والبخاري، والطبراني في الكبير والأوسط، وفيه المسعودي، وهو ثقة، ولكنه اختلط، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح»، وروى نحوه الإمام أحمد في «المسند» (١٥٨٣٦)، والحاكم في «المستدرک» (٢١٥٨) من حديث أبي بردة بن نيار رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ٧٠٢) بلفظ: «كان الرجل يتصدق برذالة ماله، فنزلت: ﴿وَلَا تَيْمَمُوا الْخَيْثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾».

وروى الطبري في «تفسيره» (٤ / ٧٠٠) عن علي رضي الله عنه، ولفظه: «نزلت هذه الآية في الزكاة المفروضة». وروى الحاكم في «المستدرک» (٣١٢٢) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «أمر النبي ﷺ بزكاة الفطر بصاع من تمر، فجاء رجل بتمر رديء، فقال النبي ﷺ لعبد الله بن رواحة: «لا تخرص هذا التمر» فنزل القرآن: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾»، وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وانظر: «الدر المثور» (٢ / ٥٩).

﴿وَلَسْتُمْ بِأَخَذِهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾؛ أي: ولستم بأخذي ذلك الخبيث لو دُفِعَ إليكم في حقِّ ﴿إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾؛ أي: بالإغماض؛ أي: مساهلةً ومسامحةً. وقيل: على استحياءٍ من رده.

ابن عباسٍ رضي الله عنهما: إِلَّا أَنْ تَحْطُّوا مِنَ الثَّمَنِ فِيهِ ^(١).
الزجاج: إِلَّا بَوَكْسٍ ^(٢).

وقيل: الهاء في ﴿مِنَهُ﴾ تعود إلى ﴿الْخَبِيثِ﴾؛ أي: من الخبيث تنفقون ولستم بأخذه.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ عن صدقاتكم.

﴿حَكِيمٌ﴾: مُسْتَحَقٌّ لِلْحَمْدِ عَلَى مَا يَتَعَبَّدُكُمْ.

وقيل: ﴿حَكِيمٌ﴾: محمودٌ.

عن البراء رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية في الأنصار، كانت تُخْرِجُ إِذَا كَانَ جِدَادُ النَّخْلِ مِنْ حَيْطَانِهَا ^(٣) أَقْنَاءَ مِنَ التَّمْرِ وَالْبُسْرِ، فَيَعْلَقُونَهَا عَلَى حَبْلِ بَيْنَ أُسْطُوَانَتَيْنِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَأْكُلُ مِنْهُ فَقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَعْمِدُ فَيَدْخُلُ قِنَوَ الْحَشْفِ ^(٤) فِيهِ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ جَائِزٌ عَنْهُ فِي كَثْرَةِ مَا يُوَضَعُ مِنَ الْأَقْنَاءِ، فَنَزَلَ فِيمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ هَذِهِ الْآيَةَ ^(٥).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٧٠٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٢٨).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٥٠).

(٣) في (ن): «إِذَا كَانَتْ جِدَادًا مِنْ حَيْطَانِهَا».

(٤) في (و): «الْحَشْفَةُ».

(٥) رواه الترمذي (٢٩٨٧)، وابن ماجه (١٨٢٢)، واللفظ أقرب إليه، وقال الترمذي: «حسن غريب

صحيح». والقنؤ: العذق بما فيه من الرطب، والحشف: رديء التمر. انظر: «تاج العروس»

(٢٣/ ١٤١) مادة: (ح ش ف)، و(٣٩/ ٣٥٠) مادة: (ق ن و).

(٢٦٨) - ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿الشَّيْطَانُ﴾: إبليس ﴿يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾: الحاجة، والفقْر: الضعف بقلّة الملك.
 ﴿وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾: بالبخلِ وسائرِ معاصي^(١) الله، والفاحشُ: البخيلُ.
 ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ على الإنفاقِ، ﴿وَفَضْلًا﴾: وخلفًا مما تُنفقون.
 ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾؛ أي: واسع الفضل، وقيل: واسعٌ يوسّعُ على مَنْ يشاء.
 ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالكم ونياتكم.

(٢٦٩) - ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ ابن عباسٍ رضي الله عنهما: علم القرآن^(٢).
 السُّدِّيُّ: النبوة^(٣).
 مجاهدٌ: الكتابة^(٤).

وقيل: الفهم والخشية، والإصابة في القول، والعلم في الدين.

﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾: وما يتعظُّ بمواعظِ الله إلا ذوو العقولِ السليمة.

(١) في (ن): «المعاصي».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥ / ٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢ / ٥٣١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤ / ٥١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣ / ٩٨٠).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١ / ٣٤٤).

(٢٧٠) - ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ. وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾.

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾ صغيرة أو كبيرة.

وقيل: المرادُ به الزَّكَاةُ، ﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾: التَّطَوُّعُ؛ فالنَّذْرُ ما أوجبه الإنسانُ على نفسه من البرِّ.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ فيجازي عليه من غير تضييع شيءٍ منه.

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ في إنفاقهم رياءً وسمعةً من غير حله.

﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾: أعوانٍ يمنعونهُ^(١) من عذابِ الله، جمع (نصير) كـ (شريفٍ وأشرافٍ).

(٢٧١) - ﴿إِنْ بُدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيَكْفُرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿إِنْ بُدُوا الصَّدَقَاتِ﴾ الكلبيُّ: لما نزل: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾ الآية قالت

الصَّحَابَةُ: يا رسولَ الله، صدقةُ السِّرِّ أفضلُ أم صدقةُ العلانية؟ فأنزلَ اللهُ: ﴿إِنْ بُدُوا الصَّدَقَاتِ﴾^(٢)؛ أي: إن تظهروا إيتاءها للفقراءِ ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾؛ أي: فنعمَ شيئاً إيتاؤها، فحذفَ المضافَ.

(١) في (و): «يمنعون».

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٨٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٤٣) عن

الكلبي، والثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣١٦) بلا نسبة.

﴿وَلِإِنْ تَحْفَوْهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقْرَاءَ فَهُوَ﴾؛ أي: الإخفاء، وقيل: الإيتاء ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾؛

أي: من الإبداء.

والإجماع أنَّ^(١) الإبداء في الفرض أولى، وأنَّ الإخفاء في التطوع أحسن.

ويُحتملُ أنَّ المعنيَّ بالخير: الثواب والحسنة، لا التفضيل.

﴿وَيُكْفِرُ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾؛ أي: في كلتا الحالتين يُكفِّرُ بالصدقة

سيئاتكم.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الإبداء والإخفاء ﴿خَيْرٌ﴾: عالم.

وقيل: هذا^(٢) إشارة إلى أنَّ الإخفاء أولى؛ إذ كان الله يعلم ذلك، فما معنى

الإبداء؟!؟

(٢٧٢) - ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ

فَلَانْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ

وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ﴾.

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ سعيد بن جبيرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا

إلا على أهل دينكم»، فنزلت هذه الآية، فقال رسول الله ﷺ: «تصدقوا على أهل

الأديان»^(٣).

(١) «أن» من (ن).

(٢) في (و): «هذه».

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٠٣٩٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٨٩) هكذا

مرسلاً، ووصله النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٩٨٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢ / ٥٣٩)،

ابن الحنفية: نزلت في أسماء بنت أبي بكر، أتها أمها قتيلة وجدتها يسألانها وهما مشركتان، فقالت: لا أعطيكما شيئاً حتى أستأمر رسول الله ﷺ؛ فإنكما لستما على ديني، فاستأمرته في ذلك، فنزلت^(١) هذه الآية، فأمرها أن تصدق عليهما، فأعطتهما ووصلتهما^(٢).

ومعنى ﴿هُدًى لَهُمْ﴾: اهتداؤهم.

﴿وَلَا يَكُنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ بلطفه.

صاحب النظم: هو متصل بقوله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾.

وقوله: ﴿وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾؛ أي: من نفقة خير.

وقيل: ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾: من مالٍ.

﴿فَلَا تَنْفُسِكُمْ﴾؛ أي: فلا أنفسكم^(٣) ثوابه لا يُجاوزها.

﴿وَمَا تَنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ الزجاج: هذا خاص للمؤمنين، علم منهم أنهم بالإنفاق يريدون وجه الله لا غيره^(٤).

والحاكم في «المستدرک» (٣١٢٨)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١٠ / ١١٥) عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(١) في (ن): «فأنزل الله».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧ / ٣٣٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٩٠) عن الكلبي.

وروى البخاري (٥٩٧٨) واللفظ له، ومسلم (١٠٠٣) عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما

قالت: أتني أمي راغبة في عهد النبي ﷺ، فسألت النبي ﷺ: أصلها؟ قال: «نعم»، قال ابن عينة:

فأنزل الله تعالى فيها: ﴿لَا يَنْهَكُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْبَلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [الممتحنة: ٨].

(٣) «أي فلا أنفسكم» من (ن).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١ / ٣٥٥).

الْقَالَ: فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، تَقْدِيرُهُ: وَمَا تَنْفَقُوا مِنْ خَيْرٍ - وَمَا تَنْفَقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ - فَلَأَنْفُسَكُمْ، فَيَكُونُ حَالًا^(١).

وقيل: تَقْدِيرُهُ النَّهْيُ؛ أَي: لَا تَنْفَقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ.

وعن القفال أيضًا: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ﴾؛ أَي: وَلَا تَكُونُوا مُنْفِقِينَ مُسْتَحِقِّينَ لِهَذَا الْأَسْمِ حَتَّى تَبْتَغُوا بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ^(٢).

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفَّ إِلَيْكُمْ﴾: يُوفَّرُ عَلَيْكُمْ جَزَاؤُهُ.

﴿وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾: لَا تُنْقَصُونَ مِنْ اسْتِحْقَاقِكُمْ، سِوَاءِ أَنْفَقْتُمْ عَلَى مُسْلِمٍ أَوْ كَافِرٍ إِذَا أَرَدْتُمْ وَجْهَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

(٢٧٣) - ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا﴾ فِي هَذَا اللَّامِ^(٣) كَلَامٌ؛ فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ التَّقْدِيرَ: الصَّدَقَاتُ الَّتِي تَقَدَّمَتْ وَالتَّقَاتُ الَّتِي ذُكِرَتْ لِلْفُقَرَاءِ، فَتَكُونُ خَيْرٌ مُبْتَدَأٌ مُحْدُوفٌ.

(١) ذكر نحوه الواحدي في «البيسط» (٤ / ٤٤٦)، ونسبه لصاحب النظم، وفيه: «وقال صاحب النظم: قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ حال متوسط بين الجزاء والشرط، تأويله: وما تنفقوا من خير، وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله، أي: إذا أنفقتم على هذه الحال فلا أنفسكم، كما تقول في الكلام: ما تفعل من خير، ولا تفعله إلا لله، فهو مقبول منك».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢٣٣)، واستغربه، وذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٧ / ٦٦) بلا نسبة.

(٣) في (و): «الكلام».

وقيل: هو جوابٌ، كأنه قيل: مَنْ أصحابُ الصَّدقاتِ؟ فأجيب: للفقراء، كقوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾.

القفال: تقديره: إن تبدوا الصَّدقاتِ للفقراءِ فِعِمَّا هي^(١).

وقيل أيضًا: وما تنفقوا من خيرٍ للفقراء.

وقيل^(٢): هو للتعجيب، كقوله: يا لزيدٍ لهذه الزُّمرة! ويا لعمروٍ لهذه الخصلةِ الحميدة!

وقيل: بدلٌ مِنْ لَامٍ ﴿فَلَا تُفْسِكُمْ﴾^(٣)، وزيفه عليُّ بنُ عيسى فقال: لأنَّ بدلَ الشَّيءِ من الشَّيءِ إنَّما يكونُ إذا اشتَمَلَ عليه المعنى.

قلت: ولعلَّ هذا القائل جعلَ الأنفَسَ هاهنا للفقراء^(٤)؛ لأنَّ المؤمنين كلَّهم كنفسٍ واحدة، كما في قوله: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾؛ أي: على إخوانكم من أهل بيتكم.

وقيل: معناه: اجعلوا صدقاتكم للفقراء.

والمفسِّرون على أنَّها نزلت في أهلِ الصُّفَّة^(٥).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢٣٤) بلا نسبة، واستغربه، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٢ / ٦٩٧) منسوباً للقفال، واستبعده.

(٢) «قيل» من (ن).

(٣) ذكره الطبري في «تفسيره» (٥ / ٢٢)، وذكره الواحدي في «البيسط» (٤ / ٤٤٨) دون نسبة، وغلطه بمثل ما ذهب إليه علي بن عيسى.

(٤) في (ن): «الفقراء».

(٥) رواه ابن المنذر في «تفسيره» (١ / ٤٢) من طريق محمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١ / ٢٥٥) عن ابن كعب القرظي.

وقيل: نزلت في المهاجرين من مكة إلى المدينة^(١).

ورُوِيَ عن سعيد بن جبير: أن الآية نزلت في فقراء كانت قد أصابتهم جراحات^(٢).

ومعنى: ﴿أَحْصِرُوا﴾ في قول قتادة وابن زيد: مُنِعُوا؛ أي: مَنَعُوا أَنْفُسَهُمْ مِنَ التَّصَرُّفِ وَالتَّجَارَةِ^(٣) لِلْمَعَاشِ^(٤).

السُّدِّيُّ: مَنَعَهُمُ الْكِفَارُ بِالْخَوْفِ مِنْهُمْ^(٥). وهذا يقتضي (حُصِرُوا)^(٦).

﴿فَسَبِيلِ اللَّهِ﴾: الجهاد، وقيل: جميع الطاعات.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ لأنهم أُلْزِمُوا أَنْفُسَهُمُ الْمَقَامَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لِقِتَالِ أَعْدَائِهِ.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥ / ٢٣) عن مجاهد والسدي وأبي جعفر.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢ / ٥٤٠)، وعزاه السيوطي في «الدر المشثور» (٢ / ٨٩) إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) في (ن): «في التجارة».

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١ / ٣٤٦) عن قتادة وابن زيد، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٠)، والطبري في «تفسيره» (٥ / ٢٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (١ / ٤٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢ / ٥٤٠) عن قتادة. ورواه الطبري في «تفسيره» (٥ / ٢٤) عن ابن زيد.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٥ / ٢٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢ / ٥٤٠).

(٦) هذا مستفاد من كلام الطبري، فقد فرَّق بين (حصره) و(أحصره) فقال: «ولو كان تأويل الآية على ما تأوله السدي لكان الكلام: للفقراء الذين حصروا في سبيل الله، ولكنه ﴿أَحْصِرُوا﴾ [البقرة: ٢٧٣]، فدلَّ ذلك على أن خوفهم من العدو الذي صيرَّ هؤلاء الفقراء إلى الحال التي حبسوا وهم في سبيل الله أنفسهم، لا أن العدو هم كانوا الحابسيهم، وإنما يقال لمن حبسه العدو: حصره العدو، وإذا كان الرجل المحبس من خوف العدو قيل: أحصره خوف العدو». انظر: «تفسير الطبري» (٥ / ٢٥).

وقيل: أَلزُّمُوا أَنْفُسَهُمُ الْإِقَامَةَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ (١) وَفِي بَلَدِهِ، فَمَنْعَهُمْ ذَلِكَ عَنِ الضَّرْبِ فِي الْأَرْضِ خَارِجًا عَنِ الْبَلَدِ.

وَالضَّرْبُ: التَّبَاعُدُ فِي السَّيْرِ.

﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾؛ أَي: الْجَاهِلُ بِبَاطِنِ حَالِهِمْ ﴿أَغْنِيَاءُ﴾ لَتَصَوَّنَهُمْ عَنِ التَّعَرُّضِ لِلنَّاسِ وَمَسْأَلَتِهِمْ.

﴿مِنَ التَّعَفُّفِ﴾؛ أَي: مِنْ أَجْلِ التَّعَفُّفِ، وَهُوَ الْقَنَاعَةُ.

﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَتِهِمْ﴾ مَجَاهِدٌ: هُوَ التَّخَشُّعُ (٢).

السُّدِّيُّ: هُوَ عَلَامَةُ الْفَقْرِ (٣).

وَالسِّيْمَاءُ: الْعَلَامَةُ.

﴿لَا يَسْئَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾؛ أَي: لَيْسَ لَهُمْ إِلْحَافٌ، وَهُوَ إِلْحَافٌ (٤) الَّذِي لَا يُفَارِقُ صَاحِبَهُ الْمَسْؤُولَ.

وَالْمِلْحَفُ (٥): اللَّبْسُ الْأَعْلَى، وَالْمِلْحَفَةُ: الْمُلَاءَةُ يُتَلَحَّفُ بِهَا، وَاللِّحَافُ كَذَلِكَ.

الْفِرَاءُ وَالزَّرْجَاجُ فِي جَمَاعَةٍ: لَيْسَ لَهُمْ سَوْأَلٌ، فَيَكُونُ لَهُمْ إِلْحَافٌ (٦).

(١) فِي (ن): «مَسْجِدِ النَّبِيِّ».

(٢) رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٣٥١)، وَالطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٥ / ٢٧)، وَابْنُ الْمُنْذِرِ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٤٤ / ١).

(٣) رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٥ / ٢٨)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٥٤١ / ٢).

(٤) فِي (و): «الْإِلْحَافُ».

(٥) فِي (ن): «وَاللِّحْفُ».

(٦) انْظُرْ: «مَعَانِي الْقُرْآنِ» لِلْفِرَاءِ (١ / ١٨١)، وَ«مَعَانِي الْقُرْآنِ» لِلزَّرْجَاجِ (١ / ٣٥٧). قَالَ الْفِرَاءُ: «وَمِثْلَهُ

قَوْلِكَ فِي الْكَلَامِ: قَلِمَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَذَا الرَّجُلِ، وَلَعَلَّكَ لَمْ تَرَ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا مِنْ أَشْبَاهِهِ».

﴿وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ لا يضيعُ عنده.

قيل: إنما كرّر؛ لأنَّ الأوَّلَ إخبارٌ بالحكم، والثَّاني إخبارٌ بمعنى الحكم.

(٢٧٤) - ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ

أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ

رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ عن يزيد بن عبد الله بن عريب عن أبيه عن جدّه^(١) عن النَّبِيِّ عليه السَّلَام قال: نزلت هذه الآية في أصحاب الخيل^(٢).

وقال عليه السَّلَام: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَخْبُلُ أَحَدًا فِي بَيْتِهِ فَرَسٌ عَتِيقٌ مِنَ الْخَيْلِ»^(٣).

وهذا قول أبي أمامة وأبي الدرداء ومكحول والأوزاعي ورباح بن يزيد^(٤).

(١) عريبٌ: هو أبو عبد الله المليكي، عداده في أهل الشام، قيل: له صحبة، وقيل: إنه كان راعياً لرسول الله ﷺ. انظر: «الاستيعاب» (٣ / ١٢٣٩)، و«أسد الغابة» (٤ / ٣٨)، و«الإصابة» (٤ / ٤٩٦).

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢ / ١٠٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (١ / ٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢ / ٥٤٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧ / ١٨٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦ / ٣٢٤): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وي زيد بن عبد الله وأبوه لا يعرفان»، وفيه علة أخرى، فقد قال ابن القيسراني في «ذخيرة الحفاظ» (٧ / ٣٢): «فيه سعيد بن سنان الحمصي، متروك الحديث».

(٣) رواه الحارث بن أبي أسامة كما في «زوائد مسند الحارث» للهيثمي (٢ / ٦٧٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧ / ١٨٩). وقال ابن كثير في «تفسيره» (٤ / ٧٣): «هذا الحديث منكر لا يصح إسناده ولا متنه».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥ / ٣٥) عن أبي الدرداء رضي الله عنه، ورواه ابن المنذر في «تفسيره»

(١ / ٤٦) عن أبي أمامة رضي الله عنه، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢ / ٥٤٣) عن أبي أمامة =

وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أيضًا: نزلت في علفِ الخيل^(١).

وعن عبد الوهّاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباسٍ رضي الله عنهم: نزلت في عليّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه، وكانت^(٢) عنده أربعة دراهم، فأنفق بالليل واحدًا، وبالنهّار واحدًا، وفي السّرّ واحدًا، وفي العلانية واحدًا^(٣). وهذا قول الكلبي^(٤).

وقيل: هي في كلّ من أنفق ماله في طاعة الله على هذه الصّفة، وتقديره: ينفقون في سبيل الله.

وقيل: هي عامّة في نفقة الزّوجات والأقارب.

والباء في قوله: ﴿بِالْيَلِّ وَالنَّهَارِ﴾ هي التي تدخل ظروف الزّمان والمكان معاينةً لـ(في)^(٥).

والسّرّ: إخفاء^(٦) الشّيء في النّفس، وهو (العلانية) منصوبان على الحال.

= وسعيد بن المسيّب ومكحول، وذكر هذه الأقوال الثعلبي في «تفسيره» (٧ / ٣٧٩ و ٣٨٠).

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنّفه» (١٩٣٦٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (١ / ٤٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢ / ٥٤٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٧ / ٣٨٥).

(٢) في (ن): «وكان».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (١ / ٤٨)، قال ابن كثير في «تفسيره» (١ / ٥٤٥): «عبد الوهّاب بن مجاهد ضعيف، ولكن رواه ابن مردويه من وجه آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما».

(٤) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٩٢).

(٥) انظر: «الأصول» لابن السراج (١ / ٤١٤)، و«شرح التسهيل» لابن مالك (٣ / ١٥١)، و«الجنى الداني» للمرادي (ص: ٤٠).

(٦) في (و): «خفاء».

(٢٧٥) - ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾؛ أي: في الدنيا.

يجوز أن يكون المراد^(١): مآكلهم من الربا، ويجوز أن يكون المراد: جميع^(٢) وجوه المنافع، كقوله: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتَمَى﴾ [النساء: ١٠].

والربا: الزيادة من غير بدلٍ للتأخير في الأجل، أو زيادة من الجنس. ﴿لَا يَقُومُونَ﴾؛ أي: من قبورهم يوم القيامة.

﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾؛ أي: مثل ما يقوم الذي يعتريه الصرع من مس الشيطان، فهو يقوم ويسقط يوم القيامة، ليس كغيره ممن يخرجون من الأجدات سراعا.

القفال: أضاف الصرع إلى الشيطان تقييحا له^(٣)، كعادة العرب في إضافة القبائح إليه، كقوله: ﴿طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّيْطَانِ﴾^(٤).

والخبط: الضرب على غير استواء، ومنه: خبط العشواء. والمس: الجنون، تقول: مس الرجل، كما تقول: جن.

﴿ذَلِكَ﴾؛ أي: ذلك العذاب ﴿بأنهم﴾: بسبب أنهم ﴿قالوا إنما البيع مثل الربا﴾

(١) «المراد» من (ن).

(٢) في (و): «في جميع».

(٣) «له» من (ن).

(٤) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٧/ ٧٦)، والطبي في «حاشيته على الكشاف» (٣/ ٥٤٣).

فسوّوا بين البيع وبين الربا، واستحلّوا الربا، ففرّق الله بينهما، فقال: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾.

ويُحتمل أن يكون قوله: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ من كلامهم، وكانوا^(١) قد عرفوا تحريم الله الربا، فعارضوه بأرائهم، فكان ذلك كفرًا منهم^(٢).

﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾؛ أي: وعظ، وهو قوله: ﴿كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

﴿فَأَنْتَهُي﴾ عن العود إلى أكل الربا.

﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾؛ أي: فلا تبعه عليه في الآخرة بما^(٤) سلف.

﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ إن شاء عذّب به بسائر الذنوب، وإن شاء غفر له.

الحسن: فأجره على^(٥) الله؛ لقبوله الموعظة^(٦).

وقيل: أمره إلى الله، وفارق أمر الشيطان.

القفال: يُحتمل ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ من الربا لا يلزمه رده، ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ لا إلى

الذين عاملهم به^(٧).

(١) في (ن): «فكانوا».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢٣٤) بلا نسبة، واستغربه.

(٣) في (و): «إلى».

(٤) في (ن): «مما».

(٥) «على» من (ن).

(٦) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٢ / ٧٠٩).

(٧) مال الزمخشري إلى هذا في «الكشاف» (١ / ٣٢١)، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط»

(٢ / ٧٠٩) بلا نسبة.

﴿وَمَنْ عَادَ﴾ بعدَ ورودِ^(١) الموعظةِ، واستحلَّ الرِّبَا، ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾؛ إذ هم كفَّار.

(٢٧٦) - ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾.

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ حتى يصيرَ عديمَ النَّفْعِ والبركةِ، ﴿وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ بمضاعفةِ الثَّوَابِ والأجرِ عليه.

وقيل: مَنْ تصدَّقَ من مالٍ اكتسبه من الرِّبَا، فالله يمحقُه ويبطلُه^(٢) ولا يُثيبُ عليه، ويُري الصَّدَقَاتِ إذا كانت من المكاسبِ الطَّيِّبَةِ، وجاء في الخبر: «كما يُرِي أَحَدُكُمْ فَلُوهُ»^(٣).

والمَحْقُ: النُّقْصَانُ لِلشَّيْءِ^(٤) حالاً بعد حالٍ.

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾: كلٌّ^(٥) مبالغٍ في كُفْرِهِ.

﴿أَثِيمٍ﴾: مُتَمَادٍ فِي إِثْمِهِ.

(١) في (ن): «وروده».

(٢) «ويبطله» من (ن).

(٣) رواه البخاري (٧٤٣٠)، ومسلم (١٠١٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وتام الحديث عند مسلم: «ما تصدق أحد بصدقة من طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت تمرة، فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل، كما يري أحدكم فلوه أو فصيله». والفُلُوُّ: المُهْرُ أَوَّلُ مَا يُوَلَدُ. والفصيلُ: ولد الناقة إلى أن يفصل عن أمه.

(٤) في (ن): «والمحق نقصان الشيء».

(٥) «كل»: ليس في (ن).

(٢٧٧) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أراد: إن^(١) الذين آمنوا بتحريم الربا.

(٢٧٨) - ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في بني عمرو بن^(٢) عمير بن عوف بن ثقيف، وفي بني المغيرة من^(٣) بني مخزوم^(٤).

عطاءً وعكرمة: نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان، طلباً رباً لهما كانا قد أسلفا قبل نزول التحريم، فلما نزلت الآية سمعا وأطاعا، وأخذوا رؤوس أموالهما^(٥).

السُّدِّيُّ: نزلت في العباس وخالد بن الوليد، وكانا شريكين في الجاهلية، يسلفان في الربا، فجاء الإسلام ولهما أموال عظيمة في الربا، فأنزل الله هذه الآية^(٦)،

(١) «إن»: ليس في (ن).

(٢) في (و): «بني عم».

(٣) في (ن): «ومن».

(٤) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٢٦٦٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٩٣)، من طريق الكلبي

عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧ / ٤٢٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٩٣).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٥ / ٤٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (١ / ٥٩)، وابن أبي حاتم في =

فقال النبي عليه السلام: «ألا إن كلَّ رِبًّا من رِبا الجاهليَّة موضوعٌ، وأوَّل رِبًّا أضعُهُ رِبا العباسِ بنِ عبدِ المطلب»^(١).

معنى الآية^(٢): دعوا ما بقيَ منه على مَنْ عاملتموه به.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: إن كنتم تريدون استدامة الحُكم له بالإيمان.

وقيل: إذ كنتم مؤمنين.

وقيل: وذروا ما كنتم تريدون أن تربوا فيه.

(٢٧٩) - ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَاذْنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ

أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾.

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾؛ أي: فإن لم تذرُوا ما بقيَ وجريتم على ما كنتم عليه من حُكم

الجاهليَّة في مُطالبة الرِّبا، ﴿فَاذْنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾؛ أي: فكونوا على علمٍ من أن الله قد أذنَ بمحاربتكم.

و﴿أذْنُوا﴾^(٣)؛ أي: وأعلموا غيركم ذلك.

= «تفسيره» (٢/ ٥٤٨) عن السدي.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ٢٨٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٩٤)، والمرفوع منه ورد في خطبة حجة الوداع، رواه أبو داود (١٩٠٥) وابن ماجه (٣٠٧٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، ورواه أبو داود (٣٣٣٤) والترمذي (٣٠٨٧) وابن ماجه (٣٠٥٥) من حديث عمرو بن الأحوص رضي الله عنه، وقال الترمذي: «حسن صحيح».

(٢) في (ن): «ومعنى الآية أي».

(٣) بالمد وكسر الذال، وهي قراءة حمزة وأبي بكر عن عاصم. انظر: «السبعة» لابن مجاهد

(ص: ١٩٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٤).

﴿وَأِنْ تُبْتُمْ﴾: رجعتُم عن التعاملِ بالرِّبَا والمطالبة بما بقي منه على النَّاسِ،
 ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾ دونَ الرِّبْحِ الحرامِ، ﴿لَا تَظْلِمُونَ﴾ بطلبِ الرِّبْحِ، ﴿وَلَا
 تُظْلَمُونَ﴾ بمنع رأسِ المالِ.

(٢٨٠) - ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ﴾ قال الكلبيُّ: قالت بنو عمرو بن عميرٍ لبني المغيرة:
 هاتوا^(١) رؤوس أموالنا ولكم الربا ندعه لكم، فقال بنو المغيرة: نحن اليوم أهل
 عُسرة فأخرونا إلى أن ندرِكَ الثَّمرة، فأبوا أن يؤخروهم، فأنزل الله: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو
 عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ﴾ الآية^(٢).

أي: وإن وقع ذو عُسرة^(٣) ﴿فَنَظِرَةٌ﴾: فعليكم نَظرةً، أي: إنظارٌ ﴿إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾:
 غنى ووجود المالِ.

قيل^(٤): وإن كان ذو عُسرة غريماً لكم^(٥).

قال شريحٌ وإبراهيمُ: هذا في دين الرِّبَا خاصَّةً^(٦).

(١) في (و): «هاتم».

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٩٤).

(٣) و(كان) على هذا التقدير تامة.

(٤) في (و): «قال».

(٥) و(كان) على هذا التقدير ناقصة، وخبرها محذوف.

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٤) عن شريح، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥٧ / ٥ - ٦٠) عن =

ابن عباسٍ والضَّحَاكُ: عامٌّ في كلِّ دينٍ^(١).

وَقُرِيءَ فِي الشَّوَاذِ: (وَإِنْ كَانَ ذَا عُسْرَةٍ)^(٢)؛ أَي: وَإِنْ كَانَ الْغَرِيمُ ذَا عُسْرَةٍ، هَذَا يُقَوِّي قَوْلَ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ فِي الرَّبَا فَحَسَبَ.

﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾؛ أَي: تَتَصَدَّقُوا عَلَى الْمَعْسُرِينَ شَيْئًا مِنْ رَأْسِ الْمَالِ ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾: أَرْجَى لِلثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ^(٣).

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أَي: تَعْمَلُونَ بِعِلْمِكُمْ.

(٢٨١) - ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾: هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَقِيلَ: يَوْمُ الْمَوْتِ.

﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾؛ أَي: جَزَاءَ مَا كَسَبَتْ.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾؛ أَي: بِنَقْصَانِ الْحَسَنَاتِ وَزِيَادَةِ السَّيِّئَاتِ.

= ابن عباس رضي الله عنهما وشريح وإبراهيم وغيرهم، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٤) عن شريح وإبراهيم، واستغربه.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦١) عن ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٦٤) عن الضحاك.

(٢) نسبت إلى أبي بن كعب رضي الله عنه وغيره. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٨٦)، و«تفسير الطبري» (٥/ ٥٦)، و«المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٢٤).

(٣) في (ن): «القيامة».

ابن عباسٍ رضي الله عنهما: آخرُ آيةٍ نزلت: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ﴾^(١).

عطية العوفي: إنها آخرُ آيةٍ نزلت^(٢).

وعن عليِّ بن الحسين: أنها آخرُ آيةٍ نزلت، قال: وعاش النبيُّ عليه السَّلام بعدها تسعَ ليالٍ^(٣).

السُّديُّ: إنها آخرُ آيةٍ نزلت^(٤).

وإن جبريلَ عليه السَّلام قالَ للنبيِّ ﷺ: ضَعُفْها في رأسِ الثمانينِ والمئتين^(٥).

الدِّمياطيُّ^(٦): إنها نزلت قبلَ وفاته بثلاثِ ساعاتٍ، فقال: «اجعلها بين آيتي الرِّبَا والدين»^(٧).

(١) رواه البخاري (٤٥٤٤).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٢١٥)، والطبري في «تفسيره» (٦٨ / ٥).

(٣) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٣).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٢١٤)، والطبري في «تفسيره» (٦٨ / ٥).

(٥) رواه الفراء في «معاني القرآن» (١ / ١٨٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٧ / ٤٧٨)، من طريق الكلبي

عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) هو بكر بن سهل الدمياطي، مفسرٌ مقرئ، ضَعَفَه النسائي، مات بدمياط سنة ٢٨٩. انظر: «ميزان

الاعتدال» للذهبي (١ / ٣٤٥)، و«سير أعلام النبلاء» (١٣ / ٤٢٥).

(٧) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١ / ٣٧٨)، والقرطبي في «تفسيره» (٣ / ٣٧٥)، وذكره

المصنف في «البرهان» (ص: ٦٨) دون نسبة أو سند.

(٢٨٢) - ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَآكْتُوبُوهُ وَلَا يَكْتُوبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيَمْلِكْ وَلِيَّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشَّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُوبُوهُ صَخِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَدَةِ وَأَدْقَىٰ أَلا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاصِرَةٌ تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُوبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ﴾: تعاملتُم بالدين أخذًا وإعطاءً^(١) ﴿بِدِينٍ﴾ تأكيدٌ وقطعٌ للمجاز؛ لأنه يقال: تداينا بمعنى: تجازينا وتعاطينا الأخذ بيننا^(٢).

ابن عباس رضي الله عنهما: المراد به: السلم^(٣).

والظاهر العموم من السلم والقرض وتأخير ثمن المبيع.

﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: وقت مؤخر معلوم معين.

﴿فَآكْتُوبُوهُ﴾؛ أي: اكتبوا الدين أو الثمن أو الأجل.

(١) في (ن): «وعطاء».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢٣٥).

(٣) رواه الشافعي في «الأم» (٣ / ٩٣)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١٤٠٦٤)، وابن أبي شيبة في

«المصنف» (٢٢٣١٩)، والطبري في «تفسيره» (٥ / ٧٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (١ / ٦٦)،

والحاكم في «المستدرک» (٣١٣٠).

وللعلماء فيه ثلاثة أقوال:

فابن عمر وأبو موسى الأشعري وابن سيرين والضحاك ومجاهد وعطاء
ومحمد بن جرير قالوا: لا يسع المؤمن إذا باع إلى أجلٍ أو اشترى إلا أن يكتبَ أو
يُشهدَ^(١) إذا وجد كاتبًا، واحتجوا بظاهر القرآن^(٢).

وأبو سعيد الخدري والحسن وعبد الرحمن بن زيد قالوا: هي منسوخة بقوله:
﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فليؤدِّ الَّذِي أَوْتِنَ أَمَنَتَهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣]^(٣).

الشَّعْبِيُّ: إنَّها على النَّدْبِ والإرشاد، لا على الحتم^(٤). وهذا مذهبُ الفقهاء^(٥).
﴿وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ﴾؛ أي: بين المتدائنين أو البائع والمشتري منكم ﴿كَاتِبٌ
يَالْعَدْلِ﴾ من غير زيادةٍ في المال والوصف والأجل^(٦)، ولا نقصانٍ.

القفال: معنى ﴿يَالْعَدْلِ﴾: أن يكون ما يكتبه مُتَّفَقًا عليه بين أهل العلم، لا يُرْفَعُ إلى

(١) في (ن): «يكتب ويشهد».

(٢) هذا معنى ما رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٠٣٦٦ - ٢٠٣٦٩) عن أبي موسى الأشعري
ومجاهد وابن سيرين والضحاك، وما رواه الطبري في «تفسيره» (٧٢ / ٥) عن الضحاك وابن
جريح والربيع وكعب، ورَجَّحه الطبري، وذهب إليه ابن حزم. انظر: «المحلى» (٦ / ٣٥١).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٠٣٦٢)، وابن ماجه (٢٣٦٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله
عنه، ورواه الطبري في «تفسيره» (٧٤ - ٧٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه والحسن وابن
زيد وغيرهم.

(٤) هذا معنى ما رواه الطبري في «تفسيره» (٥ / ٧٤).

(٥) انظر: «الأصل» لمحمد بن الحسن الشيباني (٤ / ٤٢٧)، و«الأم» للشافعي (٣ / ٨٨)، و«الإشراف»
لابن المنذر (٦ / ١٢٧).

(٦) «والوصف والأجل» من (ن).

قاضي فيجدُ سبيلاً إلى إبطاله بالفاظٍ^(١) لا يتسع فيها التأويل، فيحتاجُ الحاكمُ إلى التوقف^(٢).

﴿وَلَا يَأْبُ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ القفال: لا يمتنعنَّ كاتبٌ^(٣) أن يكتبَ

بالعدلِ الذي علَّمه الله، فيكتبَ بخلافِ ما أُمر^(٤).

غيره: ولا يمتنعنَّ كاتبٌ إذا استكتبَ من أن يكتبَ^(٥).

السُّدِّيُّ: فرضُ على الكفاية^(٦).

وقيل: واجبٌ في حالِ فراغه.

عطاءً: واجبٌ^(٧).

الضَّحَّاكُ: كان هذا عزيمةً، ثم نسخت بقوله: ﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾^(٨)؛

بدليلِ استحقاقه الأجرة عليه.

(١) «بالفاظ»: من (ن).

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٢ / ٧٢٤)، وذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٧ / ٩٢، ٩٣)

بلا نسبة، واستغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢٣٥).

(٣) في (ن) زيادة: «من».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢٣٥) بلا نسبة.

(٥) في (و): «أن يكتب كما استكتب».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٥ / ٧٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (١ / ٧٠)، وابن أبي حاتم في

«تفسيره» (٢ / ٥٥٧) عن السدي، لكنه شرط فراغه، ولفظ الطبري: «لا يأب كاتب أن يكتب إن

كان فارغاً». وروى الطبري في «تفسيره» (٥ / ٧٧)، وابن المنذر في «تفسيره» (١ / ٧٠)، عن عامر

وعطاء قالوا: «إذا لم يجدوا كاتباً فدُعيت فلا تأب أن تكتب لهم». وذهب الشافعي إلى أنه فرض على

الكفاية في «الأم» (١ / ٤٤٣).

(٧) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٨ / ٣٦٥)، والطبري في «تفسيره» (٥ / ٧٧).

(٨) رواه الطبري في «تفسيره» (٥ / ٧٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (١ / ٨٨).

ثم قال: كما عَلَّمَهُ اللهُ ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾؛ أي: فليكتب كما عَلَّمَهُ اللهُ؛ أي: بالعدل، وقيل: كما فَضَّلَهُ اللهُ بالكتابة فليكتب؛ أي: فليجعل ذلك جزاءً وشكرًا.

﴿وَلِيُمْلِلِ الَّذِينَ عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾؛ أي: فليملل المشهودُ عليه؛ ليكونَ ذلك إقرارًا على نفسه بلسانه.

﴿وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا﴾: ولا يُنْقِصُ من الحقِّ الذي عليه شيئًا. ويَحْتَمَلُ أَنْ الضَّمِيرَ فِي ﴿وَلِيَتَّقِ اللَّهَ﴾ يعودُ إلى الكاتب؛ لأنَّ المدينَ إِنْ رَامَ بخسًا منعه الدائنُ عن ذلك^(١).

والبخسُ^(٢): النقصُ ظلمًا.

﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا﴾ مجاهدٌ: جاهلاً^(٣).

السُّدِّيُّ: صغيرًا^(٤).

الزَّجَّاجُ: السَّفِيهُ: الخفيفُ العقلِ، والصَّبِيانُ والنِّسَاءُ سُفْهَاءُ^(٥).

﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾: عاجزًا، وقيل: ضعيفًا في عقله، وقيل: أحمق.

﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾ لخرسٍ أو عيٍّ.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢٣٥)، واستغربه.

(٢) في (و): «فالبخس».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥ / ٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢ / ٥٥٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥ / ٨٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (١ / ٧٢)، وابن أبي حاتم في

«تفسيره» (٢ / ٥٥٩).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١ / ٣٦٣)، لكنه قيَّد فقال: «فالنساء والصبيان اللاتي لا يميزن تميزاً

صحيحاً سفهاء».

﴿فَلْيَمْلِكْ وَيُتَّعِدْ بِالْعَدْلِ﴾ الضَّحَّاكُ: مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ ^(١).

الرَّبِيعُ: وَلِيُّ الْحَقِّ ^(٢).

﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾؛ أَي: مِنْ رِجَالِكُمُ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْرَارِ.

﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ﴾؛ أَي: الشَّاهِدَيْنِ ^(٣) رَجُلَيْنِ، وَهَذَا شَرْطٌ لَا عِبْرَةَ لَهُ،

كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تُكْرَهُوا فَنَيْتِكُمْ عَلَى الْإِغْيَاءِ

إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣]، وَقَوْلِهِ: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يُفْنِتِكُمْ﴾ [النساء: ١٠١]، وَلَمْ أَرِ أَحَدًا

مِنَ الْمَفْسَّرِينَ تَكَلَّمُ فِيهِ ^(٤).

﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ الْأَخْفَشُ: فَلْيَكُنْ رَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ ^(٥).

وَقِيلَ: فَلْيَشْهَدْ رَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ.

وَقِيلَ: فَالشَّاهِدُ رَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ.

وَقِيلَ: فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ يَشْهَدُونَ.

(١) انظر: «البيسط» للواحدي (٤ / ٤٩٠): «قال الضحاك وابن زيد: أي: ولي السفيه والعاجز والطفل،

يعنى: قيمه أو وراثته أو من يقوم مقامه في حقه. وقال ابن عباس والربيع ومقاتل: يعني: ولي الحق، وهو صاحب الدين؛ لأنه أعلم بدينه».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥ / ٨٤)، واستبعده الزجاج في «معاني القرآن» (١ / ٣٦٣) فقال:

«وقال قوم: ولي الدين. وهذا بعيد؛ كيف يقبل قول المدعي؟ وما حاجتنا إلى الكتاب والإشهاد والقول قوله؟»، وهو منسوب لابن عباس ومقاتل أيضاً. انظر: «البيسط» للواحدي (٤ / ٤٩٠).

(٣) في (و): «الشاهدان».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢٣٥) أيضاً، ولم أقف على من ذكر ذلك قبله.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١ / ٣٥٠)، وعبارته: «فالذي يستشهد رجل وامرأتان»، وذكره أبو

علي الفارسي في «الحجة» (٢ / ٤١٩) بلفظ المصنف.

وقال أبو مسلم بن مهران (١) في قوله: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ﴾: هذا كقوله: ﴿فَإِنْ كَانَا اثْنَتَيْنِ﴾، قال: والعربُ ربّما ثنّت الفعلَ وجمعتَه متقدّمًا، فيجوزُ أن يكونَ هذا على ذلك.

وهذا منه سهوٌ في الآيتين؛ لأنّ هذا إنّما (٢) يسوغُ لو كان قوله: ﴿رَجُلَيْنِ﴾ و﴿اِثْنَتَيْنِ﴾ بالرفع (٣).

﴿مِمَّنْ رَضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾؛ أي: من أهلِ الدِّينِ والعدالةِ والفضلِ.

«الحجّة»: ممّن وُصِفَ؛ لقوله: ﴿فَرَجُلٌ وَأَمْرَأَتَانِ﴾ دون ﴿شَهِيدَيْنِ﴾؛ لاختلافِ إعرابهما (٥).

﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾؛ أي: لأن نسيّت إحداهما الشّهادةَ ذكّرتها الشّهادةُ الأخرى.

(١) في (و): «مهران بن مهران»، وفي أكثر المصادر: «مهران بن مهران». وأبو مسلم هذا: هو محمد بن علي بن محمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني، النحوي الأديب المفسر، من أئمة الاعتزال، صنف «التفسير»، وهو آخر من حدث عن ابن المقرئ، توفي سنة (٤٥٩ هـ). انظر: «تاريخ أربيل» لابن المستوفي (٢ / ٦٣٣)، و«العبر» للذهبي (٢ / ٣١٠)، و«سلم الوصول» لحاجي خليفة (٣ / ٢٠٠).

(٢) «إنما» من (ن).

(٣) «بالرفع» من (ن).

(٤) «أهل» من (ن).

(٥) انظر: «الحجّة» لأبي علي الفارسي (٢ / ٤٢٦)، وتام كلامه: «وقوله: ﴿مِمَّنْ رَضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ فيه ذكرٌ يعود إلى الموصوفين الذين هم: ﴿فَرَجُلٌ وَأَمْرَأَتَانِ﴾، ولا يجوز أن يكون فيه ذكر لشهيدين المتقدم ذكرهما؛ لاختلاف إعراب الموصوفين، ألا ترى أن (شاهدين) منصوبان، و(رجل وامرأتان) إعرابهما الرفع.»

وذكر الضلال لأنه سببٌ للإذكار، قال الزجاج: ومثل ذلك: أعددتُ هذا [الجدع] ^(١) أن يميل الحائط فأدعمه به ^(٢).

ومن كسر ﴿إن﴾ ورفع ﴿فتذكر﴾ ^(٣) جعله شرطاً وجزاءً.

ابن عيينة: معنى ﴿فتذكر﴾ ^(٤): تصير معها مذكراً ^(٥)؛ أي: يلحقها بالرجال في الشهادة، فتبعدا من النسيان بعد الذكر.

﴿ولآيَابَ الشُّهَدَاءِ إِذَا مَا دُعُوا﴾ الحسن: للتحمل ^(٦)؛ كي لا تتوى ^(٧) حقوقهم، وسمّاه شهيداً، كقوله: ﴿وَأَسْتَشْهَدُ وَأَشْهَدُ بَيْنَ﴾ ^(٨).

(١) ما بين معكوفتين من «معاني القرآن» للزجاج.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٦٤).

(٣) هي قراءة حمزة. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥).

(٤) هذا على قراءة التخفيف، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٨٩)، وردّه من وجوه عدّة، وذكره المصنّف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٦)، واستغربه.

(٦) روي عن الحسن أن ذلك لتحمل الشهادة، وأنه لأدائها بعد التحمل، وأنه لهما معاً، والأول هو ما ذكره المصنّف عن الحسن هنا، وقد تبع فيه الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٣٦٥)، وذكره بلا نسبة في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٦)، واستغربه، وروى الطبري (٥/ ٩٩) عن قتادة: «كان الحسن يتأولها إذا كانت عنده شهادة فدعي ليقمها»، وروى الطبري (٥/ ٩٥) وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٧٩) عن الحسن وجهاً آخر، وذلك قوله: «جمعت أمرين؛ لا تأب إذا كانت عندك شهادة أن تشهد، ولا تأب إذا دعيت إلى شهادة»، وهذا هو المشهور عن الحسن، وفي كلام الزجاج ما يشير إلى ذلك.

(٧) تَوَى يَتَوَى: هلك يهلك. انظر: «القاموس المحيط» للفيروزآبادي مادة: (ت وي)، و«تاج العروس» (٣٧/ ٢٥٨).

(٨) يعني: سُمِّي شهيداً باعتبار ما سيكون، مع أنه لم يشهد بعد.

غيره: للأداء^(١).

﴿وَلَا تَسْمُوا أَنْ تَكْنُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾: لا يمنعكم الملل من الكتابة استحقرًا للقليل؛ فإنَّ القليل والكثير سواءٌ فيما يقع التَّظالمُ، وسواءٌ في حقِّ الكاتب.

وقيل: هذا يعودُ إلى قوله: ﴿قَدَّايْنِمُ﴾ بدينٍ صغيرٍ أو كبيرٍ^(٢).

﴿ذَلِكَمُ﴾؛ أي: الكتابة والاستشهادُ ﴿أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾: أعدلُ، من (القِسْطِ) بالكسر، وهو العدلُ، مصدرٌ وإن لم يُشتَقَّ منه فعلٌ^(٣)، وليس من (الإقساط)؛ فإنَّ (أفعل) التَّفْضِيلِ لا يُبنى من (الإفعال)^(٤).

والقِسْطُ: النَّصِيبُ أَيضًا.

والقَسْطُ بالفتح: الجَوْرُ، ﴿وَأَمَّا الْقَنَسِطُونَ﴾ [الجن: ١٥] منه.

﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾: أثبتُّ، من قولهم: حقِّي عليك قائمٌ؛ أي: ثابتٌ.

وقيل: أشدُّ استقامةً وأبعدُ من الاعوجاج.

﴿وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾: وأقربُ لنفي الشكِّ للشَّاهدِ والحاكمِ، وكذلك صاحب

الحقِّ.

(١) هذا مروى عن مجاهد وأبي مجلز وعامر وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبير وابن زيد والحسن أيضاً.

انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٩٦ - ٩٩).

(٢) ذكره المصنّف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٦)، واستغربه.

(٣) للاستغناء عنه بالفعل (أقسط)؛ إذا عدل، وحتى لا يلتبس بالفعل (قسط)؛ إذا جار، وهذا مذهب

متقدمي اللغويين، وقد ذكر ابن القطاع أن (قسط) مستخدم بمعنى عدل وجار. انظر: «الأفعال» لابن

القطاع (٣/ ٢٥).

(٤) في (ن): «فإن أفعل لا يبنى من الإفعال للتفضيل». وقد نقل أبو حيان كلام المصنّف في «البحر

المحيط» (٢/ ٧٣٧)، ومال إلى صحته، لكنه أشار إلى أن الفعل منه مستخدم.

﴿لَا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾؛
 أي: إلا أن تكون المعاملة تجارة حاضرة^(١)، أو إلا أن تقع تجارة حاضرة^(٢) في شيء
 يملكك بعوض حاضر، ثم يفترقان عن^(٣) تقابض، فلا إثم عليكم في ترك كتابتها.
 ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ أمرهم بالإشهاد على التبايع في الأحوال كلها.
 الحسن والشعبي: هذا ندب^(٤).
 الصَّحَّاحُ: فرَضَ^(٥).

﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ الحسن وقتادة وابن زيد وعطاء: وزنه (لا يضارر)
 بالكسر؛ أي: لا يمتنع عن الكتابة كاتب، ولا عن تحمّل الشهادة شهيد^(٦).
 ويحتمل أنه نهى عن التحريف في الكتابة والزيغ في الشهادة.
 ابن مسعود ومجاهد: وزنه (لا يضارر) بالفتح؛ أي: لا يجبر على الكتابة، ولا

(١) هذا التقدير على قراءة عاصم الذي نصب (تجارة). انظر: «الحجة» لأبي علي (٤٣٦/٢)، و«تفسير
 الثعلبي» (٥١٩/٧).

(٢) هذا التقدير على قراءة عامة القراء غير عاصم؛ فقد رفعوا (تجارة). انظر: «الحجة» لأبي علي
 (٤٣٦/٢)، و«تفسير الثعلبي» (٥٢٠/٧).

(٣) في (و): «على».

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٠٣٦٠، ٢٠٣٦١)، والطبري في «تفسيره» (١٠٩، ١١٠).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٠٣٦٩)، والطبري في «تفسيره» (١١٠/٥).

(٦) هذا معنى ما رواه الطبري في «تفسيره» (١١٣ - ١١٤) عن ابن عباس وعطاء ومجاهد، وأما ما

رواه الطبري أيضاً في «تفسيره» (١١٢/٥) عن الحسن وقتادة وابن زيد وعطاء فهو بمعنى القول

الذي ذكره المصنف احتمالاً، وهو الإضرار بالشهادة والكتابة بأن يكتب هذا ما لم يملئه المملي،

ويشهد هذا بما لم يستشهد به الشهيد.

على تحمُّلِ الشَّهَادَةِ^(١). وعلى هذا الوجهِ يَكُونُ النَّاسِخُ^(٢) دُونَ الْوَجْهِ الْأَوَّلِ^(٣).

﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا﴾؛ أي: التَّحْرِيفَ فِي الْكِتَابَةِ وَالشَّهَادَةِ، ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ لَكُمْ﴾؛

أي: خُرُوجٌ عَنِ أَمْرِ اللَّهِ، وَلِزُومُ هَذَا اللَّقْبِ لَكُمْ.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فِي مَخَالَفَةِ أَوْامِرِهِ.

﴿وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ﴾ شَرَائِعَ دِينِهِ.

﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لَا يَلْحَقُهُ سَهْوٌ، وَلَا قِصُورٌ.

(٢٨٣) - ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنِمْ مَقْبُوضَةً^ط فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا

فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ. وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ. وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ. وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ﴾ أَيُّهَا^(٤) الْمُتَدَايِنُونَ ﴿عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا﴾ وَفِي عَدَمِ الْكَاتِبِ

عَدَمُ الشَّاهِدِ فِي أَكْثَرِ الْأَحْوَالِ.

(١) روى الطبري في «تفسيره» (١١٤ / ٥) عن الضحاك قال: «كان ابن مسعود يقرأ: (ولا يضارر)»،

وعن عبد الله بن كثير عن مجاهد: «أنه كان يقرأ: (ولا يضارر كاتب ولا شهيد)، وأنه كان يقول في

تأويلها: ينطلق الذي له الحق فيدعو كاتبه وشاهده إلى أن يشهد، ولعله أن يكون في شغل أو حاجة

ليؤثمه إن ترك ذلك حينئذ لشغله وحاجته». وانظر: «تفسير ابن المنذر» (١ / ٨٦ - ٨٧).

(٢) «الناسخ» من (ن).

(٣) وذلك على قول الضحاك الذي رأى أن هذه الآية ناسخة لوجوب الشهادة والكتابة. انظر: «تفسير

الطبري» (٥ / ٧٨)، و«تفسير ابن المنذر» (١ / ٨٨).

(٤) في (ن): «أي».

﴿رَهْنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾؛ أي: فالوثيقة رهانٌ مقبوضةٌ تكونُ في يدِ صاحبِ الحقِّ حُكْمًا.

وأصلُ الرَّهْنِ: الإثباتُ والإدامةُ، ويُجمَعُ (رَهْنٌ) على (رُهْنٍ) و(رِهَانٍ)^(١).
 ﴿فَإِنَّ أَمِنْ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾؛ أي: وثقَ به من غير رَهْنٍ وكتايةٍ وإشهادٍ، ﴿فَلْيُؤَدِّ الْأَذَى أَوْ تُؤَمِّنْ أَمْنَتَهُ﴾ أمرٌ من اعْتَمَدَ عليه أن يجزِيَ^(٢) بالإحسانِ في أداءِ الأمانةِ وإعفاءِ الحقِّ عند وجوبه.

والأمانة: اسمٌ لما أوْتَمَنَ عليه، كـ(العِلْمِ) بمعنى المعلوم، و(الْقُدْرَةِ) بمعنى المقدور.

﴿وَلَيَتَقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾؛ أي: وليتقِ عذابَ ربِّه في ظلِّمه في إنكارِ حقِّه.
 ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ إذا استشهدتم، ويجوزُ أن يكونَ عامًّا في الشَّهادات^(٣) كلِّها.

﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا﴾ عند الاستشهادِ، ﴿فَأَنَّهُ إِتْمَ قَلْبُهُ﴾؛ أي: هو آثمٌ، و(قَلْبَهُ) بالفتح، وهو شاذٌّ^(٤).

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٢٠٢) مادة (ره ن).

(٢) في (و): «يجازي».

(٣) في (و): «الشهادة».

(٤) نُسبت القراءة بالنصب إلى ابن أبي عبله، وقراءته (أَتَمَّ قَلْبَهُ). انظر: «المختصر في شواذ القراءات»

لابن خالويه (ص: ٢٥)، و«الكامل في القراءات» لليشكري (ص: ٥١٣)، و«البحر المحيط» لأبي

حيان (٢/ ٧٤٦)، وأشار الفراء إلى وجه نصب (قَلْبَهُ) مع اسم الفاعل. انظر: «معاني القرآن» للفراء

و﴿ءَاتِمٌ﴾^(١) فاجرٌ، وإضافته إلى القلبِ توسعةٌ ومجازٌ^(٢).
 ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من كتمانِ الشَّهادةِ وإظهارِها ﴿عَلِيمٌ﴾: عالمٌ مُجازٍ عليه.

(٢٨٤) - ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَعْفِرُ مَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.
 ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وَخَلْقًا^(٣)، لا شريك له في ذلك.
 ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ فيها خمسة أقوال؛ ثلاثة
 عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما:

أحدها: أنها منسوخة بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(٤).

والثاني: أنها غير منسوخة، وأنها عامَّة؛ يُحَاسِبُ الْمُؤْمِنَ وَالكَافِرَ بما أبدى
 وأخفى، فَيَعْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَيُعَاقِبُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ^(٥).

(١) «وقلبه بالفتح وهو شاذ وآثم» من (ن).

(٢) في (و): «فأجروا إضافته إلى القلب توسعةً ومجازًا».

(٣) في (و): «وحقًا».

(٤) رواه مسلم (١٢٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «لما نزلت هذه الآية: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾، قال: دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء، فقال النبي ﷺ: «قولوا: سمعنا وأطعنا وسلمنا» قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، قال: قد فعلت، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾، قال: قد فعلت، ﴿وَأَعْرِضْنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا﴾، قال: قد فعلت».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٣٩ - ١٤١)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٩٤)، وابن أبي حاتم =

والثالث: أنها مخصوصة في كتمان الشهادة وإظهارها^(١).

والرابع: عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما همَّ به العبدُ من خطيئةٍ عوقبَ على ذلك بما يلحقه من الهمِّ والحزنِ في الدنيا^(٢).

والخامس: عن مجاهدٍ قال: هذا في الشكِّ واليقين^(٣).

قوله: ﴿يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾؛ أي: يُكَافِيكُمْ وَيُجَازِيكُمْ؛ إن خيراً فخيرٌ، وإن شراً فشرٌ. ﴿فَيَعْفُو لِمَنْ يَشَاءُ﴾: المؤمنين.

﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾: الكافرين.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مَّمَّا^(٤) يَرِيدُ قَدِيرٌ﴾: قادرٌ أتمَّ القدرة.

الزجاج: إن تُظهِروا العملَ أو تُسِرُّوا يحاسبُكم به الله^(٥).

وقيل: ما كسبت أيديكم، وحدثتكم أنفسكم^(٦).

= في «تفسيره» (٢ / ٥٧٢).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥ / ١٢٩ - ١٣٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (١ / ٩٣)، وابن أبي حاتم

في «تفسيره» (٢ / ٥٧٢)، واستغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢٣٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥ / ١٤٢) عن عائشة رضي الله عنها موقوفاً، ورواه الإمام أحمد في

«المسند» (٢٥٨٣٥) والترمذي (٢٩٩١) عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً، وقال: «حديث حسن

غريب»، وقد ضعّفه الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (١ / ٥٦٩).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥ / ١٤١)، وابن المنذر في «تفسيره» (١ / ٩٤)، وابن أبي حاتم في

«تفسيره» (٢ / ٥٧٣). واستغربه المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢٣٧).

(٤) في (و): «ما».

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١ / ٣٦٨).

(٦) في (ن): «وحدثت أنفسهم».

(٢٨٥) - ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرُوا بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.

﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تَخَفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ اشتد ذلك على أصحاب رسول الله عليه السلام فقالوا: والله ما نزلت آية أشد علينا من هذه الآية، إِنَّ أَحَدَنَا لِيُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِمَا لَا يَحِبُّ أَنْ يَثْبِتَ فِي قَلْبِهِ وَإِنَّ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَإِنَّا لَمَأْخُذُونَ بِمَا تَحَدَّثُ بِهِ نَفْسُنَا! هَلَكْنَا وَاللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «هَكَذَا أُنزِلَتْ»، فَقُلْنَا: هَلَكْنَا وَكُلَّفْنَا مِنَ الْعَمَلِ مَا لَا نُنْطِيقُ، قَالَ: «فَلَعَلَّكُمْ تَقُولُونَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟! فَقُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا»، فقالوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا^(١) وَسَلَّمْنَا، فَأَلْقَى اللَّهُ^(٢) الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ﴾ الآية^(٣).

وعن طلحة بن مصرف عن مرة عن عبد الله قال: أُنزِلَ: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ﴾ على النبي ﷺ حين بلغ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى^(٤).

وهذا ثناء على النبي عليه السلام.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: وآمن المؤمنون.

﴿كُلٌّ﴾ يُحْتَمَلُ أَنَّهُ لِلنَّبِيِّ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَحَدَمِهِمْ.

(١) «فقالوا سمعنا وأطعنا» من (ن).

(٢) في (ن): «فألقي الله».

(٣) رواه مسلم (١٢٥).

(٤) رواه مسلم (١٧٣).

﴿ءَاْمَنَ بِاللَّهِ﴾ أَنَّهُ أَحَدٌ^(١) لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِجَمِيعِ صِفَاتِهِ.
 ﴿وَمَلَئِكِيهِ﴾ أَنَّهُمْ عِبِيدُهُ، وَلَيْسُوا بِإِنَاثٍ، وَلَا بِنَاتٍ لِلَّهِ^(٢).
 ﴿وَكُتُبِهِ﴾ أَنَّهَا كُلُّهَا مِنْ اللَّهِ وَوَحْيِهِ وَتَنْزِيلِهِ، وَأَنَّهَا غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ.
 ﴿وَرُسُلِهِ﴾ بِأَنَّهُمْ صَادِقُونَ.
 ﴿لَا تَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ﴾؛ أَي: يَقُولُونَ: لَا تَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ وَآخَرَ ﴿مِنْ رُسُلِهِ﴾.
 وَقِيلَ: ﴿أَحَدٍ﴾ لِلْعَمُومِ.
 ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا﴾ قَوْلَكَ، ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أَمْرَكَ، ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾؛ أَي: نَسْأَلُكَ
 غُفْرَانَكَ، وَاغْفِرْ غُفْرَانَكَ.
 ﴿وَالَيْتِكَ الْمَصِيرُ﴾: الْمَرْجِعُ.

(٢٨٦) - ﴿لَا يَكْفُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا
 تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا
 رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَعَافُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
 الْكَافِرِينَ﴾.

﴿لَا يَكْفُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ هِيَ النَّاسِخَةُ، كَمَا سَبَقَ.

وقيل: معناه الدعاء؛ أي: لا تكلفنا إلا ما يسعنا^(٣).

ومعنى: ﴿وُسْعَهَا﴾: ما تتسع لفعله.

(١) في (ن): «أنه واحد».

(٢) في (ن): «بنات الله».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٢٣٧)، واستغربه.

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ يعني: الخير والطاعة، ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من الشرِّ والعصيان.

المفصَّل: (كسب) و(اكتسب) واحد^(١).

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا﴾؛ أي: تركنا أمراً من أوامرك، وليس من النسيان

الذي هو السَّهْو؛ لأنَّ ذلك مغفورٌ من غير مسألة.

﴿وَأَوْخَطْنَا﴾؛ أي: تعمَّدنا الخطأ جهلاً، وليس بالخطأ الذي هو موضوعٌ

عن العبد.

تقول: خَطِيءٌ؛ أي: أثم، و(أخطأ) تأتي بمعنى: خَطِيءٌ، وتأتي بمعنى: أغفل

وسَهَا.

وقيل: تُعَبَّدُوا بالدُّعاء بهذا، وإن كانا موضوعين عنهم.

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾: ثَقَلًا ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ ابن

عبَّاسٍ ومجاهدٌ: عَهْدًا نَعَجُزُ عَنْ الْقِيَامِ بِهِ^(٢). وهو ما كُفِّفُوا مِنْ قَتْلِ النَّفْسِ وَغَيْرِهِ.

(١) ذهب إلى هذا جمعٌ من اللغويين، فلم يفرِّقوا بين (كسب) و(اكتسب)، منهم: الجوهري في

«الصَّحاح» (١/ ٢١٢) مادة: (ك س ب)، والثعالبي في «فقه اللغة» (ص: ٢٥٩).

وفَرَّقَ بينهما سيبويه في «الكتاب» (٤/ ٧٤)، وابن قتيبة في «أدب الكاتب» (ص: ٤٦٩) فقال سيبويه:

«أما كسب فإنه يقول أصاب، وأما اكتسب فهو التصرف والطلب»، وقال السيرافي في «شرح الكتاب»

(٤/ ٤٥٢): «فَرَّقَ سيبويه بين كسب واكتسب، وقال غيره: لا فرق بينهما، قال الله عز وجل: ﴿لَهَا

مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾، والمعنى واحد». ورأى ابن جني في «الخصائص» (٣/ ٢٦٨) أنَّ لفظ

(كسب) أقلُّ من (اكتسب)، فلما كان فعل السيئة عظيماً مقارنةً بجزائها ناسب تعظيم لفظ فعل السيئة،

ولما كان فعل الحسنة قليلاً أمام جزائها ناسب أن يُنتقص من لفظ فعل الحسنة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٥٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد، ورواه ابن المنذر

في «تفسيره» (١/ ١٠٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٨٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال القفال: وَمَنْ نَظَرَ فِي السَّفْرِ الْخَامِسِ مِنَ التَّوْرَةِ الَّتِي يَدَّعِيهَا^(١) هُوَ لَاءِ الْيَهُودِ وَقَفَّ عَلَى مَا أُخِذَ عَلَيْهِمْ مِنْ غَلِيظِ الْعَهودِ وَالْمَوَاتِقِ، وَرَأَى الْأَعَاجِيبَ الْكَثِيرَةَ^(٢).

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ القفال: مَا يَشُقُّ عَلَيْنَا فَعَلَهُ عَلَى الدَّوَامِ^(٣).

وقيل: لَا تَحْمِلْنَا مِنْ عَقُوبَةِ ذُنُوبِنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ^(٤).

وقيل: وَلَا تَكَلِّفْنَا مَا لَا نَطِيقُ، وَهَذَا أَظْهَرُ.

وقيل: حَدِيثَ النَّفْسِ وَالْوَسْوَسَةِ^(٥)، وَقِيلَ: الْحَبُّ وَالْعِشْقُ^(٦)، وَفِيهِنَّ بَعْدُ.

﴿وَأَعْفُ عَنَّا﴾: امْحُ سَيِّئَاتِنَا.

﴿وَأَغْفِرْ لَنَا﴾: اسْتِرْ ذُنُوبَنَا.

﴿وَأَرْحَمْنَا﴾: وَاَعْطَفْ عَلَيْنَا بِالْمَسَامِحَةِ.

﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾: وَلِينَا وَنَاصِرُنَا وَمَتَوَلِّي أُمُورِنَا وَمُدَبِّرِنَا.

﴿فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ بِالْحُجَّةِ وَالْغَلْبَةِ وَالْقَهْرِ حَتَّى يَظْهَرَ دِينُنَا

عَلَى الْأَدْيَانِ كُلِّهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) في (و): «التي لا يدعيها».

(٢) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٧ / ١٢١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢٣٧) دون نسبة.

(٤) «به» من (ن).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢٣٧)، واستغربه.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١ / ٢٣٧)، وعدّه من العجائب.